

الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد باكستان
كلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية
قسم الدراسات الأدبية

توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير اليوم الآخر
في القرآن الكريم
"دراسة بلاغية"

بحث مُتمم للدكتوراه

إشراف الدكتور : سعيد شلبي

إعداد الطالبة : صفاء عمر وزان

2016-1437



Accession No  TH-17523

(3279)

Ph.D

٤١٣٠٧٥

ص ف ت

لغة عربية - قواعد

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
(٢٨)

سورة الزمر

إهداء

إلى روح والديّ الحبيبين رحمهما الله..

وإلى زوجي الحبيب..

وإلى أبنائي وبناتي..

وصهري وأحفادي الأعزاء..

إلى كل روح مضت إلى بارئها ضحية الجور والطغيان..

إلى كل مسلم يرقب النور من بعد الظلام..

أهدي هذا العمل

شكر وعرفان

الحمد لله الذي سهل لي الحَزْنَ، وزلزل الصعاب، وجاوزني العقبات، لأتم

هذا البحث، فله الشكر أولاً ودائماً وأبداً

ثم أتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتي ومشائخي الكرام جميعهم، وأخص

منهم مشرفي الدكتور سعيد شلبي الذي مد لي يد العون، وجاد علي

بالنصائح الكثيرة والإرشادات

وأشكر الدكتور محمود حسن مخلوف مشرفي السابق الذي علمني كيفية

البحث في متشابه النظم من ألفه إلى يانه

وأشكر الدكتور مؤيد فاضل رشيد لبذله الجهد العظيم في مساعدتي ولسبقه

الدائم في خدمة العلم والطلبة

كما أشكر الدكتور محمد غزالي الذي لبى ندائي مسرعاً مذكراً بنخوة

الأنصار

وأشكر الدكتور حافظ محمد بشير عميد كلية اللغة العربية على مساندته لي

والشكر كل الشكر إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل

.....

المحتويات

الموضوع	
إهداء	
شكر وعرفان	
المحتويات	1
مقدمة	4
أسئلة البحث	6
أسباب اختيار الموضوع	6
فكرة البحث	7
المناهج المستخدمة في البحث	7
الدراسات السابقة	8
هيكل البحث	15
تمهيد	19
المبحث الأول: التعريف بعلم المتشابه وتاريخه	20
المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحاً	20
المطلب الثاني: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم	21
المطلب الثالث: نشأة وتطور علم المتشابه	23
المبحث الثاني: كتب ومؤلفات علم المتشابه اللفظي	29
المطلب الأول: المصنفات في المتشابه لفظياً دون توجيه أو تعليل	25
المطلب الثاني: المصنفات التي اختصت في توجيه الآيات المتشابهها لفظياً	26
المطلب الثالث: الكتب التي تعرضت إلى توجيه المتشابه اللفظي ضمن السياق	27
الفصل الأول: توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير تدمير أجرام الكون	29
المبحث الأول: تدمير السماء	33
المطلب الأول: الانفطار	33
المطلب الثاني: الانشقاق	40
المطلب الثالث: الطي	43
المبحث الثاني: تدمير الجبال	47
المطلب الأول: التسيير	47
المطلب الثاني: النسف	52

55	المبحث الثالث: تدمير الأرض
55	المطلب الأول: الانشقاق
59	المطلب الثاني: الذك
64	المبحث الرابع: تدمير البحار
64	التسجيل
72	الفصل الثاني: توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير البيعة والنشر
74	المبحث الأول: النفخ في الصور
81	المبحث الثاني: البيعة
94	المبحث الثالث: النشر
101	المبحث الرابع: خروج الناس من الأجداث
114	المبحث الخامس: الجمع
124	المبحث السادس: الحشر
148	الفصل الثالث: توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير الحساب والجزاء
150	مسألة في يروز الناس لله تعالى
152	مسألة في العرض للحساب
155	المبحث الأول: الحساب
165	مسألة في القضاء
168	المبحث الثاني: ثبوت الشفاعة ونفيها
178	المبحث الثالث: الجزاء
198	الفصل الرابع: توجيه تنوع الصيغ في تصوير نعيم الجنة
202	المبحث الأول: بشارة المؤمنين بالجنة
212	المبحث الثاني: الجنة
248	مسألة في غرف الجنة
251	مسألة في عيون الجنة
255	المبحث الثالث: ظلال الجنة
261	مسألة في فاكهة الجنة
266	مسألة في دخول المؤمنين الجنة
270	مسألة في أبواب الجنة
273	المبحث الرابع: وراثة المؤمنين الجنة

278	مسألة في رزق أصحاب الجنة
283	مسألة في خدمة أصحاب الجنة
287	مسألة في أكل أصحاب الجنة
291	المبحث الخامس: شراب أصحاب الجنة
298	مسألة في وصف خمر الجنة
300	مسألة في سقيا أصحاب الجنة
303	مسألة في نضرة وجوه المؤمنين في الجنة
305	مسألة في لباس أصحاب الجنة
308	مسألة في حلي الجنة
311	مسألة في أزواج الجنة
315	مسألة في حور العين
318	مسألة في رضا الله عن المؤمنين ورضاهم عنه
326	الفصل الخامس: توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير عذاب جهنم.
328	المبحث الأول: العذاب
366	مسألة في إلقاء الكافرين في النار
370	مسألة في دخول الكافرين النار
376	المبحث الثاني: صلي الكافرين النار
388	المبحث الثالث: ذوق العذاب
397	مسألة في أكل أصحاب النار
398	مسألة في سقيا النار
403	مسألة في حميم النار
409	مسألة في اسوداد وجوه أصحاب النار
411	المبحث الرابع: لعن أهل نار
425	مسألة في انتفاء معذرة أهل النار
430	المبحث الخامس: الخروج من النار
443	خاتمة
448	ثبت الآيات
472	المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله الذي من علينا بنعمة الإسلام ورعانا برحمته منه، وشفاء لما في الصدور، كتابه الكريم الذي تُنار به الحياة وتضاء، والذي لا يُخلق على كثرة الرد، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَذْدَابًا﴾ الكهف 109 وبعد . .

فهذا بحث أتقدم به إلى قسم الدراسات الأدبية بكلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية للحصول على درجة الدكتوراة، وموضوعه "توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير اليوم الآخر في القرآن الكريم دراسة بلاغية".

حيث لا تزال الدراسات والأبحاث تكشف العجيب من معجزات القرآن الكريم فضلا عما قدمه أئمة التفسير، والبلاغيون، وعلماء العربية، وغيرهم من مختلف العلماء الذين تركوا المصنفات العظيمة التي أثرت المكتبة الإسلامية. ولقد اختصت اللغة العربية بمجموعة من الخصائص اللغوية على المستوى الصوتي كأصوات الحلق وأصوات الإطباق، وعلى المستوى الصرفي كالاشتقاق والتثنية وصيغ جموع التكسير، وعلى المستوى النحوي كالإعراب والجملة الفعلية، وعلى المستوى البلاغي كالإيجاز.

وإن مما خُصَّت به العربية فيما يتصل بموضوعنا ثروتها اللفظية فهي لغة اشتقاقية غنية بالصيغ المختلفة التي تُعبر كل صيغة فيها عن دلالة بعينها، ولتنوع أبنيتها الصرفية فائدة جليلة، بل ولتعدد معاني تلك الأبنية ميزات فريدة لتكون قوالب مُحكمة تصب فيها مدلولات الآيات الكريمة أو هي لتستوعب الروحي المنزل ولتليق بقدره وجلاله وتؤدي حقه وتتواءم معه.

وموضوع هذا البحث حول متشابه النظم في سياق تصوير اليوم الآخر في القرآن الكريم وتوجيه التنوع الصيغي الذي يحدث في الآيات الكريمة،

والمقصود بالتنوع هو حلول صيغة صرفية معينة في آية ما يقتضي السياق وجودها فتكون هي الأبلغ والأفصح في مكانها.

"وقد التزم أئمة متشابه النظم القرآني منهج الاستقصاء في تحليلهم لنظوم المشتبه على مستوى الحرف، والمفردة، والأسلوب .. واعتمدوا في توجيهاتهم على قواعد بعض العلوم التي تُعدُّ عنصرا هاما لا يستقيم التوجيه بدونه.

فمن العلوم اللغوية: المفردات، والصرف، والنحو، والبلاغة.

ومن العلوم الأصولية: أصول الفقه، والكلام، والمنطق.

ومن العلوم القرآنية: أسباب النزول، ترتيب المصحف"¹.

إن الحديث عن تنوع الصيغ مرتبط بالأبنية الصرفية من حيث أوزانها ومعانيها ومرونة هذه الأبنية وقابليتها التبادل فيما بينها للتعبير عن دلالات تناسب السياق والمقام، فصيغة الماضي في سياق ما تفيد الاستقبال ولكن بصورة مؤكدة لازمة ثابتة، كقوله تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ) النحل 1 أي هو أت لا محالة أي جِئِل المستقبل ماضيا للمبالغة وتنزيلا للمتوقع منزلة ما وقع.

وقد يطلب المقام توكيد المعنى أو التخصيص فتتغير صيغة الفعل المتوقع ورودها في النص إلى اسم الفاعل كما في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَلَّوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ) آل عمران 142 اختار سبحانه اسم الفاعل "الصابرين" تخصيصا لهم وتعظيما وقد يقتضي المقام التجدد والحدوث والاستقبال فيختار الفعل بدلا عن الاسم قال تعالى : (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة 184 عدل عن صيامكم إلى تصوموا لما في الفعل من تجدد.

تكمن أهمية الموضوع في كونها بابا واسعا لإظهار إعجاز القرآن ولإثبات أوجها بيانية فيه، ليزيد الذين آمنوا إيمانا، وليقيم الحجة على الملاحدة فيدحض

¹ مجلة كلية اللغة العربية ناسوط - العدد السادس والعشرون، صوابط التوجيه المعنوي لمتشابه النظم القرآني د محمود حسن مخلوف ص 615- 617

طعونهم فيه، وليصحح للجاهلين شبهاتهم وذلك بأن القرآن الكريم كل ما فيه وحي معجز من عنده تعالى، وليسهل على الحفاظ والطلاب حفظ كتاب الله العزيز، وتثبيت آياته في مواضعها.

أسئلة البحث :

- 1- ما أنواع تغيير النظم للألفاظ في موضوع اليوم الآخر ؟
- 2- ما الصيغ الغالبة لكل جذر، وما الصيغ الأشد ندرة، أو الفريدة ؟
- 3- هل يُرافق مراعاة القواصل حكماً أو إعجازاً بيانياً ؟ ما هو ؟
- 4- هل يظهر الترتيب القرآني في كافة موضوعات اليوم الآخر في توجيه المتشابه، كيف يتجلى ترتيب النزول وأسبابه ومكيبه ومدنييه في توجيه المتشابه ؟
- 5- ما سمات أوزان الصيغ الخاصة بكل موضوع ؟
- 6- ما الجديد الذي أضافته الدراسة إلى معاني الأبنية ؟

أسباب اختيار الموضوع :

- كانت وراء اختياري هذا الموضوع مجموعة من الأسباب، أذكر منها :
- 1- الحرص على تتبع آيات القرآن الكريم ومعرفة أسرارها.
 - 2- الرغبة في التعرف العلمي الدقيق على جانب مهم من جوانب إعجاز القرآن الكريم.
 - 3- محاولة بيان عظمة منهج بلاغي لدى علماء متشابه النظم القرآني حيث أن هذا لم يشتهر بين الدارسين.
 - 4- المشاركة في إثراء الدراسات التطبيقية للبلاغة القرآنية التي لم تنل حظها من الدراسة مقارنة بالدراسة النظرية.

5- فتح مجالات فسيحة أمام الدارسين والدارسات للسير على هذا النهج المتراحب الذي تتسع أمامه البصائر كلما تعددت مناهج البحث فيه.

فكرة البحث :

تتركز فكرة البحث حول دراسة تنوع الصيغ في متشابه النظم القرآني وتوجيه هذا التباير في الآيات، كأن يُستعمل الماضي بدلا من المضارع، أو أن يُستعمل اسم الفاعل بدلا من اسم المفعول أو المصدر .. وهكذا.

المناهج المستخدمة في البحث :

سوف تقوم الدراسة وفق المناهج التالية :

- 1- المنهج الاستقرائي : حيث يتم تتبع جميع الآيات الشريفة في القرآن الكريم حول موضوع اليوم الآخر للحصر والاستقصاء ثم تصنيف هذه الآيات حسب الجذور باعتبار كل قرن مُعين وحسب الموضوعات المتوفرة فيها.
- 2- المنهج التحليلي : وفيه تتم دراسة كل موضوع بسياقه العام أي في القرآن كاملا لرصد الظواهر ثم دراسته حسب السياق الجزئي أي الآيات السابقة واللاحقة للموضوع، إذ بعد حصر صيغ التعبير في النموذج كله، وجمع شواذ الصيغ كلها يتم معالجتها معالجة عامة وتحليل التباير بين النظم المتشابهة، ثم دراسة مدى تلاؤم هذا مع السياق الكلي في السورة كاملة.
- 3- المنهج الموازن : من خلاله تتم الموازنة مع بقية المواضع في السور الأخرى حسب مقتضيات السياق العام في القرآن الكريم كله.

4- المنهج الاستنباطي : وأخيرا يأتي دور استنتاج سمات عامة لمتشابه الصيغ فيما يخص كل نموذج من موضوعات اليوم الآخر.

الدراسات السابقة :

لم تستوعب الدراسات السابقة كل مواطن التشابه اللفظي في النظم الكريم لكثرتها واتساعها وتنوع دلالاتها البيانية، ولأن كل موضوع منها يحتاج إلى أفراد دراسة خاصة به، وفيما يلي عرض لبعض تلك الدراسات التي ساهمت في إثراء هذا العلم العظيم:

خير من أنار لي الطريق ودلني إلى معرفة المتشابه اللفظي وتوجيهه هو كتب العلامة الدكتور فاضل صالح السامرائي، وجدته بحق أفضل من بحث فيه وأمعن ودقق ووازن وتأنى وأخلص، لذلك اتخذت ما توصل إليه دربا أسلكه، فقرأت، وكررت القراءة، وتدبرت ما يقول لأنطلق في رحلتي مع كتابة البحث، يمكنني أن أصنف كتبه إلى قسمين، الأول وهو ما يتعلق بالدراسة النظرية، فالعلامة السامرائي أخذ على عاتقه الاهتمام بالمعنى لأنه مفتاح الوصول إلى توجيه المتشابه اللفظي، لذلك عمد إلى تأليف كتابين يعدان الحجر الأساس في تدبر وتذوق أي ظاهرة بيانية وهما: كتاب يتعلق بالمفردة أو الصيغة وسماه معاني الأبنية في العربية، يشير به إلى أننا نستعمل الأبنية مجردة من معناها المتميز الدقيق، وقام بدراسة معاني ما اشتهر من تلك الأبنية، لأن الأقدمين لم يقطعوا في شأن هذه المسألة، بل كانوا يهتمون بكيفية صوغ البناء مجردا من المعنى وهل هو مسموع أو مقيس، وينبه إلى أن كل بناء له معنى خاصا علينا استعماله، لا كما يحلو لنوفنا، من ذلك أكثر الأبنية في الجموع والمبالغة وغيرها، حاول الكاتب الوصول إلى معاني الصيغ على طريق النظر والموازنة بين النصوص معتمدا على الاستعمال القرآني، وعلى دراسة الضوابط العامة

والأصول التي وضعها علماء اللغة، وعلى المعاني التي يفسرون بها المفردات أو الأبنية.

اعتمدت في الدراسة على ما قدمه العلامة السامرائي من نتائج في هذا الكتاب، فكننت أدقق النظر في معاني البناء موازنة بينها ثم أختار ما يناسب السياق.

والكتاب الثاني الذي قدمه المؤلف يتعلّق بالتركيب وسمّاه معاني النحو، يدعو من خلاله إلى علم فقه النحو، فهو يفسر الجملة العربية، ويبين كثيراً من التعبيرات النحوية، ويشرح معنى كل تركيب، كالفرق بين التعليل باللام والتعليل بكي...

أي هذا الكتاب قائم على المعنى أساساً و بناءً، وهو مؤلف من أربعة مجلدات، ويعم جميع الموضوعات النحوية بلا استثناء، أمضى الكاتب أكثر من عشرة أعوام في البحث وتأمل النصوص، وإدانة النظر فيها، والموازنة بينها، والتدقيق فيما تحتمله من معان، كان القرآن الكريم هو المصدر الأول له يفهرس آياته بحسب الموضوعات، وينظر في الفروق التعبيرية، وفي السياق الذي ورد فيه كل تعبير، كما اعتمد على كتب النحو، والبلاغة، واللغة، والتفسير، وعلوم القرآن وغيرها.

استفدت من الكتاب بشكل خاص فيما يتعلّق بالمشتقات، وبأغراض الأساليب النحوية، وبمعاني الجملة وهي مفردة دون تركيب، كما استفدت في ربط الصيغة بما يحيطها من معاني الجملة والتعبيرات النحوية.

لم تقتصر جهود الدكتور السامرائي على الاهتمام بمعاني البنية والتركيب، وتقديم الكثير من النتائج والتعليلات، بل عمد إلى سياقات النصوص القرآنية وأحاطها برعاية فائقة مستفيداً من تلك التعليقات بالتدقيق والموازنة، وربط الصيغة بالسياق ربطاً وثيقاً، وتناغم الجمل معهما، وهذا النهج الذي تأثرت به وسلكته في البحث متبعة الخطوات التي قام بها السامرائي في التوجيه والتعليل للمتشابه اللفظي.

وقد قدم في هذا الجانب التطبيقي مؤلفات عديدة رائعة منها:

كتاب: التعبير القرآني

يبين فيه جوانب عدة لإعجاز القرآن، مقررًا أن التعبير القرآني كله تعبير فني مقصود بسوره وآياته ولفظه وحروفه، ذكر بعض خصوصيات الاستعمال القرآني، من ذلك ابتداء بعض السور بالحروف المفردة، وتناهي الدقة والجمال في اختيار بنية الكلمة، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، وتكلم عن المميزات التعبيرية للسياق، وأن لكل سورة سمة خاصة تطبع ألفاظها بها، ليثبت أن التعبير القرآني هو في قمة الأدب والفن، فكل ضرب من ضروب التعبير فيه وحدة متكاملة ليس فيها نبؤ ولا اختلاف، فالتوكيد مثلا على تباعد مواطنه وتفرقها في القرآن وحدة فنية متكاملة متناسبا في كل موطن مع السياق الذي ورد فيه متناغما معه ومتناغما مع كل المواطن الأخرى التي ورد فيها التوكيد.

ومنها كتاب: بلاغة الكلمة في القرآن الكريم

تناول فيه المفردة في النظم الكريم باختصار، تاركا موضوعات قد تناولها من قبل في كتبه السابقة مثل فك الإدغام، وقدم تعليلا جديدا للفروق بين استخدام المفردات في القرآن الكريم، يراه أشفى لنفسه وأكثر إقناعا مما قدمه الباحثون قبله.

وضع فيه بداية لتبويب المفردة على الموضوعات، وجمع ما تشابه من ذلك ودراسته، لأنه لم ير كتابا يبحث في هذا من قبل.

وتحدث فيه عن كيفية التعليل إذا كان الرسم القرآني على قراءات مختلفة، وأشار إلى أركان القراءة الصحيحة وهي صحة السند، وموافقة خط المصحف العثماني، وموافقة العربية.

ومما بحث فيه هنا الذكر والحذف، والإبدال، وفعل وأفعل، والمبني للمجهول، والوصف، والإفراد والتثنية والجمع، وتعاور المفردات.

اعتمد في التوجيه والترجيح على الأمور اللغوية المسلمة، والقواعد المقررة، واستعان بالسياق لتلمس الفروق في الاستعمال.

استفدت من الكتاب كله، وخاصة فيما يتعلق بالبناء للمجهول في توجيه الصيغتين (يطوف، ويطاف) ولكنه تناول نموذجين فقط هما في سورتي الصافات والواقعة، والجديد الذي قدمته في البحث هو استقصاء باقي الشواهد في القرآن الكريم والتوجيه لها.

واستفدت منه فيما يتعلق باسم الجنس بأنه أعم وأوسع من لفظ الجمع مثل (فاكهة، وفواكه) ولكنه كان في نموذجين فقط كما في (يطوف، ويطاف) لذلك قمت بتناول جميع الشواهد هنا بالتحليل والتوجيه.

ومنها كتاب: على طريق التفسير البياني

عرّف الكاتب فيه التفسير البياني بأنه جزء من التفسير العام، تحدث عن التراكيب في التعبير القرآني من الناحية الفنية، كالحذف والذكر، والتقديم والتأخير، وعن اختيار لفظة على أخرى، ثم بين فيه ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني من التبحر في علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم النحو، وعلوم البلاغة، وفي القراءات، وأسباب النزول، والنظر في السياق فإن ذلك من ألزم الأمور للمفسر عموماً وللمفسر البياني على وجه الخصوص، فبالسياق يتضح سبب اختيار لفظة على أخرى، وتعبير على آخر، ويتضح سبب التقديم والتأخير، والذكر والحذف، ومعاني الألفاظ المشتركة، وأن يسترعي نظره أي تغير في المفردة، وأساس ذلك كله الموهبة على أن ينميها ويصقلها بكثرة الإطلاع والنظر والتدقيق.

ذكر المؤلف أن القراءات المتعددة قد تكون أدل شيء على الإعجاز ذلك أنه تحداهم بالقرآن فعجزوا ثم جاءهم بقراءة أخرى فعجزوا مما يدل على كمال القدرة لله عز وجل وعجز البشر أمامها على كل حال، وكان يدفع توهم التعارض بين الآيات من خلال المقارنة بين المقامات.

ومنها كتاب: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل

وضع فيه الكاتب دلالات وإشارات وملاح تتفع السالكين في طريق التفسير البياني من ذلك أنه ينطلق من الفروق بين المترادفات ليبين بلاغة اللفظ المختار ومحاسنه وفوائده ومناسبته للمقام كالحمد والثناء، وعن الكلمة في أول السورة كيف تحسّن ذكر الألفاظ بعدها، ومناسبة كل اختيار لسياق السورة، ويقارن بين مقامات الآيات المتشابهات ليتوصل الى أن كل تعبير هو الأنسب في موضعه، وتحدث عن نواحي ارتباط الآيات بعضها ببعض، وعن تقابل التعبير والمشاهد القرآنية، وحسن مناسبتها واختيارها، وعن دواعي التعبير، وبلاغة ترتيب المعاني في الآية حسب المقصود منها، وعن التناسب والتناسق بين السور، وعن بلاغة التكرار ومناسبته للقصر والاستحقاق، وعن بلاغة الفعل المبني للمجهول، وعن استعمال الجمع وبلاغة العطف على المعنى، ويبين مزايا الاختصاص والقصر والتقديم والتأخير والحذف، ويبرهن على بلاغة الاختيار من خلال مقارنة مقاطع اللفظ المختار كالتضعيف ودلالاتها على المبالغة والتكثير، بين كل ذلك من خلال عدة سور من القرآن الكريم كالفاتحة، والمائدة، والمعارج، والقيامة، والبلد، والقارعة...

إن تلك الدراسات العظيمة وما تحويه من اجتهادات وتوجيهات للمتشابه اللفظي لا يسعني إلا أن أقتفيها جملة وتفصيلا، وأن أتتبع خطى من حرص على إبرازها تامة نقية، أما الجديد الذي أضفته ها هنا فكما أشرت هو حصر كافة الشواهد واستقصائها قبل التحليل والتوجيه.

وهناك مجموعة أخرى اعتمدت عليها في كتابة البحث، وهي عدة دراسات قدمها الدكتور محمود حسن مخلوف حيث لم يجد من اجتهد في تحديد معالم متشابه اللفظ، ولا يمكن الاكتفاء بما وجد عند المفسرين، والقياس عليه، ولا بد من تمثيل ضوابط لتوجيه المتشابه كما التزم بها أنتمه لذلك سعى في إظهار

منهجه العام، وتحديد ضوابطه، فألف كتاباً سماه **متشابه النظم القرآني** بين الإسكافي والغرناطي استقصى مواضع المتشابه لدى الإمامين وميز المشترك بينهما والمستدرك، ثم قام بتحليل المتشابه لديهما منبهاً إلى ما يتصف بالمتابعة أو الاجتهاد، ففي هذه الدراسة حدد الشواهد، ورصد الظواهر، ثم بين الأسس لهذا العلم ولقد استفدت هنا من أسس تحليل المتشابه عند الإمامين المتمثلة بدور النحو والصرف والأسس الصوتية والبلاغية في توجيه المتشابه، ودور علوم القرآن وفيه أسس الدلالة القرآنية، وأساس سبب النزول، وأساس ترتيب النزول، وأساس ترتيب المصحف، ودور علوم أصول الفقه.

لم يجد الدكتور مخلوف دراسة تجمع المتفرق، وتحصّر الأشباه، وتميز معالم هذا العلم الشريف، وتحدد ضوابطه، لذلك قام بدراسة ثانية فعمد إلى تطبيقات الأئمة، وتقريراتهم الجزئية، وإشاراتهم، واستخلص الضوابط العامة لتكون أسساً حددت جوانب التوجيه لشواهد المتشابه في القرآن الكريم، سماها **ضوابط التوجيه اللفظي لمتشابه النظم القرآني** وهذا التوجيه منه ما كان في إطار لفظي، ومنه ما جاء في إطار معنوي، والكاتب أرجأ الحديث عنه لأنه أعم فهو يشتمل على أنماط كثيرة، وبدأ الحديث عن التوجيه اللفظي راداً على منكبيه بأن أئمة البيان العربي اعتمدوه بما يكفي في توجيه نظوم المتشابه، وجعل البحث على فصلين: الأول التوجيه بالتناسب اللفظي في بنية النظم رصد فيه أنماط التغير المتعددة للدراسة والتحليل، وخص الفصل الثاني للتوجيه بالتناسب اللفظي في الفواصل، واستفدت من هذه الدراسة فيما يتعلق بالتوجيه بمراعاة الفواصل في تغير الصيغ.

ثم أتم البحث السابق بمحاولة ثانية وهي جمع ضوابط التوجيه المعنوي لأن التوجيه بنوعيه أهم مراحل التحليل في علم المتشابه سماها **ضوابط التوجيه المعنوي لمتشابه النظم القرآني**

نبه إلى أهمية تلازم دراسة تشابه النظم مع سياقاتها الثلاثة الجزئي، والكلي، والعام، فهو أهم خطوات بحث المتشابه، وتكلم عن الحصر والاستقصاء، وأشار إلى أن عدداً غير قليل من التوجيهات المعنوية يرتبط ببيانها بقواعد مقررة من علوم لغوية، وأصولية، وقرآنية.

ما سبق طبقته منذ الخطوة الأولى للبحث، واستفدت أيضاً من هذه الدراسة مما يلي: التوجيه المعنوي العام، التوجيه المعنوي مع مراعاة سنن عربي، التوجيه المعنوي مع مراعاة نهج النظم القرآني وهنا تكلم عن تنوع الصيغ ودلالاتها، وعن نوع التعدية والتقييد بالأحرف المتعددة، والتوجيه المعنوي مع اعتبار نهج القصص القرآني، والتوجيه المعنوي مع مراعاة الأصل والفرع، التوجيه المعنوي مع مراعاة قصد التخصيص والتعميم.

أود التنويه إلى أن تخريج الآيات كان ضمن المتن؛ لأن البحث قائم على الاستدلال بالنص القرآني وهو كثير جداً.

وكذلك يجدر التنويه إلى أن المقصود بالالتفات هو الذي يحدث بالضمائر، والعدول بتعلق بالصيغ من حيث الاسمية والفعلية، وهو مسلك العلماء المحدثين.

هيكل البحث :

تنقسم الدراسة إلى تمهيد وخمسة فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة وثبت الآيات وقائمة المصادر والمراجع وذلك كما يأتي:
التمهيد : علم متشابه القرآن.

- المبحث الأول: علم المتشابه وتاريخه.

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: نشأة وتطور علم المتشابه اللفظي في القرآن.

- المبحث الثاني: كتب ومؤلفات علم المتشابه اللفظي.

المطلب الأول: كتب القراءات..

المطلب الثاني: كتب توجيه الآيات المتشابهات لفظاً.

المطلب الثالث: كتب توجيه الآيات المتشابهات معنى.

الفصل الأول : توجيه تنوع الصيغ في سياق تدمير أجرام الكون.

- المبحث الأول: تدمير السماء.

المطلب الأول: الانفطار.

المطلب الثاني: الانشقاق.

المطلب الثالث: الطي.

- المبحث الثاني: تدمير الجبال.

المطلب الأول: التسيير.

المطلب الثاني: النسف.

- المبحث الثالث: تدمير الأرض.

المطلب الأول: الانشقاق.

المطلب الثاني: الذك.

- المبحث الرابع: تدمير البحار.

التسجير.

الفصل الثاني : توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير البعث والنشور.

- المبحث الأول: النفخ في الصور.

- المبحث الثاني : البعث.

- المبحث الثالث: النشور.

- المبحث الرابع: خروج الناس من الأجداث.

- المبحث الخامس: الجمع.

- المبحث السادس: الحشر.

الفصل الثالث : توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير الحساب والجزاء.

- مسألة في بروز الناس إلى الله تعالى.

- مسألة في عرض الناس للحساب.

- المبحث الأول : الحساب.

- مسألة في القضاء.

- المبحث الثاني: نفي الشفاعة وثبوتها.

- المبحث الثالث: الجزاء.

الفصل الرابع : توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير نعيم الجنة.

- المبحث الأول: بشارة المؤمنين بالجنة.

- المبحث الثاني: الجنة.

- مسألة في غرف الجنة.

- مسألة في عيون الجنة.

- المبحث الثالث: ظلال الجنة.

- مسألة في فاكهة الجنة.
- مسألة في دخول المؤمنين الجنة.
- مسألة في أبواب الجنة.
- المبحث الرابع: ورائة المؤمنين الجنة.
- مسألة في رزق أصحاب الجنة.
- مسألة في خدمة أصحاب الجنة.
- مسألة في أكل أصحاب الجنة.
- المبحث الخامس: شراب أصحاب الجنة.
- مسألة في وصف خمر الجنة.
- مسألة في سقيا أصحاب الجنة.
- مسألة في نضرة وجوه المؤمنين في الجنة.
- مسألة في لباس أصحاب الجنة.
- مسألة في حلي الجنة.
- مسألة في أزواج الجنة.
- مسألة في حور العين.
- مسألة في رضا الله عن المؤمنين ورضاهم عنه.

الفصل الخامس : توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير عذاب جهنم.

- المبحث الأول: العذاب
- مسألة في إلقاء الكافرين في النار
- مسألة في دخول النار
- المبحث الثاني: صلي الكافرين النار
- المبحث الثالث: ذوق العذاب
- مسألة في أكل أصحاب النار

- مسألة في سقيا النار
- مسألة في حميم النار
- مسألة في اسوداد وجوه أصحاب النار
- المبحث الرابع: لعن أهل نار
- مسألة في انتفاء معذرة أهل النار
- المبحث الخامس: الخروج من النار

خاتمة

ثبت الآيات

المصادر والمراجع

تمهيد

علم متشابه القرآن

المبحث الأول: التعريف بعلم المتشابه وتاريخه.

المبحث الثاني: كتب ومؤلفات المتشابه اللفظي.

المبحث الأول :

التعريف بعلم المتشابه وتاريخه

يحتوي هذا المبحث المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف المتشابه لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : أنواع المتشابه اللفظي في القرآن.

المطلب الثالث : نشأة وتطور علم المتشابه.

المطلب الأول :

تعريف المتشابه لغة واصطلاحاً

أولاً : المتشابه اللفظي لغة :

قال الأصفهاني : " الشَّبه والشَّبه والشَّبه : حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، والشبهة: هي أن لا يتميز أحد الشينين عن الآخر لما بينهما من التشابه، عينا كان أو معنى، قال: (وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) البقرة 25 أي يُشبه بعضه بعضاً لوئاً لا طعماً وحقيقة "1

ثانياً : المتشابه اللفظي اصطلاحاً:

عند الزركشي حد المتشابه اللفظي: " هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام،

1 المعدادات في غريب القرآن أبو القاسم الصنين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني 443/1 ت 502 هـ تحقيق صفوان عدنان الداردي دار القلم الدار الشامية - دمشق بيروت ط 1 1412 هـ

وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرراً وأكثر أحكامه تثبت من وجهين فلهذا جاء باعتبارين¹

المطلب الثاني :

أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم :

ذكر الزركشي ثمانية أنواع للمتشابه اللفظي في "كتابة البرهان في علوم القرآن" وهي:

الأول : أن يكون في موضع على نظم وفي آخر آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر، ووقع في القرآن كثير ففي البقرة ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ 85 وفي الأعراف ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ 161.

الثاني : ما يشبه بالزيادة والنقصان ففي البقرة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (23) وفي غيرها بإسقاط "مِنْ" لأنها للتبعيض، ولما كانت سورة البقرة سنان القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول "مِنْ" ليعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله لآخره بخلافه غيرها من السور فإنه لو دخلها "مِنْ" لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض قلن يكن ذلك بالسهل.

الثالث : التقديم والتأخير وهو قريب من الأول، ومنه تقديم اللعب على اللهو في موضعين من سورة الأنعام وكذلك في الحديد والأنفال، وقدم اللهو على

¹ البرهان في علوم القرآن محمد بن بهاء بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله 113/1 ت 1392 هـ تحقيق محمد علي أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة -- بيروت (ب، ت)

اللعب في الأعراف والعنكبوت، وإنما وقدم اللعب في الأكثر، لأن اللعب زمان الصبا واللهو زمان الشباب وزمان الصبا متقدم على زمان اللهو، وقدمه في الأعراف لأن ذلك يوم القيامة فذكر على ترتيب من قضى وبدأ ما به الإنسان انتهى من الحالين، وأما العنكبوت فالمراد بذكرهما زمان الدنيا وأنه سريع الانقضاء فبدأ بذكر اللهو لأنه في زمن الشباب وهو أكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا.

الرابع : بالتعريف والتذكير كقوله في البقرة : ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ 61 وفي آل عمران : ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ 112

الخامس : بالجمع والإفراد، كقوله في سورة البقرة : ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ 80 وفي آل عمران : ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ 24 لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكر أن يقتصر في الوصف على التانيث نحو : ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزُرَابِي مَبْنُوتَةٌ (١٦) الغاشية فجاء في البقرة على الأصل وفي آل عمران على الفرع.

السادس : إبدال حرف بحرف غيره كقوله تعالى في البقرة : ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ 35 بالواو، وفي الأعراف : ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا﴾ 19 بالفاء، وحكمته أن "اسكن" في البقرة من السكون الذي هو الإقامة فلم يصلح بالواو ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، والذي في الأعراف من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكنا، فكانت الفاء أولى لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمنا متجددا.

السابع : إبدال كلمة بأخرى، ومنه في البقرة : ﴿مَّا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ 170 وفي لقمان : ﴿وَجَدْنَا﴾ 21 .

الثامن : ما اختلف في الإدغام وتركه نحو قوله تعالى :
(يَنْتَضِرُّ غُورٌ) الأنعام 42 وقوله : (يَضْرَّ غُورٌ) الأعراف 94

وهناك أنواع أخرى للمتشابه اللفظي وردت في دراسة بعنوان "دراسة المتشابه اللفظي من أي التنزيل في كتاب ملاك التأويل" للدكتور محمد فاضل صالح السامرائي :

- 1- ما اختلف في التوكيد وعدمه نحو قوله تعالى : (وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ) البقرة 193 وقوله : (وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ) الأنفال 39.
- 2- ما اختلف في صيغ الوصف نحو قوله تعالى : (وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) الأنعام 99 وقوله في السورة في نفسها : (وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) الأنعام 141

المطلب الثالث :

نشأة وتطور علم متشابه القرآن الكريم

بدأ التأليف في هذا العلم من قبل أئمة القراءات، حصرا لمتشابه الآي للتيسير على حفظ القرآن.

وفي القرن الرابع الهجري وما بعده كثرت طعون الملاحدة في نظم القرآن، وجاهروا بها، وانتشرت شبهات الزنادقة، وفشى أمرها فاستشعر الإسكافي وتابعوه فرضية الكتابة في هذا العلم لدرء هذه الفتن، وأد شُرورها.

ثم كانت الحلقة الوسطى لدى ابن المنادي¹ في "متشابه القرآن العظيم" حيث جاء كتابه على نمط أئمة القراءات بيد أننا نجد لديه إشارات تعد إرهاساً بما جاء مكتملاً في أول كتاب منهجي في هذا العلم وهو : "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي² وعلى يده نضج هذا العلم

واستوى، وأتى أكله بما يشهد له بالريادة والعبقريّة معاً، وهو مالم يتحقق إلا لدى أفراد من أئمة هذا العلم في تاريخ الإسلام كالشافعي، وسيبويه، وابن جني، وعبدالقاهر رضي الله عنهم أجمعين، أما ريادة الإسكافي لهذا العلم فبما سبق إليه في "الدرة" من دراسة متشابه النظام على أسس ومنهج لم يسبق إليهما أحد من العلماء. وأما عبقريته فلأن ما وجّه به تغاير النظم المتشابهة لم يزل من أدق وأصفى ما دون في هذا العلم إلى يوم الناس هذا.

وقد تحققت مرتبة الاجتهاد في هذا العلم للعلامة الغرناطي³ صاحب كتاب : "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل" وهو أبسط وأشمل ما ألف في مجال "متشابه النظم القرآني".

جدد الغرناطي علم متشابه النظم بعد الاسكافي واجتهد في إثرائه وتطويره عن طريق معارف وعلوم لم ترد لدى إمامه، ولقح هذه بتلك فكان التطبيق الرائع الذي وسّع به دائرة هذا العلم فبذلك صار أبو جعفر قمينا بمرتبة الاجتهاد والتجديد.

أما في العصر الحديث فقد كان الاهتمام بدراسة المتشابه إلى عهد قريب مقتصرًا على تحقيق كتبه التراثية "كالدرّة" و "الملاك" ثم اهتمت الدراسات

¹ أبي داود المنادي: وهو أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن صبيح المعروف بابن المنادي، ولد في مدينة بغداد عام 869/هـ-256م. كان ابن المنادي محدثاً، ثقة، أميناً، عالماً، ورعاً، صدوقاً، وحجة في ما يرويه، محصلاً لما يملوه، صنف كتباً كثيرة، وجمع علوماً جمة، توفي أبو الحسين عام 947/هـ-336م.

² محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي، أبو عبدالله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أسنهن. كان إسكافياً ثم خطيباً وهو عالم من كبار علماء الأدب في عصره، من أشهر كتبه مبادئ اللغة، وكتاب لطف التفسير في حيل الملوك في أمور السلطنة، وكتاب نقد الشعر، توفي سنة 420 هـ.

³ أحمد بن إبراهيم بن الزبير النعني الغرناطي، أبو جعفر، ولد في جيان سنة 627 هـ محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرئاسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول. توفي في غرناطة 708 هـ.

الجامعية بهذا العلم، وممن كتب في متشابه لفظ القرآن في العصر الحديث الدكتور فاضل صالح السامرائي، ودراسته قيمة ممتعة تنبّهت إلى حقائق ودقائق ترتقي إلى مصاف المجتهدين في هذا العلم الشريف¹.

المبحث الثاني :

كتب ومؤلفات المتشابه اللفظي

في دراسة بعنوان "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الاسكافي والغرناطي" قام بها د. لبيب محمد جبران صالح قسم المؤلفات إلى ثلاثة أصناف الأولى كانت في عهد كتب القراءات التي اقتصرّت على الجمع واستقصاء الآيات النظائر، والثانية اهتمت بالتوجيه اللفظي لها، أما الثالثة فقد عيّنت بتوجيه المتشابه اللفظي ضمن السياق العام، وقد فصلت نقل تلك الأقسام كما هي:

المطلب الأول :

المصنفات في المتشابه لفظياً دون توجيه أو تعليل

وهي المصنفات التي اقتصرّت على جمع الآيات المتشابهات والنظائر في السور القرآنية، والتي قد تشبّه على الحفاظ وذلك ليتنبه لها فلا يقع في الخطأ. وأصحاب هذا النوع من التأليف لم يشتغلوا بذكر الوجوه والعلل، والحكمة من وجود هذا الفرق بين الآية واختها.

¹ ينظر في المقدمة من كتاب متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والغرناطي محمود حسن مخلوف كلية اللغة العربية بأسبوط 1423 هـ - 2002 م

وهذه الكتب هي :

- 1- كتاب مقاتل بن سفيان¹ (ت:150هـ)
- 2- كتاب حمزة بن حبيب الزيات² (ت:158هـ)
- 3- كتاب نافع بن عبدالرحمن، وهو أحد القراء السبعة³ (ت:169هـ)
- 4- متشابه القرآن لأبي الحسن بن حمزة الكسائي، وهو أحد القراء السبعة⁴ (ت:189هـ)
- 5- كتاب خلف بن هشام الأزدي، وهو أحد القراء العشرة⁵ (ت:229هـ)
- 6- كتاب محمود بن الحسن (ت:230هـ)
- 7- كتاب أبي علي الجبائي⁶ (ت:203هـ)
- 8- متشابه القرآن العظيم، لابن أبي داود المنادي (ت:336هـ)
- 9- هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب، لعلي بن عبدالله السخاوي (ت:643هـ)
- 10- كتاب القطيعي (ت:368هـ)
- 11- هداية الحيران في متشابه القرآن، لناصر بن عبدالله العبيد.
- 12- دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، لمحمد بن عبدالله الصغير.

¹ مقاتل بن سفيان هو أبو الحسن مقاتل بن سفيان بن بشير الأزدي البجلي ت150هـ، من أعلام المفسرين، صاحب المسمى تفسير مقاتل أسلمه من بلخ، انتقل إلى البصرة، و دخل بغداد فحدث بها، لكنه كان متروك الحديث.

² حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الكوفي التميمي، ولد سنة ثمانين. هو إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأصم، وكان يفة حجة، فيما يكتب الله تعالى، بصيراً بالفرائض، عارفاً بالعربية، توفي سنة 156هـ بحلوان مدينة في العراق.

³ نافع بن عبدالرحمن بن أبي عمى الليثي، ولد في حدود سنة سبعين، كان إمام الناس في القراءة بالمدينة انتهت إليه رئاسة القراء بها، واجمع الناس عليه بعد التابعين، أقرأ بها أكثر من سبعين سنة، توفي سنة 169هـ.

⁴ أبو الحسن حمزة الكسائي ولد في 737هـ مولى بني أسد من أصول فارسية، كان إمام الكوفيين باللغة والنحو، وسابع القراء السبعة، وبعد الممنون الحقيقي لمدرسة الكوفة في النحو.

⁵ خلف بن هشام الأزدي بن ثعلب بن خلف الغدادي البزاز، ولد سنة 150هـ، أحد القراء العشرة، كان ثقة كبيراً عالماً زاهداً عادلاً، كنيته أبو محمد، حفظ القرآن هو ابن عشرة سنين، وأبداً في طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

⁶ أبو علي الجبائي: هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة 235هـ/849م في مدينة جبتي في خوزستان، صاحب تصانيف عديدة، منها: كتاب: "الأصول"، وكتاب: "المنها عن المنكر"، وكتاب: "التعديل والتجويد"، وكتاب: "الاجتهاد"، وكتاب: "الاسماء والصفات"، وكتاب: "التفسير الخبير"، وكتاب: "النقض على ابن الراوندي"، وكتاب: "الرد على ابن كلاب"، وكتاب: "الرد على المنجمين"، وكتاب: "من بكر ومن لا يكثر"، وكتاب: "شرح الحديث". توفي في البصرة سنة 303هـ/916م.

المطلب الثاني :

المصنفات التي اختصت في توجيه الآيات المتشابهات لفظيا

حيث أفردت له مصنفات، وذلك بعده قسما من أقسام التفسير، بل هو من أدق أبواب التفسير الدالة على بلاغة القرآن.

ففي المتشابه اللفظي تنويه خفي بجماليات النص القرآني، وذلك لا يدرك إلا بالبحث والنظر، مما دفع كثيرا من المصنفين إلى صرف عنايتهم في البحث عن دقائق التفسير، وذلك بتتبع مواطن التشابه اللفظي فيه، ومحاولة تحليله وبيانه. ومن هذه المصنفات :

- 1- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله، المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: 420هـ)
- 2- البرهان في توجيه متشابه القرآن، للإمام محمود بن حمزة الكرمانى (ت: 505هـ)
- 3- ملاك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ)
- 4- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم الشافعي المعروف بابن جماعة¹ (ت: 733هـ)
- 5- قطف الأزهار في كشف الأسرار، لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)
- 6- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت: 926هـ)

¹ بدر الدين بن جماعة أبو عبدالله الكتاني الحموي، شيخ الإسلام وقاضي القضاة في الشام ومصر وخطيب المسجد الأقصى والجامع الأزهر، والجامع الأموي، ولد في 639هـ في حماة وعاش فيها وتقلد، وعاش فترة بدمشق ومصر، توفي في سنة 733هـ.

7- التقرير في التكرير، للعلامة السيد محمد أبو الخير عابدين (ت:1344هـ)
غير أن خصص كتابه هذا للحديث عن المتشابه اللفظي في القصص
القرآني.

المطلب الثالث :

الكتب التي تعرضت إلى توجيه المتشابه اللفظي ضمن سياقها العام

وهي كتب التفسير، وعلوم القرآن.

أما كتب التفسير فقد كان مؤلفوها إذا انتهوا إلى موطن فيه تشابه لفظي، ذكروا
الموضع المشابه له، ثم تعرضوا له بالشرح والبيان، للبحث عن سر هذا التشابه
فيه.

أما كتب علوم القرآن، فقد عدت التشابه اللفظي وجها من وجوه إعجازه، وعلموا
من علومه، لذلك فقد نوهت بعض كتب علوم القرآن إلى التشابه اللفظي إجمالاً
ودون تفصيل ولا استقراء، مع ذكر بعض الأمثلة عليه، ثم تحليلها بلاغياً،
ويؤخذ عليها أنها أخذت من السابقين دون أي زيادة تذكر.

وهذه المصنفات هي :

- 1- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت:276هـ)
- 2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (ت:310هـ)
- 3- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت:338هـ)

- 4- تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار بن أحمد¹ (ت: 415هـ)
- 5- الكشف، للزمخشري (ت: 538هـ)
- 6- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية² (ت: 542هـ)
- 7- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت: 597هـ)
- 8- التفسير الكبير، للفخر الرازي (ت: 606هـ)

74.17523

¹ القاضي أبو الحسن عبد الحبار بن أحمد المعتزلي الهمداني الأسدي، ولد في 359هـ، بلقبه المعتزلة بقاضي القضاة من أشهر كتبه: الواعي، الصوري، الخلاف والوفاء، الخاطر، الإعتماد، وكتبه المشهور في مبادئ الاعتزال شرح الأصول الخمسة، ومن كتبه في أصول الفقه: النهاية، توفي سنة 415هـ.

² ابن عناية الأندلسي: هو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن قبيلة قيس غيلان بن منذر. من أهل غرناطة. ولد سنة 481هـ بقرنطمة بالأندلس، وينتمي لأسرة مهاجرة من المشرق، وكانت الأسرة ذات علم ومكانة هيأت له أسباب طلب العلم، فتلمذ على كبار علماء الأندلس، فهو لم ير حل كما رحل غيره من علماء الأندلس بسبب ظروف بلاده آنذاك. كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث. وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر، من كتبه: مهن ابن عطية، توفي سنة 541هـ.

الفصل الأول

توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير تدمير أجرام الكون

ويحتوي هذا الفصل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تدمير السماء.

المبحث الثاني: تدمير الجبال.

المبحث الثالث: تدمير الأرض.

المبحث الرابع: تدمير البحار.

تمهيد:

قضت مشيئة الله وحكمته أن يتعرض هذا الكون للتغيير، يدمر معالمه، فيختل نظامه، وتتبادل وتتأثر أجرامه وتندم في الأرض أسباب الحياة، في كل مجرة، وفي كل ذرة، تنشق السماء، وتسير الجبال، وتسجر البحار، وتحشر الوحوش، وتعطل العشار..

لماذا كان هذا الدمار في الكون كله؟!!

لماذا كانت هذه المرحلة قبل العبور إلى الحياة الخالدة؟

ما الحكمة من قيام الساعة؟ لماذا تكرر ذكرها في كتاب الله، وتعددت أسماؤها؛ كالقارعة، والصاخة، والطامة، والغاشية..؟

ألا يمكن أن يبعث الموتى بعد النفخ في الصور، ثم يحاسبهم ربهم على أعمالهم، دون ذلك الدمار الكوني الرعيب الهائل؟

أم هو لترهيب العباد من الكفر والضلال؟ أفلا يكفي تخويفهم بالنار وسعيرها، وأهوالها، وألسنتها وحميمها، وغساقها، وجحيمها..؟

إن التخويف من نار جهنم لهو ترهيب من غيب تام الغيبية، وكثيراً ما جحدته المكذبون من الأمم، كما جحدوا قيام الساعة.

أما الترهيب من وقوع القيامة، فإن معالم الكون مشهودة ومحسوسة للناس، فإذا أتاهم النذير بدمارها تذكروه برويتها، وتصوروا هولاء ورهبتهم، فلزمهم الانتفاع بما ذكروا وأنذروا به. وقد ربطه الله سبحانه بالتقوى، إذ يخاطب الناس جميع الناس في قوله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تُرْؤَنهَا تَذَاهُلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) الحج 1

إنها الرحمة تكمن في تلك الزلزلة العظيمة، إذا ما اتعظ المؤمنون بها فحشوا ربهم، وجعلوا أعمالهم الصالحة وقاية لهم من عذاب الله وسخطه.

النظم القرآني كان يخلص إلى إثبات قضايا أصولية عن طريق ذكر أهوال الساعة، مثل توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، ووقوع الحشر، وذلك بتحذير النفوس عن طريق تصور تدمير أمور عظيمة محسوسة لديهم، فيستثير الرهبة فيها، وتهيأ للإيمان والاستسلام لحقيقة البعث.

وهذا الفصل "توجيه تنوع الصيغ في سياق تدمير أجرام الكون في القرآن الكريم" يكشف بعض أسرار وقوع القيامة من خلال الألفاظ المتشابهات، وتلاؤم كل منها مع السياق والمعاني التي جاءت فيه، كالوعيد والتهديد للمكذابين، والإنذار، والزجر المؤكد، والترهيب من الشرك، وقد كانت الصيغ فعلية إلا ثلاثاً منها، وهي اسم الفاعل في (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَغْدُهُ مُفْعُولًا) المزمع 18 واسم المفعول في (وَمَا قَدْزُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْزِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) الزمر 67 و (وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ) الطور 6

يحتوي الفصل على أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: تدمير السماء، وفيه:

- المطلب الأول: الانفطار.

- المطلب الثاني: الانشقاق.

- المطلب الثالث: الطي.

المبحث الثاني: تدمير الجبال، وفيه:

- المطلب الأول: التسيير.
- المطلب الثاني: التسف.

المبحث الثالث: تدمير الأرض، وفيه:

- المطلب الأول: الانشقاق.
- المطلب الثاني: الدك.

المبحث الرابع: تدمير البحار، وفيه:

- التسجير.

وفيما يلي أقدم عرضاً ودراسة لتلك الشواهد، في ضوء آراء العلماء، ثم أقرر خلاصتها بعد التحليل والمقارنة.

المبحث الأول : تدمير السماء

المطلب الأول

الانفطار

معنى الفطر الشق، جاء في لسان العرب: "فطر الشيء يفطره فطراً فانفطر وفطره شقه، وتفطر الشيء تشقق"¹ وفي الشواهد ثلاث هينات للمادة ف ط ر، اثنتان منها فعلية، وهي يتفطرن، وانفطرت، وأخرى اسمية وهي منفطر.

في سورة مريم : ﴿تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾⁹⁰

في سورة الشورى : ﴿تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁵

في سورة المزمل : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾¹⁸

في سورة الانفطار : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾¹

اتفق الشاهدان من سورتي مريم والشورى في نوع الصيغة وهي "يتفطرن" "ومن معاني تفعل أن تكون مطاوعة لـ"فعل" كقولك كسرتَه فتكسر، وقطعته

¹ لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري 55١5 دار صادر- بيروت ط2 (ب،ت) . يُنظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أيوب بن موسى الصيني القريني الكوفي، أبو البقاء الحنفي ص701 ت1094 هـ تحقيق عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة - بيروت

فتقطع، والمطاوعة: أن تريد من الشيء أمراً ما فتبلغه¹ أي فيه إسناد مجازي وكأنه ليس بحاجة إلى فاعل، وذلك لهول ما اقترفوه من كفر كما في السياق قبل الشاهد الأول: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) مريم 88 وبعده: (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) مريم 92 أي أن التفعّل في الصيغة ناسب معنى ادعاء الكافرين من اتخاذ الرحمن ولداً، إلا أنه في سورة الشورى كان تفرط السماوات من عظمة الخالق وهيئته؛ لأن جملة (تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) الشورى 5 هي مستأنفة تقرر المعنى الذي جاء قبلها في الآية (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) الشورى 4 ولذلك قال: "من فوقهن" جاء في بحر العلوم: "يتفطرن" أي يتشققن، "من فوقهن" يعني من هيبة الرحمن وعظمته² ولهذا قال "اللَّهُ خَفِيزٌ عَلَيْهِمْ" أي يشهد عليهم.

وزاد أبو السعود إليه معنى اتخاذ الولد، قال: "يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد كما في سورة مريم³ سيما أنه ورد في السياق بعد الشاهد: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ خَفِيزٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) الشورى 6 وتأكد ذلك بما جاء بعد هذه الآية من قوله: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الشورى 9

إذن صيغة التفعّل كذلك جاءت في مقام يرتبط بتوحيد الألوهية، وإبطال دعوى المكذّبين من اتخاذ الله ولداً، والتفعّل لتفطر السماوات من هيئته وعظمته، مما يفسر الزيادة التي جاءت عليها الصيغة، لأن قوة اللفظ تؤدي إلى قوة المعنى، وهو ما عليه أئمة اللغة كما ورد في الخصائص: "هذا موضع شريف نبّه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول، وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط

¹ ينظر الكتاب عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر، الملقب سيبويه 65/4 ت 180 هـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخالجي - القاهرة ط 1408 هـ 1988 م، المقتضب محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد 104/2 ت 285 هـ تحقيق محمد عبدالخالق عظمة عالم الكتب - بيروت (ب)، وشرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي المريا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وابن الصانع 159/6 ت 643 هـ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط 1422 هـ 2001 م، المعاني الصوفية ومناجيات عبدالمجيد بن محمد بن علي العجلي ص 65 1428 هـ 2007 م
² بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي 224/3 تحقيق د. محمود مطرجي دار الفكر بيروت (ب)
³ إرشاد العمل السليم إلى مزايا القرآن الكريم محمد بن محمد العمادي أبو السعود 22/8 دار إحياء التراث العربي - بيروت (ب)

من ذلك المصادر الرباعية تأتي للتكرير، والفعلية للسرعة، واستفعل للطلب¹ وقد جاء في سياقات الشاهدين ألفاظ تتواءم معهما مثل: "اختلفتم"، "تتفرق"، "اتخذت"، "انتبذت"، "اختلف"...

أما قوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ فاطر 1 فقد وردت في سياق جري كل حدث في الكون ضمن مشيئته تعالى كما في قوله : ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ التكوير 29 فالعباد لا يقدرُونَ إلا على الأمور التي أقدروهم عليها، ولا يخرج شيء عن أمره تعالى؛ لهذا وجب عليهم الامتثال لأمره؛ ولأنه رب كل شيء ومليكه صح منه التصرف في أجرام الكون؛ أي إن السياق كان فيما يتعلق بمقتضيات الربوبية قدرة ومشينة وتصرفًا مطلقًا بما خلق، فهو سبحانه يهدم ويدمر مخلوقاته لأجل قيام الناس للحساب، فالقصد من الشاهد الاهتمام بالمسند إليه "السماء" الذي أتى بعد "إذا" الظرف المتضمن لمعنى الشرط مما يشوق السامع لمعرفة الخبر وهذا الأسلوب جاء هنا لتنبيه المشركين إلى دلائل وقوع البعث الذي أنكروه بزعمهم أن ثبات أجرام الكون دالٌّ على عدم قيام الساعة، قال : ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ الانفطار 9 فلزم تقوية الخبر وهو انفطار السماء وتشققها عن طريق المسند الفعلي فقال "انفطرت" أما المضي في الصيغة فهو للتأكيد والمبالغة، جاء في البرهان: "جعل المتوقع فيه كالواقع فأتى بصيغة ويريد به المضي تنزيلاً للمتوقع منزلة ما وقع فجعل المستقبل ماضياً مبالغة"² فكان مجئ إذا الظرف للمستقبل، والاهتمام بالمسند إليه، والمضي في المسند الفعلي مناسباً لمعنى الوعيد للمشركين المنكرين للبعث ولتنبيههم إلى ما انصرفوا عنه من دلائل بعثهم ومحاسبتهم؛ ولهذا بدأت السورة بالتعظيم والتهويل ليوم الحساب بقوله : ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا

¹ الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي 1542 ت 392 هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط4 (ب، ت)، ينظر المزهر في علوم اللغة وأهلها عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين الميوطي 411 911 هـ تحقيق فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية - بيروت ط1 1418 هـ 1998 م

² البرهان في علوم القرآن 372 373 ينظر تأويل مشكل القرآن أبو محمد عبدالله بن مسلم بن كتيبة الدينوري ص 180 276 هـ تحقيق إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ب، ت)

يَوْمَ الدِّينِ (١٨) الانفطار ثم عاد في خاتمها إلى القضية الأولى وهي توحيد الربوبية وما تقتضيه من رد الأمر إليه : (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) الانفطار 19

فالسمة اللغوية للسورة هو تكرار المسند الفعلي في أربع من آياتها، ثم تكرار الجملة الفعلية مثل: "علمت"، "قدمت"، "أخرت"، "عرك"، "خلقك"، "فسواك" ثم الجملة الاسمية المؤكدة بأن واللام الداخلة على الخبر وبأسلوب القصر.

وأتى بالصيغة الثقيلة في وصف اليوم الآخر : (السَّمَاءُ مَنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا) المزمّل 18. وزيادة المبنى فيها لأجل المعاني الواردة في السياق (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) المزمّل 17 أي وصفه بالشدة لأهواله التي تنقل الولدان من الطفولة إلى الشيخوخة لو كان حينئذ أطفال لأن الخوف والألم لا يصل إليهم يوم القيامة، ومن صفاته التي يحتملها معنى الآية طول مدته لأن الأطفال فيه يصلون إلى مرحلة الشيب، ثم أتى بالوصف الثاني له فقال : (السَّمَاءُ مَنفَطِرٌ بِهِ) المزمّل 18 فجعل ما وصفت به السماء وصفا لذلك اليوم، قال البقاعي: "منفطر" أي منشق متزايل من هبة الرب تزايل المنفرط من السلك"¹

وقال الرازي: "هذا النوع الثاني من أهوال يوم القيامة وهو وصف اليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها وقوتها تنفطر فيه، فما ظنك بغيرها من الخلائق"²

¹ نظم الدرر في تناسب الآيات والسرور برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي 214\8 ت885 عبدالرزاق غالب دار الكتب العلمية - بيروت 1415 هـ - 1995

² مغاليج العبد الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي 213\20 دار الكتب العلمية - بيروت ط1 1421 هـ - 2000م

وربما كان اسم الفاعل لأن السماء لعظم يوم القيامة عليها تصبح مثقلة به، جاء في الكشف: "منفطر به أي أن السماء مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه"¹

وفي جملة: (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) المزمّل 18 عدول عن الفعلية إلى الاسمية؛ لأنها جاءت بعد (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) المزمّل 17 والغرض منه المبالغة بإنذار الذين كفروا عن طريق تنبيه أذهانهم إلى تصور ما ينكرونه من وقائع القيامة.

لماذا لم يقل منفطرة بالتأنيث وقد جاءت بعد كلمة "السماء"؟ إما لمعنى السماء السقف مجازاً²، أو هو من باب النسب أي ذات انفطار وقال الفراء: "منفطر به بذلك اليوم والسماء تذكر وتؤنث فهي هنا على وجه التذكير"³ ومنهم من عدّ التذكير للزيادة في شدة أهوال القيامة، ولأنه إذا أنت كان هذا في سماء واحدة، قال البقاعي: "لو أنت لكان ظاهراً في واحدة من السموات، والتذكير لإفهام الشدة الزائدة في الهول المؤدي إلى انفطاره ما هو غاية الشدة، لأن الذكر في كل شيء أشد من الأنثى، وذلك تهويل لليوم المذكور"⁴ وهذه المبالغة في تصوير القيامة لما ورد في السياق من تكذيب فرعون لموسى - عليه السلام - في قوله: (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) المزمّل 16 وللوعيد الشديد لأكابر قريش ومترفيهم أولي النعمة الذين كفروا فبشر نبيه بأخذهم إذ قتلوا في بدر، والتشديد بالوعيد أيضاً لمناسبة ما جاء في مطلع السورة في قوله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) المزمّل 5 فإن ثقل الكلام المنزل بالوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ناسب ثقل هول القيامة على السماء، ولثقل القول بالوحي عليه لجأ إلى التزمّل بثوبه فناده ربه بـ (يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ) المزمّل 2 وصفه باسم الفاعل كما وصف

¹ الكشف، عن حقائق التنزيل وعلوم الآقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم محمود بن عمر الرمخشري الخوارزمي 643/4 ت 538 هـ
عبدالرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي - بيروت

² يسطر سحر القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري 274/2 ت 209 هـ تحقيق محمد فؤاد مزيكين مكتبة الخالجي - القاهرة ط 1381 هـ

³ معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن رباب بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء 199/3 ت 207 هـ تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبدالفتاح إسماعيل الشلبي دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ط 1 (ب) ت

⁴ نظم الأثر 21418

السماء به فقال "منفطر" وأمره بصلاة الليل وهي ثقيلة لترك النائم فراشه فقال (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا) المزمّل 6 ثم أمره بالصبر على ما يقولون وجاء بحرف الاستعلاء للدلالة على عظمة صبره لأن القول الثقيل تلقاه المشركون بالكذب والطعون والاستنكار فشق ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا السياق بما يحتويه من المعاني الشاقة الثقيلة ناسبه وصف السماء باسم الفاعل "منفطر" ولا يخفى ما تعرضت له الصيغة من الثقل بزيادتها حرفي الميم والنون، وللمناسبة اللفظية بينها وبين كلمتي "المزمّل"، و"المكذّبين".

تبين مما مضى أن التفطر جاء لمعنى دعوى الذين كفروا على الله سبحانه باتخاذهم ولدا، أو لاتخاذ الذين كفروا أولياء من دونه، ولمعنى التفطر من هيبته وخشيته تعالى؛ أي فيما يتعلق بتوحيد الألوهية والربوبية، والمقصود من الصيغة الترهيب من الشرك.

أما الانفطار فقد كان فيما يقتضيه توحيد الربوبية من القدرة والمشئنة والتصرف المطلق في خلقه وهدايتهم وحسابهم، والغرض من المسند الفعلي تقوية الخبر وتأكيده بما أنكره المشركون من قيام الساعة ودليلهم ثبات الجبال والسموات والأرض على حالها.

أما صيغة "منفطر" فهي لما شق وثقل مما كلف به نبينا - عليه الصلاة والسلام - وما يرد في هذا من معان تخص القول الثقيل وهو الكلام المنزل بالوحي إليه، وتحمل ما يقوله المشركون فيه والصبر على أذاهم له بسببه، وتحمله لصلاة الليل وصبره عليها؛ والغرض من الصيغة الإنذار، والمبالغة في ازدياد شدة أهوال القيامة.

وسواء بالانفطار أو بالتفطر فإن الغرض من الصيغ جميعها حصول الفعل دون التفات إلى فاعل أو تكرير الفعل، قال ابن عاشور: "يتفطرن مضارع، التفطر وهو مطاوع التفطير الذي هو تكرير الشق، وانفطر مطاوع الفطر إذا شق،

وليس المقصود هنا تكرير الفعل ولا قبول أثر الفاعل إذ لا فاعل هنا، وإنما المقصود الخبر بحصول الفعل¹. وفي ذلك تقول بنت الشاطئ: "اسناد الانفطار والتفطر إلى السماء والأرض هو من الاسناد المجازي الدال على طواعية تلقائية كأنه يستغنى بها عن فاعل"² وتقول في موضع آخر: "المطوعة فيها بيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائياً أو على وجه التسخير، وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل... والإسناد المجازي: يُعطي المسند إليه فاعلية محققة يستغنى بها عن ذكر الفاعل الأصلي"³

المطلب الثاني

الانشقاق

للمادة ش ق صيغتان وهما فعليتان، في الزمن المضارع الفعل "تَشَقَّق" وجاء بعد الظرف (يوم) وفي الزمن الماضي الفعل "انشقت" حيث ورد في الجملة مسنداً فعلياً.

في سورة الفرقان : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾²⁵

في سورة الحاقة : ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾¹⁶

في سورة الرحمن : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾¹⁸

¹ التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشر التونسي 101/25 مؤسسة التاريخ العربي- بيروت- لبنان ط1

1420 هـ/ 2000 م

² الأعجاز النبيلي للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة محمد علي عبدالرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ص506 1319 هـ دار المعارف ط3 (ب.ب.)

³ المرجع السابق ص223

في سورة الانشقاق : (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) [1]

"تشقق" وردت على قراءات وتقديرها تشقق، فأدغمت التاء في الشين "ومن قال تشقق بتخفيف الشين حذف التاء، قال أبو الحسن الخفيفة أكثر في الكلام، لأنهم أرادوا الخفة، فكان الحذف أخف عليهم"¹ والقراءة التي عليها الجمهور هي بتخفيف الشين، وقد وجه البقاعي الحذف الذي فيها بقوله: "ويوم تشقق: أي تشققاً عظيماً وإن كان فيه خفاء على البعض بما أشار إليه حذف تائه"².

والصيغة مع هذا ضخمة الحروف، وتتابع حرف التاء في أولها يشير إلى ابتداء جدال المشركين لنبيهم - صلى الله عليه وسلم - ثم انتهت الصيغة بتوالي حرف القاف ثلاث مرات وهو الحرف الجزل المطبق الفخم إشارة إلى تطاولهم في الفجور والجدال فهم جمعوا إلى كفرهم وتكذيبهم بالبعث الاستهزاء بنبيهم والتعنّت والتطاول على ربهم ولقد بدر منهم اقتراحان على وجه السخرية وهما رؤية ربهم وإنزال الملائكة عليهم والشاهد جاء جواباً لاقتراحهم فكانت الصيغة بالمضارع أي أمراً يأتيهم مستقبلاً نتيجة ما اقترحوه، وفيه توعدهم بما طلبوه من قبل لأن إنزال الملائكة من السماء لا بد له من تشقق السماء.

وصيغة المضارع ناسبت التسرية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وإيناسه؛ لأنه كان يواجه المشركين في كل ما فعلوه من عناد له واستهزاء به، وصدهم عن الهدى؛ أي وعد من الله سبحانه له في الانتقام من المشركين بقيام الساعة عليهم بما فيها من أهوال جسام ومنها تشقق السماء.

وقد تقدم الظرف "يوم" للاهتمام والتشويق والتطلع إلى ما بعده من الخبر، والسورة تتكون من الصيغ الثقيلة المضعفة فعل مثل نزل، ويعض، وقدر. وافتعل مثل اتخذ، وافتري، واكتتب. ومفعل مثل مقرنين، وتفعل مثل تغيطا،

¹ المحجة للقراء السبعة الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل أبو علي 341\5 ت 377 هـ تحقيق بدر الدين فهرجي - بشير جويجاني راجعه ودققه عبد الميرز رباح، أحمد يوسف النفاق
² نظم الدرر 372\13

ولهذا كانت الصيغة "تَشَقُّق" هي الأثقل من بين صيغ المادة ش ق ق سيما ورودها بالرفع.

أما الشواهد الثلاثة المتبقية فقد اتفقت فيها السياقات والصيغة ، ففي سورة الرحمن قال قبل الشاهد وبعده (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وقال : (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) الرحمن 34 وفي الحاقة قال : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ) 4 وفي الانشقاق قال: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ) الانشقاق 22

والمضي في الصيغة "انشقت" لصحة وقوع الفعل وتأكده، قال ابن عاشور: "والفعل الذي في الجملة المضافة إليه (إذا) مؤول بالمستقبل وصيغ بالمضي للتنبيه على تحقق وقوعه لأن أصل (إذا) القطع بوقوع الشرط"¹

لماذا قدم في سورة الانشقاق كلمة (السماء) في قوله: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ؟

لأن انكار المشركين للبعث كان بسبب ما يدعونه من عدم تبديل الكون أي أنه لا قيامة ولا بعث ما دامت السماء والجبال قائمة لم تدمر ولهذا ابتدأت العبارة بقوله "إذا السماء" للاهتمام بشأنها وصرف المنكرين للبعث إلى التأمل في دلائل وحدانيته تعالى، وقدرته على إحيائهم بعد الممات لمحاسبتهم قال: (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَنُفِّلَ إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) الانشقاق

أما في الشاهدين من سورتي الرحمن والحاقة فقد تقدم الفعل فيهما لأن التكذيب كان من كفار الجن والإنس والأقوام السابقة لمشركي قريش، أي أنهم أنكروا الساعة دون شرط بقاء السماء والجبال؛ ولهذا قال : (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) الحاقة 14 والدليل البناء للنائب في الفعل "حُمِلَتْ" أي الاهتمام بالحدث، ولهذا قال : (فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) الحاقة 15

وبهذا يكون التفاعل من المادة ش ق ق لتوعد المشركين بما اقترحوه من نزول الملائكة ورؤية ربهم؛ إذ لا بد عند تحققها من تشقق السماء، والصيغة غرضها أيضا مؤازرة النبي - صلى الله عليه وسلم - والتسرية عنه مما عاناه وكابده من تعنت المشركين وتناولهم بالكذب.

أما الانفعال فهو لإنكار الساعة، إما عن طريق استدلالهم بعدم تبديل السماء وتغيرها فيتقدم المسند ويؤكد خبره بالمسند الفعلي "انفطرت" أو هو إنكار عام من الإنس والجن ومن الأمم السابقة، ولا يشترط عدم زوال أجرام الكون فيتقدم الفعل، والغرض الاهتمام بحدث الانشقاق، وأما هناك فقد كان المقصود صرف الأذهان إلى دلائل وحدانية الله، التي حاولوا عن طريقها الطعن في الحشر.

المطلب الثالث

الطي

ما المقصود بطي السماوات وكيف تطوى؟ ولماذا يطويها الله تعالى؟! أما عن تعريف الطي فقد جاء في لسان العرب "الطي نقيض النشر طويته طيًا وطية وطية بالتخفيف، ويقال طويت الصحيفة أطويها طيا"¹ وقد جاء في المادة طوى صيغتان: الأولى فعلية وهي "نطوي" بنون المضارعة، والأخرى اسمية بجمع المؤنث السالم لاسم المفعول، وهي: "مطويات".

¹ لسان العرب 18\15، ينظر أساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عرو بن أحمد الرمخشري جاز الله 619\ ت 538 هـ تحقيق محمد باسل سمون السود دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

في سورة الأنبياء : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَغَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ 104

في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ 67

الآية الأولى وردت في سياق ذكر ما لأصحاب النار من عذاب وأنهم حصب
جهنم هم لها واردون، وذكر ما لأصحاب الجنة من النعيم والجزاء كما قال:
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ الأنبياء 98

وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأنبياء 100 وذكر ما لأصحاب الجنة
من النعيم والجزاء، قال: ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ
الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ الأنبياء 103 بعد كل هذه الأفعال من عقاب للكافرين وجزاء
للمؤمنين، يحدث في نفس السامع استفسار عن وقت حصولها فجاء الشاهد
بصيغة المضارع جواباً لما استفهم عنه من الوعد والوعيد، قال البقاعي: "لما
كانت هذه الأفعال على غاية من الأهوال، تتشوف فيها النفس إلى معرفة اليوم
الذي تكون فيه، قال تعالى شافيا عي هذا السؤال، زيادة في تهويل ذلك اليوم لمن
له وعي "يوم" أي تكون هذه الأشياء "نطوي" أي بما لنا من العظمة الباهرة
"السماء" طياً فتكون كأنها لم تكن" ¹ والصيغة جاءت بنون العظمة لتهويل
وتعظيم طيه للسموات وهي أشد الخلق كما قال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ
بَنَّاها﴾ النازعات 27 والدليل على هذا التهويل ما ذكره من تشبيه المصدر طيهن
كما يطوي الكاتب الصحيفة للكتابة.

ونون العظمة أيضاً لما ورد في السياق من معاني القدرة والمشينة له سبحانه
التي وردت أفعالها بنون العظمة، إلى جانب الضمير "إننا" الدال على التعظيم
مما ناسب مجيئ الصيغة نطوي مماثلاً لما في السياق من استعمال الضمير.

وصيغة المضارع "نطوي" ناسبت ما في السياق من أفعال، كما في قوله :
{وَنُضِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} الأنبياء 47 وقوله : {لَا يَخْرُجُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ
وَتَتْلَقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} الأنبياء 103.

أما الصيغة "مطويات" فقد وردت في سياق الحديث عن عظمتة تعالى لقوله :
{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} الزمر 67 لأنهم جعلوا له شركاء وبما نسبوا إليه من
صفات لا تليق بجلاله قال أبو السعود: "في العبارة "والسماوات مطويات
بيمينه" تنبيه على غاية عظمتة وكمال قدرته، وحقارة الأفعال العظام التي تتحير
فيها الأوهام بالنسبة إلى قدرته تعالى، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء
عليه على طريق التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا
مجازاً¹ لقد شبه المعقول بالأمر المتخيل فكان في الآية استعارتان تمثيليتان وهما
أخذه تعالى الأرض جميعاً في قبضته، والثانية جعله للسماوات بما فيهن من
أفلاك ونجوم وكواكب مطويات بيمينه، وهو تمثيل لعظمتة سبحانه، قال ابن
عاشور: "وطي السماوات استعارة مكنية لتشويش تنسيقها واختلال أبعاد
أجرامها، فإن الطي ردّ ولف بعض شقق الثوب أو الورق على بعض بعد أن
كانت مبسوطة منتشرة على نسق مناسب للمقصود بنشره فإذا انتهى المقصود
طوي المنشور.² "وأكثر المفسرين على المعنى ما عظموه حق عظمتة، وما
وصفوه حق وصفه: إذ عبدوا غيره معه، فهو خالق جميع الأشياء ومالكها،
والأرض جميعاً كلها قبضته يوم القيامة"³ وفي بحر العلوم: "بيمينه" أي
بقدرته⁴

¹ تفسير أبي السعود 262\7

² التحرير والتنوير 458\2

³ الهداية إلى طوغ النهاية في علوم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وحمل من قرون علومه أبو محمد مكي بن أبي طالب حشوش بن محمد بن مخنف القيسي القيرواني ثم الأنطلسي القرطبي السلكي 6376\10 ت437 هـ تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة بإشراف أ.د.الشاهد البوشخي مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

⁴ بحر العلوم 194\3

إن اسم المفعول "مطويات" أعطى مدلولاً أقوى من الفعل وهو الأهونية أو أشد يسراً أي تدمير العالم بالنسبة إلى الله تعالى أسهل أمر عليه وأهونه وأيسره مما ناسب هنا معنى عدم تقديرهم الله حق قدره وهو سر اختيار اسم المفعول في هذا السياق بأنه دال على معنى هوان اختلال أبعاد السماوات العظيمة عليه سبحانه

ومما ورد من المعاني الدالة على عظمته - عز وجل - قوله : (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) الزمر 69

ومن المناسبة اللفظية ما ورد في قوله : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر 60 فكلمة مسودة اسم المفعول ناسبت كلمة (مطويات) وفي قوله : (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) الزمر 38 ناسب اسم الفاعل كاشفات وممسكات كلمة (مطويات) من حيث هي جمع مؤنث سالم.

تبين مما سبق أن المضارع للطي جاء في جواب استفسار متوقع في ذهن السامع لدى بيان ما للمؤمنين وما للكافرين ذلك اليوم من جزاء، وتقدم الظرف تشويقاً لما بعده من خبر، والنون لأجل بيان عظمة الله الباهرة في طيه للسماوات وهي أشد الخلق، وقد أكد بطريق المصدر مشبهاً طيهن برد ورق الصحيفة بعضه على بعض، كما قال : (كُطِيَ السِّجْلُ لِلْكِتَابِ) الأنبياء 104 أما اسم المفعول فقد ورد بعد أن عظم سبحانه كل أمر منسوب إليه من الآيات الواضحات الدالة على وجوب توحيده تعالى، وأخبر عن السماوات بالصيغة "مطويات" لبيان قدرته الباهرة؛ فهم لم ينزوه، لأنهم لم يعرفوا عظمته، كما قال : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ

حَقَّ قَدْرُهُ (الزمر 67) وأفادت الصيغة معنى هوان الأفعال الجسام على الله، كما أخبر عن الأرض بوزن المرة "قبضة" تحقيرا لها أمام كمال قدرته.

المبحث الثاني : تدمير الجبال

المطلب الأول

التفسير

تفسير الجبال: معناه نقلها من مواضعها بزلزال أرضي عظيم، كما في قوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ النمل 88 وقيل: أطلق التفسير على تناثر أجزائها، فيكون كقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ القارعة 5 وقوله: ﴿وَيُسَّتِ الْجِبَالُ نَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ الواقعة 5¹ جاء في المادة س ار صيغتان فعليتان وهي "تُسِير" بنون المضارعة و"سيرت" بالماضي المبني للمفعول. في شاهدين، وكانت في أحدهما مسندا فعليا.

في سورة الكهف: ﴿وَيَوْمَ تُسْيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ 47

في سورة الطور: ﴿وَتُسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ 10

في سورة النبأ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ 20

في سورة التكوين: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ 3

أما قوله: ﴿وَتُسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ الطور 10 فسياقه إثبات البعث عن طريق القسم المتكرر منه تعالى ببعض مخلوقاته المقدسة أو العظيمة، وصيغة المضارع "تسير" تفيد معنى التهديد للمكذابين بإقامة الساعة وبعثهم بعد ذلك للحساب، قال

ابن عاشور: "أول أغراض هذه السورة التهديد بوقوع العذاب يوم القيامة للمشركين المكذبين بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من إثبات البعث، وبالقرآن المتضمن ذلك فقالوا: هو سحر"¹ كما ورد في السياق (قَوْلًا يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) الطور والخوض هو اندفاعهم للتكذيب وبقول الأباطيل على نبيهم وما أرسل به من الوحي، ولهذا كان من المعاني الواردة في السورة تسليية النبي - صلى الله عليه وسلم - وإيناسه بتوعد الكافرين بالعذاب بعد وقوع الساعة وهو ما أفادته صيغة المضارع في الآية الكريمة (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) الطور 10 ويؤيده ما جاء في السياق من معاني موافقة للتهديد كالتأنيب في قوله: (أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) الطور 15 التينيس في الآية (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الطور 16 وترتبط باستفهامات لاذعة وجهت إلى ذوي الحلوم من شيوخ قريش فيها من التهكم واتهام المكذبين ما يرتبط بالتهديد الوارد في أول السورة، ولهذا عاد في نهايتها إلى توعدهم فقال (فَنَزَّهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) الطور 45

وتكرار القسم يدل على الهواجس والأوهام والظنون التي ترد على النفس فيما يتعلق بالبعث والإحياء، لذلك جاء المضارع بعده كما جاء في سياق الاستفهام الذي يتعرض له السامع بعد وصف عذاب النار ونعيم الجنة الوارد بعده قوله (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَغَدَاً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) الأنبياء 104

وهنا أتى الفعل مع مصدره كما هو في الآية السابقة، فما الحكمة من اقترانه بالفعل في مثل هذه السياقات؟ قال أبو السعود في له (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) الطور 10: "تأكد الفعل بمصدره للإيدان بغرابته وخروجه عن الحدود

¹ التحرير والتنوير 52127

المعهودة، أي سيرا بديعا لا يدرك كنهه"¹ فالمصدر هنا ناسب تكرار القسم منه تعالى على إثبات البعث، ومناسبتة لما ورد من معانٍ ترتبط به كالتهديد والتينيس والتهكم.

ولقد عمت السورة صيغة المضارع مثل: تمور، يلعبون، يدعون. ومنها ما كان في وصف نعيم أهل الجنة مثل: يشتهون، يتنازعون، يطزف، يتساءلون. ومنها ما كان في وصف اليوم الآخر مثل: يصعقون، يغني، ينصرون. وأما قوله (وَسَيُزَيِّتُ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) الأنبياء 20 فقد وردت في سياق زجر المختلفين في البعث بين منكر له وشاك فيه عن التساؤل في شأنه حيث قال (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5) النبا

لماذا وردت الصيغة "سيرت" بالبناء للنائب؟ قال البقاعي: "قال على طريقة كلام القادرين "سيرت" أي حملت بأيسر أمر على السير على ما تعلمون من صلابتها وصعوبتها في الهواء كأنها الهباء المنثور فكانت كينونة راسخة سرايا"² أي لما وصفها بالسراب وهي تمر كالسحاب ثم تخفى كما هي حقيقة السراب وتتناثر أجزاؤها فترتعد القلوب وتفرع؛ مما ناسب هنا مجيء الصيغة الدالة على اقتدار ربهم في تبديل الكون ليجمعهم إليه إذ كانوا يختلفون في هذا البعث ولهذا قال: (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) النبا 4 ثم كرر مؤكدا نوعدهم فقال: (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) النبا 5 ولهذا جاءت الصيغة بزمن الماضي "سيرت"، وقد عد الزركشي الماضي هنا بعد المضارع "ينفخ" نوع من الالتفات، قال: "يغلب ذلك فيما إذا كان مدول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها، فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريرا وتحقيقا لوقوعه"³ فائدة هذا العدول صدق وقوع الفعل، وإنه لتحقيقه عبر عنه بالماضي، وهذا الأسلوب تكرر في السورة مصورا موقف

¹ تفسير أبي السعود 147\8، ينظر نظم الدرر 9\19

² نظم الدرر 30\8

³ الدرر هار، في علوم القرآن 372\3

الحشر والعرض للحساب في قوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ 38 جاء بالمضارع أولاً ثم أتبعه بالماضي، قال : ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ 38

والجملة الفعلية عمت السورة سيما في وصف أصحاب النار كما في قوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ النبأ 24 وفي وصف أصحاب الجنة كما في قوله : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ النبأ 35. أما في قوله : ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ التكوين 3 فقد ورد في سياق وعيد الكفرة بالصاخة لإنكارهم كون القرآن تذكرة، وتهديدهم كان بانقلاب معالم الكون. كل هذه الأحداث تمت بتقديم المسند كما هو شأن كلمة "الجبال" للاهتمام بها؛ لأن مشركي العرب كانوا يدعون عدم بعث الموتى بدليل ثبات مظاهر الكون فابتدأ تهديدهم بالوعيد هنا بالمسند إليه "الجبال" ثم أتى بالمسند الفعلي لأجل تقوية حكم الخبر عليها، وهو ما جحدوه منصرفين عن دلائل وحدانيته تعالى وعن دلائل نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -

والمضي في الصيغة كما هو الشاهد السابق أفاد تحقق الفعل وأنه لتحقيقه أمكن التعبير عنه بالماضي، والبناء ليدل على عظيم قدرته سبحانه في تسييرها وهي أصلب مادة في الأرض وجعلها كالهباء المنثور في الهواء، ولقد كرر الظرف "إذا" لزيادة التهويل بتهديدهم وتوعددهم لأنهم هم الكفرة الذين تطاولوا في الفجور إذ وصفهم بصيغ المبالغة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ عبس 42 بل جعل الكفر والفجور مقصوراً عليهم.

من المعاني المرتبطة بالوعيد في السورة القسم المتكرر منه تعالى بالأمور العظيمة الدالة على قدرته كما دل من قبل تسيير الجبال على ذلك.

ثم عاد في الختام إلى إحدى قضايا الربوبية وهي المشينة المطلقة لله سبحانه في قوله : (فَأَيُّ تَذْهِبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) التكوير كما قال في النبأ : (جَزَاءَ مَنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) وقال : (ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا) النبأ 39 وقال في الطور : (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) 7 وفي الكهف ذكرت كلمة "رب" سبع وثلاثون مرة منها قوله (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) 98 (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) مريم 76 وبعد جاء : (وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) الكهف 48 وهكذا يرتبط تدمير أجرام الكون والبعث للحشر والحساب والجزاء بصفة توحيد الربوبية لله كما يرتبط بمعنى الهداية والمشينة.

مما مضى تبينت المعاني التي لأجلها حلت الصيغ في مواقعها؛ فالمضارع مع نون العظمة جاء في سياق الاستكبار والتفاخر بالمال والأولاد؛ وأفاد إثبات القدرة له - عز وجل - كما في قوله : (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) الكهف 45.

أما الفعل المضارع "تسيير" فقد جاء لمعنى التهديد بوقوع العذاب للمكذابين، واقترب بمصدره "سيرا" تأكيداً وإيضاحاً بخروجه عن المؤلف لدى الناس.

أما المبني للمفعول "سيرت" فقد جاء في سورتين، الأولى وهي حيث العدول إليه عن المضارع، والثانية وهي كونه مسنداً فعلياً للمسند إليه "الجال" وفي كلا الحالتين أفادت الصيغة التهديد بأمور هائلة متوعد بها، إلا أن الأولى كانت للاعتناء بما يجري ذلك اليوم من حدث تسيير الجبال لإثبات النبأ العظيم الذي

اختلفوا فيه، والثانية كانت للاعتناء بالمسند إليه "الجبال" الذي أنكر به الجاحدون البعث حال قيامه وثباته فأعلمهم الله بهدمه وتدميره ليبرهن لهم إثبات إحيائهم من جديد لمحاسبتهم..

المطلب الثاني

النسف

النسف معناه كما جاء في لسان العرب: "نسفت الريح الشيء تنسفه نسفاً، وانتسفته سلبته، وأنسفت الريح إنسافاً، والنسف: نقر الطائر بمنقاره، ونسف البعير الكلاً ينسفه بالكسر، إذا اقتلعه بأصله"¹ وفي مقاييس اللغة: "انتسفت الريح الشيء مثل التراب والعصف، كأنها كشفت عن وجه الأرض وسلبته، ونسف البناء: استنصاله قطعاً"²

وفيه صيغتان: المضارع مع مصدره في شاهد، والماضي جاء مسنداً فعلياً في الشاهد الآخر.

في سورة طه : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) 105، وفي سورة المرسلات: (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ) 10

وسؤالهم الذي جاء في الآية : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) الكهف 105 كان على سبيل الاستهزاء والطعن في الحشر، وهذه مسألة أصولية ولذلك ورد الأمر بجوابهم

¹ لسان العرب 9/ 227

² معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين 4195 ت 395 هـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون دار الفكر بيروت 1399 هـ 1979 م

مقروناً بحرف التعقيب، إذ لا يجوز التراخي في الرد عليهم للمسارعة إلى إقامة الحجة وإلزام المنكرين بها.

لم وردت الصيغة بالزمن المضارع؟ لأنها جواب لسؤالهم عن أمر مستقبلي وقد أنكروا وقوعه، قال الألوسي: "ينسفها أي يجعلها سبحانه كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها، والفاء للمسارعة إلى إزالة ما في ذهن السائل من بقاء الجبال على ظن أن ذلك من توابع عدم الحشر"¹ ولذلك أتبع الفعل بالمصدر "نسفا" تأكيداً له، ونسب إلى كلمة "ربي" للإشارة إلى قضية الربوبية وتصرف المالك بملكه والمربي بمربوبه.

وكل صيغة مضارع أتت مع مصدرها هي إما لجواب عن سؤال استنكار واستهزاء أو استفسار ورد في ذهن السامع كما في ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَغَدَاً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء 104

وفي الآية تقدم المسند إليه "الجبال" وأخبر عنه المسند الفعلي "نسفت" لأن في السورة بعض المعاني التي استدعت هذا النمط من الجمل، منها: شدة تكذيبهم كما مر والدليل عليه تهديدهم المتكرر في قوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ المرسلات 15 وبسبب تماديهم في التكذيب واستمرارهم في الجحود لحقيقة الإحياء من بعد الممات استقر في وجدانهم عدم تغير أجرام الكون، وادعوا أن بقاءها دليل على نفي البعث، وبهذا حاولوا أن يطعنوا في الحشر.

والسورة اعتنت بالأسماء والأشياء من المخلوقات، ففي مطلعها أقسم سبحانه بالمرسلات وهي إما الرياح وإما الملائكة وأطال في القسم تشويقاً لمعرفة المقسم عليه، وهو وقوع يوم الدين، ولأجل هذا اليوم ذكر أربع آيات قدم فيها

¹ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي 570 \ 8 ت 1270 هـ تحقيق علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 1415 هـ.

المسند إليه قال : ﴿إِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ
تُسِفَتْ﴾ (١٠) ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾ (١١) المرسلات أي حصل اهتمام بالنجوم
والسما والجبال والرسل، كما أقسم من قبل بالمرسلات تعظيما لها، وليدل على
قدرته في تسخيرها، ثم ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ (١٣) وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ
﴿١٤﴾ المرسلات اهتم بذلك اليوم، كما قال : ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ المرسلات 35
وقال : ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعَانِ﴾ المرسلات 38 وأخيرا اختتمت
السورة بمثل ما افتتحت به من الأمور العظيمة، وهو في قوله ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
يُؤْمِنُونَ﴾ المرسلات 50 فالاهتمام بمعظمت الأمور للدلالة على تقديره تعالى
وتدبيره وقوة سلطانه لأجل إقامة الحجة على المنكرين الطاعنين في الحشر،
ناسب هذا المقام إتيان الصيغة "تُسِفَتْ" مسندا فعليا لكلمة "الجبال" ويؤكد
مافيه من المضي والبناء للنائب فالمضي لتحقيق حصوله كما ورد في السياق
﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعَانِ﴾ المرسلات 38 فالفعل "جمعناكم" بالزمن
الماضي، والبناء للمفعول للدلالة على يسر وهوان تفتيت الجبال ونسفها على الله
سبحانه.

بهذا يكون المضارع من المادة ن س ف ردا على سؤالهم الذي وجهوه إلى نبيهم
على سبيل الاستهزاء، طاعنين في الحشر، زاعمين ثبات الجبال، وقد سارع في
جوابهم؛ كي لا يبقى في الأذهان أدنى شبهة مما ادعوه، وأكده بالمصدر
والماضي المبني للمفعول مقامه تطاول المكذبين في إنكار البعث، وغرضه
التهديد لهم.

المبحث الثالث : تدمير الأرض

المطلب الأول

الانشقاق

ورد في المادة ش ق ق صيغتان فعليتان في الزمن المضارع، الأولى: تشقق، والثانية تتشقق.

في سورة ق : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ 44

في سورة مريم : ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ 90

ورد الشاهد الأول في سياق تسليته تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وإيناسه مخاطباً إياه بقوله : ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ 41 إذ بشره بمهلك صناديد المشركين في بدر فكان وعداً له يتضمن وعيداً لهم وتهديداً بعذاب آتاهم قريباً في موقعة بدر.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ 42 في هذا المقام الجلل أراد الحق سبحانه تعظيم وتفخيم صورة بعثهم، فقال : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ 44 يقول البقاعي: "عبر بفعل المطاوعة لاقتضاء الحال له، وحذف تاء المطاوعة إشارة إلى سهولة الفعل وسرعته (عنهم) أي مجاورة لهم بعد أن كانوا في بطنها يخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء، حال كونهم سراعاً إلى إجابة مناديه"¹ وبالغ بتعظيم

إخراجهم بذكره الإشارة (ذلك) وبتقديم الجار والمجرور لدلالته على الاختصاص فقال: (عَلَيْنَا يَسِيرٌ) ق44 وجاء بكلمة حشر نكرة للتحويل، وكما بدأ قبل الشاهد بضمير العظمة (إنا) قال هنا أيضاً "علينا" إذن ناسب التفعّل ما جاء به السياق من دلائل تمام قدرته تعالى، واختصاصه بحشرهم إليه، وسهولة بعثهم عليه..

والصيغة (تشقّق) اختتمت بتوالي حرف القاف ثلاث مرات، واسم السورة هو ق ومن أسرارهِ وحكمة تسميتها به هو أن مقصود السورة إثبات القدرة لله لتصديق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم – التي تتضمن الإنذار باليوم الآخر، والقاف حرف يشترك في نطقه الحلق واللسان والشفة، فهو حرف انفتاح وشدة وتفخيم وقفلة، وكله يشير إلى معاني القدرة والقوة والقهر له عز وجل، فناسب هنا مجيء الفعل (تشقّق) بعينه المشددة ووزنه الثقيل، ولقد ورد في السورة ألفاظ مماثلة له في بعض الصفات مثل: تَخْتَصِمُوا، تَوَسَّسُوا، وَيَتَلَقَّيْكُمْ، وقال عن الأرض في أول السورة (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ خَفِيفٌ) ق4 وذكر بصيغة المضارع قوله: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) ق30

أما قوله : (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا) مريم90 فقد ورد في سياق ادعاء النصارى أن المسيح عيسى بن مريم هو ابن الله، وادعت اليهود أن عزيزاً هو ابن الله، ومشركو العرب ادعوا أن الملائكة بنات الله فعبدوها، وخاطبهم الذي لا شريك له فقال: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) مريم89 أي عظيماً منكراً وإنه لشدة وثقله أثر في انفتار السماوات وانشقاق الأرض، وقال الفخر الرازي: "تكاد السماوات والأرض والجبال أن تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول واستعظاماً له، وتهويلاً من فظاعته،

وتصويراً لأثره في الدين وهدمه لأركانه وقواعده¹ ولهذا قال بعد الشاهد : ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴿مَرْيَمَ وَقَالَ فِي سِيَاقِ السُّورَةِ : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿مَرْيَمَ 35﴾ صيغة الانفعال كانت لبيان أثر قولهم وهو إثبات الولد سبحانه وتعالى في الأرض لو كانت تعني وتترك ما يفترونه على الله من الكذب، ولهذا قال (تكاد).

لقد تكرر ذكر كلمة الرحمن في السورة لأنها تنافي معنى اتخاذ الولد، لأن فعلاً تدل على عموم الرحمة. أي أنها تشمل كل موجود وهو متصف بالافتقار إلى رحمته تعالى ولا يكون ذلك إلا بتوفر العبودية فيه "لأنه لو كان بعض الموجودات ابناً لله تعالى لاستغنى عن رحمته لأنه يكون بالبنة مساوياً له في الإلهية المقتضية الغنى المطلق، ولأن اتخاذ الابن يتطلب به متخذه بر الابن به ورحمته له، وذلك ينافي كون الله مفيض كل رحمة"² ولهذا قال بعد الشاهد: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿مَرْيَمَ 93﴾

وصيغة الافتعال عمت السورة إذ قال : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾ ﴿مَرْيَمَ 4﴾ وقصة مريم -عليها السلام- ذكرت كلمة (انتبذت) مرتين : ﴿وَأَنكَرَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴿مَرْيَمَ وَقَوْلُهُ : ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿مَرْيَمَ 22﴾ ، وقوله : ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غِنِيًّا﴾ ﴿مَرْيَمَ 25﴾ ويبدو أن هناك مناسبة بين قصة مريم -عليها السلام- وبين انشقاق الأرض لما كان بينهما من المعاني والصيغ المشتركة، فإن حمل مريم لعيسى ثقیل شديد إذ قالت : ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْهُمْ﴾ ﴿مَرْيَمَ 23﴾ مما أدى إلى انتباز مكان بعيد من أهلها، وهنا صيغة افتعال، وكان في الأرض

¹ تفسير الرازي 217/21
² التحرير والتنوير 87/16

صيغة انفعال في قوله "تَنشَقُّ" لتقل قول المفترين على الله الكذب وعظمه عليها، وفي قصة مريم وردت الصيغة فتمثل وهي من (التفعّل)، وصيغة تساقط وما كان بعد ولادة عيسى -عليه السلام- وبين انشقاق الأرض لما كان بينهما من المعاني والصيغ المشتركة، فإن حمل مريم لعيسى أمر ثقيل شديد إذ قالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ تُنْبِئُ مَنِّي﴾ مريم 23 مما أدى بها إلى انتباز مكان بعيد من أهلها، وهنا صيغة افتعال، وكان في الأرض صيغة انفعال في قوله "وتنشق" لتقل قول المفترين على الله وعظمه عليها، وفي قصة مريم وردت الصيغة فتمثل وهي من التفعّل، وصيغة تساقط وما كان بعد ولادة عيسى -عليه السلام- من اختلاف الأحزاب في شأنه وهو من الافتعال وهي إلى جانب صيغ أخرى مزيدة ومشددة مثل: لنحشرنهم، ولنحضرنهم، ولننزعن، وما في قوله: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم 64

كان هناك تلاوم بين الصيغة "تنشق" وما تلونت به السورة من أوزان الثقل والشدة التي تناسب معنى ادعاء الكافرين من اتخاذ الله الولد، والانفعال ناسب المقام الذي ورد فيه الشاهد لأن السورة عمت أو شملت أصناف المفترين على الله سبحانه من النصارى واليهود والمشركين أدى أثر ذلك في الأرض بأنها لو كانت تعي ما يقولون من كلمة تنهدم بها دعائم الدين وأركانه كما تنهدم الأرض بأوتادها وقصورها وأبنيتها.

تبين مما مضى أن الصيغة "تَشَقُّ" كانت في تكذيب أكابر المشركين وتعاليمهم على الحق، فأراد الله تعالى أن يُعظم لهم صورة بعثهم، لأنهم عجبوا مما أنذروا به، وحذف ناء المطاوعة إشارة إلى تجاوز مكثهم في القبور، أي يخرجون منها أحياء، كما لو كانوا فوقها أحياء، وعبر بالمصدر سراعاً عن حالهم للمبالغة، وقدم الجار والمجرور لغرض اختصاصه تعالى بالحشر، وسهولة بعثهم عليه.

أما الصيغة "تنشق" فهي لما ادعوه وافتروه على الله الكذب من اتخاذ الولد والشرىك، فكان قولهم لعظمه وثقله قد أثر في الأرض فكادت "تنشق" لأن قولهم يهدم أسس الدين وقواعده، أي أن الانفعال الذي في الصيغة دلّ على قبول الأثر.

المطلب الثاني

الدك

الدك هو حطم الأرض وكسرها بما يحدث من زلزال ذلك اليوم، وقد دككت الشيء أدكه دكا إذا ضربته وكسرتة حتى سويته في الأرض¹. وفيه صيغتان فعليتان، وهما في الزمن الماضي، وبالباء للمفعول، وكلاهما اتصل بقاء التأنيث الساكنة، بينما ورد أحدهما مع المصدر المؤكد² (دَكَّا دَكًّا) الفجر 21 والصيغة الثانية جاءت مثناة وهي (فَدَكَّتَا) الحاقة 14 مع اسم المرة "دكة" المؤكد بكلمة واحدة.

ورد الشاهد الأول في سياق وعده تعالى لنبيه بإهلاك المشركين، الذين اغتروا بما هم فيه من النعيم فظنوا أن الله قد أكرمهم، وأن الفقر الذي فيه المؤمنون دليل على إهانة ربهم لهم، قال: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) الفجر وهم لم يشكروا نعم الله ربهم بمواساة الفقراء، بل ازدادوا حرصاً على جمع المال وأكله حلالاً كان أو حراماً كما قال: (وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمَّا) الفجر 19 كانوا يأكلون أنصبة النساء والأطفال من الميراث، وتعاضم حبهم

¹ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراءى 1583\4 ت 393 هـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين - بيروت ط 4 1407 هـ 1987 م

² ينظر إعراب القرآن أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي 139\5 ت 338 هـ وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 1421 هـ

للمال، فقال: ﴿وَتُجْبُونََ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر 20 فأراد الله تعالى زجرهم وردعهم عن سوء أقوالهم وقبيح أفعالهم فهم لم يكرموا اليتيم، ولم يحضوا على طعام المسكين، وأكلوا مال غيرهم، فقال: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ الفجر 21

هذا الوعيد كان بعد أن هددهم بما وقع للأمم من قبلهم كئتمود وعاد وقوم فرعون من أخذ شديد وعقاب أليم، قال أبو السعود: "هو استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلًا للردع أي إذا دكت الأرض دكاً متتابعاً حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حتى زلزلت وصارت هباء منبثاً" 1 وهذا الاستئناف يدل على أن جرم مشركي قريش أعظم من جرم المكذبين من قبلهم، لأنهم لم يعتبروا بما حلّ بهم، ولم ينتفعوا من سنن الله الواضحة أمامهم، وجعل ابن مالك وابن عصفور "دكا دكا" من التوكيد اللفظي لكن الزركشي قال: "هو مربود لأنه جاء في التفسير أن معنى "دكا دكا" دكا بعد دك وأن الدك كرر عليها حتى صار هباءً منثوراً، وعلى هذا فليس الثاني منهما تكراراً للأول بل المراد به التكاثر" 1 والصيغة "دكت" جاءت مبنية للمجهول ليبين لهم سهولة هدم ما يرونه من أجرام الكون، وهو عليه أهون من خلقها، وله المثل الأعلى، قال البقاعي: "أشار بالبناء للمفعول إلى سهولة ذلك لأن الأمر عظيم لعظمة الفاعل الحق، ولذلك قال "دكاً دكاً" أي مكرراً بالتوزيع على كل موضع فيها دك يخصه ليفيد ذلك أنه دك مبالغ فيه كناية عن زلازل عظيمة لا تحملها الجبال الرواسي فكيف بغيرها" 2 والمبالغة عن طريق المصدر المؤكد لأجل التشديد بالوعيد، لأن الله وعد نبيه بإهلاك عدوه، وأنه ضرب لهم مثلاً بأخذه لعاد وثمود وقوم فرعون، وأنذرهم بعذاب ذلك اليوم، وبعد أن كرر القسم لتحقيق ما أقسم عليه وتأكيده، قال: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ الفجر 5 وجاءت كلمة قسم نكرة للتعظيم، أي في كل ما أقسمت عليه ولهذا كرر هنا في الوعيد كلمة (دكاً

1 البرهان في علوم القرآن 386/2

دَكَا﴿الفجر 21﴾ ولما كان من تكرار القسم تأكيده، والمقسم عليه هو تعذيب المكذبين، قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾﴿الفجر 14﴾

والدك في هذه الآية يذكر أول مرة في القرآن فجاء مؤكداً، ولأن الأمر خارق للعادة اقتضى المقام تحقيق حصوله حقيقة لا مجازاً ولا مبالغة فكان التأكيد هنا مرتين، ولم يكن هذا في نظيره : ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ 14 في سورة الحاقة، قال ابن عاشور عن معنى التأكيد اللفظي في الشاهد: "دكا" الأول مقصود به دفع احتمال المجاز من "دكت" أي هو دك حقيقي، و"دكا" الثاني منصوب على التوكيد اللفظي لدكا الأول لزيادة تحقيق إرادة مدلول الدك الحقيقي،¹ وهو للزجر المؤكد لأن السياق أفهم أن الإنسان الكافر تغره الدنيا ويعلق الأحداث بغير مسبباتها، وهو في ضلالة لأنه لم ينتفع بما جاء به الرسل لأجل هدايته ونجاته..

ورد في السورة ألفاظ قريبة بوزنها من الصيغة "دكت" مثل: فصب، ونغمه، وتحاضون، ويعذب، وباستثناء القليل من الجمل الإسمية، فإن السورة لونها الجملة الفعلية والصيغ الثقيلة لأجل الزجر والردع والتشديد بالتهديد والوعيد.

أما قوله: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾﴿الحاقة 14﴾ فهو ورد أيضاً في سياق مصارع المكذبين من الأمم مثل: ثمود وعاد وفرعون والمؤتفكات، وذكر "واحدة" في قوله "فدكتا دكة واحدة" فضلاً عما فيه من صيانة النغم الموسيقي، يوحى بقصر النفخة وسرعة الدكة، وفي ذلك إثارة الرعب، وتصوير شدة الهول ما فيه² ومن الاشتراكات بين سياقات الشاهدين ذكره للملك هنا قال : ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَخْمَلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾﴿الحاقة 17﴾ وهناك قال : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾﴿الفجر 22﴾ ، ومنها ذكر الحساب قال بعد هذا الشاهد : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾﴿الحاقة 18﴾ وقال هناك : ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾﴿الإنسان 23﴾ ومنها التندم

¹ التحرير والتنوير 297/30

² من دلاء القرآن أحمد أحمد بدي ص48 نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 2005م

والتحسر كما في الآية : (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) الفجر 24 وقال هنا : (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ (٢٥) وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَةَ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ (٢٩) الحاقة ومنها القسم وقد تكرر في سورة الفجر، ثم قال: (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) الفجر 5 وهنا قال : (فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) الحاقة واختلف فيها المقسم عليه ففي سورة الفجر كما مر أنفا أقسم سبحانه على أخذه للمكذبين وتعذيبهم يوم القيامة، وهنا كان المقسم عليه هو أن القرآن وحي من الله نزله على نبيه وأن هذا النبي صلى الله عليه وسلم- ليس بشاعر ولا بكاهن، ومن المتغايرات بين الشاهدين تنبيه الصيغة هنا فقال "فدكنّا" حيث أفردت في الشاهد من سورة الفجر، فلم كانت هذه التنبيه؟ ولم يقل سبحانه فدكنن بعد ذكره الجبال والأرض، قال الرازي: "لأنه جعل الجبال كالواحدة والأرض كالواحدة كما قال : (أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) الأنبياء 30 وكذلك لم يقل تعالى كن"١ جعل الأرض شيئا واحدا للمبالغة في قوة الدك وفي شدة تأثيره في تفرق أجزاء ما على سطحها أو في باطنها.

ومن المتغايرات مجيئ الفعل مع مصدره في سورة الفجر بينما جاء بالفصل مع صيغة اسم المرة المؤكد بكلمة "واحدة" فما هي فائدته هنا؟ قال البقاعي: "مسحت الجملتان الأرض وأوتادها وبسطتا ودق بعضها ببعض "دكة واحدة" أي فصارتا كثيبا مهيلا وسويتا بأيسر أمر فلم يميز شيء منهما من الآخر، بل صارا في غاية الاستواء"٢ وأكد "بواحدة" على فعلة ليدل على قدرته العظيمة. سيما مجيء الفعل بالبناء للمفعول للدلالة على هوان دك الأرض والجبال عليه سبحانه. والمعنى يتسق مع ذكره للنفخة الواحدة قبل الشاهد دالا على يسر إحيانهم وبعثهم.

١ مصير الرازي 95/30

٢ نظم الدور 127/8

وسبب آخر لوجود اسم المرة هنا ما ورد في السياق من توبيخ الله للناس بقلّة المنتفعين للتذكّرة منهم فعبر بالواحدة أي الأذن التي تعي ما نفع الله به نوح عليه السلام ومن حمل معه في السفينة، فالسورة في اسمها وبدايتها دالة على قدرة الله سبحانه، وفي قصة نوح من فيضان الأرض جميعها بالماء ثم نجاته مع المؤمنين ويسر ذلك على الله وهوانه شبيه بأمر قيام الساعة ودك الأرض دكة واحدة بقدرته الجليّة، وإنجائه للمؤمنين من هولها وفزعها، أي كل المعاني السابقة تدور حول عظيم قدرة الله تعالى، فناسب هنا مجيء اسم المرة المؤكّد.

لقد أحيط الشاهد بجملّة من الصيغ المبنية للمجهول مثل: نُفِخَ، وحملت، وتعرّضون، وأوتي، وأوت ...

وتكرر فيها اسم المرة مثل: عيشة، حسرة، نفحة ...

لقد كان الفعل "ذُكِّتْ" مع المصدر المكرر حقيقة لا مجازاً، لأنه ذُكر أول مرة في القرآن، ولأنه أمر خارق للعادة، فأكد مرتين، أي لا بد من اعتباره دكاً على الحقيقة، ولغرابته أكد مرتين، فقال: "دكاً دكاً" وغايته الزجر المؤكّد للكافر.

أما الصيغة المثناة مع اسم المرة المؤكّد بـ "واحدة" فالتثنية فيها للأرض وأوتادها، كما في الآية، وفائدة اسم المرة الدلالة على قدرة الله العظيمة حيث صيّر الأرض والجبال معاً كثيباً مهيلاً في "دكة واحدة" ولذلك بُني للمفعول "دُكَّتْ" أي على أيسر أمر وأهونه. وكلا سياقي الشاهدين واحد وهو في مصارع المكذّبين، ووعيد المشركين بالهلاك.

المبحث الرابع : تدمير البحار

التسجير

التسجير معناه "تهيج النار، وقد سجرت التتور، ومنه ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكوير⁶ أي أضرمت نارا، وقيل غيضت مياهها، وإنما يكون ذلك لتسجير النار فيها"¹

وفيه صيغتان: الأولى فعلية مبنية للمجهول وهي "سجّرت" والثانية هي باسم المفعول وهي: "المسجور"

في سورة الطور : ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾⁶

في سورة التكوير : ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾⁶

ورد الشاهد الأول في سياق التكذيب إذ أقسم سبحانه بأشياء ترتبط ببعثة موسى عليه السلام- كالطور الذي كلمه الله من فوقه، والكتاب المسطور وهو التوراة، والأمر المقسم عليه هو ما كذب به فرعون وآله وهو الجزاء بعد البعث والذي ورد في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ﴾ الذريات⁶ لِمَ ورد القسم مكرراً؟ لأجل الوعيد الذي ورد في السياق وهو في قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾⁵⁹ ثم قال : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾⁶⁰ ثم كرر الويل لهم بعد الشاهد وقال : ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الطور¹¹

ولأجل دفع الشبهات والهواجس التي ترد على النفس البشرية، ففي السورة بعض الآيات التي تبين ذلك مثل قوله: ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ ﴿أَمْ خُلِفُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ

¹ مصائر دوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 866/1، ينظر مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين ص 186، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان مؤسسة الرسالة - بيروت ط2 1406 هـ 1986 م

رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ (٣٧) الطور ولدحض ما في قلوبهم من أباطيل بهذه الآيات: (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِي مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ (٣٩) وفي قوله: (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وإبطال ما يقولونه من أكاذيب في قوله: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبُّصُ بِهِ رَبِّبُ الْمُتُونِ) 30 وقوله: (أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ) 33 والقسم ورد كذلك لأجل أن الأشياء المقسم بها هي مما يتعلق بالنبي موسى - عليه السلام - من الطور والتوراة، وموسى أرسل إلى فرعون، ومعلوم ما وصل إليه فرعون من الكفر والطغيان كما في قوله: (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) النازعات فإن في كفره أفضع التطاول والتمادي، والآيات السابقة من سورة النازعات هي كذلك افتتحت بالقسم المتكرر منه تعالى على إثبات الساعة والبعث ..

تلك كانت دواعي القسم في سورة الطور، فما علاقة اسم المفعول به؟ وسيأتي بيانها بعد تعريف السجر وهو: "تهيج النار. وقد سجرت التنور، فالبحر المسجور هو البحر الموقد المملوء نارا كما يقال في التنور إذا سجرت، واختيار اسم المفعول لدلالته على الاستقبال" ^١ ومن مقاصد القسم إثبات القدرة لله سبحانه بسجر البحر. وإنه لقادر على إحيائهم وبعثهم وجمعهم للجزاء كما قال: (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) الذاريات ٦ أي الأمر المقسم عليه، وقال: (مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) الطور 8 فلا قدرة ولا قوة تمنع وقوعه، ولهذا قال بعده: (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتُسَبِّرُ الْجِبَالُ سَبْرًا (١٠) مشيرا بذلك إلى عظيم قوته وسلطانه.

لماذا وردت الصيغة بالتعريف وجاء قبلها كلمة "رَقِي" وهي نكرة؟ "لأن اللام وإن كانت معرفة لكن أخرجها عن المعرفة كون شدة هول "البحر المسجور"

^١ ينظر معاني الأنبياء في العربية فاضل صالح السامرائي ص 25 دار عمار ط 1428 2007م

غير معروف¹ أو أن الكتاب الكريم المعبر عنه بكلمة "رق" تميز عن باقي الكتب بحيث لا يصل إلى الأفهام إلا ذلك الكتاب فأمن اللبس وحدث التعريف سواء ذكرت اللام أم لم تذكر.

لقد أحاط الشاهد اسم المفعول واسم الفاعل في الصيغ التالية: مسطور، منشور، المعمور، المرفوع، واقع، دافع، المكذبين، المتقين، متكنين، وفي سائر السورة جاء: مشفقين، المتربصين، طاغون، صائقين، الخالقون..

أما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكويد 6 فإنه ورد في سياق التهديد للمكذبين الذين أنكروا أن هذا القرآن تذكرة، ولذلك أقسم سبحانه في هذه السورة أن القرآن قول رسول موحى إليه، حملة إليه جبريل -عليه السلام- قال تعالى : ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ومعنى ﴿سُجِّرَتْ﴾ 6 : "فجر بعضها إلى بعض حتى صارت بحرا واحدا، وملئت حتى كان ما فيها أكثر منها، وأحمنت حتى كانت كالتنور التهابا وتسعرا، فكانت شرابا لأهل النار وعذابا عليهم، ولا يكون هذا إلا وقد حصل من الحر ما يذيب الأكباد"² والآية التي جاءت فيها الصيغة افتتحت "بإذا" لتشويق السامع إلى ذكر ما بعده من شرط وجواب، وتكررت الجمل التي بدأت بالظرف "إذا" للإطناب والتهويل لقيام الساعة، ولقد جاء بعد الظرف المسند إليه "البحار" وابتدأ به للإهتمام، "ولأن الابتداء به أدخل في التهويل والتشويق، وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تقوي الخبر وتأكيده ردا على انكار منكريه وصيغة الماضي مستعملة في معنى الاستقبال تنبيهها على تحقق وقوع الشرط"³ أما جوابه فقد كان في قوله تعالى: "علمت نفس ما أحضرت"

¹ تفسير الرازي 876/1

² نظم الدرر 337/8

³ التحرير والتنوير 196/16

وهنا ارتبط تدمير البحار بمعنى اطلاق المشينة لله وحده كما ورد في سياق السورة، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) أي من أراد منكم الهداية فلن يهتدي إلا إذا شاء الله سبحانه وقوله "رب العالمين" تأكيد لمعنى الربوبية التي ارتبط بها الانقلاب الكوني قبل البعث لأن للرب حق التصرف في خلقه من الكون ومن العباد ومن تدمير وبعث وحشر وحساب وجزاء..

لقد تكرر المسند الفعلي في السورة قبل الشاهد وبعده، مثل: كورت، انكدرت، سيرت، عطلت، حشرت، زوجت، سنلت، قتلت، نشرت، كشطت، سُعِرَت، أزلقت.

تبين مما مضى أن الصيغة الإسمية من س ج ر هي لإثبات القدرة لله تعالى، لأنه من مقاصد القسم، لأن الذي يسجر البحار قادر على بعثهم من الممات، وقد تعددت دواعي القسم في السياق، وكان غرضه الوعيد للمكذبين، واسم المفعول أنسب للقسم، لأنه يدل على فاعل قام بسجر البحار له القدرة العظيمة على التصرف في ملكه، وهو بذلك قادر على الإحياء والبعث.

والصيغة الفعلية غرضها التهويل لأحداث الساعة، بالاهتمام أولاً بالمسند "البحار" ثم الإخبار عنه بالمسند الفعلي، كما في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ الانفطار 1 و ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكوير 6 والمضي فيها هو بمعنى الاستقبال لإفادة تحقق تسجير البحار.

كانت الأغراض البلاغية للصيغ في فصل "تدمير مظاهر الكون" حسب الآتي:

أولاً: الصيغ الفعلية:

1 - التهديد بأحوال القيامة:

وذلك في فُعِلْتُ، وانفعلت، فإذا كان نفي البعث بدعوى ثبات أجرام الكون، كما كان من مشركي قريش، قُدِّم المسند للاهتمام، وأُتي بالمسند الفعلي، تقوية للخبر وتأكيداً، وذلك لصرف أذهان المنكرين إلى دلائل وحدانية الله التي طعنوا من خلالها في الحشر؛ وهنا ابتداء بـ "إذا" تشويقاً للسامع، وللتطلع إلى ما بعده من خبر، كما في قوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ الانفطار 1 و﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ التكوير 3 و﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ المرسلات 10 و﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ الكوير 6 أما إذا كان نفي الساعة عاماً، أي من عامة المكذبين دون شرط بقاء معالم الكون، فإنه يتقدم الفعل الجملة، كما في ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ الحاقة 16 وهذا الغرض تعلق بصفة الربوبية من القدرة التامة لله تعالى، والمشينة، والتصرف المطلق في خلقه، من موتهم، وبعثهم.

2- التهويل ويكون إما:

- بالرد والجواب على سؤال المكذبين، كانوا قد سألوه على وجه السخرية والاستهزاء، في قوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ طه 105 سارع بالرد عليهم مُقرناً الجواب بالفاء، لأنها مسألة أصولية، ليزيل ما يعلق في الذهن من أدنى شبهة حول بقاء الجبال، ظناً بأن ذلك من لوازم نفي البعث.
- أو يكون التهويل رداً على استفهام ورد في ذهن السامع، بعد ما علم ما للمؤمنين من جزاء، وما للكافرين من عقاب، كما في قوله : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ الأنبياء 104 والمضارع في مثل هذه السياقات يفتنر بالمصدر لتأكيد المبالغة فيه.

3- التواعد للمكذابين:

- وهو إما في حال تكذيب المشركين للنبي - صلى الله عليه وسلم - والتمادي في جداله، والاستهزاء به، والتعنت والتطاول على ربهم، فتوعدهم الله بما اقترفوه إذ لا بد من تشقق السماء لرؤية ربهم ولانزال الملائكة، كما في قوله : ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ الفرقان 15 وهنا حذف تاء المطاوعة إيداناً بسهولة شق السماء عليه وهوانه.
- أو في مقام الاستعلاء في الأرض والاستكبار، والاعتزاز بالمال والولد، والحديث المتكرر عن الخيرية، وجاءت الصيغة ضمن موازرتة تعالى لنبيه في قوله : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف 47 والنون فيها لما له تعالى من الاقتدار والعظمة.

4- الترهيب من الشرك:

- مقامه الاتخاذ إما دعواهم الباطلة على الله سبحانه باتخاذ الشريك والولد، أو اتخاذهم من دون الله آلهة يعبدونها، وكان في الصيغة "يتفطرن"، في قوله : ﴿تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ مريم 90 وهو متعلق بتوحيد الألوهية.

5- الردع والزجر المؤكد:

- سياقه مصارع المكذابين من الأمم، وكان جرم مشركي قريش أعظم منهم، لأنهم لم يعتبروا بما حلَّ بهم، وتمثل زجرهم بالصيغة "دكت" في قوله : ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ الفجر 21 أكد المصدر، وتمثل في الصيغة "فدكتنا" في قوله : ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة 14 وهنا أكد باسم المرة، وثنى الفعل ولم يقل فدككن دالاً على أنه جعل الجبال شيئاً واحداً وكذلك الأرض، صيرهما كشيء مهيلاً بأيسر أمر وأهونه كما يدل عليه البناء للمفعول، إلى جانب اسم المرة المؤكدة بـ "واحدة".

ثانياً: الصيغ الاسمية:

1- الإنذار والمبالغة في وصف يوم القيامة:

وجاء في وصف السماء أي لخشيته من وقوع القيامة، ولثقله عليها أدى إلى انقطاعها، ومقامه تحمل النبي - صلى الله عليه وسلم- لأذى المشركين من أقوال وفعّال، وفيه عدول عن الاسمية إلى الفعلية للمبالغة في إنذارهم، وتنبيه أذهانهم إلى تصور ما ينكرون من وقائع القيامة، وذكر بدل التأنيث للزيادة في شدة أهوالها.

2- التهويل والترهيب من الشرك:

مقامه ما كان من الكافرين من تطاول على الله سبحانه، إذ نسبوا إليه صفات لا تليق بجلاله، وتمثل في الصيغة "مطويات" الدالة على هوان وسهولة تخريب العالم على الله.

3- الوعيد

تمثل بالقسم (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الطور 6 واسم المفعول أفاد إثبات القدرة لله تعالى لأن القادر على سجر البحار قادر على بعث الموتى، فتحقق معنى الوعيد للمكذّبين.

فاقت الصيغ الفعلية بعددها وهيئاتها الصيغ الاسمية، لأن تدمير معالم الكون وانقلابها وتغيير أحوالها ونواميسها، يستدعي الإرادة والفعل والحركة والاضطراب والحدوث والتبديل، فكانت الحاجة إلى الصيغ الفعلية وإلى الثقيلة منها فكان هناك التفعّل، والانفعال، وفعلت، وفعلت.

الفصل الثاني

توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير البعث والحشر

المبحث الأول: النفخ في الصور

المبحث الثاني: البعث

المبحث الثالث: النشور

المبحث الرابع: خروج الناس من الأجداث

المبحث الخامس: الجمع

المبحث السادس: الحشر

تمهيد:

موتان وإحياءان تمر بهما الخليقة، أما الموتة الأولى، فهي العدم المحض قبل الإبداء والإنشاء أو الإحياء الأول، وأما الموتة الثانية فهي لدى قبض الأرواح، ثم الإحياء الثاني أو الإعادة والإنشاز، ولقد ذكرت هذه المراحل الأربعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ عاقر 11.

سلوك المكذبون في إنكار البعث سبلهم كلها، واستنفدوا طاقاتهم في جحوده، حتى طعنوا في علمه تعالى بذرى وفتات ما بلي من الأجساد الفانية، لينفوا قدرته على جمعها وإحيائها، فرد عليهم بقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ خَفِيضٌ﴾ ق 4 لقد أثبت سبحانه كمال وشمول علمه، وتماام قدرته على بعثهم وإعادتهم بطرق عدة منها التنظير بالخلق والإبداء على الإنشاز والإعادة، ومنها الاستدلال عليه بالقدرة على الإنبات وإحياء الأرض الموت، ومنها الاستدال بالموتة الأولى والإنشاء على الإعادة والإنشاز بعد الموتة الثانية.

وهذا الفصل "توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير البعث والحشر" يبدأ من مرحلة النفخ في الصور، وقد أخذت برأي جمهور الأنمة في زمن وقوعه، فجعلته بعد قيام الساعة وتدمير معالم الكون، ثم يأتي بعده مبحث "البعث" لأن صيغه أكثر من "النشر" ولربما شاع في استعمال العرب لفظ البعث في إحياء الموتى أكثر من لفظ الإنشاز، وبعد مبحث "النشر" يحين ظهور الناس من قبورهم، فكان مبحث "خروج الناس من الأجداث" وبعده يجمعون إلى الموقف والمسألة، فكان مبحث "الجمع" ولأن في معنى الحشر التوسع والازدياد وكثرة الناس، جاء في النهاية مبحث "الحشر" وفيما يلي عرض للمباحث جميعها ثم الخاتمة والتعقيب.

المبحث الأول : النفخ في الصور

مثل تعالى لبعث الموتى بحشر الجنود، إذ ينفخ في ابواق للإعلام باجتماعهم للحرب، والصور هو قرن عظيم، جعل الله صوته لإماتة الخلق أو لبعثهم، ينفخ فيه الملك فيفزع من في السماوات والأرض إلا من شاء الله.

قال الراغب الأصفهاني: "الصور هو مثل قرن ينفخ فيه فيجعل الله سبحانه ذلك سببا لعود الصور والأرواح إلى أجسامها"¹

في سورة النمل : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَثَرٍ دَاخِرِينَ﴾ 87

في سورة النبا : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ 20

في سورة طه : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا﴾ 102

في الأنعام : ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ 73

في سورة الحاقة : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ 13

في سورة يس : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ 51

في سورة الزمر : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ 68

في سورة ق : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ 20

¹ معرقات غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني 290/1 ت 502 هـ

الشواهد التي وردت في الزمن المضارع سياقها في وصف اليوم الآخر، ولذلك جاء الظرف "يوم" مع كل صيغة منها، والمقصود منه تهويل البعث، وليكون مبدلاً من يوم الفصل، أو مبيناً له لزيادة الترهيب منه، والصيغة أتت لشرح بعض الأحوال التي تقع ذلك اليوم في بدايته "فالفعل المضارع "ينفخ" أفاد استحضر صورة الحدث من المستقبل البعيد وهو يوم القيامة حتى وكأنها ماثلة أمام الأنظار، واستحضر المستقبل استباق للزمن كون الحدث لم يحصل لإفادة تحقق وقوعه"¹ وقد وصف الباحث جلال عبدالله الحمادي ذلك المشهد الغيبي بقوله: "تَظَلُّ سورة النفخ في الصور على -هولها وفظاعتها- خاضعة لسلطة التصور البشري داخلية في حيز المؤلف فالإطار العام لهذه الصورة شائع في واقع الناس، والسمة الفارقة بين هذه الصورة القرآنية والصور الدنيوية المماثلة هي سمة التضخم في عناصر الصورة القرآنية، فهو فارق بالنسب لا فارق بالهيئة، فأثرت صيغة المضارع -هنا- لتتوافق دلالة هذه الصيغة على الاستقبال مع الزمن المستقبلي لهذه الصورة"² كما في سورة النبأ: (إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا) (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) قال البقاعي: "لما ذكر يوم القيامة ذكر ما فيه تعظيماً له وحثاً على الطاعة، فقال مبدلاً منه أو مبيناً له: (يَوْمَ يُنْفَخُ) 18³ وجاءت صيغة المضارع أيضاً للموعظة والوعيد، فإنه تعالى لما ذكرهم بـ (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) فصلت 19 نبههم إلى ما قبل الحشر من النفخ في الصور، لإقامة الحجة عليهم بإثبات بعثهم ولينذرهم بما يقع بعده، كما قال: (وَكُلُّ أُنثَى دَاخِرِينَ) النمل 87 وقال: (فَقَرَعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ) 87 وعدل عن المضارع إلى الماضي تأكيداً لإنذارهم في تحقق وقوع البعث وصحته، كما في قوله تعالى:

¹ تحولات، الأعمال في السياق القرآني وأثرها البلاغي د.عبدالله الهتاري الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن ص23-24
² المدول في صبح المشتقات في القرآن دراسة دلالية جلال عبدالله محمد سيف الحمادي ص174 جامعة نمر - اليمن 1428 هـ 2007 م
³ نظم الأبرار 308/9

(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنُخْشِرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ رُزْقًا) طه 102 قال ابن عاشور: "تخلص تعالى لذكر البعث والتذكير به، والندارة بما يحصل للمجرمين يومئذ"¹

ولما كان السياق في تكذيب الرسل - عليهم السلام - فإنه أتى بصيغة الماضي في الشواهد الخمسة، وهو مستعمل في معنى المضارع، ولكن المقام استدعى زيادة في تأكيد البعث وتهويله، لإفادة معنى تحقق وقوع الفعل، وأنه كائن مقطوع به، كما جاء في البرهان: "جعل المتوقع فيه كالواقع فأتى بصيغة ويريد به الماضي تنزيلا للمتوقع منزلة ما وقع فجعل المستقبل ماضيا مبالغة"² كما في الشاهد من سورة يس: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) 51 فإنهم لما اشتد منهم التكذيب في قولهم: (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 48 فإنه أتى بالصيغة "نفخ" وهي في الزمن الماضي مبالغة في تأكيد بعثهم ردا على تماديهم في جحوده، والمقصود وعظهم وإنذارهم..

المضي أتى أيضا في غرض تفصيل قدرته تعالى، بعد إذ أجملت في السياق، وفي غرض بيان عظمة شأنه جل وعلا في ذلك اليوم، ولبيان بعض أحوال القيامة زيادة في التهويل، ولبحث على منكري البعث، بأن ما جحدوه ملاقيهم، قد اقترب أجله، جاء في الكشف: "لما ذكر إنكارهم البعث، واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه، أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب، عند موتهم، وعند قيام الساعة، ونبه على اقتراب ذلك بأن عبّر عنه بلفظ الماضي، وهو قوله: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ (٢٠) ٣

¹ التحرير والتنوير 94/9

² البرهان، في علوم القرآن 372/2

³ تفسير الكشف 385/4

والمضني ورد لبيان "القارعة" وأنها ساعة البعث، تهويلاً لأمر العذاب، التي ورد ذكرها في أول سورة الحاقة، قال : (الْخَافَةُ (١) مَا الْخَافَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَافَةُ (٣) ثم بينها في قوله : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ)

وجاءت جميع الصيغ بالبناء للمفعول، لأن من دلالات هذه الصيغة الاهتمام بمن ناب عن الفاعل، قال الرضي: "كل ما كان أدخل في عناية المتكلم واهتمامه بذكره وتخصيص الفعل به فهو أولى بالنيابة"^١ وفي قوله : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ)^٢ إشارة للاهتمام بالصور، وسببه هو صيغة المبني للمفعول "نُفِخَ" قال السامرائي: "ينوب عن الفاعل ما كان أهم وأدخل في عناية المتكلم وقد يعنيه عدة أمور، بعضها أهم من بعض، فيجعل مدار حديثه ما كان أدخل في عنايته، نحو قوله : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) الحاقة ١٢ فالمصدر الدال على المرة هنا هو الأهم^٢ المقصود من الشواهد جميعها العناية بالنفخ الذي حدث بواسطة الصور، والذي لا نعلم كنهه ولا كيفيته، فهو موكول إلى الله تعالى، والغرض منه النذارة والموعظة، لأن في قوته وشدة صوته صعقا لأرواح الخلائق، إذ لا تطيقه أسماعهم، والمقصود الآخر تحديد النفخ بمرة واحدة، فأتى بالمصدر، إيذانا بتناهي قدرته تعالى، فإنه بالنفخة أمات، وبأخرى أقام وأحيا، فلا عبرة بالاهتمام فيما وراء ذلك، وإن مما يؤيد ما ذهب إليه الرضي والسامرائي الذي جاء في الظلال، إذ يرى سيد قطب رحمه الله- عدم تعيين هيئة الصور أو كيفية النفخ فيه إشارة إلى الاهتمام بالأحوال الناتجة عن حدث النفخ في الصور، قال: "لا نعلم إلا أنه سينفخ فيه ليس لنا أن نشغل أنفسنا بكيفية ذلك، إنما نحن نتصور النفخة الباعثة المجمعبة التي يأتي بها الناس أفواجا، نتصور هذا المشهد والخلائق التي توارت شخوصها جيلا بعد جيل، مبعوثين قائمين آتين من كل فوج إلى حيث يحشرون، ونتصور الأجداث

^١ الرضي، على الكافية ٩١/١

^٢ معاني الدحر ٧١/٢

المبعثرة وهذه الخلائق منها قائمة"¹، وللمعاني ذاتها التي ذكرها في الظلال قد تشير إليها صيغة المبني للمفعول، لأنها سبب في الاهتمام بمن ناب عن الفاعل وهو هنا الجار والمجرور "في الصور" فيكون من دلالاتها الاهتمام بمن خُصَّ الفعل به، وفي مشهدي الصعق والبعث تكون العناية بالنفخة أو بالصور، ولذلك وردت آيات النفخ في الصور كلها بصيغة المبني للمجهول، قال البقاعي: "ولما كان الهائل المفزع النفخ، لا لكونه من معين، بني للمفعول قوله: "ينفخ" أي من نافخ أذن الله له"² وجاء في التحرير: "ودل على تنامي العظمة بطريقة كلام القادرين في قراءة الباقيين بالياء مبينا للمجهول"³ فالصيغة دلت على سهولة النفخ ويسره وهوانه على الله سبحانه، ونهت إلى الاهتمام به وبصورة وقوعه، تقول بنت الشاطي رحمها الله تعالى: "اطراد هذه الظاهرة في موقف البعث والقيامة، ينبه إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة، وإجراءات الإعراب الشكلية: فبناء الفاعل للمجهول فيه تركيز الاهتمام على الحدث، بصرف النظر عن محدثه"⁴

جاء في النفخة الأولى أو نفخة الصعق والإماتة صيغتان: الأولى في قوله : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الزمر 68 وهي هنا بالزمن الماضي، والثانية في قوله : ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ ذَاخِرِينَ﴾ النمل 87 وهي بصيغة المضارع، والغرض منهما الموعظة بانقضاء الدنيا وسرعة فنائها، وفي النفخة الثانية جاء سبعة شواهد، فلم كان هذا التفاوت بعدد الصيغ فيما بين النفختين؟ لأن الموت

¹ في ظلال القرآن 3807/6

² نظم الدرر 299/8

³ التحرير والتنوير 45/5

⁴ إعراب الدياني للقرآن ومسائل ابن الأرق ص 243

معلوم وثابت في أذهان الناس لا شك عندهم فيه، فجاء في نفخة قبض الأرواح شاهدان، أما البعث فإنهم شكوا فيه وارتابوا بل كذبوا وجادلوا وتطاولوا على أنبيائهم في جحوده ونكرانه، فجاء سبعة شواهد لإثباته لهم، وهي بين المضارع والماضي، وصيغة "نفخ" وردت خمس مرات، أربع منها في النفخة الثانية، أي نفخة البعث والحشر ما يدل على تأكيد إحياء الموتى، والدليل أن "نُفِخَ" جاءت أكثر من "يُنْفَخُ" بصيغة واحدة، و"ينفخ" كما ذكرت جاء في سياق تكذيب الرسل، ففي الماضي تأكيد البعث، جعله بمنزلة المتحقق الواقع.

وفرق آخر كان في نفخة البعث والنشر، وهو في بيان تمام وكمال قدرته تعالى، ونفوذ سلطانه وإرادته في كونه تعالى أقامهم وابتعثهم بما أنامهم به وأماتهم، ولذلك كان يأتي بعد كل شاهد ما يدل على سرعة قيامهم من القبور، كما في قوله : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يس51 والنسلان هو سرعة المشي، قال الرازي: "أراد الله أن يبين كمال قدرته ونفوذ إرادته حيث "ينفخ في الصور، فيكون في وقته جمع وتركيب، وإحياء وقيام، وعدو في زمان واحد" ¹ ومثله : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ النبأ20 عبر عن انقيادهم إليه بالإتيان، ومثله : ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الزمر68 ومثله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ طه102

وهكذا كان في المادة ن ف خ صيغتان فعليتان في تسعة شواهد، أربعة منها في الزمن المضارع، وهي في غرض التفصيل والبيان لبعض أحوال وأهوال القيامة، تعظيماً للبعث، ولغرض الموعظة والحث على طاعته تعالى، وسياق الشواهد هنا الوصف لليوم الآخر، أما الصيغ في الزمن الماضي فسياقها

التكذيب، وهي في غرض بيان تمام قدرته تعالى، ونفوذ سلطانه في إمضاء أمره فيهم، وفي غرض تأكيد البعث والمبالغة في إثباته. وقد كان للنفخة الأولى صيغتان وهما في غرض الوعظ والتذكير بفناء الدنيا، أما النفخة الثانية ففيها سبعة شواهد وأتبع كل منها بما يدل على تنهاى قدرته تعالى، والصيغ جميعها بنيت للنائب لأجل الاهتمام بأحوال تنجم عن النفخ، وللموعظة والإنذار، وليدل على سهولته ويسره وهوانه على الله تعالى.

المبحث الثاني: البعث

البعث له معان مختلفة، والمقصود به هنا النشر والإحياء، قال الأصفهاني:
"أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، وهو ضربان: بشري كبعث الإنسان في
حاجة، وإلهي وذلك ضربان: أحدهما إيجاد الأعيان والأجناس والثاني:
الإحياء"¹ وجاء في الظلال "إن البعث إعادة لحياة كانت"²

والمادة بعث ثرية بصيغها، إذ تنوعت داخل الفعلية، إلى جانب الاسمية منها،
فالمضارع جاء على صور متعددة، تارة بنون المضارعة، أو بيائها، وتارة مبنيا
للفاعل أو للمفعول، وجاء مع الاسم في شاهدين اثنين، والباقي أضيف إلى
الضمير "هم" في حالة إثبات الفعل، أما في نفي البعث فقد كان الفعل مضافا إلى
واو الجماعة، وكان الرد عليه بالإثبات المؤكد فجاءت الصيغة "تبعثن"

أما الماضي من الصيغ فهو في شاهد واحد فقط، ثم جاء اسم المفعول
"مبعوثون" بين النفي والإثبات، وأخيرا حظي المصدر بصيغة واحدة فقط،
وفيما يلي عرض للشواهد وبيان للحكمة وراء هذا التعدد الكبير لصيغ المادة بعث.

في سورة النحل : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁸⁹

في سورة النحل : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ﴾⁸⁴

¹ معر دات، عريب القرآن 53/1
² في ظلال القرآن 181/5

في سورة الجن : ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ 7

في سورة الحج : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ 7

في سورة النحل : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 38

في سورة الأنعام : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ 36

في سورة المجادلة : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ 18

في سورة المجادلة : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَلْخَصَاءُ اللَّهُ وَنُسُوءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ 6

في سورة المؤمنون : ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ 100

في سورة المؤمنون : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ 16

في سورة التغابن : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ 7

في سورة يس : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ 52

في سورة المطففون : ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ 4

في سورة هود : ﴿وَلَمَّا قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ 7

في سورة المؤمنون : ﴿قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ 82

في سورة المؤمنون : (إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) 37

في سورة الحج : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ 5

ما كان بياء المضارعة "يبعث" فهو إما لإنكار البعث الشديد الذي لا تردد معه، والمبالغ فيه عن طريق استنفاد الجهد بالقسم عليه، ولذلك عدلوا عن كلمة الموتى إلى الاسم الموصول "لقصد إيدان الصلة بتعليل نفي البعث، فإن الصلة أقوى دلالة على التعليل من دلالة المشتق على عليه الاشتقاق" 1 مما ناسب المضارع تيقنهم بعدم البعث وإقسامهم عليه، متوهمين أن اضمحلال الأجساد ينافي إعادتها للحياة، ولذلك رد الله تعالى عليهم بإثبات بعثهم، وتحقيق وعده فأتى بكلمة "بلى" وأكد بالمصدر "وعداً"

أو الصيغة "يبعث" هي في استنكار مؤمني الجن لما ظنهم المكذبون من الجن والإنس من نفي لا تردد معه، وهو استنكار شديد منهم "لمجيء" أن "أي الشأن العظيم، وقال "لن" مؤكداً للدلالة على شدة إنكارهم لذلك، وأشاروا إلى خطأ هذا الظن بالتعبير بالجلالة فقالوا الله أي الذي له الإحاطة علماً وقدره" 2

وهو سر إسناد الصيغة إلى اسم الذات العلية "الله" لأن نفي البعث يؤدي إلى خلل في العلم والقدرة، ولأجله حف الشاهدان بدلائل العلم والقوة والاقتدار له جل وعلا.

كما جاءت الصيغة "يبعث" في إثبات البعث وهي بالمضارع، لأنه قال في السياق : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) الحج 1 فإنه أراد أن يثبت لهم فأتى بالصيغة الدالة على فعله في الأجل الذي قدره له، وهو في

1 التحرير والتوير 161/8

2 نظم الدرر 188/8

المستقبل، والصيغة دالة على الإيفاء بالوعد، وهو بعثهم، لأن السياق في حقبة إلهيته تعالى وفي قدرته على البعث، وأن ذلك سبب في خلق الناس وإحياء الأرض، كما قال قبل الشاهد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحج 6 جاء في الكشف: "أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم، وإحياء الأرض، مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطف حاصل بهذا، وهو السبب في حصوله، ولولاه لم يتصور كونه، وهو بأن الله هو الحق أي الثابت الموجود، وأنه قادر على إحياء الموتى، وعلى كل مقدور، وأنه حكيم لا يخلف ميعاده." ¹ وجعل الألوسي إثبات الساعة وإمكان البعث سببا في رحمته تعالى ورأفته بالعباد، وذلك بأن يستدلوا على وقوعهما بالخلق والإنشاء والإنبات، مما ناسب معنى التجدد في صيغة المضارع، لأن رحمته ليست ثابتة، بل هي واسعة تنتشر وتزداد، جاء في روح المعاني: "ليس المقصود من إتيان الساعة، وبعث من القبور تأثيرهما فيما ذكر من أفاعيله تعالى تأثير القدرة فيها، بل من حيث أن كلا منها بسبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة إلى ما ذكر من خلقهم ومن إحياء الأرض الميتة، ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما ويصدقوا بذلك، لينالوا السعادة الأبدية، ولولا ذلك لما فعل، بل لما خلق العالم رأسا" ²

وصيغة المضارع ناسبت معنى قياس إعادة المخلوقات بعد إيجادها من العدم، قال ابن عاشور: "الذي خلق الحياة بعد أن لم تكن فيها حياة، يمكنه فعل الحياة فيها بالأولى، وإذا كان كذلك علم أن ساعة فناء هذا العالم واقعة قياسا على انعدام المخلوقات بعد تكوينها، وعلم أن الله يعيدها قياسا على إيجاد النسل من

¹ تفسير الكشف 145/13

² روح المعاني 10/13

العدم"¹ ولأن في الإعادة تكرار، فهي تشمل المخلوقات جميعها، ولأجل تلك المعاني ورد وصفه تعالى بالقدير للمبالغة والتناهي بقدرته على كل شيء.

أما ما كان بنون المضارعة من الشواهد وهو "نَبَعْتُ" فهو في إنكار المعرضين لنعم الله بعد أن عرفوا أن مصدرها جميعا إله واحد، فكانت صيغة المضارع هنا للتحذير، أي حذر يا نبينا الكافرين بما سيحصل ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ النحل 84 فلا يقبل منها اعتذار أو توبة، ثم عاد سبحانه إلى أسلوب التحذير في الشاهد الثاني من السورة بقوله : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ النحل 89 أي حذر أيها النبي الكفار مما سيقع يوم نأتي من كل أمة بنبي يشهد عليها، أي حصل بين الشاهدين أنواع من التهديدات التي تمنع المكلفين عن الذنوب، وفيه استقصاء في شرح الوعيد والترهيب من النار، قال البقاعي: "ثم كرر التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد ما أفهمته الآية السالفة، وهو أن الشهادة تقع على الأمم لا لهم، وتكون بحضرتهم، فقال تعالى : "يوم" أي وخوفهم يوم "نبعث" أي بما لنا من العظمة في كل أمة من الأمم شهيدا عليهم"² فالغرض من المضارع هنا التخويف والإنذار بما سيحصل للكافرين بعد بعثهم، وقد استقصى سبحانه في المقام كل دواعي الحجة عليهم، من انتفاء الشفاعة والتوبة، وتبرؤ المعبودات منهم، ثم استسلامهم لقضاء الله تعالى. ولذلك أثبت القوة والعلم والاقتدار هنا عن طريق الإسناد إلى الضمير نون العظمة، بينما في الشاهدين السابقين أسند إلى الاسم لفظ الجلالة، لأنه حصل إنكار للبعث مؤكد بالحلف، واستنكار شديد من الجن على نفاة البعث، وزاد كما مر إحاطة الشاهدين بدلائل القدرة والعلم له سبحانه.

كما ورد إثبات البعث ببياء المضارعة مع الاسم الموصول في قوله : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ الحج 7

¹ النحرية والتنوير 239/9
² نظم الدرر 301/4

أما ما جاء ببياء المضارعة مضافا إلى الضمير "هم" فقد أراد سبحانه به أن يدل على تخصيصه بهدايتهم وتوفيقهم للإيمان، كما اختص بالقدرة على بعثهم، أو ليدل على استمرارهم في الكفر، وهنا شبههم بالموتى لعدم استجابتهم لدعوة التوحيد، قال أبو السعود: "في قوله "والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للإيمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور، وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم إقلاعهم عنه أصلا، وقيل بيان مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم، أي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم إليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبيون وأما قبل ذلك فلا سبيل إليه"¹ وصيغة المضارع "يبعثهم" جاءت في تعجبه تعالى من حلف المنافقين الكاذب في الآخرة، وهو عالم السر وأخفى، رغم عدم نفعهم بما أنذروا من قبل، جاء في الكشف: "المراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونتهم عليه، وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل"² ولذلك عقب بالجملة الاسمية مؤكدا تأصل الكذب فيهم، فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ المجادلة 18 وجاء ببياء المضارعة للتهويل على الكافرين والمنافقين بالتخلص به إلى وعيدهم مضمرًا بالفعل، أي اذكر "يوم يبعثهم" لغرض تعظيم ذلك اليوم إذ يخبرهم عن أعمالهم كلها تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم، يمتنون عنده المسارعة بهم إلى النار، لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد"³ إذن فائدة جمع الضمير المضاف في الشواهد الثلاثة هنا هي تشبيه جهلهم بموتهم، وإقتضاح أمر المنافقين في الآخرة، والتهويل والوعيد لهم وللكافرين، وهو جميعا لإثبات البعث، أما الأفراد فهو في نفيه وإثباته وفرق آخر هو أفراد في الاسم وليس في الضمير.

¹ تفسير أبي المعود 130/3

² تفسير الكشف 495/4

³ المرجع نفسه 488/4

أما المضارع المبني للمفعول فهو في أربعة شواهد، أحدها منفي: "بلن" وقد عبر عن نفيهم البعث بالزعم، فهم كاذبون وإن كانوا موقنين بما يدعون، لأن الزعم مطية الكذب، فجاؤوا بـ "الن" والفعل المبني للمجهول "يبعثون" ليدل على نفي من أي باعث كان، مبالغة منهم بالتكذيب، ولذلك علم الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - الرد عليهم بقوله: "قل بلى، مكتفياً بذلك لأنه أشار إلى الدليل القطعي على وجوب البعث في السياق، ثم أكد بصريح القسم فقال: ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾¹ التغابن 7 مشيراً بالبناء للمفعول إلى أنه يكون على وجه القهر لهم بأهون شيء وأيسر أمر"² لقد بالغ في إخباره عن البعث مؤكداً باللام والنون لأنهم أنكروا باستكبار أن يكون الرسول بشراً، فكأنه جاء بقسم بعده قسم وذلك "لينقض نفيهم بأشد منه، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن يبلغهم عن الله أن البعث واقع وخاطبهم بذلك تسجيلاً عليهم أن لا يقولوا ما بلغناه ذلك"³ ثم قال بعد الشاهد: ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾⁴ أي الشأن العظيم عندكم من بعثكم وحسابكم على الله هين يسير.

أما المضارع "يبعثون" فهو دال على استمرار مكوثهم في البرزخ، والبناء للمفعول للدلالة على سهولته وهوانه، قال البقاعي: "أي من خلفهم ومن أمامهم "برزخ" محيط بهم، أي حاجز "بين ما هو فيه وبين الدنيا والقيامة، مستمر لا يقدر أحد على رفعه إلى يوم يبعثون" أي تجدد بعثهم بأيسر أمر وأخفه وأهونه"³ وفيه ردع وتحسير لمن تسلط عليه الندم، وإقتاط المكذبين من الرجوع إلى الدنيا أثناء احتضارهم، فهم في برزخ إلى يوم القيامة: جاء في الكشف: "أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث، وهو إقتاط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة"⁴

¹ نظم الدرر 29/9
² التحرير والتنوير 271/28
³ نظم الدرر 430/5
⁴ تفسير الكشف 303/3

أما المضارع "تبعثون" فإنه نقص عن التوكيد وإن لم يخل منه، إيدانا بظهوره، لأن السياق يبين بإحكام ودقة خلق الإنسان في أطوار لا يترك بعدها عبثاً دون عودة الحياة إليه لأجل الجزاء، فأكد الموت بقوله : (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ) المؤمنون 15 بالنعت الثابت للدلالة على تمادي الغافلين عنه فصاروا كالمنكرين له، أو لكراهيتهم إياه، ولم يؤكد ما أنكروه، فلم يقل: "لتبعثون" فما الحكمة وراء ذلك؟ قال الإمام الشعراوي: "لما غفلوا عن الموت رغم وضوحه، كانوا كالمكذبين به المنكرين له لذلك أكد عليه، أما البعث والقيامة، فأدلتها أوضح من أن يقف العقل فيها أو ينكرها، لذلك أطلقها إطلاقاً دون مبالغة في التوكيد"¹

وفي الصيغة التفتات من الغيبة تنبيهها إلى المقصود الأهم من خلق الإنسان وبعثه وهو الجزاء فهو الغاية من جمع فتاته المتلاشية في أجزاء الأرض، قال الألوسي: "إن أجزاء الإنسان عينها المتفرقة في أقطار الشروق والغروب تبعث وتنشر ليوم الجزاء لإثابة من أحسن فيما كلفناه به، وعقاب من أساء فيه، ومنه يعلم سر نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب"² ومن أسرار الالتفات إلى الخطاب مناسبتة للتعريض بتخويف المكذبين، قال ابن عاشور: "نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات، ونكتته هنا أن المقصود التذكير بالموت وما بعده على وجه التعريض بالتخويف وإنما يناسبه الخطاب"³

أما الماضي "بعثنا" فقد جاء ضمن استئناف بياني بعد حكاية إنكار المكذبين للبعث ومعابنتهم لأهواله، مما يثير لدى السامع سؤال عن قولهم عندما رأوا ما أنذروا به حقاً واقعاً، أي الصيغة كانت في التندم، لأنهم لما وقعوا فيما أعد لهم من العذاب قالوا متحسرين : (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ

¹ تفسير الشعراوي - الخواطر محمد متولي الشعراوي 9985/16 ت 1418 هـ مطابع أخبار اليوم ، بنظر البرهان في علوم القرآن

391\2

² روح المعاني 181/13

³ التحرير والتنوير 342/9

الرَّحْمَانُ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلُونَ) يس 52 : "إتباعا لحكاية ما قبله بصيغة المضى لتحقيق الوقوع، ولما كان البعث عندهم محالا كنوا عن التعجب من حصوله بالتعجب من فاعله، لأن الأفعال الغريبة تتوجه العقول إلى معرفة فاعلها، لأنهم لما بعثوا وأزجى بهم إلى العذاب علموا أنه بعث فعله من أراد تعذيبهم"¹ ومنه علم سر الإسناد مع ما حققه المضى من تحسر وتندم.

أما الصيغ الاسمية فإن اسم المفعول شغل أربعة شواهد منها، اشتركت بأن الاهتمام فيها حاصل بأجسادهم وهياكلهم أن يخرجها باعث ما، وسياقها التعجب والإنكار وهو على صورتين، الأولى: التعجب من الذين يخسئون الناس حقوقهم في البيع، فقال : (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ) المطففين 4 أي إن التطفيف يجمع اللؤم والظلم والاختلاس، وهي صفات من لم يتوقع بعثا وجزاء "فإن من ظن لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن تيقنه وفيه إنكار وتعجب من حالهم"² فالسياق مهتم بهم أو بنواتهم، فقد أظهر محل الإضممار اسم الإشارة "أولئك" إيدانا في ذمهم وتمييزهم بالتطفيف، ثم قال : (لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) أتى بلام التوقيت ليدحض حجتهم في إنكار البعث وهي أن لو كان هناك بعث، لبعث موتى القرون الماضية، فأعلمهم أن الساعة لها وقت معين وأجل لا يخلف. فالصيغة اسم المفعول "مبعوثون" ناسبت الحديث عنهم وعن الأموات الذين كانوا قبلهم، ومثله ما كان في الشاهد من سورة هود فإنه سبحانه عجب من إنكارهم البعث، بعد أن أثبت في السياق أن بيده الأمور كلها، وأنه قادر على إعادتهم، وأن الحكمة في خلقهم هي الابتلاء ثم يعقبه الجزاء، فأنت الصيغة تتحدث عنهم، فقال : (وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ) هود 7 أي بعثكم مؤكدا ثبت ثبوتا قطعيا، وقال الزمخشري: "توقعوا الموت وظنوه، ولا

¹ التحرير والتوير 37/23
² تفسير البيضاوي 294/5

تَبَيَّنوا القول بإنكاره"¹ أما الصورة الثانية في التعجب والإنكار فهي في نفي البعث وقد ارتبطت بالاستكبار والاعتراض بأن يكون الرسول بشرا مثلهم، كما ارتبط النفي بمعنى الوعد ففي الشاهدين من سورة المؤمنون ذكر في سياقيهما قوله قبل الأول: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ المؤمنون 35 وقال بعد الشاهد الثاني: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ 83 وهو كما حدث في الصيغة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ الدخان 35 ارتبط اسم المفعول فيها بالوعد إذ وعدوا بحياة أخرى بعد موتهم، فلزوم الصفة في اسم المفعول أفادت المبالغة في النفي كما أفادته في الإثبات في الشاهدين السابقين، مما ناسب استفهامهم التعجبي أو سؤالهم على وجه التكذيب، وتثنية "أنكم" للتوكيد، وتكرار الاسم "هيهات" للاستبعاد وقصرهم الحياة على الأولى، وإتيانهم بالجملة الاسمية لتقوية حجتهم وقد زوّد الخبر فيها بالباء "بمبعوثين"، كما زود بالشاهد الثاني باللام "لمبعوثون" والتأكيد جاء كذلك في الإثبات لأن المقصود من الظن والتوقع هو العلم القطعي.

والصيغة الأخيرة للمادة ب ع ث هي في المصدر وهي في سورة الحج في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ...﴾ الحج 5

لماذا كان المصدر هنا؟ لأنه أنذر قبل الشاهد بالساعة، وحذر منها تحذيرا صادقا شديدا، جاعلا أمرها مجهولا للتهويل.. وبعده خاطب الناس مرة أخرى بالاستدلال على تنظير البعث وإمكانه، بأمر أعظم منه، وهو خلقهم ونشأتهم، بعد هذا كله لا ينبغي للناس أن يكون لديهم أدنى شك بالبعث وليس أنسب من صيغة المصدر في هذا المقام، قال البقاعي: "أقبل عليهم سبحانه إقبالا ثانيا رحمة

¹ تفسير الكشاف 381/2

لهم، منبها على أنه ينبغي أن لا يكون عندهم نوع من الشك في ذلك اليوم لما عليه من الآيات في الأفاق وفي أنفسهم، وعبر بأداة الشك إشارة إلى أن الذي يقتضيه الحال جزمهم به، وبين أن ما عبر به إلا للتوبيخ، لا للشك في أمرهم، بجعل الشرط ماضيا¹ فضرورة المصدر هنا الاهتمام بالحدث لأن السياق في الاستدلال على إمكان البعث بالخلق والإبداء ما يقتضي الجزم واليقين به ولكنه جعل المنكرين له في منزلة من لم يتحقق شكه، رغم ملابتهم الريب وتمكنه منهم، والاهتمام بالحدث لأجل إثبات القدرة لله على إحياء الموتى، ولإثبات صفات له كانوا قد جادلوا فيها تطاولا منهم واتباعا لخطوات الشيطان.

كان في المادة ب ع ث ثماني عشرة صيغة، منها ثلاث عشرة صيغة فعلية، وهي في الزمن المضارع إلا صيغة ماضية واحدة، وهي "بعثنا" وسياقها التكذيب، وهي في غرض التندم، والتحسر، والتعجب من قدرة باعثهم، والمضي فيها كان لتحقق بعثهم وثبوته.

أما المضارع فقد تعددت هيئاته، وعددها اثنتا عشرة، منها ثماني صيغ مبنية للفاعل، وأربع أخرى مبنية للمفعول.

صور المبني للفاعل هي: ما كان بنون المضارعة، وهما شاهدان، وسياقهما الإعراض عن الدين، والإنكار لنعمه تعالى، وهما في غرض التحذير والتخويف والإنذار بما سيحصل لهم بعد بعثهم.

وجاء بياء المضارعة ثلاث صيغ: "يبعث" الأولى: في الإنكار الشديد المبالغ فيه الذي لا تردد معه، مما ناسب المضارع يثبثهم بعدم البعث وإقسامهم عليه.

و"يبعث" الثانية: في الاستنكار الشديد من مؤمني الجن لما ظنه المكذبون من نفي مبالغ فيه.

و"يبعث" الثالثة: في حقبة إلهيته تعالى، وحقبة قدرته على كل شيء، والغرض الدلالة على إيفاء وعده بإعادة الخلق، وإثباته للمنكرين، والدلالة على حكمته البالغة في تحقيق رحمته من خلال الاستدلال على البعث بالخلق والإنشاء، والإيمان بعد ذلك والتصديق به، ثم النجاة في اليوم الآخر.

أما ما جاء بياء المضارعة، وقد أضيف إليه الضمير "هم" وعدده ثلاث صيغ، فهو في غرض التدليل على تخصيصه تعالى بهدايتهم، كما اختص بقدرته على إحيائهم، أو لتشبيه جهلهم بموتهم، أو لفضح المنافقين وللهويل عليهم وعلى الكافرين.

أما المضارع المبني للمفعول فقد جاء فيه أربع صيغ، ورد أحدها منفي بـ "لن" ضمن تكذيب مبالغ فيه، وكان الرد عليه بأشد من نفيتهم، فجاء بالقسم في الصيغة "لتبعثن" وجاء المبني للمفعول للدلالة على استمرار مكوثهم في البرزخ إلى يوم الدين، وللردع والإقناط من عودتهم إلى الدنيا، وكانت الصيغة الرابعة "تبعثن" ناقصة عن التوكيد إذانا بظهور البعث ووضوحه وثبوت أدلته، وفيها حصل التفات من الغيبة إلى الخطاب للتعريض بترهيب المكذبين، وللتنبيه إلى الغاية من خلق الإنسان وموته وبعثه وهي الجزاء. كما أن الغرض المشترك لجميع الصيغ هو سهولة أمر بعثهم وهوانه عليه تعالى.

أما الصيغ الاسمية فهي خمس، منها أربع باسم المفعول، وهي في غرض الاهتمام بشخوص المكذبين وهياكلهم أن يخرجها باعث ما، وسياقها جميعا التعجب والإنكار، وهو على صورتين: الأولى: في إثبات البعث، وهو إنكار تعجب متعلق بالله تعالى من حال المطففين، وهو حال من لا يتوقع حسابا أو جزاء، فالصيغة تثبت بعثهم ومن كان قبلهم، والصورة الثانية هي: في نفي البعث، وقد ارتبط التعجب والإنكار بالاستكبار والاعتراض بأن يكون الرسول

بشرا، وقد أفاد لزوم الصفة في اسم المفعول المبالغة في النفي كما أفاده في الإثبات.

وجاءت صيغة واحدة في المصدر، وهو في غرض الجزم والقطع واليقين بالبعث عن طريق الاهتمام بالحدث الذي نبه إليه المصدر، ولأن سياقه كان في الاستدلال على تنظير بعثهم بخلقهم، وهو أمر أعظم منه، وكان في التحذير الشديد من أهوال الساعة.

كان في نفي البعث من بين الشواهد التسعة عشرة، خمس صيغ فقط، وثلاث عشرة صيغة باقية شغلت في إثبات البعث والقطع في وقوعه، ضمن أساليب متعددة، أي إن القرآن اهتم عبر المادة ب ع ث في قضية الإثبات للبعث، وإن كان رده على نفيه أشد منه وأبلغ، ما يدل على أن الأصل هو التصديق والإيمان بوقوع البعث، لوضوح أدلته وظهورها والتي تكرر ذكرها في القرآن، ولذلك جاء بالإنكار التعجبي : ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ المطففون 4 وفي قوله : ﴿وَأَنَّهُمْ ظُنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَّنْ يَبْعَثَ ٱللَّهُ ٱحْدَٱلْجَن 7 وجاء بلفظ الزعم وهو مطية الكذب عند إنكارهم للبعث.

المبحث الثالث: النشور

النشر هو البعث والإحياء، جاء في لسان العرب: "نشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورًا وأنشره، فنشر الميت لا غير أحياء، ونشرهم الله أي بعثهم"¹ وقال الراغب: "نشر الله الميت وأنشره بمعنى، والحقيقة أن نشر الله الميت مستعار من نشر الثوب أي بسطه"² وقال ابن عاشور: "أنشره بعثه من الأرض، وأصل النشر إخراج الشيء المخبأ، يقال نشر الثوب إذا زال طيه، ونشر الصحيفة ليقرأها، وأما الإنشاء بالهمز فهو خاص بإخراج الميت من الأرض حيا وهو البعث"³

في المادة ن ش ر صيغتان فعليتان، الأولى في الزمن المضارع "ينشرون" والثانية في الزمن الماضي "أنشره" وصيغتان اسميتان، الأولى اسم المفعول "منشورين" والثانية وهي المصدر "نشورا" وهو في أربعة شواهد، اثنان في التعريف وآخران في التنكير.

في سورة الأنبياء : ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يَنْشُرُونَ﴾²¹

في سورة عبس : ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾²²

في سورة الدخان : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥)﴾³⁵

في سورة فاطر : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾⁹

¹ لسان العرب 206/5
² مفردات غريب القرآن 492/1
³ التحرير والتنوير 126/30

في سورة الملك : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ 15

في سورة الفرقان : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ 3

في سور الفرقان : ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً أَلَمَّمْ يَكُونُوا يَرُوتُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ 40

الصيغة "ينشرون" سياقها اتخاذ المكذبين آلهة من الأرض يعبدونها، وقد أبدع سبحانه في إلزامهم الحجة إذ أنزلهم منزلة من يعترف بوقوع البعث، ويدعي أن الأصنام تبعث الموتى، فقال في استفهام استنكاري ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الأنبياء 21 فصيغة المضارع جاءت صفة للآلهة واقتربت بضمير الفصل لإفادة تخصيص نشر الأموات بها، وهو دأبها وشأنها المستمر على ما يفيد المضارع من تجدد وتكرار "وهذا مسوق للتهكم وإدماج لإثبات البعث بطريقة سوق المعلوم مساق غيره المسمى بتجاهل البعاف، إذ أبرز تكذيبهم بالبعث في صورة تكذيبهم استطاعة الله ذلك وعجزه عنه، أي أن الأولى بالقدرة على البعث شركاؤهم فكأن وقوع البعث أمر لا ينبغي النزاع فيه فإن نازع فيه المنازعون فإنما ينازعون في نسبته إلى الله، ويدعون بذلك نسبته إلى شركائهم فأنكرت عليهم هذه النسبة على هذه الطريقة المفعممة بالنكت" 1

وتكرر مثل هذا في القرآن كما في قوله : ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْعَثُونَ﴾ النحل 21

أما الماضي "أنشره" فقد ورد ضمن المراتب الثلاث التي تعرض للإنسان بعد خلقه وهي الإمامة والإقبار والإنشاء، والصيغة لها أغراض متعددة، منها: بيان

عظيم اقتدار الله وشديد امتنانه على الإنسان، وبيان حقارة الأحوال التي تطرأ عليه من ابتدائه إلى انتهائه، وهوانها عليه سبحانه، فجاءت الصيغة "أنشره" لدى تعجبه تعالى من إفراط المكذب في كفران نعمه عليه، فدعا عليه بأشنع ما تدعو به العرب وهو القتل، وفي هذا السياق يذكر سبحانه كل أنواع النعم من الخلق والإماتة، والإقبار، والإنشاء وفي كل نوافع، قال البيضاوي: "عد الإماتة والإقبار في النعم، لأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية والذات الخالصة، والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي "إذا شاء" إشعار بأن وقت النشور غير متعين في نفسه، وإنما هو موكول إلى مشيئته تعالى" ¹ كما أفادت الصيغة أن البعث له وقت موكول إلى مشيئة الله، فهي تفيد في الرد على المشركين إذ توهموا في عدم تعجيل البعث دليل على نفي حدوثه في المستقبل، فيكون المعنى: ينشره الله حين يشاء أن ينشره، قال ابن عاشور: "في العبارة "إذا شاء" رد لشبهتهم إذ كانوا يطلبون تعجيل البعث تحدياً وتهكماً ليجعلوا عدم الاستجابة بتعجيله دليلاً على أنه لا يكون، فأعلمهم الله أنه يقع عندما يشاء الله وقوعه لا في الوقت الذي يسألونه لأنه موكول إلى حكمة الله، واستفادة إبطال قولهم من طريق الكناية" ²

أما الصيغة الاسمية: بمنشرين" فهي في اصرار كفار قريش على الضلالة، وجاءت اسمية لأنهم وعدوا بموتة يأتي بعدها حياة وإنشار كما كانوا أمواتاً قبل إنسانهم، فكان نفيهم مبالغاً فيه فقالوا: (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) ³ أي نفياً للبعث بالجملة الاسمية للتصريح والتأكيد بمفهوم القصد الذي أتوا به منكرين الحياة بعد موتهم أي ما يطرأ عليهم من حياة، لأن لهم طرق في نكران البعث حسبما يندرون أو حسب أسلوب إلزامهم الحجة، فهنا نفوا عن أنفسهم النشر، لأنهم أنذروا ووعدوا ببعثهم، يقول ابن عاشور: "هذا

¹ تفسير البيضاوي 287/5

² التحرير والتنوير 126/30

كلام من كلماتهم في إنكاره البعث، فإن لهم كلمات في ذلك، فتارة ينفون أن تكون بعد الموت حياة، وتارة ينفون أن يطرأ عليهم بعد الموت المعروفة شيء غيرها، فلهم في نفي الحياة بعد الموت أفاتين من أقوال الجحود¹

واسم المفعول "بمنشرين" أفاد معنى حصول البعث من أي باعث كان، قال البقاعي: "أكدوا النفي فقالوا: "بمنشرين" أي من منشر ما بالبعث بحيث نصير ذوي حركة اختيارية ننشر بها بعد الموت"²

ثم أتوا بحجة أخرى على نفي البعث بأن من مات من السابقين لم يرجع منهم أحد إلى الدنيا، قالوا: ﴿فَأْتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الدخان 36 تعجز منهم وسفسة لأن من مات لا يرجع حيا في الدنيا.

أما المصدر "النشور" فالتعريف فيه جاء في إثبات البعث، وهو تعريف الجنس فيشمل كل نشور، وجاء مرة مع "إليه" وهو في الشاهد في سورة الملك في سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى وعلمه، وفي إدماج الامتتان بخلقه الأرض وتسخيرها للإنسان، فكان الأنسب هنا ذكر العودة إليها بعد إذ خلقوا منها، وإخراج رزقهم منها، فجاء الاسم "النشور" وقدم الجار عليه للاهتمام، أما المصدر في سورة فاطر فهو للتشبيه والتدليل على صحة اقتداره تعالى على البعث، كما اقتدر على إحياء الأرض الموات بسوق السحاب الثقال إليها وفي التدليل على حقيقة البعث وصحة وقوعه واختصاصه تعالى بالقدرة عليه، قال البيضاوي: "أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية، إذ ليس

¹ التحرير والتنوير 126/30

² نظم الدرر 8/8

بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها"¹ وقال
الآلوسي: "كذلك" النشور" في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية"²

أما في الشاهد الأول فإنه زاد في الإثبات أسلوب قصر القلب أي إن الله جعلهم
بمنزلة من يعتقد أن الأصنام خلقت الكون، لأنهم اعتقدوا إلهيتها فألزمهم
سبحانه بهذا الظن الباطل، وقصر القلب حدث في قوله : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا) الملك 15 ثم أتى بالمصدر المعرف وقدم الجار "إليه"

أما ما نكر من المصدر وهو في شاهدين من سورة الفرقان فهو في إثبات
التوحيد والنبوة عن طريق نفي القدرة والخلق والإماتة والإحياء عن الآلهة، أو
إثبات صفات في الألوهية عن طريق نفيها عن الآلهة. وهو من أسرار التنكير،
أي لا يقدر على أي نشور كان، قال الإمام البيضاوي: "لا تستطيع آلهتهم دفع
ضرر، أو جلب نفع، ولا يملكون موتاً ولا حياة، ولا نشوراً، ولا يملكون إماتة
أحد وإحياءه أولاً وبعثه ثانياً، ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية لعرائه عن
لوازمها واتصافه بما يناقضها، وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على
البعث والجزاء"³

والتنكير جاء في عدم نفع المكذبين من الموعظة، فهم لجحودهم وكفرهم لا
يتوقعون نشراً بعد اضمحلال أجسادهم في شروق الأرض ومغاربها.

كان النصيب الأوفى للمادة ن ش ر في المصدر إذ بلغ أربعة شواهد، إثتان
بالتعريف وسياقهما الاستدلال على قدرة الله تعالى، والإدماج في الامتنان بين
تسخير الكون للإنسان وبين نشوره لأجل الجزاء، والنعيم الخالص، والتعريف

¹ تفسير البوصايي 117/4

² روح المعاني 357/16

³ تفسير البوصايي 117/4

كان للتشبيه بين إحياء الأرض الموات وبين بعث الأرواح في الأجساد الفانية، أي للبرهان على حقيقة البعث وصحة مقدوريته تعالى في تنفيذه، فالتعريف جاء في إثبات البعث، وقد زود بأساليب مؤكدة كالقصر والتقديم..

أما التذكير فهو في إثبات صفات في الألوهية عن طريق نفيها عن الآلهة، وجاء كذلك في عدم النفع من الموعظة بمرور الجاحدين المتكرر على "سدوم" قرية لوط - عليه السلام- المهلكين فيها، فهم لا يتعظون، ولا يأملون، ولا يتوقعون أي نشور لهم.

وللمادة صيغتان فعليتان، الأولى مضارعية وهي "ينشرون" وفيها أدمج التهم بإثبات البعث، عن طريق إثبات القدرة لألهتهم، ثم التوقع منها إنشاء الموتى، أي أن صيغة المضارع "ينشرون" صفة للآلهة. وصيغة ماضوية وهي "أنشروه" أراد بها الله سبحانه إثبات المشيئة والقدرة والامتنان على عبده، والرد لشبهة المنكرين في جحودهم البعث.

وصيغة اسمية جاءت ضمن الإنكار المبالغ فيه، إذ وعد المنكرون بحياة تقع لهم بعد موتهم، فكان ردهم ونفيهم بقول يختص بهم هم، فقالوا : (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) الدخان 35 وباسم المفعول والذي أفاد نشرًا لا يقصد فيه تحديد الناشر إمعانًا وتماديًا في التكذيب.

الفرق بين البعث والنشر

زادت شواهد البعث على شواهد النشر بأحد عشر شاهداً، ولعل السبب أن العرب استعملته في إحياء الموتى أكثر من لفظ الإنشار، والفرق الآخر أن الصيغ الفعلية في المادة ن ش ر اثنتان فقط وهي "ينشرون" وهي في إثبات البعث وغرضها التهمك بالمكذبين، والثانية "أنشروه" وغرضها إطلاق المشينة لله في تحقق البعث. ونسبة الصيغ الاسمية فيها خمس من سبع، أما في المادة ب ع ث فهي خمس من تسع عشرة، في المصدر صيغة واحدة وأربع صيغ في اسم المفعول، وعلى العكس في المادة ن ش ر ففي المصدر أربع صيغ، وفي اسم المفعول صيغة واحدة، وهي في الإنكار المبالغ فيه، أما اسم المفعول "مبعوثون" فهو في الإثبات والنفي وسياقه التعجب والإنكار للبعث، أو التعجب والاستنكار على المكذبين، والغرض واحد في المادتين، وهو الاهتمام بشخص المكذبين وهياكلهم أن يخرجها باعث أو ناشر ما، سيما ارتباط اسم المفعول في جميع سياقات النفي بالوعد، أما المصدر "البعث" فهو في الإثبات، أو في غرض الجزم والقطع واليقين بالإعادة والإنشار، وسياقه الاستدلال على تنظير بعثهم بخلقهم، أما المصدر المعرف "النشور" فالشاهدان في الإثبات كذلك وقد أكد بالقصر والتقديم وسياقهما تشبيه إنشار الموتى بإحياء الأرض الموت، وجاء التنكير في إثبات صفات في الألوهية عن طريق نفيها عن الآلهة.

المبحث الرابع: خروج الناس من الأجداث

تنوعت هيئات المادة خ ر ج بين الصفة والفعل والفعل جاء على نوعين: اللازم وهو في ثلاثة شواهد: إثنان منها للغائب "يخرجون" وفعل واحد للمخاطب "تخرجون" والفعل المتعدي أو المبني للمفعول "تخرجون" وهو في ثلاثة شواهد، وجاء بياء المضارعة صيغة واحدة مع المصدر وهي "يخرجكم إخراجاً" وبنون المضارعة صيغة أخرى وهي "تخرج" أما الجملة الاسمية فقد جاءت في شاهدين مع اسم المفعول "مخرجون" وفي شاهدين آخرين مع المصدر "الخروج".

في سورة الروم : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ 25

في سورة المعارج : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ 43

في سورة القمر : ﴿خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ 7
في سورة الأعراف : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ 57

في سورة نوح : ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ 18

في سورة الأعراف : ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ 25

في سورة الروم : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْبِئُ الْأَرْضَ بِغَدٍ مَّوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ 19

في سورة الزخرف : ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مِّثْنًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ 11

في المؤمنون : ﴿وَلَمَّا أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِمَّنْ لَكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥)

في سورة النمل : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنْبَا لَمُخْرَجُونَ﴾ 67

في سورة ق : ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (١٠) رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مِّثْنًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)

في سورة ق : ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ 42

اشترك الشاهدان من سورتي القمر والمعارج في بناء الصيغة، وهو المضارع المبني للفاعل الغائب "يخرجون" وفي تلبية الذين كفروا الداعي عند قيام الساعة، وفي إعراضه - صلى الله عليه وسلم- عن المكذبين، وفي وصفهم أثناء بعثهم بالذل والخشوع، إلا أنه لكل من الشاهدين دواع منفردة حسب المعاني التي في السورتين، أما الشاهد من سورة المعارج فسياقه سخرية مشركي قريش من شأن الجنة والبعث، فقال : ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ 42 فصيغة المضارع "يخرجون" ناسبت معنى التفاعل في لفظ "يلاقوا" فإنه عبر بالملاقاة لأن وعد الآخرة لا بد من وقوعه فكانه قادم على الناس وهم ساعون بجهدهم إليه، وفيه معنى الاستمرار أي يسعون إلى لقاء الآخرة.

وناسبت الصيغة معنى الإسراع والعجلة، كما قال : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصُوبٍ يُوفِضُونَ﴾ المعارج 43 فهم كانوا يسرعون إلى أنصابتهم فيعبودونها، وكان عقابهم على مثل حالهم في عبادتها، أي يسارعون من القبور

كمن هو ذاهب إلى أمر يسره تهكما بهم، منكسرين متواضعين لما حل بهم من صغار وذل، قال البقاعي: "يوفضون أي يسرعون ويعجلون عجلة من هو ذاهب إلى ما يسره حتى كأنه يطرد إليه كما كانوا يسرعون إلى أنصابتهم"¹ ولهذا عبر عن الأبصار بالاسم، فقال: "خاشعة" لتفيد معنى الدوام، وجعل في آخره علامة التأنيث ليزيد معنى انكسارها وتواضعها، وقال بالمضارع "ترهقهم" ليدل على أن ذلهم كان يزيد ويتجدد، فهم كانوا يسألون سؤال استهزاء واستبعاد عن عذاب الآخرة، وكانوا يتعززون بالباطل على الحق، فأذلهم في الآخرة على شاكلة جريمتهم التي كانت تتكرر منهم وتتجدد، وعبر عنها في قوله: (فَذَرَهُمْ يَخْوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ) المعارج 42

أما في سورة القمر فإن بالإعراض عن المكذبين وعيد لهم، في قوله: (فَقَوْلُ عَنَّهُمْ) 6 مما يثير تساؤلا عن مصيرهم ومجمل الوعيد الذي ينتظرهم، مما ناسب مجي المضارع المبني للفاعل الغائب، لأنه يصف حالهم أثناء خروجهم من الأجداث، ولمناسبة استمرارهم في الإعراض عن الذكر، ولمعنى تواصل الآيات وتتابعها، في قوله: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) 2 ولمعنى الاستمرار في الاتهام الذي وجهوه إلى الآية الخارقة، فكلمة "مستمر" تعنى متكرر معهود من نبيهم الإتيان بمثلها، ومناسب لنفي نفع النذر، فإنه كلما رأوا آية تدل على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - طعنوا فيها ولم ينفعهم النذر بها.

ومناسب لمعنى استقرار كل أمر، يعني هذا أن الأهواء كانت تتجاذبهم فيضطربون رغم ما جاءهم من أنباء كونية أو أنباء مصارع المكذبين قبلهم، أو أنباء الساعة، ومناسب لمعنى الإسراع والانتشار، إذ لم يعتبروا ولم ينتفعوا بما كان ثابتا مستقرا في الكون، ناسب وصفهم بالجراد المنتشر الذي نلمح في

حركته السرعة والانتشار والاضطراب، ولهذا جاء بصيغة المبالغة هنا "خشعا" لما فيها من تجدد الذل والانكسار، ذكر ابن عاشور: "أي ذليلة أبصارهم ينظرون من طرف خفي لا تثبت أحداقهم في وجوه الناس، وهي نظرة الخائف المفتضح، وهو كناية لأن دلة الدليل، وعزة العزيز تظهران في عيونهما"¹ فلشدة خوفهم شبههم بالجراد المنتشر، وهذا التشبيه يفيد التحرك، وكثرة أعداد الناس، وأنهم يستتر بعضهم ببعض، وقال "مهطعين" أي لذرهم يمشون سريعا مادين أعناقهم غير ملتفتين إلى شيء، فالشاهدان بصيغة الغائب هما في العذاب والعقاب، مما يعنى أن في ضمير الغيبة امتهان للمكذبين المعرضين عن الذكر.

أما الشاهد بضمير المخاطب، فسياقه إثبات القدرة لله تعالى في الخلق واختلاف الآيات والألوان والألسن، فإنه إذا دعا الناس للخروج عليهم حينئذ الامتثال لأوامره والاستجابة، ولابد من صيغة يتوفر فيها معنى الإرادة، فكانت بالبناء للفاعل، ولما كان الكلام عن البعث وعن حدث مترتب بعد انتهاء أجل قيام السماء والأرض، جاءت الصيغة بالمضارع، قال أبو السعود: "إذا أنتم تخرجون: كلام مسوق للإخبار بوقوع البعث، ووجوده، بعد انقضاء أجل قيام السماوات والأرض، مترتب على آياته الدالة عليه"² وأما الخطاب في الصيغة فلأنه قال: "ثم إذا دعاكم، ولأن الآيات المعجزات وُجِّهَتْ بصيغة المخاطب، اشترك في الشواهد الثلاثة البناء للفاعل، لأنه في الاستجابة للداعي والامتثال لأمر الله، فنسب الفعل إلى العباد، إلا أن الفرق في الخطاب هو سياق الرحمة وإثبات القدرة والحكمة لله وتسخير الكون للإنسان، إذن فائدة الضمير هنا إظهار عظيم امتنان الله تعالى على المخاطبين العباد، أما ضمير الغيبة فهو في العذاب والهلاك، ولم ينسب دعوتهم إلى نفسه فقال: (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) القمر 6 وكان بضمير الغائب لأجل الإهانة والتهكم بالمكذبين المعرضين عن الذكر.

¹ التحرير والتنوير 171/27

² تفسير أبي السعود 58/7

أما قوله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف 57 فسياقه التمثيل لإخراج الموتى من القبور بإرسال الرياح، وإخراج الثمرات، والصيغة وردت بنون المضارعة لإثبات القدرة والعظمة لله برد النفوس إلى أبدان الموتى، قال أبو السعود: "أي كما نحي البلد الميت بإحداث القوة النامية فيه، وتطريتها بأنواع الثمرات نخرج الموتى عن الأحداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها، بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس"¹ ولأن الشاهد عطف على ما قبله من آيات كونية دالة على التكرار والاستمرار، كذلك إخراج الموتى فهو يقع على كل الخلاق، وهو تكرار للحدث حتى يشمل الأموات جميعهم، وإن أخرجوا دفعة واحدة، وربما يقصد بالشاهد الخبر لا التمثيل، كما في المحرر الوجيز: "يحتمل أن يراد أن هكذا بالأموات من نزول المطر عليهم حتى يحيوا به فيكون الكلام خبراً لا مثلاً"² والخبر هنا لأمر مستقبل فجاء بالمضارع.

ولدلالة الصيغة على تقريب ما استبعدوه من إحياء الموتى، قال ابن عاشور: "كذلك نخرج الموتى: جملة معترضة استطرادا للموعظة، والاستدلال على تقريب البعث الذي يستبعدونه"³

ولدور الصيغة في إثبات القياس في إقامة الحجة على منكري البعث، جاء في بحر العلوم: "في هذه الآية إثبات القياس، وهو رد المختلف فيه إلى المتفق عليه، لأنهم كانوا متفقين أن الله تعالى هو الذي ينزل المطر ويخرج النبات من الأرض، فاحتج عليهم لإحيائهم بعد الموت بإحياء الأرض بعد موتها"⁴

أما قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ نوح 18 فالشاهد فيه بقاء المضارعة لأن نوح - عليه السلام - كان يدلل لقومه على قدرة الله في إحيائهم لما بدر منهم من استكبار بعد إعراض وتماد في التكذيب، ولذلك أكد بالمصدر أي واقع

¹ تفسير أبي السعود 234/3

² المحرر الوجيز 481/2

³ التحرير والتنوير 411/5

⁴ بحر العلوم 529/1

إخراجكم، لا محالة، قال البيضاوي: "يخرجكم إخراجاً: أي بالحشر، أكده بالمصدر كما أكد به الأول، دلالة على أن الإعادة محققة كالإبداء، وأنها تكون لا محالة"¹ والمصدر أفاد أنه على غير ما ظنوه، إذ استبعدوا الحياة بعد موتهم، أي إلى جانب التأكيد بين نوع ذلك الإخراج، قال البقاعي: "أكد بالمصدر الجاري على الفعل إشارة إلى شدة العناية به، وتحتيم وقوعه لإنكارهم له فقال: إخراجاً" أي غريباً ليس هو كما تعلمون بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة الباقية ، تلبس أرواحكم بها أجسامكم ملابسة لا انفكاك بعدها لأحدهما عن الآخر"² لأن المقام في الاستدلال على كمال القدرة لله تعالى.

وأما قوله: (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) الزلزلة 2 فإنه بعد النفخة الثانية في الصور، تزلزل الأرض زلزالها العظيم، يؤدي بها إلى إخراج ما في بطنها، والانتقال هي الدفائن، ذكر الخازن: "أثقالها: الموتى تخرجهم إلى ظهرها، والميت إذا كان في بطن الأرض، فهو ثقل عليها، ومنه سميت الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تنقل بهم أحياء وأمواتاً"³ كان الأرض تخفف مما فيها، وهو سر مجئ الصيغة بوزن "أفعلت، جاء في الظلال: "تنفض الأرض مما في جوفها نفصاً، وتخرج ما ينقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً، وكأنها تخفف من هذه الأثقال، التي حملتها طويلاً"⁴ وقد أظهر موضع الإضمار ليتحقق العموم، أي كل الأرض تأثرت بذلك الزلزال العظيم، وأخرجت ما بطنها من ثقل "كما يتأثر عن زلزال البساط بالنفض إخراج ما بطنه وطيه من تراب وغيره، يعطي الله الأرض قوة إخراج ما فيها من ثقل، كما يعطيها قوة أن تخرج النبات الصغير اللطيف الطري فيشق الأرض الصلبة، فالذي قدر على تكوينه

¹ تفسير البيضاوي 294/5

² نظم الدرر 445/20

³ لباب التأويل 296/6

⁴ في ظلال القرآن 3954/6

قادر على تكوين الموتى في بطن الأرض وإعادتهم على ما كانوا عليه، فكذا إخراج الموتى من غير فرق، كل عليه هين¹ فالصيغة "أخرجت" دلت على شدة الزلزال وقوته المتناهية الذي أدى إلى اضطرابها، وإخراج ما في بطنها من الأثقال، ودلت على كمال قدرته تعالى في منحه الأرض قوة إخراج الموتى، وأهونية إعادتهم عليه.

أما "تخرجون" وهو في ثلاث صيغ، فسياقه المجازاة، والشاهد من سورة الأعراف جاء بعد إخراج آدم وزوجه -عليهما السلام- من الجنة إلى الأرض، وإخراج الشيطان معهما، مما ناسب البناء للمفعول، لأنه ذكر بعده الإخراج من الأرض إلى البعث لأجل الحساب، وفي السياق توجيهات، تنذر مخالفتها بالإخراج من رحمته وثوابه، أما الشاهدان من سورتي الروم والزخرف فهما في تشبيه إحياء الزرع والنبات بإخراج الموتى من قبورهم، ولكن لكل شاهد تمثيل خاص به للإحياء والنشور، ففي سورة الروم قال قبل الشاهد : ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾¹¹ دل هذا الطباق العجيب على قوة معجزة وفيه تعريض للمكذابين، لأن إحياء الموات آية عظيمة، لا بد من الشكر عليها، وتعظيم القادر على خلق كل شيء، فجاءت الصيغة "تخرجون" قال البقاعي: "أي بأيسر أمر تخرجون من الأرض بعد تفرق أجسامكم فيها من التراب الذي كان حيا بحياتكم"² يتساوى الإبداء والإعادة عند الله تعالى، ولكن المشركين لم يعملوا عقولهم، فذكر لهم ما يقاس على بعثهم، أما في سورة الزخرف فقد كان المقصود من تشبيه إحياء النبات بإخراج الموتى هو بيان إمكان المشبه، وهو البعث، فقله : ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾¹¹ عبر عن إخراج النبات بالإنشاز، وهو لإحياء الموتى، كما في قوله : ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ عبس²² أي مثل إخراج الموتى من القبور بإخراج

¹ نظم الدرر 490/9

² نظم الدرر 611/5

النبات الذي عبر عنه بالإنشار، حيث شبه الغيب الذي لم يشاهد بالواقع المشاهد تقريبا للعقول، ولذلك جاء بالالتفات في لفظ "فأنشرنا" لتعظيم شأن إحياء أو إخراج النبات، لأن في نون العظمة إظهارا لكمال العناية بشأن الإحياء، قال أبو السعود: "الالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بشأن الإحياء، والإشعار بعظم خطره، وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشار الذي هو إحياء الموتى، وعن إحيائها بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات، وتهوين لأمر البعث"¹ ولما كان الشاهد في سياق يدور حول القيم الصحيحة والباطلة، دل على سهولة إخراجهم عن طريق الالتفات إلى نوع العظمة، وعن طريق تعظيم شأن الإنبات بإطلاق الإنشار عليه، وتهوين أمر إخراج الموتى، أما هناك فلأن السياق دار حول إثبات مرد الأمور إلى الله وحده، وأنه هو الغالب في ملكه، وثقة المؤمنين الشديدة بذلك، عبر عن يسر إخراج الموتى بأسلوب الطباق، لأنه أدل على إثبات القدرة لله، إذ بقوته يفعل الضدين من إخراج الميت من الحي، وإخراج الحي من الميت، أي إنه متصرف في خلقه تصرفا تاما، لا راد لما شاء وقدر من أمور.

أما اسم المفعول "مخرجون" فسياقه المبالغة في شك المكذبين، وتمكن العماية منهم، كما في قوله: (بَلْ أَدَارِكْ عَلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) النمل 66 وهو ما يفسر مجى الجملة الاسمية في نفهم للبعث، لأنهم تحولوا عن شك فيها إلى عمى عن إدراك الحق، قال الألوسي: "في الآية ترق عن وصفهم بجهل فاحش إلى جهل أفحش وهو حيرتهم أي هم في شك عظيم من نفس الآخرة وتحققها، وإضراب وانتقال عن وصفهم بكونهم شاكين إلى وصفهم بما هو أفظع بما هو كونهم عميا قد اختلت بصائرهم بالكلية، بحيث لا يكادون يدركون طريق العلم بها وهو الدلائل على أنها كائنة لا محالة"² ولذلك فإنهم

¹ تفسير أبي السعود 41/8

² روح المعاني 22/15

نفوا إعادة الأبعد وهو التراب، ليضمنوا كون أجسادهم غير بالية تحت التراب، كما ورد: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَيْنًا لِمُخْرَجُونَ) النمل 67 أما في الشاهد الثاني فإن التكذيب قرن بالتترف والبطر، مما أغراهم بالكبر والإعراض عن الحق، ما يفسر تكرار تأكيد استبعادهم البعث، إلى جانب الجملة الاسمية، لتعجبهم وتماديهم في التكذيب، إذ انتقلوا من تكذيب في ذات الرسول - صلى الله عليه وسلم- إلى تكذيب فيما أرسل به، قال ابن عاشور: "جعلوا موجب الاستبعاد هو حصول أحوال تنافي أنهم مبعوثون بحسب تصور عقولهم، وهي حال الموت المنافي للحياة، وحال الكون ترابا وعظاما المنافي لإقامة الهيكل الإنساني" ¹ فالشك المتكرر منهم في البعث استبعد معه خروجهم، ولأنهم وعدوا به، أتوا باسم المفعول، ولذلك قالوا: (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) الأنعام 29 وكذلك في الشاهد السابق شددوا الإنكار بتكرار الهمزة ودخول أن واللام على الجملة، كما ارتبط بمعنى الوعد، أي الذي اقتضى ورود اسم المفعول في الجملة الاسمية.

أما المصدر "الخروج" فهو في شاهدين من سورة ق، الأول: (وَالنَّحْلُ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) (١٠) رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بُلْدَةً مِّنَّا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) والثاني: (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) 42 سياق الأول تنبيه العباد إلى ما هو أعظم من بعثهم، بعد إذ بالغوا في إنكارهم البعث فنفوا سبب رجوعهم أحياء، بزعمهم أن جمع الرفات البالي المختلط بالتراب وأجزاء الأرض محال، فقالوا: (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) 3 أي إنهم استبعدوا الرجوع الذي أصله المتعدي، وهو بمعنى الإخراج، لأن الرجوع والإخراج هما كالسبب للرجوع والخروج، وإذا انتفى السبب ينتفي معه المسبب، وإذا وجد ربما يتخلف عنه مسببه، كما في المثال: كسرتة فلم ينكسر، ولكن المسبب إذا وجد لابد أن يوجد معه سببه، وإذا انتفى لا ينتفي معه السبب، قال الإمام الرازي: "هم أنكروا وجود السبب ونفوه، وينتفي السبب عند انتفائه جزما، فبالغوا وأنكروا الأمرين

جميعاً، فأثبت الله الأمرين بالخروج، كما نفوا الأمرين جميعاً بنفي الإخراج"¹ أي إنهم أنكروا البعث بنفي سببه وهو الإخراج، ولكن الله سبحانه رد عليهم بما هو أشد، فأثبت المسبب وهو الخروج الذي إذا انتفى لا ينتفى معه سببه، والسبب الذي قصدوه هو انتفاء علمه عز وجل، بالأجزاء المتحللة لرفاتهم وهذا معنى كلمتهم "ضللنا" أي اختلطت بتراب الأرض، وإذا كان بزعمهم- لا يعلم أماكنها، فكيف يحصيها ويجمعها، ثم يحييها، فليس هناك إحياء ولا إخراج للموتى من القبور، ولهذا رد على تعجبهم وادعائهم هذا النفي على الله بقطع استحالتهم بأنه يعلم ما تحلل من الأجساد في الأرض، وما نقصت منهم، وإذا كان عالماً بها فعلى جمعها وإعادة لها للبعث أقدر "وفي السياق ارتبط البعث بالحديث عن الطعام كما هو في مواضع كثيرة من النظم الكريم والهدف هو تذكّر الآخرة عند رؤية النعيم وهذا الارتباط الذهني يقوم السلوك البشري ويهذب"².

أما الشاهد الآخر فسياقه الحديث عن النفخة الثانية، إذ ينادي جميع الخلق للبعث، وهنا كذلك ناسب المصدر المعاني حوله من يسر الحشر وقدم الظرف لتخصيصه به، جاء في الكشف: "تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعنى لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن"³ أما في "كذلك الخروج" فإنه قدم الخبر لأجل القصر، مشيراً إلى الحياة الحاصلة من الإحياء، واسم الإشارة فيه معنى البعد لرتبتها، أي كمثل تلك الحياة حياتكم بإخراجكم من القبور.

¹ تفسير الرازي 4138/1

² سورة الواقعة ومنهجها في العقائد محمود محمد غريب ص 140 دار التراث العربي - القاهرة ط 3 1418 هـ 1988 م

³ تفسير الكشف 396/4

- تبين مما مضى أن صيغة المضارع المبني للفاعل "يخرجون" جاءت لمعنى الإسراع والعجلة والاضطراب والانكسار والخشوع تهكما بالمكذابين لأنهم تعززوا بالباطل فأذلهم الله في الآخرة، وكانت الأهواء تتجاذبهم فلم ينتفعوا بما كان ثابتاً مستقراً من آيات جاءت لمعنى توفر الإرادة أثناء تلبيتهم لدعوة الداعي، وكان ضمير الغيبة فيها للتهكم والامتهان وهو في شاهدين وضمير الخطاب كان في الرحمة وإثبات القدرة والحكمة لله تعالى، وفيه نسب فعل دعوتهم إلى نفسه، وهو في شاهد واحد.

- وجاء بنون المضارعة صيغة واحدة، في سياق التمثيل لإخراج الموتى بالإنبات، وغرضه تقريب البعث الذي استبعدوه

- وبياء المضارعة صيغة واحدة، وسياقها التذليل على قدرة الله على البعث والنشور، من خلال الآيات والعرض لنشأة الإنسان، وأكد الفعل بالمصدر خلافاً لما سبق من نظائره، لشدة إنكار المكذابين، ولاستكبارهم بعد الإعراض والنفور، وفائدة المصدر أيضاً بيان لنوع الإخراج بأنه غريب، تلتقي الأرواح بالأبدان فلا تفارقها.

- وجاء بوزن أفعلت صيغة واحدة، في سياق زلزلة الأرض، ودلائلها إثبات القدرة العظيمة المتناهية له تعالى في جعله الأرض تخرج الأثقال لتتخفف منها، وللدلالة على يسر وسهولة الإعادة للخلق عليه تعالى.

- وجاء بالبناء للمفعول ثلاث صيغ، في المجازاة والتحذير عن مخالفة أوامر الله، وشاهدان اثنان في إهلاك المكذابين، وإثبات القدرة التامة، والإرادة المطلقة لله تعالى، وللدلالة على يسر وسهولة إخراجهم من الأعداء، وناسب الطباق الدال على قدرة الخالق على فعل الضدين في سياق مرد الأمور إليه سبحانه، وناسب إطلاق لفظ الإنشاء على الإنبات، والالتفات إلى التعظيم في سياق يدور

حول القيم الصحيحة والقيم الزائفة، وفي الصيغ الثلاثة لم يشترط دعوة الداعي إلى الخروج.

- أما الجملة الاسمية فهي في: أولاً: سياق التكذيب المبالغ فيه، وفي نفي سبب الإخراج وهو كون الأجساد صارت تراباً، فجاء استنكارهم بالجملة الاسمية المزودة بتوكيدات عدة، وباسم المفعول للزومه صفة الإخراج، مبالغة منهم في النفي والإعراض. وذلك كان في شاهدين اثنين.

- وثانياً: مجئ المصدر في شاهدين كذلك، والأول منهما اختار فيه سبحانه صيغة "الخروج" عوضاً عن الإخراج ليثبت لهم ما نفوه من سبب إخراجهم، بقولهم : (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) 3 وأرادوا المتعدي وهو الإخراج، فنفوا السبب ليضمنوا المسبب معه فيكون نفياً أشد، وأجابهم بـ "الخروج" وهو من اللازم، أي أثبت المسبب لضمان السبب حالة انتقائه فيكون رداً أبلغ وأشد. وقدم الجار والمجرور للقصر، وفي الثاني قدم الظرف للاختصاص، وقد أحاط المصدرين معانٍ تشير إلى سهولة ويسر حشر الخلق على الله تعالى.

المبحث الخامس : الجمع

للمادة ج م ع خمس هينات، وردت في ستة شواهد، وهي المضارع "يجمعكم" والماضي "جمعناكم" واسم الفاعل "جامع" واسم المفعول "مجموع" والمصدر المضاف "الجمع"

في سورة التغابن : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ 9

في سورة المرسلات : ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعًاكُمْ وَالْأُولَيْنِ﴾ 38

في سورة آل عمران : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ 9

في سورة هود : ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٍ﴾ 103

في سورة الواقعة : ﴿قُلْ إِنَّ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠)

في سورة الشورى : ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ 7

صيغة المضارع في الشاهد الأول هي في غرض الوعيد، لأنهم أنكروا البعث بعد أن بين مصارع من كان قبلهم من المكذبين، قال : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ

يُنْعَثُوا﴾ (التغابن 7) وأمر نبيه بأن يؤكد لهم أمر البعث، في قوله : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ 7 بأن يقسم بربه فكان توكيدا موثقا لمن أنكر البعث نكران جحود، قال أبو السعود:

" يوم يجمعكم " ظرف "لتنبون" وقيل له "خبير" لما فيه من معنى الوعيد، كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم" ¹

والمضارع "يجمعكم" جاء في التحذير من أهوال القيامة، لأن سبحانه أخبر بالبعث وأقسم عليه، بعد ذكر المعجزات الدالة عليه، فكان أجدر بالناس الإيمان بالله وبالبعث، وذكر المحاسبة على مقابلة ما أنعم به عليهم من إيمان وكفر، ثم ذكر المصدر "الجمع" بيانا لعللة الفعل، أي يجمع الله أهل السماوات وأهل الأرض يوم القيامة لأجل الجزاء والحساب فيفوز الغابنون ويخيب المغبونون، ولهذا قال: (يَوْمَ التَّغَابُنِ) 9 فتعلق الغبن بمعنى الجمع لأنه ظهور نقصان الحظ الذي يصدر عن خفاء في يوم يجمع سائر الخلق، ويفتضح ما نفي عن العين، ما يحمل على اتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وبذلك تكون صيغة المضارع للوعيد وللتحذير أي الوعظ والتقوى للمؤمنين، والقمع لمنكري البعث، أما المصدر فكما مر هو لمعنى بيان العلة التي لأجلها جمع الناس يوم القيامة أو للدلالة على التوقيت أي جعل المركب الإضافي لقبا ليوم الحشر واختاره ابن عاشور قال: "والأحسن عندي أن يكون اللام للتوقيت بمعنى عند ويفيد أنهم مجموعون في الأجل المعين دون تأخير ردا على قولهم: (أَنْ لَّنْ يُنْعَثُوا) وهو استعمال يدل على شدة الاقتراب" 1

والمصدر للدلالة على تمام أو كمال فعل الجمع لأن كل حدث يوم القيامة يكون تاما كاملا، ولذلك يسمى يوما كما في الحساب والحشر وهذا المعنى تحقق بعد إضافة "الجمع" إلى يوم أي معنى المصدر وهو في التركيب الإضافي، أما المصدر في سورة الشورى (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) 7 فهو في سياق إنذار المشركين كذلك وقد ذكر الرازي عدة وجوه يحتملها المصدر "الجمع" قال: "في تسميته وجوه الأول: أن الخلاق يجمعون فيه، والثاني أن يجمع بين الأرواح والأجساد، والثالث: يجمع بين كل عامل وعمله، والرابع: يجمع بين الظالم المظلوم" 2 فالفرق بينه وبين ما كان في سورة التغابن، أن هنا تعلق الإنذار بقضية الإيمان

1 التحرير والتنوير 24/6/28

2 تفسير الرازي 1/3957

والشرك، فناسب هنا إطلاق المصدر بينما تعلق الفعل هناك بالمخاطبين في "يجمعكم" فصار الجمع لمن له أهلية الحركة والاضطراب.

أما قوله : ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ المرسلات 38 فهو في سياق التواعد للمكذبين كما جاء قبل الشاهد وبعده : ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بعد بيان المعجزات الكونية التي ظهرت ظهوراً لا يزداد عليه، وهي دالة على قدرته تعالى على البعث فكان من حق المخاطبين أن يؤمنوا ولكنهم جحدوا آيات الله فحكم عليهم بالويل مرة ثم أكد بثلاث لأنهم وصلوا في التكذيب إلى غاية الرسوخ وزاد في تفريعهم وتبكيتهم بتكرار الأمر لهم بالانطلاق إلى ما كانوا مستمرين عليه من التكذيب حتى صار لهم كالجيلة فكان جزاؤهم الدعوة إلى ظل جهنم وهو اليعقوم، فالويل الذي ساقه مساق المؤكد الثابت الذي لا نزاع فيه يشير إلى أنه لا يكذب بتلك الأدلة البينة والواضحة إلا من تمكن الكفر من قلبه فناسبه المضي في "جمعناكم" لتأكيد البعث ولأنه قال : ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ المرسلات 38 أي أنه هناك حكومة بين العباد ولا بد من إحضارهم، قال الفخر الرازي عن ﴿جَمْعُنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ 38 : "كلام موضح لقوله : ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ 38 لأنه لما كان هذا اليوم يوم فصل حكومات جميع المكلفين فلا بد من إحضار جميع المكلفين لاسيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب"¹ أي إن المعنى دال على تمام العدل يوم الفصل، فهو سبحانه جمع الناس أولاً ثم فصل بينهم فلم يقع حكم على غائب، وقال الألوسي: ﴿جَمْعُنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ 38 أي من تقدمكم من الأمم والكلام تقرير وبيان للفصل لأنه لا يفصل بين المحق والمبطل إلا إذا جمع بينهم"² وفي هذه السورة تحدث عن أهوال قيام الساعة بصيغة الماضي، قال : ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتْ﴾ (١١)

¹ تفسير الرازي 4635/1
² روح المعاني 137/29

وهكذا فإن الجملة الفعلية للمادة ج م ع هي للوعيد والتحذير من وعظ وتقريع في صيغة المضارع، أما الماضي فهو للوعيد ولتوضيح وبيان وتقريع يوم الفصل ولتتمام العدل بأنه تم جمع المخلوقات ثم فصل بينهم.

أما الجملة الاسمية فهي كما في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران 9 وسياقه في المحكم والمتشابه من الآيات وإيمان الراسخين في العلم بالآيات المتشابهات، وأما الذين في قلوبهم زيغ فإنهم يؤولونها حسب أهوائهم، فكان اسم الفاعل أنسب من الفعل لصفة الراسخين في العلم لأنهم أيقنوا بما قد زاغ غيرهم به، ولأن المتشابهات من الآيات تشبه على أذهان غيرهم لدقة معناها، فالحكمة من نزولها هي بعث العلماء على النظر والاجتهاد، جاء في الظلال: "الراسخون يطمنون ابتداء إلى صدق ما يأتيهم من عند الله بفطرتهم الصادقة الواصلة، ثم لا يجدون في عقولهم شكاً فيه كذلك، لأنهم يدركون أن من العلم ألا يخوض العقل فيما لا مجال فيه للعلم، وفيما لا تؤهله وسائله وأدواته الإنسانية لعلمه"¹ الأمر الفاصل بين المؤمنين والزائغين هو ذلك الثبات والاستقرار الحق في داخل الراسخين في العلم وهو ما ناسب اسم الفاعل "جامع" لثبات الوصف فيه أثناء دعائهم ربهم طلباً لرحمته.

واسم الفاعل لمناسبة علاقة المربوب بربه، وهي إيمانه بأنه جامع الناس للجزاء، وأن إخلاف الوعد مناف للإلهية، لأن في اسم الفاعل معنى الاستقبال فالراسخون في العلم لما دعوا ربهم علموا أنه وعد بجمع الناس، فقالوا : ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ آل عمران 9 قال الإمام الشعراوي: "المؤمنون يرجون الله قائلين: يا رب من تمام تربيتك لنا أن تحمينا من عذاب الآخرة فإذا ما عشنا في الدنيا وانتهت فنحن نعلم أنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وما دمت ربا، وما دمت

¹ في ظلال القرآن 339/1

إلاها فإنك لا تخلف الميعاد لأن الذي يخلف الميعاد إنما تمنعه قوة قاهرة تأتيه، ولو من تغير نفسه، أما الله فلا تأتي قوة قاهرة لتغير ما يريد أن يفعل، ولا يمكن أن يتغير لأن التغير ليس من صفات القديم الأزلي¹ نص الإمام الشعراوي - رحمه الله - فيه دلالات كثيرة لاسم الفاعل وهي: مناسبتة لليقين الذي عند الراسخين في العلم من تحقيق وعد الله بجمعهم.

ومناسبتة في حماية الرب لمربوبه، ومناسبتة في نفي التغير عن الإله، ونفي الإخلاف عن الإلهية، والتغير المنفي عنه عز وجل من قوة قاهرة أو من نفسه لتضمنه معنى الاستقبال وهو ما ظهر في يقين الراسخين في العلم بتحقيق وعده، وأثبتت صفة العلم له سبحانه لأن علم بكمال علمه على إنفاذ وعده، وأثبتت صفة القدرة له، لأنه علم بتمام قدرته على تحقيق ما وعد به.

وكما دل اسم الفاعل على صفات في المؤمنين من اليقين وثبات الإيمان فيهم، بعد أن حكموا بحكم القرآن وأمنوا بالمتشابه، دل كذلك على صفات فيه سبحانه وتعالى، أي لزوم صفة الجمع في اسم الفاعل، ناسبت طلبهم نفي الزيغ عن قلوبهم، وطلبهم الثبات على الهدى، ثم أسندوا الهدى إليه سبحانه والكريم لا يرجع في عطيته إذا أكرم وفيه معنى الثبات على العطاء، والرحمة أثر للدوام على الهدى فطلبوا ذلك من ربهم بصيغة المبالغة، فقالوا: (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) آل عمران 8

واسم الفاعل "جامع" مناسب لصفة في يوم القيامة، وهي نفي الريب عن وقوعه في دعائهم: (لَيُؤْمَرَنَّ لَا رَيْبَ فِيهِ)⁹ عن طريق نفي جنس الريب عن كلمة "يوم" وهو أبلغ لتمييزه عن ارتياب المرتابين، فتحقق البعث ناسب الوصف في كلمة "جامع"

¹ تفسير الشعراوي ص 401

أما اسم المفعول في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ هود 103 فالسياق في أخذ القرى وهي ظالمة كما جاء قبل الشاهد، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ 102 ومناسبة الجملة الاسمية هنا لما في السورة من إنذار، لأنهم استهزأوا بما وعد الأنبياء فكانوا ظالمين لأنفسهم، فوقع عليهم عذاب الاستئصال في الدنيا، مما ناسب مجئ اسم المفعول "مجموع" وكان الظاهر ورود الفعل، وأوثر الصفة عليه لتمكن الوصف فيها وثباته ولزوم الإسناد، قال الألوسي: "عدل عن الفعل وكان الظاهر ليدل الكلام على ثبوت معنى الجمع، وتحقق وقوعه لا محالة، وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ التغابن 9 وإيضاحه أن في هذا دلالة على لزوم الوصف ولزوم الإسناد، وفي ذلك على حدوث تعلق الجمع بالمخاطبين واختصاصه باليوم ولهذا استدركه بقوله (الجمع) ليدل لزومه له وإنما الحادث جمع الأولين والآخرين دفعة"١ فالشاهد في الجملة الفعلية كان ردا على زعم المكذبين المنكرين، وأراد الخطاب والتأكيد عن طريقه بالقسم الذي تم التوثيق به، فكان من المناسب الرد على الزاعمين بالطريقة التي أنكروا بها في قولهم : ﴿أَنْ لَّنْ يَنْبَغُوا﴾ 7 فتعلق الجمع بهم، أما هنا فإن التكذيب والجحود والإعراض عن آيات الله والاستهزاء بالوعيد تكرر من الأمم الكافرة حتى من كفار قريش، وكذلك تكرر في السياق عقاب تلك الأمم ومصائرهما، مما ناسب الصيغة الأكثر ثبوتا في تحقق الجمع وفي لزوم إسناد الجمع إلى الناس فائدة وهي أنهم غير منفكين عنه، وهو أيضا أثبت، وفي اسم المفعول معنى الاستقبال أي: هو يوم محدود معلوم، جاء في المحيط: "معنى "مجموع" أي لا بد أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له"٢ وقال نظام الدين النيسابوري: "أوثر اسم المفعول على فعله لأجل إفادة الثبات

١ روح المعاني 12/128

٢ البحر المحيط 5/217

وأن حشر الأولين والآخرين فيه صفة لازمة نظيره قول المتهدد: "إنك لمنهوب مالك، محروب قومك"¹ والتهديد يفهم الاستقبال.

والجملة الاسمية دلت على صدق الأنبياء - عليهم السلام - بما أخبروا عن البعث والجزاء، قال الألوسي: "إن الأنبياء - عليهم السلام - قد أخبروا باستئصال من كذبهم ووقع ما أخبروه وفق إخبارهم، وذلك أحد الشواهد على صدقهم، فيكونون صادقين فيما يخبرون به من البعث والجزاء فلا بد أن يقع لا محالة"² ولئن عذبوا في الدنيا، فإنهم معذبون في الآخرة، وهو أولى لأنها دار الجزاء مماناسب اسم المفعول لأنه أثبت في تحقق جمعهم للمجازاة.

وفيه معنى المحاسبة ومما يؤكد التقييد في قوله : ﴿يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ هود-103 كما في "هدى للمتقين" أي: هو يوم يجمع له الناس ليحاسبوا، أو لأجل أن يقضي بينهم، وأن يجازوا فيثاب المحسن ويعاقب المذنب.

وأنه يوم غير مسبوق، وخصوصية من أسند إليه الصفة، قال البقاعي: "مجموع له أي لإظهار العدل فيه والفصل، و"الناس" أي: كل من فيه أهلية التحرك والاضطراب، وما ثم يوم غيره يكون بهذه الصفة أصلاً"³ لم يسبقه يوم اجتمع فيه الخلق ولا يكون مثله يوم، وهنا صفة أخرى للمجموعين وهي من كان ذا حركة كالإنس والجن والملائكة والحيوانات كلها، ولذلك جعلت شهادة غيره من الأيام معدومة، إذ قال : ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ 103 ونون للتعظيم بعد أن كرر "ذلك" لزيادة التهويل.

وفي اسم المفعول معنى السوق، وخضوع الخلق لإرادة ربهم في إجابة أمره وانتظار ما سيكون، لما ورد في السياق من معنى الإتراف، والانهماك في

¹ عرائس القرآن ورغائب القرآن 50/4

² روح المعاني 138/12

³ نظم الدور 576/3

الشهوات ما يؤدي إلى الاستكبار عن قبول الحق، ومعنى الإصرار على الحنث العظيم، وهو إنكار البعث جاء في الظلال: "وهنا يرتسم مشهد التجميع، يشمل الخلق جميعاً، على غير إرادة منهم، إنما هو سوق الجميع سوقاً إلى ذلك المعرض المشهود والكل ينتظر ما سوف يكون"¹

والجملة الاسمية لبيان أنه لا فرق بين جمع الناس يوم القيامة وبين ما تحقق وقوعه من أخذ وعقاب في قدرته سبحانه عليه، وأكد رداً على جحودهم وشدة تكذيبهم لأن عبادتهم لغير الله، واستهزاءهم بالوعد سبب ما ذكر من القصص التي حوت من المواعظ والتحذير من مصائر غيرهم من المكذبين، كما في قوله: ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ هود7

قال البقاعي: "وأشار تعالى إلى تحقق أمر الآخرة، وأنه مما ينبغي الاهتمام به، وإعلاماً بأنه لا فرق بينه وبين ما تحقق إيقاعه من عذاب هذه الأمم في القدرة عليه"² ولهذا أعاد سبحانه اسم الإشارة لتحويل ذلك اليوم في قوله: ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ هود103

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) الواقعة فسياقه في إصرار المكذبين على إنكار البعث من بعد إترافهم وكان الأجدر بهم الشكر على النعم فصار كفرهم أعظم بل قالوا متسانلين على سبيل الاستبعاد: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٤٧) أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) فالجملة الاسمية ناسبت تماديهم إذ كانوا مسرفين في استمتاعهم بنعيم الدنيا، وكانوا يصممون على الشرك بالله، فقوله "كانوا يصرون" أبلغ من أصرروا لاجتماع لفظي الماضي والمستقبل فدل على الاستمرار، وذكر الحنث وهو أعظم من الذنب، ولفظ الإصرار فيه معنى

¹ في ظلال القرآن 269/4

² نظم الدرر 576/2

المدامومة ووصف الحنث بالعظيم، مما ناسب مجئ اسم المفعول "مجموعون" لتمكن الوصف فيه وثبوته.

ولمناسبة طريقتهم في الاستفهام أو الإنكار، ففي قوله "لمبعوثون" أتى بلام مؤكدة مع أن المراد هو النفي، فلماذا؟ مع أنهم أرادوا بالاستفهام إنكار البعث، قال الرازي: "أرادوا تكذيب من يخبر عن البعث فذكروا أن المخبر عنه يبالغ في الإخبار ونحن نستكثر مبالغته وتأكيده فحكوا كلامهم على طريقة الاستفهام بمعنى الإنكار"¹ وأشاروا إلى أمور اعتقدوا أنها تؤيد صحة إنكارهم، فقالوا: (أَبْنَدًا مَثْنًا) 47 ثم قالوا: (أَوَأَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) 48 ذكروا آباءهم وهو أبعد في الاستنكار فكيف يمكن بعث من كان حاله فوق حال ما تفتت من العظام وصار رفاتا؟ فأجابهم الله بأمر نبيه بالرد عليهم بما يناسب شدة إنكارهم، ولاسم المفعول دلالات عدة منها: سهولة بعث الأموات وهوانه على الله سبحانه فهو أمر واقع وفي غاية الظهور يشترك فيه عوام الناس وخواصهم، لما أنصفهم به ربهم من المعجزات البينات كما في سياق السورة، وأنهم يجمعون في مكان أو عرصة الحساب في وقت يسير، قال الرازي: "إن من بقى تحت التراب مدة طويلة ثم حشر ربما لا يكون له القدرة على الحركة، ثم إنه بقدرته تعالى يحركه بأسرع حركة ويجمعه بأقوى سير"² فصيغة المفعول حققت معنى سرعة جمع الخلائق وقوته، وتفيد التوكيد، فالحمد سبحانه بدأ بمن استبعدوا إحياءه أولاً، فقال: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ {٤٩} لَمَجْمُوعُونَ} وأكد بـ إن واللام الداخلة على الخبر، وبتمكن الوصف وثبوته وتأكيده في اسم المفعول، وقال: (لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ) 50 وهو أدل على إحياء الموتى من اللام، كما في (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمٍ تَغَابِنُ) 9 وهنا مقارنة أخرى بين الفعل والوصف وجه لها الإمام الرازي، يقول: "لما كان ذكر الجمع جواباً للمنكرين المستبعدين ذكر كلمة (إلى) الدالة

¹ تفسير الرازي 4267/1

² المرحع نفسه 4367/1

على التحرك والانتقال لتكون أدل على فعل غير البعث، ولا يفهم النشور من حرف (اليوم) وإن كان يفهم من الكلام ولهذا قال ههنا: (لمجموعون) بلفظ التأكيد¹، فالفرق هو الإشارة إلى ما هو أبعد من أمر البعث وهو التحرك والانتقال مما يضاف إلى معاني اسم المفعول، فالتأكيد هنا أشد من وجوه كثيرة لما كان في السياق من إنكار وإصرار على الكفر واستبعادهم للبعث بأسلوب مبالغ فيه، ثم إن سورة الواقعة افتتحت بذكر أحداث وأحوال الساعة، والسورة تعالج أمر النشأة الآخرة، وأكدت قضية البعث بذكر المعجزات في خلق الإنسان وفي الكون كصورة الحرث وهم "السابقون" وأصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، كل ما ذكرت قد يكون سببا في تخصيص هذه السورة باسم المفعول "مجموعون" وإنما كان في سورة هود "مجموع له" وهو اليوم لأن السياق تحدث عن أيام الله في أخذ الظالمين، وكذلك كان نذير كل نبي من الأنبياء يشمل لفظ "يوم" كمثل (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) هود 26 فكان السياق في الأخذ والعقاب فجعل سبحانه الوصف "اليوم" تنزيها له عز وجل وإشارة إلى ظلم المكذبين الجاحدين لأنفسهم، وأما اسم الفاعل في سورة آل عمران فإنه في مقام إثبات قضيتي الربوبية والألوهية له سبحانه، فإن الرب يحمي مربوبه، وإن التغيير والاختلاف مناف للإلهية، ولأن المقام في دعاء المؤمنين وشديد رجائهم بربهم بعد طلب دوامهم على الهدى واستمرارهم فيه، ولإثبات صفتي العلم والقدرة لله سبحانه، فنسب الوصف إلى نفسه فقال: (جَامِعٌ) 9

وهكذا فإن نصيب الجملة الفعلية للمادة ج م ع اثنتان، وسياقهما في الوعيد والتحذير في صيغة المضارع، ولتمام العدل وبيان الفصل وتقريره في صيغة الماضي.

¹ تفسير الرازي 413\29

وجاء المصدر لبيان علة الجمع وهي المحاسبة والجزاء، أو لبيان التوقيت رداً على إنكارهم الشديد، وبأنه جمع لا يتأخر ولا يتقدم فهو ثابت الموعد، حالة إضافته إلى يوم "وقد يكون التركيب الإضافي أيضاً بمعنى جمع الروح بالجسد، أو جمع بين العامل وعمله، أو جمع بين الظالم والمظلوم، ونصيب المصدر كان في شاهدين اثنين.

أما الجملة الاسمية فنصيبها ثلاثة شواهد، اسم الفاعل منها في إثبات صفات الله سبحانه وللمؤمنين، وليوم البعث، وسياقها الحديث عن المحكم والمتشابه من آيات الله.

أما اسم المفعول فكان لليوم في سياق الأخذ والعقاب، وللناس في سياق الإسراف والإتراف، والإصرار على الكفر والإنكار، وكل الجمل الاسمية زودت بتوكيدات متعددة لتفيد الإثبات قوة.

المبحث السادس : الحشر

الحشر هو جمع المتفرقين إلى مكان واحد، وهو في الخير كما هو في الشر كما في قوله : ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ مريم 85 وقد يكون للمؤمنين والكافرين جميعا، لكن أكثره جاء في الشر، أما عن زمن وقوعه فالجمهور على أنه بعد البعث.

في المادة ح ش ر تسعة عشر شاهدا، منها ثمانية بنون المضارعة، وجاء مع لام القسم صيغة واحدة وهي "لنحشرنهم" وثلاث صيغ وردت مع الاسم، والباقي كان مع الضمير "هو" أو "هم"، وبياء المضارعة ست صيغ مع الضمير "هم" وكان منها صيغة واحدة بالسين وجاء بالبناء للمفعول المضارع ثلاث صيغ، وصيغة واحدة بالزمن الماضي، وبصيغة الأمر ورد فعل واحد، أما الصيغ الاسمية فهي واحدة فقط، مثلت في المصدر، وفيما يلي عرض لتلك الشواهد، وبيان سياقاتها والمعاني الموضوعية لها وأقوال العلماء فيها :

في سورة مريم : ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ 85

في سورة طه : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَخْشِرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ رُزْقًا﴾ 102

في سورة النمل : ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ 83

في سورة طه : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَخْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَغْمَى﴾ 124

في سورة الأنعام : ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ 22

في سورة يونس : ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرِئَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ 28

في سورة الإسراء : ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَخْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ 97

في سورة مريم : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَخْشِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ 68

في سورة يونس : ﴿وَيَوْمَ يَخْشِرُهُمْ كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ 45

في سورة الفرقان : ﴿وَيَوْمَ يَخْشِرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ 17

في سورة سبأ : ﴿وَيَوْمَ يَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ 40

في سورة الحجر : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَخْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ 25

في سورة الأنعام : ﴿وَيَوْمَ يَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ 128

في سورة النساء : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَخْشَرُهُمْ إِلَهِهِ جَمِيعًا﴾ 172

في سورة فصلت : ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ 19

في سورة الأنفال : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) 36

في سورة الفرقان : (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا) 34

في سورة الكهف : (وَيَوْمَ نُصَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) 47

في سورة الأحقاف : (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) 6

في سورة الصافات : (اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) 22

في سورة ق : (يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) 44

الشاهد الأول (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) مريم 85 سياقه التوعد للمكذابين، وبيان هول ما افتروه من اتخاذه تعالى للولد وثقل ذلك حتى "تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا" أي من هيئته وعظيم قدرته تعالى وجلاله وسلطانه، لذلك وردت الصيغة بنون العظمة، ولمناسبتها إثبات القدرة والحكمة لله تعالى في إمهالهم وتمكين الشياطين منهم، ولمناسبتها الرحمة والكرامة في حشر المتقين إليه، وعد "نحشر" إلى الرحمن تشريفا لهم وتعظيما، وكلمة وفد تشعر بالتبجيل والإكرام، ووصفهم بالاسم لتمكن التقوى من قلوبهم، وبجلهم بأن يجمعهم إليه فيغمرهم برحمته، ويخصهم بكرامته ورضوانه، فذكر كلمة "المتقين" بعد الفعل للاهتمام بعلة حشرهم على تلك

الهيئة، وهي أنهم آمنوا بربهم، فنزهوه عن الشريك والولد، وعظموه فوحدوه خشية عذابه

أما صيغة المضارع فهي لبيان ما سيكون يوم القيامة، من التمييز بين المؤمنين والكافرين، قال الرازي: "ثم بين سبحانه ما سيظهر في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين وبين المجرمين في كيفية الحشر"¹

أو هي لجواب عن سؤال مقدر، وهو متى يكون الفصل بين المتقين والمجرمين جاء في البحر المحيط: "انتصب "يوم" بـ أذكر أو احذر مضمراً، أو على تقدير يكون ذلك جواباً لسؤال مقدر تقديره متى يكون ذلك"²

أو هو منصوب على المفعولية بمضمراً تقدم عليه خاطب به نبيه - صلى الله عليه وسلم- والغرض منه الترغيب والترهيب، قال صاحب الكشاف: "نصب "يوم" بمضمراً أي يوم نحشر ونسوق، نفعل بالمجرمين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم الحشر"³ وأبر هذه الأقوال بالمعنى هو الأخير، لأن مما يوضح أن صيغة "نحشر" وردت في الترغيب والترهيب ما جاء في تفسير أبي السعود: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾⁴ مريم 85 منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للإشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فطاعة ما يقع فيه عن الطامة التامة، والدواهي العامة أي نفعل بالفريقين من الأفعال ما لا يفى بيانه نطاق المقال"⁴ ولأجل هذا ذكر بعد الشاهد قوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ 86 كان في حشرهم إكراه وإصغار، وشبههم بالبهائم العطاش التي ترد الماء، وكلام أبي السعود أبر بالمعنى لأن المقام في أشد الظلم وأفظعه، وهو الافتراء على الله الكذب، وهذا الشاهد الوحيد الذي ورد في حشر المؤمنين.

¹ تفسير الرازي 2008/1

² البحر المحيط 156/6

³ الكشاف، 44/3

⁴ تفسير أبي السعود 218/5

أما قوله : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ طه 102 فسياقه الإعراض عن الذكر، ونون العظمة لأجل ما يكون وراء الإعراض من استكبار وغرور وبطش في الأرض، وفي السياق : ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ 108 وقوله : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ 111

أما صيغة المضارع فهي للإنذار والوعيد، لأن قوله "يوم ينفخ" بدل من يوم القيامة الذي ورد في عقاب الإعراض عن الذكر، فإنه تعالى توعد للمعرض بعقوبة فادحة ثقيلة، والصيغة "نحشر" جاءت عقب النفخ في الصور، لأنه لا يكون إلا يومئذ، قال أبو السعود: "ونحشر المجرمين يومئذ: يوم إذ ينفخ في الصور، وذكره صريحاً مع تعيين أن الحشر لا يكون إلا يومئذ للتهويل"¹ وصيغة المضارع للتسرية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وتسلية له،

أي كما عوقبت الأمم من قبل، فإن لهم عذاباً ينتظرهم يوم الدين، ولذلك ورد الاسم "المجرمين" بعد الفعل، ليدل على تمكن الإجماع فيهم، وللاهتمام بعلة حشرهم على تلك الهيئة، وهي أنهم حشروا "زرقاً" أي عمياء، أو سود الوجوه، أو عطاشاً شديدي العطاش، وعلة حشرهم هكذا أنهم مجرمون، فيكون الاسم بعد الشاهد لبيان علة الحشر.

وقوله : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ النمل 83 هو في الوعيد كذلك، إلا أنه أتى بعد الشاهد بكلمة "فوجاً" فلم تكن اسماً موصوفاً كما في "المتقين" أو "المجرمين" لأنه ذكر في السياق اقتصار سمع الآيات بمن آمن بها، ثم وصفهم بالنكرة "مسلمون" لبيان علة تسميتهم بها، ولهذا جاء بالنكرة بعد الشاهد "فوجاً" وبين من هم بالمضارع "يكذب" و "يختلفون"

¹ تفسير أبي السعود 41/6

على استمرار منهم في التكذيب والاختلاف، مما ناسبه مجئ المضارع "نحشر" يريد أن يخبرهم عن أمر استبطؤه، كما في السياق : (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 71 أي أن الصيغة "نحشر" أفادت معنى الوعيد للمكذبين بالأهوال التي تكون بعد قيام الساعة، والوعيد ناسب التبكيت والتعنيف للزعماء من كل أمة الذين يتبعهم الناس، كما في قوله بعد الشاهد : (حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ إَذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) 84

اشترك في الشواهد الثلاثة الماضية معنى الوعد والوعيد واقترباها بالظرف "يوم" فكان حشر للمتقين، وحشر للمكذبين، وحشر حدده بالجملة، أو باعد بين الشاهد والمفعول به لأجل ما وقع فيه بنو إسرائيل من الفرقة والتباعد والتحزب لاستمرارهم في الاختلاف في عيسى - عليه السلام - قال : (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) 83

أما قوله : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْنَى) طه 124 فسياقه في قصة آدم وحواء - عليهما السلام - ونون العظمة في الشاهد لمناسبة اقتداره سبحانه على عقوبة المعرض عن الذكر، ولمناسبة انتهاك حرمة داره المقدسة وهي الجنة بالمخالفة والركون إلى وسوسة الشيطان، بعد وقوع النسيان على آدم وزوجه عليهما السلام.

وإلى جانب القدرة ناسبت نون العظمة حكمته تعالى في منحه الهدى للعباد، وفي احترازهم به تعالى عند اتباعهم للإيمان به، وصيغة المضارع للوعيد والإنذار، ولبعث الهمم على اتباع الهدى ومعاداة الشيطان والتحفظ من مخالفة أوامره تعالى، وهنا جاء الضمير مع الفعل، للاهتمام بحال وصورة حشرهم، والإعراض الذي هنا يتعلق بالنسيان الذي يطراً على كل بني آدم، كما قال تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) طه 115 فالمعصية

هنا ترتبط بالنسيان، أما هناك في الشاهد السابق فإن المعصية ترتبط بالاستكبار، فهو إعراض سببه الكفر والاستعلاء ولهذا عندما ذكر قصة آدم وزوجه - عليهما السلام - مع إبليس هنا لم يذكر كلمة "استكبر" عند ما أمره بالسجود، قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (116) فهو إعراض سببه الكفر والنسيان، ولهذا قال بعد الشاهد: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) ويلاحظ ذكر كلمة "رب" المتكررة ما يعنى ربطه بالضمير بعد الفعل "نحشره" ونسبة الهدى إليه تعالى "هادي" ما يدل على أن علة حشر المعرضين في الشاهد السابق أعظم كفرا، "نحشر المجرمين" وهو من دلالات اسم الفاعل.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام 22)

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا تَاغِبُونَ﴾ (يونس 28)

وقوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبْهُدَى الْمُسْتَهْدَى وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَخْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء 97)

وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَخْشِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثْيًا﴾ (مريم 68) اشتركت الشواهد الأربعة بصيغة المضارع، وبالنون، وبالضمير "هم" إلا إنه في الشاهد من سورة الإسراء حدث التفات من الغيبة إلا التكلم، للاعتناء والاهتمام بأمر الحشر، لأنهم لم ينتفعوا بما وهبوا من الأبصار والنطق والأسماع، فسحبوا على وجوههم إهانة لهم، قال البقاعي: "ولما كان يوم الفصل

يوما يظهر فيه لكل أحد في كل حالة من عظمته تعالى ما يضمحل معه كل عظمة قال تعالى : "نحشرهم" بنون العظمة أي نجتمعهم بكره، مسحوبين على وجوههم إهانة لهم فيها كما لم يذلوا بالسجود لنا¹

أما في الشاهدين من سورتي الأنعام ويونس، فقد وردا مع الظرف لغرض التوعد بالعذاب، لكنمان اليهود شهادتهم بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - قال الرازي: "في ناصب قوله "يوم" أقوال: الأول: أنه محذوف وتقديره "ويوم نحشرهم" كان كيت وكيت، فترك ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف، والثاني: التقدير اذكر يوم نحشرهم، والثالث: أنه معطوف على محذوف كأنه قيل لا يفلح الظالمون أبدا يوم نحشرهم"² والوجوه الثلاثة تفيد التهديد والإنذار، سيما أن السياق حافل بالوعيد لهم، ولهذا قال عقب الشاهد: "ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون" والمراد التبكيك والتوبيخ والتفريع لهم، بما ظنوا في أنفسهم أنه حاصل من شفاعة الشركاء فوجدوها مأیوس عنها، ونون العظمة لمعنى القهر والغلبة لله على عباده الذين يستحقون العذاب من المعاندين الجاحدين للحق، ولحكمته ولعظيم سلطانه، وأنه أكبر شهادة بينه وبينهم على أنه رسول من عند الله.

والضمير "هم" يعود على المشركين وأصنامهم، لمجيء الحال "جميعا" الدال على قصد الشمول، جاء في التحرير والتنوير: "الضمير في "نحشرهم" يقصد به المشركون، فيؤذن بمشركين ومشرك بهم" وللتنبيه على أن الضمير عائد إلى المشركين وأصنامهم"³

أما في الشاهد من سورة يونس، فالضمير فيه يشمل المؤمنين والكافرين، لأن السياق في تبيين سمات الفريقين وجزاءهما، وأراد تفصيل الحالة التي يمتاز بها

¹ نظم الدرر 107/5

² تفسير الرازي 1757/1

³ التحرير والتنوير 467/4

الذين أشركوا فاتى بصيغة المضارعة "نحشرهم" أي اذكر يا محمد لهم زمن الحشر للتهويل والموعظة، وفائدة "هم" من إرادة عموم الناس من المؤمنين والكافرين، هي افتضاح أمر الذين اتخذوا مع الله آلهة أخرى، وأن المؤمنين إذا رأوا مصير المشركين، يزدادوا سرورا بنعمة فوزهم بالجنة وتقوى بذلك النكاية للخاسرين، قال ابن عاشور: "الضمير في "نحشرهم" للتخصيص على إرادة عموم الضمير، وذلك أن الحشر يعم الناس كلهم، ومن نكت ذكر حشر الجميع هنا، التنبيه على أن فظيغ حال المشركين وافتضاحهم يكون بمرأى ومسمع من المؤمنين، فتكون السلامة من تلك الحالة زيادة في النعمة على المسلمين، وتقوية في النكاية للمشركين"¹ ولهذا قال عقب الشاهد "فزيلنا" بالماضي لإفادة تحقق التفريق بينهم وبين أصنامهم، وعلق الفعل بالأصنام إشارة إلا أنه سبحانه أنطقها لتتبرأ منهم، ليزدادوا حسرة وندامة.. وبذلك يكون لنون العظمة مناسبة تمام عدله في جزاء السيئة بمثلها، واقتداره على الكافرين، فلا يعصمهم أحد من عذابه وسخطه، وتأييس وتهديد فلا حافظ لهم ولا مانع من انتقام ربهم وجزائه، وفي نون العظمة مناسبة إحسانه إلى أهل الجنة، والتفضل عليهم بالزيادة وهي الحسنى وقيل "رضوانه" أو رؤيته سبحانه وتعالى، أي: إلى أمر يعود إلى رفعة أقدارهم.

أما الشاهد من سورة مريم (لَنَحْشُرَنَّهُمْ) 68 جاء مؤكدا، لما بدر من أبي بن خلف من تماد في استبعاد وإنكار البعث، بعد إذ فتت عظاما بالية مبرهنا استحالة إعادتها، فالصيغة أفهمت الانتقام والسوق والاحتقار في حشر المكذبين، لما قالوا من الكفر، ولهذا جاءت بنون العظمة، لما كان في إنكارهم للبعث من احتقاره واستبعاد لشأنه ولهذا أسقط من التعبير عن تحقير الكافر ما أمكن من إعدام النون في قوله : (وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) 67 والقسم فيه تفخيم لشأن الحشر، وإثبات أهوال ما بعد البعث، وهو ما يدل عليه بأبلغ حجة وأوضح برهان وفيه رد أكد وأبلغ

¹ البحر المديد 3/484

على طريقة استبعاد الكافر، وإنكاره للإحياء والإعادة بطريقته العملية، جاء في البحر المديد: "في القسم إثبات البعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجه وأكده، كأنه أمر واضح غني عن التصريح به، وإنما المحتاج إلى البيان ما بعد ذلك من الأهوال، أي حيث ذكر الحشر وما بعده، ولم يصرح بنفس البعث لتحقيق وضوحه"¹ فالصيغة "لنحشرنهم" أفادت تحقق وضوح البعث، وأن المحتاج إليه هو ما بعده من إحضار الكفرة حول جهنم جالسين على ركبهم لما يصيبهم من هول المشهد، فهم يساقون إلى شاطئ جهنم جثاة إذلالاً لهم أو أنهم عجزوا عن القيام لشدة خوفهم، ولهذا لزم سبحانه القسم بعد الشاهد : (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا (٦٩) مريم

أما قوله : (وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) يونس 45 فهو من قبيل رد العجز على الصدر، أو عطف القصة على القصة، أي عوداً إلى الغرض من الشاهد الأول : (وَيَوْمَ نَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرِئْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ) يونس 28 وهو التقرع لهم بعد أن افتضحهم في الحشر على مرأى ومسع من المؤمنين، وافتضحهم حين أنطق أصنامهم لتتبرأ منهم، ثم وبخهم على عبادتها، فالشاهد سياقه الوعيد، سيما أنه معطوف على الأول، والوعيد هنا يظهر من قوله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسُ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) يونس 44 وجاء بياء المضارعة أربعة شواهد أخرى تشترك بالوعيد للمكذبين المعارضين لآيات الله، وهي :

قوله : (وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلُّنَا عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) الفرقان 17

وقوله : ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا تَنْمُ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُؤَلَاءِ إِنَّا كُنْمْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ﴾ سبأ 40

وقوله : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَخْشَرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الحجر 25

وقوله : ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رِئَاءٌ اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالَ
النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام 128

والفرق فيما بينها أن التي ذكر معها الحال "جميعا" دلت على الإفراط في
التفسير للكفار، إلى جانب التحذير والموعظة للمؤمنين، وفي الأخرى كان
ضمير الجمع إما لاشتغال الكافرين مع من عبدوهم من دون الله، أو لشمول
الأولين والآخرين ممن خلق. و المضارع أتى لبيان حال وأحوال ما قبل العذاب
بالسعي بعد أن توعدهم به، قال ابن عاشور: "لما توعدهم بالسعي، وما يلاقون
من هولها، بين لهم حال ما قبل ذلك وهو حالهم في المحشر مع أصنامهم، هذا
مظهر من مظاهر الهول لهم في المحشر إذ يشاهدون خيبة آمالهم في آلهتهم إذ
يرون حقارتها، وتبرؤها من عبادها، وشهادتها عليهم بكفرانهم نعمة الله
وإعراضهم عن القرآن"¹

أما قوله : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَخْشَرُهُمْ إِلَهِ جَمِيعًا﴾ النساء 172 فهو في النهي
عن الغلو في عيسى بن مريم -عليهما السلام- وعن ادعاء ألوهيته، وغرضه
المبالغة في وعيد المكذبين، ووعد المؤمنين بالمغفرة والرحمة، لما ورد بعد
الشاهد : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ 173 وللتعبير
عن المحشورين بالحال "جميعا" ولأن الفاء في الصيغة "فسيحشرهم" لجواب
الشرط "ومن يستنكف" جاء في اللباب في علوم الكتاب: "تضمن الكلام الوعد

والوعيد، لأن حشرهم يقتضي جزاءهم بالثواب أو العقاب، فيكون التقدير: ومن يستكف عن عبادته ويستكبر، فيعذبه عند حشره إليه، من لم يستكف ويستكبر فيثيبه¹ والسين في الشاهد ناسبت معنى الغلو في الدين، كما كان من النصارى أو ممن عبد الملائكة.

أما صيغة المضارع المبني للمفعول فهي في شواهد ثلاث اشتركت في دلالتها على الخزي للمكذبين والذل والهوان، إلا أن سياق الشاهد من سورة الأنفال كان في الصد عن سبيل الله وإنفاق الأموال لمنع الناس عن الإيمان بالله، فذكر سبحانه أنهم يحشرون إلى جهنم، أما في سورة الفرقان، فإنهم أتوا بسؤالات تضلل عن سبيل الله وكانوا يجتهدون في تميم اعتراضاتهم وتحسينها حتى يخيل للناس أنها الحق، قال قبل الشاهد: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)³³ والمثل الاعتراض والبناء للمفعول كان لجمعهم قهرا مقلوبين على وجوههم لأنهم زينوا الباطل للناس وحسنوه لهم حتى آمن بهم ضعفاء العقول من الناس قال البقاعي: "الذي يحشرون أي يجمعون قهرا ماشين مقلوبين على وجوههم أو مسحوبين إلى جهنم كما أنهم في الدنيا كانوا يعملون ما كأنهم معه لا يبصرون ولا تصرف لهم في أنفسهم توزهم الشياطين أرا² فالمضارع فيه توعدهم جزاء ما دأبوا عليه من الذنوب وضلالهم الذي غدا كالعمى المحسوس جاء في المحرر الوجيز "ثم توعدهم الكفار بما ينزل بهم يوم القيامة من الحشر على وجوههم إلى النار وذهب الجمهور إلى أن هذا المشي على الوجوه حقيقة وقال فرقة المشي على الوجه استعارة للذلة المفرطة والهوان والخزي"³ ولهذا ذكر بعد الشاهد الأمم الذين أخذوا بالعقاب تمثيلا لهم وتوعدهم أن يحل بهم كما حل بهؤلاء، أما قوله: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) فصلت 19 فقد عبر عنهم بكلمة أعداء ليبين علة ما يحيط بهم من

¹ اللباب في علوم الكتاب 150/7

² نظم الدرر 316/5

³ المحرر الوجيز 255/4

العذاب وقال: "يوزعون" ليدل على كثرتهم فهم يتلاحقون ويتدافعون ويساقون إلى النار.

قوله : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَخَذًا﴾ الكهف47 صورة إنكار البعث هنا التكبر والبطر لما ورد في السياق من قصة صاحب الجنتين الذي جحد قيام الساعة معتزا بما له من متاع الدنيا ولذا جاءت الصيغة بنون العظمة أي بما لنا من العظمة والاقتدار نأخذ كل مختال مغرور، جاء في الظلال: "إنه الغرور يخيل لذوي الجاه والسلطان والثراء أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى فما داموا يستطيعون على أهل هذه الأرض فلا بد أن يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ"¹ ولأجل هذا وردت الصيغة بالماضي مؤكدا الحشر لمن تكبر واغتر وتجر وفي الصيغة عدول عن المضارع لإفادة التوعد قال الزركشي: "هذا الالتفاف في الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريرا وتحقيقا لوقوعه"² لأنه قال "نسير" بالمضارع ثم عدل عنه إلى الماضي وممن اعتبر التعبير به مجازا الألوسي إذ قال: "حشرناهم أي جمعناهم إلى الموقف من كل أوب بعد أن أقمناهم من قبورهم وإيثار الماضي بعد نسير وتري للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا"³ وقد عد الزمخشري المضي في الشاهد حقيقة قال: "جئ بحشرناهم ماضيا بعد نسير وتري للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأحوال العظام كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك"⁴ فيكون المضي لغرض المعاينة لما يجري من أهوال قبل قيام الساعة والغاية هي المبالغة في إيلام المكذبين ولقد

¹ في ظلال القرآن 64/5

² البزاهر، في علوم القرآن 372/3

³ روح المعاني 288/15

⁴ تفسير الكشاف 678/2

أحاط السياق معاني الخيرية الحقة عند الله، وعاقبة البطر والكبرياء، ثم قال بعد الشاهد : ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف 48 لقد كانوا يكذبون بالبعث فبين لهم بصيغة الماضي مجيئهم للحساب فرادى مجردين من أموالهم وأولادهم.

قوله : ﴿اٰخِشْرُوا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا وَاٰزُوا جِهَهُمْ وَمَا كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ﴾ الصافات 22

صيغة الأمر هنا لاختلاف في صورة إنكارهم للبعث رغم ما في أيديهم من دلالات البعث لكنهم استبعدوا إعادتهم من التراب بل إنهم سخروا من تعجب النبي صلى الله عليه وسلم لإنكارهم البعث فنزل قوله : ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ 12 وإذا أتتهم آية دالة على إحيائهم لا ينتفعون بها ويطلب بعضهم من بعض المبالغة في السخرية والاستهزاء ووصفوا الآيات التي تدل على قدرة الله بأنها سحر واضح وقالوا : ﴿إِذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا إِنَّا لَمُبْعُوثُونَ﴾ (١٦) أَوَيَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) فأمر الله نبيه بجوابهم في قوله : ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ 18 وعبر بالمضارع لتصوير حالهم وقال : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْتَظِرُونَ﴾ 19 وعطف عليه بالمضي لمعنى الاستقبال إعلاما بتحقيق بعثهم، ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ 20 لقد تحسروا على ما فاتهم من التصديق الذي ينفعهم، وأعاد اسم الإشارة لما أصابهم من هول هذا اليوم الذي يفصل فيه بين العباد ثم ازداد تأسفهم عن طريق الالتفات من التكلم إلى الخطاب قال : ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ 21 فتم الجار لتعظيم تكذيبهم للبعث وبينما هم في هذا التغمم والتندم والتأسف أتاهم النداء من الملائكة أو جانب سلطانه بإذلالهم وامتهانهم وأسقط ما يدل على النداء لبيان السرعة في تنفيذه قال البقاعي: "بينما هم في هذا التأسف إذ برز النداء بما يهدئ قواهم ويقر قلوبهم وكلاهم، "احشروا أي اجمعوا بكره وصغار وذل أيها الموكلون بالعباد من الأجناد"

فصيغة الأمر كانت للدلالة على إكراه منكري البعث في جمعهم وإصغارهم وإذلالهم وقد أظهر في موضع الإضمار ليدل على سبب عاقبتهم الوخيمة بوصفهم أنهم لا يضعون الأمور في محالها إذ تخطبوا بظلمهم لأنفسهم بالكفر وإنكارهم البعث المبالغ فيه، فالمبالغة فيه وصيغة الأمر تدل على حيرة وقع فيها الكافرون بعد البعث لما رأوا أهوال القيامة، قال الرازي: "إذا قام الكفار من قبورهم لم يبعد أن يقفوا هناك بحيرة تلحقهم بسبب معابنتهم أهوال القيامة ثم إن الله تعالى يقول للملائكة : ﴿ اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْنُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) الصافات أي سوقوهم إلى طريق جهنم^١ فالملائكة تحشرهم إلى موقف المسألة وتحشر أزواجهم وما يعبدون من دون الله، أي تدلهم وتهديهم إليه.

لكن عند أبي هلال العسكري لا يكون هنا الحشر بمعنى السوق، لأنه يُقال: "وما كانوا يعبدون من دون الله"^٢

وفي الصيغة وعيد وإنذار قال ابن عاشور: "انتقل من الإنذار بحصول البعث إلى الإخبار بما يحل بهم عقبه إذا ثبتوا على شركهم وإنكارهم البعث والجزاء والحشر جمع المتفرقين إلى مكان واحد وذكر الأزواج إيبلاغ في الوعيد والإنذار لنلا يحسب أن النساء المشاركات لا تبتعة عليهم"^٣

وحشر ما يعبدون معهم للزيادة في تحسيرهم وقوله "ما لكم لا تناصرون" للتهكم بهم ولتقريعهم وتوبيخهم فالسياق في إنكار البعث والمبالغة فيه والسخرية من تعجب النبي صلى الله عليه وسلم لإنكارهم وتكذيبهم البعث والاستسغار من آيات الله تعالى والشاهد حذف بالتحسير والإنذار والوعيد والتهكم والتقريع

^١ تفسير الرازي 3762/1

^٢ ينظر الوجوه والنظائر أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ص 183 ت 395 هـ تحقيق محمد عثمان مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ط 1 1428 هـ 2007 م

^٣ التحرير والتنوير 177/12

والتوبيخ فناسبه صيغة الأمر للدلالة على السوق والإكراه والإصغار والإذلال

وقوله : ﴿وَإِذَا خُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ الأحقاف 6

وهي الصيغة الوحيدة في الزمن الماضي المبني للمفعول وسياقها محاجة الذين أشركوا ومعارضتهم لكتاب الله تعالى كما قالوا : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنفال 31 رغم ما بين لهم من خلق السماوات والأرض وما بينهما من أدلة على واحدانيته وقوانين كونية ثابتة سوف تنقضي بانتهاء أجلها ولكنهم جحدوا هذه الحقيقة وأعرضوا عما أنذروا به من خلقهم يوم البعث فقال : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ انْتَوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الأحقاف 4 لقد نفى الله سبحانه أي دليل إلهية أصنامهم، لا من حيث تأثيرها في الخلق أو أن يكون لها ذكر في كتاب من الكتب المنزلة على الأنبياء قبل القرآن الكريم وقد وسع عليهم في أنواع الأدلة فقال : ﴿أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عَلِيمٍ﴾ 4 أي انتوني ببقية بقيت عندهم من أهل العلم وذلك أقطع لعجزهم عن الإتيان بشيء مما طلب منهم، وقال : ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ 4 زيادة في إفحامهم والمضي في الصيغة جاء خلال المحاجة تمهيدا للتعجب من حالهم قال ابن عاشور : ﴿وَإِذَا خُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ 6 اعتراض في أثناء تلقين الاحتجاج فلما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يحاجهم بالدليل وجه الخطاب إليه تعجيبا من حالهم وضلالهم¹ ولهذا قال قبل الشاهد : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ 5 أي أن تلك الآلهة لا تملك الخلق والتكوين أو التصرف لكنهم عبدوها وكانوا يدعونها في شذائدهم فليس هناك أعجب من حالهم ولا أشد من ضلالهم

البناء للمفعول في الصيغة في تحقير شأن الحشر ويسره على الله تعالى وهو ما يناسب التوبيخ والتعنيف والتعجب عن عبادتهم للأصنام

وقوله : (يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) ق44

لماذا اختصت سورة "ق" بالمصدر "حشر" من بين الصيغ العشرين للمادة ح ش ر ؟ لأن هذه السورة تعالج أصلاً من أصول الدين وهو البعث، فافتتحت بقوله : (إِذَا مَثْنَا نُكُنَّا نُرَابًا دُمًّا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) 3 لأن كلمة رجع تحتل المصدرين الرجوع والرجعى، فإن كان مقصودهم المتعدي فيهما "فقد أنكروا كونه مقدوراً في نفسه، ويدل على الرجعى المتعدي قوله: "إن إلى ربك الرجعى" وعلى الثاني قوله : (إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْأَفَّاةِ) النزاعات 10 أي مرجوعون¹ فكان إنكارهم للبعث بصيغة المصدر رجع أشد، وسبب إحالة البعث عندهم، عدم قدرته، سبحانه وتعالى، على جمع الإنسان إذا بلى وتفتت واختلطت أجزاؤه بذرى التراب، فهو أمر لا تتصوره عقولهم، فكيف كان رده عليهم؟ لقد اقتلع أصل ظنونهم بأنه علم أماكن أجزاء وذرات الأجساد الفانية التي نقصت الأرض منها وأكلت، فقال : (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) ق4 وبهذا ظهر الرد المناسب للاستبعاد الأقصى للبعث المتمثل بصيغة المصدر "رجع" ليقطع ما في نفوسهم من شك، وهو أن الله سبحانه إذا كان قادراً على جمع فئات الموتى فكيف يعلم مواقعها، وقد تناثرت واختلطت بأجسام أخرى من الأرض، وهذا من أسرار صيغة المصدر وهو إبطال الشبهة في نبذ أصلها، وهي معالجة جديدة في رد تكذيب المنكرين للبعث، ولهذا وردت الصيغة "حشر" وأجابهم بطريقتهم التي أنكروا بها فقال: "ذلك" باسم الإشارة. وقالوا عنه "بعيد" فقال: "يسير" قال أبو السعود: "أي بعث وجمع وسوق علينا يسير أي هين"² لقد أحاط بالشاهد العديد من المعاني والأساليب الدالة على سهولة

¹ اللباب في علوم الكتاب 12/18

² تفسير أبي السعود 135/8

الحشر ومنها: تخصيصه تعالى به عن طريق تقديم الجار والمجرور، جاء في الكشف: "تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن"¹ ومنها حذف تاء المطاوعة في الصيغة "تشقق" للدلالة على يسر وسهولة الفعل عليه سبحانه، قال البقاعي: "عبر بفعل المطاوعة لاقتضاء الحال له، وحذف تاء المطاوعة إشارة إلى سهولة الفعل"² وهنا أيضا واءم بالمصدر سراعاً وهو حال من الضمير في كلمة عنهم أي مسرعين في إجابة المنادي فيخرجون من بطن الأرض أحياء كما كانوا من قبل فوقها أحياء ومنها أيضا ما جاء في قوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) 38 أي إيعاء وهو تنبيه وتبكيك لمنكري البعث، فإن خلق السماوات والأرض أشد من بعثهم وحشرهم، وإلى جانب معنى اليسر والسهولة، فقد أحاط بالمصدر "حشر" معاني العظمة لله سبحانه وتعالى، ومنها قوله: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) 41 أي "استمع لما أخبر به من حال يوم القيامة" وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به"³ وأتى باسم الإشارة والمصدر "الخروج" للتهويل ومنها: تكرير كلمة "حشر" بالإضافة إلى تقديم الظرف ودلالته على الاختصاص للتعظيم، ونون العظمة في كلمة "علينا" وفي "خلقنا" أي بما لنا من العظمة والقدرة، وكذلك "نحن أعلم بما يقولون" وقبل الشاهد: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ) 43

والحكمة في إحاطة الشاهد بذلك التعظيم هو ما جاء في طالع السورة من القسم بالحرف "ق" وهو القسم بالقرآن ووصفه بصيغة مبالغة "مجيد" مما يدل على أمر عظيم، وهو إنكار بشرية النبي - صلى الله عليه وسلم - وتالياً إنكار ما جاء به وأعظمه الإيمان باليوم الآخر.. وبهذا فالمصدر جمع بين معنيي السهولة

¹ تفسير الكشف 296/4

² نظم الدرر 267/7

³ البحر المنيد 128/4

واليسر والتهويل والتعظيم، والسبب كان بما أحاطه من قرائن كالتنكير والتخصيص بتقديم الظرف، والسهولة سببها الاستبعاد الأقصى الذي بدر منهم والتعظيم سببه الاختصاص به تعالى وغير ذلك

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن أقرر أنه قد طغت الجملة الفعلية للمادة ح ش ر فكانت تسع عشرة جملة، أما الاسمية فهي واحد مثلت في المصدر عند قوله: (ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) 44 وغرضه إبطال شبهة منكري البعث في نبذ أصلها، لما بدر منهم من الاستبعاد الأقصى للبعث، ينفي صفة العلم عنه تعالى ثم نفي قدرته على جمع الرفات المفتتة المختلطة بأجزاء الأرض وتقدم الظرف على الشاهد لاختصاصه تعالى بفعل الحشر، وليبان عظمتة وقدرته، وقد وصف الحشر بأنه "يسير" أي هين، وبهذا يجمع المصدر بين معنيي اليسر والسهولة والتفخيم والتعظيم.

أما المضارع فقد جاء بصور متعددة، وكان بنون المضارعة سبعة شواهد، ثلاثة منها وردت مع الاسم لبيان علة حشرهم إن كانوا متقين أو مجرمين، وباعد في شاهد بين الفعل والاسم بالظرف لبيان الاختلاف الذي وقع فيه بنو اسرائيل وافتراقهم في شأن عيسى عليه السلام وتحزبهم ما أدى إلى مبالغة منهم في الضلال وهو علة حشرهم بالسوق والإذلال، وذكر هنا كلمة يوزعون لأنه من لوازم الحشر، أي إن الناس لكثرتهم تتباعد وتتفرق أماكنهم، ثم بالحشر هم يتجمعون وينضمون إلى مكان واحد.

وكل الصيغ الواردة بنون العظمة هي لإثبات العلم، والقدرة، والحكمة لله تعالى.

أما ما جاء مع الضمير، فالإفراد كان في صيغة واحدة، في قوله: (وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) طه 124 فالضمير المفرد جاء لمعنى الإغراض العام الذي يكون من المؤمن كما يكون من الكافر، وهو مقرون بالنسيان، يعنى أن الضمير المفرد جاء للمعصية الفردية

كالإعراض عن الذكر والنسيان أو الذي لا يشترط فيه جهد الجماعة، كما نجده دون شرط الاستكبار، أما ضمير الجمع في "نحشرهم" فسياقة المعصية الجماعية كالإضلال والصد عن سبيل الله والاستعلاء في الأرض، وسياقه الإشراف بالله لأنه يشمل حشر المشركين والمشرك بهم، وهم الأصنام التي عبدوها، وأحياناً الملائكة أو النبيين، وقد يكون لحشر المؤمنين والكافرين، والغرض افتضاح المكذبين، وتخلي معبوداتهم عنهم وتبرؤها منهم، ولزيادة إيلاهم وتحسيرهم بما يعاينوا من مصير المؤمنين في حشرهم بإكرام وتبجيل ولزيادة مسرة الناجين المؤمنين لمعاينة عذاب الفريق الآخر وهم الكافرون.

الغرض الرئيس للصيغ هو الوعيد باستثناء حشر المتقين، ولكن إلى جانبه تختص بعض الصيغ بمعان أخرى، مثلاً الصيغة التي شملت جمع المؤمنين والمكذبين فهي للإنذار والموعظة والتحفظ عن ارتكاب المعاصي إلى جانب معنى الوعيد كالتى جاءت بياء المضارعة وعددها ست، واحدة منها مزودة بالسين، وسياقها النهي عن الغلو في عيسى ابن مريم عليهما السلام وعن تثليث الآلهة، فالصيغة أفادت الوعد والوعيد، لأن الفاء فيها لجواب الشرط ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ النساء 172 أي يعاقب المستكبر ويثيب من لم يستنكف عن عبادته، والمضارع دل على أن حكمة الإله تقتضي وجوب الحشر والنشر ودل على بيان حال ما قبل العذاب بالسعير بعد إذ توعدهم به.

وجاء في المضارع المبني للمفعول ثلاث صيغ لغرض قهر المكذبين بحشرهم مقلوبين على وجوههم يمشون عليها، أي لغرض الخزي والذل والمهانة إلى جانب الوعيد، لأنهم صدوا عن سبيل الله وأنفقوا الأموال لمنع الناس عن الإيمان

بأنه، ودلت على القهر لأنهم ضلّوا سبيل الناس بتزيين الباطل، وتنميق الشبهات والمطاعن في القرآن.

وصيغة واحدة كانت للأمر، والغرض منها جمع منكري البعث بإذلال وإصغار، وفيها الوعيد والإنذار بحصول البعث، وتدل على معنى الحيرة لأن الكفار إذا قاموا من قبورهم تلحقهم الحيرة لما يعاينوا من أهوال القيامة، فيأمر الله تعالى ملائكته بقوله : (اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) الصافات 22

وجاءت صيغة واحدة في الماضي المبني للمفعول وهي في معارضة الذين أشركوا للكتاب فالمضي في الصيغة خلال المحاجة جاء تمهيدا للتعجب من حالهم والبناء للمفعول لتحقيق شأن الحشر وهوانه على الله تعالى ما يناسب التوبيخ والتعجب من عبادتهم للأصنام.

وجاءت صيغة مؤكدة باللام والنون "لنحشرنهم" في غرض السق و المهانة للمكذبين وأن الحاجة هي في بيان ما بعد البعث فهو لم يصرح به واهتم فيما بعده وفيه رد أبلغ وأكد على طريقة استبعاد الكافر وإنكاره للإحياء والإعادة بطريقته العملية وهي أنه فتت عظاما بالية، مستدلا بذلك على إحالة البعث.

وصيغة واحدة كذلك وردت بالماضي المبني للفاعل وسياقها إنكار الساعة المقرون بالكبر والبطر والغرور بالسلطان وفيها وقع الالتفات من المضارع لغرض تحقق أمر الحشر وللتهديد بأهواله وقد نسب سبحانه الفعل إلى نفسه إيدانا بعظمته واقتداره وقوة سلطانه أما إذا كان المضي على حقيقته في الشاهد فغرضه معاناة الكفرة لأهوال التدمير الكوني عند قيام الساعة.

وبعبارة أخرى الوعيد هو الغرض الرئيس للمادة ح ش ر إذا استثنينا غرض الوعد والموعظة والتحذير عن ارتكاب الآثام لغلبة صيغ المضارع فيها البالغ عددها ست عشرة ثم جاء القسم لإفادة تحقق وضوح البعث وأن الحاجة هي ما بعده في بيان أهوال الحشر وهو في شاهد واحد.

ثم الإذلال والإصغار والحيرة في صيغة الأمر "احشروا" ثم التعجب والتبكي والتقريع للمكذابين في الماضي المبني للمفعول وهو في شاهد واحد ولتحقق وقوع الحشر والتهديد بأهواله في الماضي المبني للفاعل في شاهد واحد ثم اقتلاع شبهة المكذابين في نزع أصلها عن طريق المصدر وهو في شاهد واحد.

من الأغراض البلاغية لهذا الفصل "توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير البعث والحشر" الآتي:

في الجملة الفعلية: ورد المضارع المبني للفاعل في التحذير والتخويف الإنذار والوعيد وجاء في السوق والإسراع والعجلة والاضطراب والإنكسار والخشوع كما في "يخرجون".

وجاء في الإعراض العام المقرون بالنسيان، أو بالمعصية الفردية حالة اتصاله بالضمير المفرد كما في "نحشره" وغرضه الموعظة والإنذار وأما مع ضمير الجمع فهو في المعصية الجماعية كالإضلال والصد عن سبيل الله والاستعلاء في الأرض وجاء في زيادة تحسير المكذابين وإيلامهم عند معاينتهم مصير المؤمنين وجاء في الدلالة على صحة البعث عن طريق إثبات القدرة للآلهة ثم التوقع منها إنشاء الموتى كما في "ينشرون" أي في غرض التهكم بهم.

أما المبني للمفعول فقد جاء في غرض التفصيل والبيان لبعض أهوال القيامة تعظيماً للبعث ولغرض الموعظة والحث على الطاعات كما في "ينفخ" والدلالة على استمرار مكوثهم في البرزخ إلى يوم الدين، وللردع والإقناعات عن عودتهم إلى الدنيا كما في "يبعثون" وللإيذان بسهولة البعث ويسره وهوانه عليه تعالى وللتحذير عن مخالفة أوامره ولمعنى قهر المحشورين، ولغرض الخزي والذل والمهانة إلى جانب الوعيد.

أما الفعل الماضي فقد جاء في التندم والتعجب من قدرة باعثهم كما في "بعثنا" وجاء في غرض إطلاق مشيئته وأن كل أمر موكول إليه تعالى كما في "أنشأه" وفي غرض تمام العدل وبيان الفصل وتقريره كما في "جمعناكم" وفي تحقق أمر الحشر والتهديد بأهواله كما في "حشرناهم".

أما الماضي المبني للمفعول فهو في غرض تأكيد البعث والمبالغة في إثباته وفي تحقير شأنه وفي التوبيخ والتعجب من عبادتهم للأصنام.

في الجملة الاسمية: ورد اسم المفعول في غرض الاهتمام بشخوص المكذبين وهياكلهم أن يخرجها باعث ما، ولتحقير شأن البعث بعدم الاهتمام بالفاعل كما أفاد لزوم الصفة فيه المبالغة في النفي والإثبات.

أما الأسرار البلاغية للمصدر فمنها التحذير الشديد من أهوال الساعة كما في "البعث" وللجزم والقطع واليقين بوقوعه.

وإذا عرّف المصدر فهو في الإثبات أو للبرهان على صحة مقدوريته تعالى في تنفيذه كما في المصدر "النشور" أما التنكير فهو في غرض إثبات صفات في الألوهية عن طريق نفيها عن الآلهة كما في "نشورا". وجاء المصدر في غرض إثبات المسبب لزمان السبب ليكون الرد أبلغ وأكد من نفيعهم الشديد المبالغ فيه فإنهم نفوا السبب ليضمنوا انتفاء المسبب معه كما في "الخروج". وجاء المصدر ضمن التقديم في غرض الاختصاص وقصر البعث والإحياء به تعالى إلى جانب جمعه بين الضدين وهما سهولة الحشر وتعظيمه وتهويله كما في (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) 11

وجاء المصدر في الدلالة على نوع الخروج بأنه غريب لا كما توقعوه كما في "إخراجا".

وجاء في بيان علة الجمع وهي المحاسبة والجزاء وليبيان وقت الحشر وأنه ثابت
الموعد وللدلالة على جمع الأرواح بالأجساد أو جمع العامل بعمله.
وجاء المصدر في اقتلاع شبهة المكذبين في نزع أصلها كما في "حشر"
لقد كانت دلالات المصدر في هذا الفصل هي الأوسع، ثم المضارع المبني
للفاعل.

الفصل الثالث

توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير الحساب
والجزاء

تمهيد:

بعد أن تهيأت الخلائق وانبعثت من أجدائها، مسوقة إلى ربها محشورة إليه، تظهر المحكمة الإلهية، حيث العدل المطلق التام، وسرعة الحساب ودقته، وهنا لا حكم إلا حكمه تعالى، ولا شفيعاً إلا بإذنه، ولا يشغله شأن عن شأن رغم الكائنات الهائلة، ومثاقيل الأعمال البالغة.

يتميز هذا الفصل بمباحث ومسائل قليلة، ربما عبر هذا عن مرحلة قصيرة انتقالية رغم طول يوم الحساب، فإنه زمن ضئيل بالنسبة إلى الخلود في الجنة أو في النار.

يشمل الفصل ثلاثة مباحث، وثلاث مسائل، حاولت ترتيبها حسب وقائع ذلك اليوم، وهي كالتالي:

مسألة: بروز الناس لله تعالى

مسألة: العرض للحساب

المبحث الأول: الحساب

مسألة: القضاء

المبحث الثاني: ثبوت الشفاعة ونفيها

المبحث الثالث: الجزاء

مسألة في بروز الناس لله تعالى

برز فلان للقتال أي ظهر من الصف، ويطلق البراز على الأرض التي خلت من العمران، قال الأصفهاني: " البراز الفضاء، وبرز حصل في براز وذلك أن يظهر بذاته نحو (وَوَثَّرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) الكهف 47 تنبيهاً أنه تبطل فيها الأبنية وسكانها، ومنه الم بارزة للقتال" ¹.

ورد في المادة ب ر ز صيغتان فعلية وهي "برزوا" في الزمن الماضي، واسمية وهي "بارزون" باسم الفاعل.

في سورة إبراهيم: (وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) 48

في سورة غافر: (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) 16

اقترن البروز في الشاهدين بإثبات القوة والعزة لله تعالى والوحدانية، كما في عبارة "الواحد القهار" ولكن في إثبات صيغة الماضي في الشاهد الأول دلالة على تحقيق وقوع الكفر منهم والشك المريب، وإصرارهم عليه وجدالهم الرسل وتوعدهم بالإخراج كل ذلك ناسب الصيغة "برزوا" وكأن الأمر قد تم ليقطع شكهم وسوء أدبهم مع رسلهم، وقال "جميعاً" لأن المقام في المحاجة، فجمع الشيطان والضعفاء والمستكبرين للتخاصم والتجادل كما هم جادلوا رسلهم في الدنيا.

أما اسم الفاعل في الشاهد الثاني، فلأن السياق مهتم بذواتهم وهياكلهم لدى بروزهم من القبور، فالجملة الاسمية "يوم هم بارزون" هي بدل من "يوم التلاق" قال أبو السعود: " أي هم خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يستترهم

¹ المفردات في غريب القرآن 1181

شيء من جبل أو أكمة أو بناء لكون الأرض يومئذ قاعاً صفصفاً ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون، وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الأبدان أو أعمالهم وسرائرهم، ثم قال: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (غافر 16) استئنافاً لبيان بروزهم وتقرير وإزاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهماً باطلاً¹ فالجملة الاسمية في ثبوتها وقوة الصفة في اسم الفاعل ناسبا الشك عند من ظن أن الله لا يبصره، قال الزمخشري، "كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب، أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم، فهم اليوم صانرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه، وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم، وظنهم أن الله لا يبصرهم"² ولأنه جعل الكفر صفة لازمة لهم في اسم الفاعل ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر 14).

¹ تفسير أبي السعود 271/7

² تفسير الكشاف 157/4

مسألة في العرض للحساب

الأصل في العرض أن يطلق على الأجسام كعرض السلعة على المشتري للبيع، ثم استعمل في الأمور المعنوية مثل عرضت الأمر على فلان، قال ابن عاشور: "العرض: إمرار الأشياء على من يريد التأمل فيها مثل عرض الجيش على أميره، وأطلق أحياناً كناية عن لازمه وهو المحاسبة، مع جواز إرادة المعنى الصريح"¹.

في المادة ع ر ض ثلاث صيغ فعلية، وهي بالبناء للمفعول؛ اثنتان منها في الزمن المضارع وهي "تعرضون" بناء المضارعة، والثانية "يُعرضون" وهي ببناء المضارعة، والصيغة الثالثة في الزمن الماضي وهي "عرضوا".

في سورة الحاقة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ 18

في سورة هود: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ 18

في سورة الكهف: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ 48

ورد الشاهد "تعرضون" في سياق التهويل والتعظيم والتفخيم للساعة والغرض منه الوعيد، بعد إذ ذكر إهلاك المكذبين في الدنيا، وحذر من يوم التناد، فالمضارع ورد لتمثيل حال المحشورين وتشبيههم بالجند لدى عرضهم على السلطان لمعاينتهم والنظر في أمرهم، قال البقاعي: "تعرضون) أي على الله سبحانه وتعالى للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر في أمرهم ليختار منهم المصلح للإكرام والتقريب والإنابة، والمفسد للإبعاد والتعذيب والإصابة،

عبر عن الحساب بالعرض. الذي هو جزؤه، فالمحسن لا يكون له غير ذلك والمسيء يناقش¹ وتاء المضارعة هنا لأن السياق في الوعظ كما هو في الوعيد، مما ناسب المخاطبة والتشديد في دقة الحساب فقوله بعد الشاهد: (يُغَرِّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةُ) الحاقة 18 يدل على الإظهار التام لما كان في غاية الخفاء في الدنيا، فهنا ذكر أنواع العروض، وهي عرضتان للحساب وجدال الناس وتقديم معاذيرهم، وعرضة ثالثة يؤتى كل امرئ كتابه فيها.

أما البناء للمفعول فللايذان بأن العرض نفسه هو المهول، وليدل على أنه كلام من القادر على عرضهم يومئذ.

أما قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُغَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) هود 18 فيساقه الكفر والافتراء على الله الكذب، وهو أفظع الظلم ولذلك أتى باسم الإشارة "أولئك" لاستحقاقهم البعد، وأنهم أحرياء بما يأتي بعده من الخبر، لذلك بنى للمفعول الصيغة "يعرضون" ليدل على هوانهم واستسلامهم لكل ما يعرض لهم، وهو سهل هين على ربهم، وليدل على أن عرضهم هو المخوف المهول، قال أبو السعود: "(أولئك) الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الإشارة حصلت الغنية عن إسناد العرض إلى أعمالهم واكتفي بإسناده إليهم حيث قيل "يعرضون" لأن عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ فإن عرض العامل بعمله أفظع من عرض عمله مع غيبته².

أما قوله: (وُغَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) الكهف 48 فسياقه في وصف أهوال الساعة، والمضي في الصيغة لتحقيق الفعل وثبوته، وقد عَقَّبَ الشاهد بتوبيخ وتقريع

¹ نظم الدرر 359/20

² تفسير أبي السعود 196/4

المكذبين فيما زعموا في الدنيا من نفي البعث، قال أبو السعود: "شبهت حالهم بحال جنود غرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمره وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره - صلى الله عليه وسلم- من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء، وإظهار اللطف به - صلى الله عليه وسلم- ما لا يخفى"¹ وهنا كذلك ذكر العرضة الثالثة في كشف الصحف وعرض الأفعال كبيرها وصغيرها، كما قال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُخْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاصِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ 49 وفيه مناسبة لفظية بين "غرضوا" و "وضع" من حيث المضي والبناء للمفعول.

فالمضارع للمادة ع ر ض ورد في التحذير والتعظيم لأهوال الساعة وغرضه الوعيد والموعظة ولذلك أتى ببناء المضارعة، وفي الشاهد الثاني أتى ببناء المضارعة إهانة لهم لأنهم أتوا بأبشع الظلم وهو الافتراء على الله الكذب، والسبب في أن الشاهدين جاءا في الزمن المضارع هو البيان لما سيقع لهم بعد قيام الساعة. أما المضي في الشاهد الثالث "عرضوا" فهو لتأكيد وقوع الفعل في سياق الإنكار الشديد للبعث وفيه التفات إلى الغيبة، والبناء للمفعول في الشواهد الثلاثة بسبب أن العرض المقصود هنا هو المعدى به "على" ويفهم منه الإرادة، ولأنه كلام القادرين، ولسهولته وهوانه عليه سبحانه.

¹ تفسير أبي السعود 4/196

المبحث الأول : الحساب

الحساب هو أن يحصى كل ما على العبد وما له من أعمال، ومؤاخذته عليها قال ابن عاشور " المحاسبة مشتقة من الحساب وهو العد ومعنى يحاسبكم في أصل اللغة يعده عليكم، إلا أنه شاع إطلاقه على لازم المعنى، وهو المؤاخذة والمجازاة، وشاع هذا في اصطلاح الشرع ¹"

في المادة صيغتان فعليتان: المضارع يحاسبكم، والمبني للمفعول المضارع يُحاسب، وثلاث صيغ اسمية، اسم الفاعل حاسبين، وفعليل "حسيب" والمصدر "حساب". ولأن شواهد هذه المادة كثيرة سوف اكتفي بذكر نماذج لكل نوع من أنواع الصيغ، أما باقي الآيات فهي ضمن ثبت خاص في آخر البحث.

الصيغ الفعلية :

في سورة البقرة ﴿لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِنْ تُبْذَوْاْ مَا فِيْ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهٖ اللّٰهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَّشَاءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ 248﴾

في سورة الانشقاق ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَّسِيْرًا 8﴾

الصيغ الاسمية :

اسم الفاعل :

في سورة الانعام ﴿ثُمَّ رُدُّوْا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰهُمُ الْحَقُّ اَلَا لَهٗ الْحُكْمُ وَهُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَ 62﴾

في سورة الانبياء ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِيْنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَاِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ اَتَيْنَا بِهَا وَكَفٰى بِنَا حَاسِبِيْنَ 47﴾

¹ البحر والسير 14/3

فعليل :

في سورة الأحزاب ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ 39

في سورة الإسراء ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ 14

المصدر في الجملة الاسمية :

في سورة المؤمنون ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ 117

في سورة البقرة ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ 202

المصدر في الجملة الفعلية :

في سورة إبراهيم ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ 41

في سورة النبا ﴿ جَزَاءُ مَنْ رَبَّكَ عَطَاءَ حِسَابًا ﴾ 36

وردت الصيغة "يحاسبكم" هنا فعلية لأن السياق في ملكيته تعالى للسموات والأرض، وحقيقة تصرفه فيهما، وبه لزم على العبد القيام بما كلف به، فجاء المضارع ليدل على ما يصدر من العبد على سبيل التجدد والاستمرار ومواخذته عليه، لأن الله تعالى يُعَدُّ عليه أعماله.

والفعل يحاسب وزنه يفاعل وهو من المفاعلة والسياق ذكر أفعالا من العباد فقال: "إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه..." وفعلا منه سبحانه "يحاسبكم" أي ذكر إبداء الأعمال أو إخفاءها من العباد ومحاسبة الله عليها، ذكر البقاعي: "يحاسبكم" من المحاسبة مفاعلة من الحساب والحسب، وهو استيفاء الأعداد فيما للمرء وعليه من الأعمال الظاهرة والباطنة ليجازي بها¹ والمفاعلة دالة على المناقشة أي يكون هناك مواخذة وعدم عفو عن الأعمال، ذكر الخازن:

"معنى الحساب أن الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم، بمعنى أن الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم، وكمياتها، وكيفياتها، وبمقادير ما لهم من الثواب، وعليهم من العقاب"¹ وأسند الفعل إليه تعالى لتربية المهابة في القلوب واستشعارها بمراقبته وتعظيمها لشأن الحساب لأنه في العقاب والثواب.

أما في صيغة البناء للمجهول (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) الانشقاق 8 فإنه في الثواب، ويسره كناية عن عدم مواخذته تعالى للعبد فلا يناقش على أعماله ويتجاوز عنه، ذكر ابن عاشور: "الحساب اليسير: هو عرض أعماله عليه دون مناقشة فلا يطول زمنه فيعجل به إلى الجنة، وذلك إذا كانت أعمال صالحة، فالحساب اليسير كناية عن عدم المواخذة"² وفي الكشف: "يسيرا سهلا هنيا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال" ومنه يعرف سر البناء للمفعول في "يحاسب"³.

أما اسم الفاعل فسياقه في مرد الخلق إليه تعالى، والصيغة الاسمية أفادت صفات فيه تعالى فهو "يحاسب جميع الخلائق بنفسه في أسرع زمان وأقصره، ويلزم من هذا أن لا يشغله حساب عن حساب، ولا شأن عن شأن"⁴

ولما أفرد الحكم له في قوله "ألا له الحكم" ما يحار الفكر في قضائه تعالى بين جميع خلقه، فإنه أتى بأفعل التفضيل ليجيب ذلك التساؤل، ذكر البقاعي: "لما كان الانفراد بالحكم بين جميع الخلق أمرا يحير الفكر ولا يكاد يدخل تحت الوهم، قال محقرا في جنب قدرته "وهو" أي وحده "أسرع الحاسبين" يفصل بين الخلائق كلهم في أسرع من اللحم كما ان يقسم أرزاقهم في الدنيا مثل ذلك،

¹ باب الأول في علوم التنزيل 189/1

² التحرير والتنوير 176/16

³ تفسير الكشاف 726/4

⁴ روح المعاني 361/5

لا يقدر أحد أن ينفك عن عقابه بمطاولة في الحساب، ولا مغالطة في ثواب ولا عقاب، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى فكر وروية، ولا عقد ولا كتابة¹

وفي الصيغة وعد ووعد عند انبهار العقل بحساب كل الخلق على ما صدر منهم من صغيرة وكبيرة كما قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء 47)

أما فعيل وهي بمعنى فاعل فهي في غرض المبالغة أي هو سبحانه البالغ في حسابه الغاية القصوى. لأن الانتقال من اسم الفاعل إليه يفيد زيادة في المعنى وهي المبالغة في الصفة، ذكر البقاعي: "أي لا يكون في الحساب أحد مثلنا، وفيه توعّد من جهة أن معناه أنه لا يروح عليه شيء من خداع ولا يقبل غلطاً، ولا يضل ولا ينسى، إلى غير ذلك من كل ما يلزم من نوع لبس أو شوب نقص، ووعد من جهة أنه لا يطلع على كل حسن فقيد وإن بق وخفى"² ولأن سياق الشاهدين في الخوف من حسابه تعالى، ذكر الألوسي: "ولما كان الخوف من الملك العدل إنما هو من حسابه كان التقدير: فيخافون حسابه، أتبعه قوله: "وكفى بالله" أي المحيط بجميع صفات الكمال "حسيباً" أي مجازياً لكل أحد بما عمل، وبالغا في حسابه الغاية القصوى"³ وجاء في المحيط: "فيه توعّد وهو إشارة إلى ضبط أعمالهم من الحساب، وهو العد والإحصاء، والمعنى أنه لا يغيب عنا شيء من أعمالهم، وقيل هو كناية عن المجازاة"⁴ ولأنهم وحدوا خشيتهم فجعلوها من الله وحده، كانت المبالغة في فعيل، قال الرازي: "كانوا هم أيضاً مثلك رسلاً، ثم ذكره بحالهم أنهم جردوا الخشية ووحدها بقوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب 39) فصار كقوله: ﴿فَبِهَذَا هُمْ أَقْنَدُ﴾ (الأنعام 90) وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب 39) أي محاسباً فلا تخش غيره أو محسوباً فلا

¹ نظم الدرر 66/3

² المرجع نفسه 306/5

³ روح المعاني 431/6

⁴ البحر المحيط 436/7

تلتفت إلى غيره ولا تجعله في حسابك" ¹ وفي سياق الشاهد الثاني ورد: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ الإسراء 13 فلأنه جاء بمعنى إلزام عمله بالعنق فلا يقدر على الإنفكاك عنه، قال البقاعي : معنى "عليك حسيبا" أي حاسباً بليغاً، فإنك تعطى القدرة على قرانته أمياً كنت أو قارناً، ولا ترى فيه فيه زيادة أو نقصان، ولا تقدر أن تنكر منه حرفاً، إن أنكره لسانك شهدت عليك أركانك، فإيا لها من قدرة باهرة وقوة فاهرة، ونصفة ظاهرة" ²

صيغة الحساب في الجملة الفعلية

سياقها في الخشية والخوف من الحساب، والدعاء كما قال : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ إبراهيم 41 أي لبيان ظهوره يوم القيامة وتحقيقه وفيه نفي الغفلة والعجز عنه سبحانه، إذ قال بعد الشاهد: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ 42 والغرض هو تهديدهم بإشراكهم.

وجاء في الوعد والإيعاد، بعد أن ذكر العذاب والنعيم، وعبر بالالتفات في "توعدون" أي ليكون في يوم الدين ..

وجاء في بيان سعة فضله على المؤمنين في مجازاتهم بنعيم الجنة في قوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ النبا 36

وجاء في خيبة ظن الكافر بسوء أعماله وكان يعتقد أنه يحسن صنعا، وقال: ﴿فَوَقَّاهُ حِسَابُهُ﴾ النور 39 بالتضعيف ليدل على تمام عدله، وفي التعبير عن اليقين بالظن لدى اعتقاد المؤمن بحقية الحساب، وهنا أضيفت الصيغة إلى الضمير فقال: ﴿مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ الحاقة 20 وفي إضافته إلى اسم الفاعل مبالغة في تأكيد اليقين للزوم الصفة فيه، بينما تمنى الكافر استمرار جهله بنتيجة أعماله، فقال:

¹ تفسير الرازي 176/25

² نظم الدرر 50/5

(وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَّة) الحاققة 26 وجاء الاسم في نفي رجاء الحساب وهو أبلغ عند التكذيب.

وفي قوله : (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) الشعراء 113 سياقه في تعنت المعرضين، واستكبارهم والغرض من الشاهد هو بيان جزاء المؤمنين، واعتبار اختصاصه تعالى بعلمه البواطن وإطلاعه عليها، لدى مقابلة المعاندين المنكرين، ذكر الألوسي: "أي محاسبتهم على ما يعملون وقوله: "إلا على ربي" باعتبار البواطن من شؤونه عز وجل وهو المطلع عليها لو تشعرون- أي بشيء من الأشياء، أو لو كنتم من أهل الشعور، لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك، فلذا قلتم ما قلتم"¹

كلمة الحساب في الجملة الاسمية

جاءت في المناقشة أي يحاسبوا في كل ذنوبهم، لا يغفر منها شيء ولا تقبل لهم حسنات والشاهد في قوله: (أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ) الرعد 108 وفي قوله: "وعلينا الحساب" هما في هلاك الكافرين لعدم استجابتهم إلى الحق وفي نعيم المؤمنين، أما في قوله: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمُ الْغَاشِيَةِ) 26 فهي في جزاء المعرضين عن الدعوة الكافرين بها، لذلك عطف بما يدل على رتبة الحساب، قال الألوسي: "حسابهم علينا في المحشر لا على غيرنا، وثم للتراخي الرتبي، وفي تصدير الجملة بإن، وتقديم خبرها، والإتيان بضمير العظمة، والعطف بثم المفيدة ببعد منزلة الحساب في الشدة عن الإنباء عن غاية السخط الموجب لشديد العذاب ما لا يخفى"²

أما في الشاهد من سورة الغاشية فإنه في الغضب والسخط عليهم فجاء بثم التي هي للتراخي الرتبي لبيان منزلة الحساب، وشدة عذابهم.

¹ روح المعاني 287/14

² المرجع نفسه 407/22

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ الرعد 108 سياقه هنا في عدم استجابتهم إلى الحق فجاء دون تقديم، ودون حصر وتأكيد، بينما قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (40) فسياقه في التكذيب ومقترحات المتعنتين، وهو لغرض حصر المجازاة به تعالى، وإثبات القدرة التامة عليها، وإعفاء النبي صلى الله عليه وسلم من محاسبتهم، أو محاربتهم، أو تلبية ما اقترحوه تعنتاً منهم، وقصر مهمته في تبليغ الرسالة. أو الغرض هو في تمايز ما كان في اختصاصه تعالى محصوراً عليه وبين مهمة النبي صلى الله عليه وسلم.

ونظيره الشاهد الثاني ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ المؤمنون 77 لكن الحصر فيه

للترهيب من الاشرار في العبادة، جاء في روح المعاني: "الحساب كناية عن المجازاة، كأنه قال: من يعبد إلهاً مع الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه مجاز له على قدر ما يستحقه"¹

والفرق في الشواهد بين اسمية الجملة في الترهيب، وبين فعليتها عند قوله: ﴿وَإِنْ تُبْذِلُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُوا يَحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة 284 أن الحصر والتوكيد والتقديم ورد في الترهيب من الاشرار في العبادة أي ناسبته الجملة الاسمية.

أما الترهيب من الآثام والذنوب، فإنه جاء بصيغة المضارع ليفيد معنى التوعد، ومعنى الاستمرار والمفاعلة بين العبد وربّه، فإن العبد يأتي بالأعمال، وإنه تعالى يجازيه بها.

أما عبارة "سريع الحساب" فقد وردت في ثمانية مواضع، ثلاثة منها دون توكيد وسياقها الترغيب بأجر الآخرة، والترهيب والتخويف من عذاب النار..

¹ روح المعاني 304/13

أما الشواهد الخمسة الباقية فسياقها الاختلاف في الدين، والتحذير من مخالفة أوامر الشرع، ولذلك فإنها أكدت بـ "إن" و وردت كلمة "كل" في سياق الشاهد من سورة غافر ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ 17 كذلك في الشاهد من سورة إبراهيم : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ 51 قال البقاعي: "ولما كان استيفاء الخلق بالمجازاة أمراً لا يمكن بالعادة ضبطه، ولا يتأتى حفظه وربطه، فكيف إذا قصدت المساواة في مثاقيل الذر فما دونها، ضاقت النفوس من خوف الطول، فخفف عنها بقوله معلماً أن أموره على غير ما يُشهدونه، ولذلك أكد وعظم بإظهار الاسم الأعظم : ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي التام القدرة الشامل العلم (سريع الحساب) أي بليغ السرعة فيه، لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره في وقت حساب ذلك الغير، ولا يشغله شأن عن شأن، لأنه لا يحتاج إلى تكلف عبد، ولا يفنقر إلى مراجعة، ولا شيء، فكان في ذلك ترجية للفريقين وتخويف، لأن الظالم يخشى إسراع الأخذ بالعذاب، والمؤمن يرجو إسراع البسط بالثواب".¹

واشترك في سياق الشاهدين بروز العباد لله لا يستترهم منه شيء. قال : ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر 16، وقال : ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم 41

أما في آل عمران ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ 19 فإنه ربط الحساب بالكفر، فقال : "ومن يكفر" بالمضارع مبالغة بالكفر في الاستمرار عليه ولم يقل "كفر" وسياقه الاختلاف في الدين، قال البقاعي : "ولما اقتضت هذه التأكيدات المبشرات إنجاز الأمر وإتمامه وإحسانه، وكان قد تقدم أنه تعالى يؤتي كل أحد من ذكر وأنثى أجره، ولا يضيع شيء، ويجازي المسيئ

¹ نظم الدور 3010/7، ينظر من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل محمد سعيد رمضان البوطي ص 253 مؤسسة الم سالة - بيروت 1420 هـ 1999 م

والمحسن، وكانت العادة قاضية بأن كثرة الخلق سبب لطول زمن الحساب، وذلك سبب لطول الانتظار، وذلك سبب لتعطيل الإنسان عن مهماته، ولضيق صدره بتفريق عزمه وشتاته، كان ذلك محل عجب يورث توهم ما لا ينبغي، فأزال هذا التوهم بأن أمره تعالى على غير ذلك لأنه لا يشغله شأن عن شأن بقوله: "إن الله" أي بما له من الجلال من العظمة والكمال "سريع الحساب"¹

فالشواهد في الجملة الفعلية هي في أعمال القلوب والظن الذي هو بمعنى اليقين، أي فيما هو من جهة العباد، وفي الجملة الاسمية كانت الشواهد في سياق أعمال القلوب من حيث جهته تعالى، كقوله: ﴿إِنْ جَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ الشعراء 113

أو بعبارة أخرى الفرق هو أن الجملة الاسمية بما فيها من حصر وتوكيد وردت في اعتبار اختصاصه تعالى بعلمه بالباطن. وفي الجملة الفعلية كلمة الحساب هي في خوف العبد وخشيته، أو في الرجاء، أو في الظن الذي هو بمعنى اليقين، أو في خيبة ظن الكافر، أو نفي الرجاء، أي هي في أعمال قلوب العباد.

نتبين مما مضى أن في المادة ح س ب ثلاثين صيغة (منها اثنتان فعليتان وهما في الزمن المضارع، الأولى يحاسبكم وسياقها في إلزام العبد بالتكاليف ومواخذته عليها، والثانية مبنية للمفعول وسياقها في جزاء المؤمنين وغرضها في يسر الحساب والتجاوز عن العبد في عدم مناقشته.

وكان باسم الفاعل شاهدان وسياقهما في مرد الخلق إلى الله وغرضهما الوعد والوعيد، وإثبات صفات له تعالى تفرد بها عن الخلق، لذلك ورد مع أفعال التفضيل "أسرع".

وبالصيغة فاعل "حسيب" ورد شاهدان وغرضهما الزيادة والمبالغة في معنى الحساب في سياق الخشية والخوف منه وحده تعالى.

أما الصيغة "حساب" فقد وردت 23 مرة، وقد كانت أبلغ في الجملة الاسمية من الجملة الفعلية في سياق التكذيب وتعتت المعرضين واستكبارهم، لذلك كانت في اختصاصه تعالى بعلم البواطن مؤكدة بمختلف أساليب التأكيد في الجملة الاسمية وعددها 14 ، وكانت في أعمال قلوب العباد كالخوف والرجاء والظن في الجملة الفعلية وعددها 9.

أما عبارة "سريع الحساب" فالإضافة وردت في 8 شواهد، 3 منها دون توكيد في سياق الترغيب بأجر الآخرة، والترهيب من عذابها.

أما في سياق الاختلاف في الدين، والتحذير عن مخالفة الشرع فقد وردت مؤكدة بـ "إن" في 5 شواهد، وفائدة الإضافة هي إثبات القدرة والعلم لله تعالى في سياق استيفاء المجازاة للخلائق جميعها.

مسألة في القضاء

القضاء له معانٍ مختلفة، منها الفصل والحكم، أو هو بمعنى الفراغ والإنهاء، والقضاء أصله القطع والفصل والقاضي في اللغة هو القاطع للأمور المحكم بها، ومن القضاء ما هو مقرون بالقدر، جاء في لسان العرب: "القضاء الفصل والحكم، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه يكون بمعنى الخلق، والقضاء والقدر أمران متلازمان، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، ويكون القضاء بمعنى الصنع والعمل، وبمعنى الأداء والإنهاء، وقضى عليه عهداً أو صاه، وأنفذه"¹

والمراد به هنا الفصل والحكم بين المتخالفين، وقد يكون بين أهل الحق وأهل الباطل، أو بين الكفرة أنفسهم.

في المادة قضى صيغتان فعلتيتان، الأولى (يقضي) بياء المضارعة، والثانية ماضية، وبالبناء للمفعول وهي (قضى)

في سورة يونس : (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) 93

في سورة الجاثية : (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) 17

في سورة يونس : (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 47

في سورة يونس : (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 54

في سورة الزمر : (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 69

¹ لسان العرب 186/15، ينظر التصاريح لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماء وتصرفت معانيها بحبي بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي مائة، من تيم ربيعة، البصري ثم الأفريقي القيرواني ص 343 ت 200 تحقيق هند شلبي الشركة التونسية للتوزيع 1979م

في سورة الزمر : ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ 75

المضارع سياقه في اختلاف بني إسرائيل في الدين بعدما جاءهم العلم والبيانات، وغرضه التوعّد لهم بالقضاء والفصل فيما اختلفوا فيه، والتهويل بما سيقضي لهم يومئذ، والإنذار لمن خلفهم في الضلال وفيه تهديد عظيم لهم، لأن الواجب هو اجتماعهم على الهدى، بعد إذ جاءهم ما تزول معه أسباب الاختلاف، فكأنه حصل استفسار لدى السامع عن حالهم يوم القيامة، ذكر ابن عاشور: "إن خبرهم العجيب يثير تساؤلات في نفس سامعه عن جزاء الله إياهم على فعلتهم، وهذا جواب فيه إجمال لتهويل ما سيقضي بينهم في الخير والشر لأن الخلاف يقتضي محققاً أو مبطلاً" ¹ والغرض من الصيغة كذلك التمييز بين المحق والمبطل، وذلك بالإثابة والعقوبة.

أما الصيغ الباقية فسياقها جميعاً وصف اليوم الآخر، وجاء الماضي فيها مجازاً لصحة وقوع القضاء وتحققه، كما في قوله : ﴿أَتَى أَمْرُ النُّحْلِ﴾ والبناء للمجهول إيذاناً بيسره وهوانه عليه تعالى.

وإذا قصد بالمضارع التوعّد والتهديد، والتمييز بين المحق والمبطل، فإنه قصد بالماضي الفراغ من الحساب، والغرض منه بيان المحكمة الإلهية الكاملة كما صورتها الآية : ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الزمر 69 لعظم ذلك اليوم، وعظيم ما فيه من أفعال فإنه بني للمجهول الأفعال التي في الآية، ليدل على اقتداره، وهوان القيام بها عليه، وقد نفى عن نفسه سبحانه الظلم، أي الصيغة دلت على كمال عدله، بعد إذ شهد الأنبياء -عليهم السلام- بالبلاغ، والشهداء بأعمالهم، وفي ذلك يقول البقاعي: "فأصلت الأصول، وصورت الدعاوى، وأقيمت البيّنات

على حسبها من طاعة أو معصية، ووقع الجزاء حسب ذلك، فظهر العدل رحمة للكفار، وبيان الفضل رحمة للمؤمنين "وقضي بينهم" أي بين العباد الذي فعل ذلك كله لأجلهم، لذلك قال: (بالحق)¹ ولذلك ذكر بعدها ما لهم وعليهم من توفية الجزاء فقال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ الزمر 70

ونظيره الشاهد: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يونس 47

وقريب منه الشاهد في القضاء فيما بين الكفرة أنفسهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يونس 54

فالماضي جاء في بيان نوع القضاء، بأنه قضاء الله العام القاطع بحكمه بما يستحقه المحكومون من ثواب وعقاب، وهو قضاء بين المؤمنين والكافرين، أو قضاء فيما بين الكفرة أنفسهم، والدليل أنه جاء بعد كل شاهد قوله: "بالحق" أو "بالقسط" أي بالذي أقام به العدل بينهم، ولذلك قال عقب الشواهد: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

أما المضارع فإنه أتى توعداً لهم إذ اختلفوا وقد استجوب عليهم الاجتماع على الهدى، فكان القضاء في المختلف فيه أو المتنازع فيه، ولذلك قال عقب الشاهدين: ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

لقد اكتفي بشاهدين للوعيد والإنذار وهما بالمضارع، وفصل وأكد في تصوير المحكمة الإلهية التامة الكاملة يومئذ، فجاء بأربعة شواهد، لأن إنجاز قضائه حكماً عدلاً إيماء بالوعد والإيعاد إلى ما حوته الصيغ من بيان لنوع القضاء وهي بالبناء للمفعول للدلالة على اقتداره تعالى وهوان القضاء عليه بين العباد.

المبحث الثاني : ثبوت الشفاعة ونفيها

الشفع هو ضد الفرد، ولذلك يطلق على المخلوقات لأن كل شيء فيها مركب من زوجين اثنين، والله تعالى هو الوتر، لأنه واحد في كل الأمور، والشفاعة أن يتوسط إنسان قولاً في خلاص شخص من مضرة دنيوية أو أخروية، أو في وصوله على نفع ما، قال الأصفهاني: "الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصر له وسائله عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ورتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة" ¹.

ورد في المادة ش ف ع ثمانى عشرة صيغة، منها ثلاث فعلية وهي في الزمن المضارع، وهي "يشفع" و "يشفعون" و "فليشفعوا" أما الصيغ الاسمية فهي خمس عشرة، منها اثنتان باسم الفاعل "شافعين" وقد أضيفت إحداها إلى كلمة "شفاعة" والصيغة "شفعاء" وردت في ثلاثة شواهد، و"شفيع" في شاهدين، والاسم "الشفاعة" ورد في ثمانية شواهد.

في سورة البقرة : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) 255

في سورة الأنبياء : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) 28

وفي سورة الشعراء : (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) 100

وفي سورة المدثر : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) 48

في سورة غافر : (وَأُنْذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْخَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) 18

¹ المعجمات في غريب القرآن 458/1

في سورة الأعراف : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ 53

في سورة الزمر : ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُونَ﴾ 43

في سورة الأنعام : ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفْعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ 94

في سورة يونس : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفْعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ 18

في سورة الزمر : ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ 44

في سورة البقرة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَنْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ 254

في سورة الزخرف : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ 86

في سورة مريم : ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ 87

في سورة طه : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ 109

في سورة سبأ : ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ 23

في سورة المدثر : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ 48

في سورة البقرة : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ 23

في سورة البقرة : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ 48

وردت الصيغة الفعلية في سياق إثبات الوجدانية لله، وتنزيهه، فالشاهد الأول:
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ﴾ البقرة 225 كان بعد إثبات صفات له مثل : ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ونفي السنة
والنوم عنه تعالى، وكان نفي فعل الشفاعة أو اشتراط فعلها للعباد بإذنه، هو
إتمام أو من لوازم توحيدة تعالى، لذلك ورد بعده قوله : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ﴾ ولأن الشفاعة في يوم القيامة ورد الفعل في الزمن المضارع، الدال
على المستقبل، ولأنه قال في السياق ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ كما هو في
سياق الشاهد من سورة الأنبياء فإن معنى "ما خلفهم" يدل على إحاطة علمه
بمآلهم كما علم أحوالهم من ماضيهم وحاضرهم، أي صيغة المضارع ناسبت
معنى اطلاعه تعالى وإحاطته بحالهم في اليوم الآخر.

واختلف السياق في الشاهد : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء 28 فكان في
تنزيهه تعالى من الشريك والولد، وطاعة الملائكة المثلَى له قولاً وفعلًا،
فالمضارع هنا وصف الملائكة بأنها لا تشفع لهم في دنياهم، ولا في مآلهم،
لأنهم طمعوا في شفاعتها، فكانت شفاعتها مشروطة بإذنه، فكما أن الملائكة ﴿لَا
يَسْتَفِئُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء 27 هم كذلك ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ارْتَضَى﴾ 28 أي عطف على وصفهم، وصيغ المضارع وردت لإثبات صفات
في الملائكة تنفي عنها الولدية وتثبت لها العبودية، والعبادات شأنها التجدد
والتكثير، إن في اشتراط فعل الشفاعة وتعلقه بإذنه تعالى، إتمام لوصف

الألوهية، ولهذا أحيطت الصيغتان الفعليتان بمعاني الوجدانية في سورة البقرة قوله : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) 255 وفي سورة الأنبياء : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) 25 وقال بعد الشاهد : (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) 29.

ولما كان المقصود الكلام عن الشفعاء، أي ليس فيمن يأذن لهم، أتى باسم الفاعل لأنها شفاعاة مرتبطة باليوم الآخر، أي لا صلة لها بما ظنوه في الدنيا من شفاعاة معبوداتهم، فالمراد به أي لو شفّعوا لهم، فاحتاج المقام إلى الصيغة الأقرب إلى الفعل، وهي اسم الفاعل؛ لأنه منقول عنه، وليس هذا في "شفعاء" وللإمعان في نفي الشفاعاة لدلالة اسم الفاعل على معنى الاستمرار زيادة في تندهم وتحسرهم وتيقنهم عن نفي الشافعين، وقد ناسب بينه وبين ما اعترفوا به من ذنوب دأبوا عليها وكانت ديدنهم وعادتهم، وهذا مشترك في سياق الشاهدين.

وقد أضيفت الصيغة "الشافعين" إلى كلمة "شفاعة" في سورة المدثر إيذاناً بثبوتها لغير الكافرين، أو المسلمين الذين أضاعوا الفرائض، قال ابن عاشور: "وقد حرم الله هؤلاء المجرمين الكافرين أن تنفعهم الشفاعاة، فعسى أن تنفع الشفاعاة المؤمنين على أقدارهم، وفي قوله : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) المدثر 48 إيماء إلى ثبوت الشفاعاة لغيرهم يوم القيامة".¹

أما في سورة الشعراء فإنهم قالوا مخاطبين معبوداتهم (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) فكان جزاء تسويتهم المعبودات بالإله الخالق المدبر، أن حرموا من فعل شافع يسبب نجاتهم من العذاب، أي لم تصلح معبوداتهم لتكون شافعة لهم، وزادوا الجار إمعاناً في نفيهم لفرط بأسهم، فقالوا "من شافعين" قال البقاعي: أي يكونون سبباً لإدخالنا الجنة، لأننا صرفنا ما كان يجب علينا لذي

الأمر على من لا أمر له؛ ولعله لم يفرد الشافع لأنهم دخلوا في الشفاعة العظمى¹.

أما الصيغة "شفعاء" فهي جمع لشفيع وفعل أقوى في معنى الفعل من اسم الفاعل، لأن سياقات الشواهد جميعها كانت في النفي المصحوب بالزعم والرجاء، وفي فهمهم واعتقادهم بما اتخذوا من معبودات رجاء التقرب إلى الإله، ورجاء شفاعتها لهم، لذلك قال عنها: (أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ) الزمر 43، ثم اثبتتها بالجملة الاسمية وجعلها مقصورة عليه تعالى في قوله: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) الزمر 44 ولعل سر ورود الصيغة "شفعاء" في هذه السياقات أي في الظن والإنباء والاعتقاد والتوهم والزعم والرجاء والاتخاذ هو أن كلمة "شفعاء" جمع لشفيع وهو في الأمور المعنوية، يقول العلامة السامرائي: "الرؤساء والشفعاء والأمراء والنقباء والعرفاء لم تجمع هذه على الفعال كالبرناس والشفاع ونحوها، لأنه ليس فيها جانب مادي بخلاف الكبراء والكبار"² فهم ظنوا وتوهموا فيما لا ينفعهم ولا يضرهم وهو أمر مخالف للعقل، وزعموا ثبوت شفاعتها لهم عند الله فجاؤوا بالجملة الاسمية: (هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) يونس 18 لذلك رد عليهم بقوله: (أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) 18.

وفي الجملة الفعلية وردت كلمة "الشفاعة" في سياق نفي ملكية الآلهة لها، بعد أن أثبت الملك له تعالى، ثم استثنى بعد الشاهدين من وعدهم بالشفاعة من الأنبياء والملائكة لمن يستحقها من المؤمنين، والشاهدان هما: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) الزخرف 86 وقوله: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) مريم 87.

¹ نظم الدرر 59\14

² معاني الأنبياء في المربية ص 146

وفي نفى نفع الشفاعة ورد أربعة شواهد في سياق اعترافهم بما أوجب لهم العذاب كما في: (فَمَا تَتَفَعَّلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) المدثر 48 وفي سياق وصف أهوال الساعة، والرغبة من جلاله وخشيته، قال ابن عاشور: "لا يتكلم الناس بينهم إلا همسا، ولا يجروون على الشفاعة لمن يهتمهم نفعه، والمقصود من هذا أن جلال الله والخشية منه يصدان عن التوسط عنده لنفع أحد إلا بإذنه، وفيه تأييس للمشركون من أن يجدوا شفعا لهم عند الله".¹

وردت الصيغة "شفيع" في سياق انفراده تعالى بالإيجاد، وتبديير الخلائق المحيط بهم جميعاً، ولذلك قال قبل الشاهد: (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ) السجدة 4 دالا على أنهم تحت قهره وسلطانه، وقال بعد الشاهد: (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) 4 اي بعد إقراركم بوحدانية الخالق، كيف تشركون به الهة وتعتقدون أنها تشفع لكم عنده.

ونظيره: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاشِفِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) غافر 18 لكن سياقه في الإنذار والتهويل والتعظيم لشأن الساعة، وقد نفى كل ما من شأنه النفع لدى خوفهم ورعبهم وكرههم، فالصيغة فعيل مقامها الاهتمام بالمشفوع عنده كما في السياق: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) غافر 14 (لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) 16 (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) 17 وفعيل أيضا لاهتمام بالمشفع، قال البقاعي: "أي ليس لهم شفيع أصلا لأن الشفيع لو شفع ما أطيع فهو لا ينفع، وقد يشفع في بعضهم بعض المقربين لعلامة فيهم يحصل بها اشتباه يظن بهم أنهم ممن يستحق الشفاعة فينبه على أنهم ليسوا بذلك، فبيرأ منهم"² أي في سياق الكرب والملمات ناسب الحديث عن النصير، لذلك أتى بـ "شفيع" كما أتى بـ "حميم" الذي يحمي غضبا لنصرة قريبه.

¹ التحرير والتنوير 310\16

² نظم الدرر 32\17

والصيغة فعيل وردت هنا للاهتمام بالمشفوع لهم أيضاً، لذلك قال بعد الشاهد :
 (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) 19 وقال قبله : (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا
 يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) 16 أي ليس لهم
 شفيع لأنه يعلم بواطنهم، فهنا بالغ في إحاطة علمه بكل أمر، كلي وجزني، قال
 البقاعي: " ولما كانت الشفاعة إنما نفع وتنفع بشرط براء المشفوع له من الذنب
 إما بالاعتراف بما نسب إليه والإقلاع عنه، وإما بالاعتذار عنه، وكان ذلك إنما
 يجري عند المخلوقين على الظاهر، ولذلك كانوا ربما وقع لهم الغلط فيمن لو
 علموا باطنه لما طلبوا الشفاعة فيه، علل تعالى ما تقدم بعلمه أن المشفوع له يس
 بأهل لقبول الشفاعة فيه لإحاطة علمه، فقال : (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) 19 وعدل إلى
 جمع القلة إشارة إلى أن علمه تعالى بالكثير كعلمه بالقليل الكل عليه هين¹ أي
 زاد في سياق "شفيع" في إحاطة علمه على باقي الصيغ بالمبالغة في وصف
 المخفي من الأفعال كالنظر بالعين والغمز بها، ثم أتى بأخفى ما يكون في
 الباطن، فقال : (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) 19 وذلك فيمن يشفع لهم، وزاد كذلك في
 الإسهاب في إثبات الكمال لله من العلم والقدرة والملك والقضاء، وزاد في بيان
 نفي أهلية الشفعاء وعدم صلاحيتهم للشفاعة في قوله : (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ
 وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) غافر 40،
 أي نفي إلهية المعبودات أولاً ثم نفي شفاعتها، ثم بين نقصان شركائهم التي لا
 تبصر ولا تترك أصلاً فلا قضاء لها، أي أن له الأمر كله، فكيف يشفع من لا
 يملك أمراً ولا يقضي فيه.

أما الصيغة "شفاعة" فقد وردت في الجملة الاسمية مثبتة لله في سياق إثبات
 القدرة له على البعث والإحياء، مرتبطة بملكه السماوات والأرض، ولذلك أتى
 بالحال "جميعاً" أي كل الشفاعة، قال ابن عاشور: "لما نفى أن يكون لأصنامهم
 شيء من الشفاعة في عموم نفي ملك شيء من الموجودات عن الأصنام، قوبل

بقوله: "الله الشفاعة" أي الشفاعة كلها لله، وتقديم الخبر المجرور وهو "الله" على المبتدأ لإفادة الحصر، واللام للملك، أي قصر ملك الشفاعة على الله تعالى لا يملك أحد الشفاعة عنده¹ أشار إلى نفي الشفاعة عما سواه، بعد أن نفي صلاحية معبوداتهم لها في قوله: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) الزمر 43.

جاء في الظلال: "وهو سؤال للتهكم والسخرية من زعمهم أنهم يعبدون تماثيل الملائكة ليقرّبوهم إلى الله زلفى، يعقبه تقرير ملزم بأن الله الشفاعة جميعاً، فهو الذي يأذن بها لمن يشاء على يد من يشاء فهل يؤهلهم للشفاعة أن يتخذوا من دون الله شركاء؟!"².

والشفاعة وردت منفية في الجملة الاسمية في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْمَةٍ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) البقرة 254 وسياقها الترغيب في الإنفاق، والعرض من مجيء الصيغة بعد نفي الجنس للترهيب والتهديد من ترك الزكاة، ولذلك وصف تاركها في قوله: "والكافرون هم الظالمون" تنديداً بهم لأنهم لا ينفقون أي هم خاسرون مخذولون لا نصير لهم، كما في قوله: (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) 270، ولأن الإنفاق قرن بالإيقان في سياق السورة كما في بدايتها: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) 3 وردت الشفاعة هنا منفية بأكد صور النفي، وهو نفي الاستحقاق؛ لأنه ذكر قبل الشاهد الاختلاف في الرسل، الذي أدى إلى القتال والجهاد، وكان الإنفاق ملازماً للجهاد، وفيه تعريض للمشركين وتهديد لهم لمكابرتهم وأتى بقصر القلب، أي جعلهم بمنزلة المظلومين للتنديد بهم، قال ابن عاشور: "الشفاعة في العُرف تقتضي إدلال الشفيع عند المشفوع لديه، ولهذا نفاها الله تعالى هنا بمعنى نفي استحقاق أحد من

¹ التحرير والتنوير 432\12

² في ظلال القرآن 238\6

المخلوقان أن يكون شفيعا عند الله بإدلال، واثبتها في آيات أخرى كقوله قريبا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ 255 وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء 28¹.

وفي نفي قبوله الشفاعة شاهد واحد وهو: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة 48 وفي سياق السورة ورد قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ 123 الشاهدان سياقهما في الجزاء "والفرق بينهما أن الشفاعة في الآية الثانية وردت مع الفعل المبني للفاعل، لأن الأصل قبول العدل ثم نفع الشفاعة، أما في الآية الأولى فالشفاعة فيها قدمت على العدل فجاء معها الفعل المبني للمفعول "يقبل" والسبب هو أنهم زعموا أن آباءهم يشفعون لهم، وكذلك الأصنام التي كانوا يعبدونها، فقدم الشفاعة قطعاً لهم من ذلك الزعم، وذكر أن هذه الشفاعة لن تقبل أساساً فضلاً عن أن تنفع"².

تبين مما مضى أن في المادة ش ف ع ثمانى عشرة صيغة، منها ثلاث فعلية، وهي في الزمن المضارع، وسياقها في إثبات الوحدانية لله تعالى، وملكه لكل شيء وإحاطة علمه به، والغرض منها هو نفي شفاعة المعبودات بد نفي إلهيتها، كما أنها لا تنقصهم في دنياهم.

وعدد الصيغ الاسمية خمس عشرة، منها اثنتان باسم الفاعل "شافعين" وسياقهما "إقرار المكذبين بذنوبهم، والغرض الإمعان في تندمهم وتحسرهم بأن تصلح المعبودات لتكون شافعة لهم ما يدل على تيقنهم من نفي نفعها، وقد أضيف الشاهد الثاني إلى كلمة "شفاعة" لغرض الإيماء على ثبوت الشفاعة المصحوب بالزعم والاعتقاد بنفع ما اتخذوا من دونه شركاء، أي "شفعاء" ناسبت ما يتعلق بالرجاء والظن لأنه جمع لشفيع وهو في الأمور المعنوية.

¹ التحرير والتنوير 2/3

² ينظر الله هان في توجيه القرآن الكريم ص 17

وبالوزن فعيل ورد شاهدان وسياقهما في وحدانيته في الخلق والإيجاد والإحاطة بكل أمر، وزاد في سياق الشاهد الثاني على كل شواهد المادة في تفصيل صفات الكمال له تعالى، وفي وصف من نفي عنهم الشفاعة، وفي وصف من لا يستحقها، أي أن "فعيل" ناسب الحديث عن أركان الشفاعة الثلاثة وهم المشفوع عنده والمشفع والمشفوع له، سيما ورودها بالجملة الاسمية مما يؤكد نفيها.

والاسم "الشفاعة" ورد مثبتاً في الجملة الاسمية، في سياق إثبات القدرة له على البعث والإحياء بعد نفي ملكية الأصنام لشيء من الموجودات، كما ورد الاسم منفياً في الجملة الاسمية في سياق الترغيب في الإنفاق، والغرض الترهيب والتهديد من ترك الزكاة.

أما في الجملة الفعلية فقد وردت كلمة "الشفاعة" ست مرات، منها شاهدان في نفي ملكية الآلهة لها، وإثباتها للأنبياء، والملائكة عليهم السلام.

وفي نفيها ورد أربعة شواهد في سياق اعترافهم بما أوجب لهم العذاب، وفي سياق وصف أهوال الساعة، أي الكلمة "الشفعاء" وردت في ثمانية شواهد.

ارتبطت الشفاعة بخطر الإشراك بالله، لذلك كان ينفي في سياقات الشواهد إلهية المعبودات ثم ينفي صلاحيتها للشفاعة، وارتبطت بملكه تعالى لكل شيء وقهره للعباد، وبإحاطة علمه بكل أمر، وبنفي الظلم، وبارتهان كل نفس بما كسبت، أي كل ما نفي عن المعبودات هو مثبت لله تعالى وعليه تعلق نفي الشفاعة أو أثباتها، ففي سياقات الحديث عن المعبودات تنفي الشفاعة عنها وتثبت لغيرها، وفي سياق وصف الألوهية تثبت الشفاعة لله تعالى ومرة أتى بتأكيدا بالحال "جميعاً" وتارة بشرطها بالإذن.

المبحث الثالث : الجزاء

الجزاء معناه الكفاية، وجزى فلان عن فلان أي أغنى عنه وكفى، وقال الأصمهاني: "الجزاء هو ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ويقال جزيته بكذا وجازيته، ولم يجئ في القرآن الكريم إلا جزى دون جازى، وذلك أن المجازاة هي المكافأة، وفي المقابلة بين كل واحد من الرجلين، والمكافأة هي: مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها، ونعمة الله تتعالى عن ذلك. ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة في الله عز وجل"¹

تنوعت الصيغ في المادة ج ز ي فالمضارع أتى على هيئة المبني للفاعل كما في : "تجزى" و "يجزى" و "ليجزى" و "يجزيهم" و "ليجزيه" و "نجزى" و "نجزيه" و "لنجزينهم" وعلى هيئة المبني للمفعول كما في: "يُجزاه" و "يُجز به" و "تُجزى" و "لتُجزى" و "تجزون" و "يجزون" وبالماضي وردت صيغتان وهما : "جزاهم" و "جزيتهم" وباسم الفاعل صيغة وهي : "جاز" والمصدر : "جزاء" وقد أتى موصوفا أحيانا أو مضافا في الجملة الاسمية والفعلية، ولأن شواهد هذه المادة كثيرة سوف اكتفي بذكر شاهد واحد لكل نوع من أنواع الصيغ، أما باقي الآيات فهي ضمن ثبت خاص في آخر البحث.

الصيغ الفعلية :

المضارع المبني للفاعل :

في سورة البقرة ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا غَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ 48

¹ المعردات: في غريب القرآن 182\1

في سورة النحل { جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ } 31

المضارع المبني للمفعول :

في سورة النمل {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 90

في سورة يس {فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 54

الصيغتان الماضيتان :

في سورة المؤمنون { إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ } 111

في سورة الإنسان { وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا } 12

الصيغ الاسمية :

اسم الفاعل :

في سورة لقمان {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} 33

المصدر :

المصدر في الجملة الاسمية :

في سورة الإنسان {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} 22

في سورة المائدة { إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } 29

المصدر في الجملة الفعلية :

في سورة النبأ { جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا } 36

في سورة الواقعة ﴿جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ 24

في سورة التوبة ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ 82

وردت الصيغة الفعلية "تجزّي" في التحذير من انتقاء نفع الناس بعضهم بعض في الحساب في قوله : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة 48 وفي قوله : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة 123 وقال بصيغة المفرد "تجزّي" ليدل على غاية الدقة في الحساب.

واشترك في سياق الصيغ الفعلية الأخرى باء السببية، فكان جزاؤهم عوضاً عن أعمالهم الصالحة المتجددة منهم، التي كانوا يعملونها بجبلاتهم، وأسند الفعل إلى لفظ الجلالة في قوله: ﴿جَنَاتٌ عَذْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل 31، مُنبهاً إلى صفات الكمال له تعالى، لأن السياق في الحث على التقوى، والترغيب في تصديق ما أنزل الله. فالإسناد إليه تعالى ذاكراً اسم الجلالة، لأن السياق في النهي والوعيد، فهو المجازي على امتثال أوامره ونواهيه أو ترتبط الشواهد بصفات الإحسان والتقوى، كما في ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف 88

وفي سياق أمره للنبي صلى الله عليه وسلم- بالإعراض عن الكافرين، وكان الغرض من صيغة المضارع هو التعليل لذلك الإعراض، أي هو سبحانه يعاقب المسيء ويجزي المحسن، وهو في قوله : ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ النجم 31

"ليجزى" كذلك وردت في التعليل لإدعاء الخلق وإعادته وهو في قوله : ﴿إِنَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَذَابُ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يونس4 ونظيره قوله : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إبراهيم51 تعليل لقيام الساعة وللتدليل على دقة الحساب وسرعته، وفي التعليل لأعمال المؤمنين الصالحة، في قوله : ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَبِزِيدِهِمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ النور38 وهنا زاد على الجزاء العدل ما لم يستحقوه من الإكرام والفضل لإقامتهم الصلاة وإيتائهم الزكاة ولخشيتهم من الساعة، ونظيره قوله : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ الروم45 ونظيره قوله : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الأحزاب24 وسياقه في ثبات المؤمنين وصبرهم على القتال في سبيله، ونظيره قوله : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ سبأ4 وسياقه إثبات الساعة للمكذبين، ونظيره قوله : ﴿وَلَا يَنْفَعُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ التوبة121 وهو في الإنفاق والجهد في سبيل الله، ونظيره قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الجاثية14 وهو في الصبر على أذى الكافرين، ونظيره قوله : ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الزمر35 وهو في تأمين المصدقين بالحق المتقين من الفرع الأكبر ومن جميع أهوال الساعة.

وبينما ورد الفعل المضارع بنون العظمة في قوله : ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المرسلات44 لأنه في جزاء المحسنين، أي إجلالا لهم وتعظيما، وفي

سياق أقبح الذنوب وأعظم الجرائر والجرائم ورد الشاهد في قوله : ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف 41 أي جازاهم بما له من العظمة بقوله "نجزي" لتكذيبهم آياته واستكبارهم عنها، ونظيره قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ فاطر 36 وهو في وصف العذاب الفظيع مما ناسب اقتران الصيغة بنون العظمة في جزاء الذين كفروا، ونظيره قوله : ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذُكِّرْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء 29 وهو في الترهيب من وضع الأمور في غير محالها، وتلك الشواهد جميعها وردت دون توكيد.

بينما أتى في سياق النهي عن نقض العهد مع الله بالصيغة المؤكدة بلام القسم ونون التوكيد، في قوله : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل 96 والغرض هو الوعد بالأجر العظيم لمن صبر على حرمان نفسه من النفع العاجل، ولهذا أتى الشاهد مبالغا في تأكيد، لأن المشركين حاولوا ثني المؤمنين عن دينهم بإغرائهم عن المنافع العظيمة، فأكد لهم الوعد بلام القسم ونون التوكيد فمن صبر على حرمان نفسه منها تنبيها لهم وحملا على مدافعة الفتنة، وقد قال قبل الشاهد : ﴿وَلَا تَسْتَوُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ 95

وفي الصيغة التفات من ضمير الغيبة إلى نون التكلم للتعظيم، ولذلك أتى بأفعل التفضيل دالا على المبالغة في حسن عملهم وهو مداومتهم على الإسلام.

ثم انتقل إلى تعميم الجزاء لكل من ساوى هؤلاء بالثبات على الإسلام، فأتى بالتأكيد بالشاهد الذي ورد بعده بالسياق وهو في قوله : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ 97

وهنا كذلك ربط الجزاء في أفعال التفضيل وهو جزاء اختص باليوم الآخر، أما في الشاهد قبله فهو في الجزائين. ونظيره قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت 7 والتأكيد الذي في الشاهد لأجل مجاهدة النفس في الصبر على العبادة والطاعات كما ورد قبل الشاهد ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ ابغِي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ 6 وفي العقاب ورد قوله : ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصلت 27 والتأكيد في الشاهد لأجل معارضتهم القرآن والصد عنه، ولذلك قال بنون العظمة تفخيما لجرمهم، وهو أسوأ أعمالهم، أو يجزيهم على سيئات أعمالهم.

وردت الصيغة "سيجزي" في قوله : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران 144

وفي سياق صبرهم على الجهاد وأنه لم يشغلهم عنه أمر أتى بنون العظمة في قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران 145 وذلك تشريفا لهم وتعظيما لأجرهم.

وفي سياق افتراء الكذب على الله تعالى ورد شاهدان وهما ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيَزِدُّوهُمْ وَلْيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَزْبٌ جَبْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَّعِمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْتَهُ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) الأنعام، فالسياق يدل على تشوف السامع إلى ما يكون لهم من عقاب فقال: "سيجزيهم" وقال: كذلك بنون العظمة "فنجزي" في قوله : (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدَفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدَفُونَ) 157 وسياقه التكذيب بآيات الله والإعراض عنها، والغاية هي تعظيم جرمهم لأنهم جمعوا الضلال والإضلال معاً، وأظهر موضع الإضمار لتعميم الحكم، وتعليقه بالوصف، قال أبو السعود: "هو وعيد لهم لبيان جزاء إضلالهم بحديث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضاً، ووضع الموصول موضع المضمّر لتحقيق مناط الجزاء"¹.

وقال بالبناء للمفعول: "سيجزون" لإرادة مطلق الجزاء في التهريب عن اكتساب الآثام ظاهرها وباطنها كما في قوله : (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) الأنعام 120

وفائدة السين في الشواهد السابقة هي تأكيد الوعد والوعيد وصدقهما، وانهما لا خلف فيهما.

أما المضارع "تجزون" فقد ورد في العذاب في مواضع عدة، منها الشاهد في قوله : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ

¹ تفسير أبي السعود 203\3

شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام 93) وهو في قبض أرواح الكافرين، وباقي الشواهد هي فيما بعد البعث، وتشترك سياقاتها بمعنى الظلم، أي وضعهم ما أمروا به في غير موضعه، وهو عبادة غير الله، وقد ترد بعد السؤال الاستنكاري ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل 90) أو بعد ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس 54) أو بعد ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات 39) وسياقها التكذيب بالرسول، وآتى بالمتولية إتماماً لعدله المطلق، بعد أن عبر عن تناهي غضبه في وعيدهم لتجاوزهم في الكفر والطغيان، والمقصود من المضارع دوام العذاب لهم، لأن الأفعال المضارعة كانت تعقب الشواهد، وهي سبب لجزائهم، وهي تعملون، تقولون، تكسبون، أي فيما كان لهم طبعاً وجبلة، أما الخطاب في الشواهد فهو للتبكيك والإصغار، إلا في شاهد ورد بضمير الغيبة وهو في قوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سبا 33) لأنه آتى في وصف الكافرين لدى وقوفهم بين يدي ربهم للحساب، وما هم فيه من الملاومة والتندم، أما البناء للمفعول الذي في الشواهد الفائدة منه هي الإشارة إلى أن مطلق الجزاء هو المهول والمخيف، قال البقاعي: "بنى الفعل تجزون للمفعول لأن المرعب المرهب الجزاء، لا كونه من معين، وإشارة إلى أنه يكون بأيسر أمر، لأن من المعلوم أن المجازي هو الله لا غيره" 1

"يُجْزَى" (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) القصص 84 أظهر هنا المفعول للتفكير من عمل السيئات، أما في (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ دَكْرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) غافر 40 و (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) الأنعام 160 فالشاهدان في مثلية الجزاء.

وفي (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) طه 15 الشاهد ورد في التعليل لقيام الساعة، وكذلك في (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) الجاثية 22 فالشاهد ورد في التعليل لخلق السموات والأرض بالحق، ولمطابقة الأسباب لمسبباتها، والبناء للمفعول للدلالة على يسر الجزاء وسهولته، سيما قوله بعد الشاهد: "كل نفس" ونظيره في دقة الحساب وسرعة انقضائه قوله: (الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) غافر 17 وأكد هنا عن طريق تقديم كلمة اليوم وتصدر الجملة بها إحياء بأن الناس طالما أمهلوا من قبل حتى ظن كثير منهم أنه لا جزاء ولا حساب¹.

وفي سياق أمانى الشيطان للكافرين ولأهل الكتاب وهي عدم مجازاتهم بأعمالهم السيئة، فإن الشاهد "يجز به" ورد بعد مَنْ الشرطية. (لَّيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) النساء 123

وشاهد واحد ورد متعد إلى مفعولين وهو في قوله: (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى) النجم 41 في سياق الوعد بروية أعمال العبد وانكشافها خيرا كانت أم شرا، وكون هذا الإطلاع والانكشاف ليس لأحد بعينه، كما قال: (وَأَنَّ سَعْيَهُ

¹ ينظر من روافع الغراء ص 253

سَوْفَ يُرَى} 40 وكذلك فإن مطلق الجزاء هو المقصود، لا كونه من مجاز محدد.

"جاز" ورد باسم الفاعل شاهد واحد في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ لقمان 33 وهو في التحذير من أهوال الساعة والأمر بالخشية من القضاء ودقة الحساب، وابتدأ بالوالد وأتى معه بصيغة المضارع، ليجدد شفقتة على ولده، وقال باسم الفاعل (جاز) عن الولد لأنه متصف بما عليه من تأدية الحقوق للوالد، قال البقاعي: "عبر بالمضارع "يجزي" إشارة إلى أن الوالد لا يزال تدعوه الوالدية على الشفقة على الولد، وتجدد عنده العطف والرقّة، والمفعول إما محذوف لأنه أشد في النفي وأكد، وإما مدلول عليه بما في الشق الذي بعده، ولما كا الولد لا يتوقع منه استغناء عن والده في الهزاهز إلا بعد بلوغه، أخره في عبارة دالة على ثبات السلب العام فقال : ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ﴾ 33 وعبر باسم الفاعل لأن الولد من شأنه أن يكون ذلك له ديدنا لما لأبيه عليه من الحقوق، والفعل يطلق على من ليس شأنه الاتصاف بمأخذ اشتقاقه، فعبر به في الأب لأنه لا حق للولد عليه يوجب عليه ملازمة الدفع عنه، ويكون ذلك من شأنه ومما يتصف به فلا ينفك عنه، وذلك كما أن الملك لو خاط صبح أن يقول في تلك الحال: أنه يخطط، ولا يصح "خياط" لأن ذلك ليس من صناعته ولا من شأنه"¹

قال أبو السعود: "تغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى وقطع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة"².

قال ابن عاشور: "ثم أوثرت جملة "ولا مولود هو جاز عن والده شيئا" بطرق من التوكيد لم تشتمل على مثلها جملة "لا يجزي والد عن ولده" فإتباعها نظمت

¹ نظم الدرر 212/15

² تفسير أبي السعود 77/7

جملة إسمية، ووسط فيها ضمير الفصل، وجعل النفي فيها منصبا إلى الجنس، ونكتة هذا الإيثار مبالغة تحقيق عدم جزء هذا الفريق عن الآخر إذ كان معظم المؤمنين من الأبناء و الشباب، وكان أبائهم وأمهاتهم في الغالب على الشرك¹ أما في قوله : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ الفرقان 75 فالمضارع "يجزون" لأنه امتدح في السياق أعمالهم الصالحة التي دأبوا عليها، والبناء للمفعول لأن المهم هو الجزاء، قال البقاعي: "أي فضلا من الله على ما وفقهم له من هذه الأعمال الزاكية والأحوال الصافية"²

وربط الجزاء بصبرهم على غربتهم بين الكافرين في أقوالهم، وأفعالهم، وأحوالهم.

والصيغة "تجزون" في قوله : ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الصافات 39 سياقها التكذيب بالرسول وأتى بالمثلية على إتمام عدله المطلق، والبناء للمفعول فيه إصغار للمكذبين بعد أن عبر عن تناهي غضبه في وعيدهم لتجاوزهم في الكفر والطغيان.

ورد الماضي في سياق الصبر على العبادة، في شاهدين اثنين هما : ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الإنسان 12 و ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ المؤمنون 111 وأسند الفعل إلى ضمير الغيبة في "جزاهم" والفرق أنه قرن الإخلاص والخوف والخشية من الساعة، كما في السياق: "إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا"

¹ التحرير والتنوير 194/21

² نظم الدرر 436/13

جعل جزاءهم محققا عن طريق المعنى في الصيغة تأمينا لهم، وتثبيتا ورد الماضي في سياق الصبر على العبادة، في شاهدين اثنين هما : (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا) الإنسان 12 و (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) المؤمنون 111 وأسند الفعل إلى ضمير الغيبة في "جزاهم".

والفرق أنه قرن الإخلاص والخوف والخشية من الساعة، كما في السياق : (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوسًا قَمَطِرِيرًا) الإنسان 10 جعل جزاءهم محققا عن طريق الماضي في الصيغة تأمينا لهم وتثبيتا، قال البقاعي: "ولما كان فعلهم هذا خالصا لله، سبب عنه جزاءهم فقال مخبرا أنه دفع عنهم المضار وجلب لهم المسار "فوقاهم الله" وهنا ناسب بين الشاهد "جزاهم" وبين "حلوا" و"سقاهاهم"

أما في الشاهد: "جزيتهم" فالصبر على العبادة هنا تجاوز خوف والرجاء، إلى الالتذاذ بطاعة الله مما يدل على أن أجر الصبر على أذى الكافري وسخريتهم أعظم من الصبر المقرون بالخشية من الساعة، لأنه لا بد وأن يشملها، لذلك أكد بان ونسب لنفسه تعالى (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا) المؤمنون 111 لأنهم انصرفوا إليه وانشغلوا به تعالى مما أنساهم أذى المشركين لهم، ولذلك ضم المفعول "هم" إلى الفعل مع تاء الفاعل إشعارا برعايته لهم وإجلالا لشأنهم، وقد كان الكفار يضحكون منهم في الحياة الدنيا، وصيغة الماضي تفيد تحقق وقوع الجزاء وتأكيد ردها للساخرين وإيناسا للمؤمنين، لذلك قال "اليوم" ثم أعقب الشاهد بالجملة الإسمية (أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) 111 أي ناسب اختصاصهم بالفوز ورسوخه فيهم، وما وصولوا إليه بالتذاذهم في العبادة الذي أنساهم أذى وسخرية الكافرين بهم، وهذا هو الفرق في سياقات الشاهدين، أي تجاوز خوف والرجاء في العبادة إلى حد تبالغ الأناش بالله فكان جزاؤهم أقرب إليه تعالى وأشرف وأعظم بإضافة التأكيد إلى ياء المتكلم لخصوصيتهم، وبنسبة الفعل إلى نفسه تعالى.

أما الصيغ الاسمية فهي كما في قوله : ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ البينة 8، وسياقه وصف المؤمنين وتخصيصهم بالخيرية فابتدأ بالجزاء للاهتمام بما عملوا من أعمال صالحة.

وفي سياق الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض ، وقد تضمن المبتدأ الجزائين كما في قوله ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة 85 وفي جزاء قتل النفس المؤمنة كما في قوله : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء 93 وفي جزاء الحراة، والغرض من الشاهد الوعيد، وفي سياق مثلية الجزاء لمن كسب السيئات كما في قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سِنِيَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس 27 والمراد من الإضافة بيان تمام عدله تعالى في مجازاة الكافرين بعد إذ ذكر الإحسان والزيادة في الأجر للذين أحسنوا.

أما الشواهد التي وردت خبراً فهي بعد اسم الإشارة كما في قوله : ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ طه 76 فالخبر "جزاء" غرضه التعظيم ، والإشارة تدل على علو شأنه وفخامته ، ونظيره ﴿فَاتَّبَعَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة 85 المراد بالشاهد الإخبار عن ثواب أعمالهم التي كانوا يجاهدون فيها أنفسهم عما تهوى إلى طاعة ربهم، وأكد لهم الجملة الاسمية قطعاً

للظن بأن ما هم فيه من النعيم العظيم على وجه الضيافة، فهو سبحانه كونه لهم قبل موتهم، ثم أعلمهم به عن طريق الإتيان بالشاهد خبراً، ونظيره : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾³⁷ والشاهد ورد مضاعفاً لأنه في سياق الامتتان على المؤمنين، لذلك أتى بالفاء في اسم الإشارة، والغرض منه هو نيلهم الجزاء مضاعفاً بعد أن بين علو رتبته، ونظيره: ﴿وَلِلَّهِ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^{آل عمران 136} أراد بالشاهد الإخبار عن الحكم الذي صاروا أحرياء به بعد أن أشار إليهم بالمبتدأ "أولئك" أي الغرض منه الوعد وبيته أنه مغفرة من ربهم بسبب إقلاعهم عن المعاصي.

أما قوله: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾^{الإسراء 63} فسياقه في سؤال إبليس الامهال والتأجيل إلى اليوم الآخر، والغرض من الشاهد هو الوعيد، وأكدته بإعادة الاسم جزاء، قال ابن عاشور : "أعيد جزاء للتأكيد، اهتماماً وفصاحة، ولأنه أحسن في جريان وصف الموفور على موصوف متصل به دون فصل، وأصل الكلام : فإن جهنم جزاؤكم موفوراً، فانتصاب جزاء على الحالة الموطنة، موفوراً صفة له وهو الحال في المعنى، أي جزاء غير منقوص"¹ فالجزاء هنا بمعنى اسم المفعول، وفي الشاهد حدث تغليب المخاطب في الغائب لأجل المتبوعة، أو هو للالتفات، قال الرازي : "تقدير الكلام فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل "جزاؤكم" ويجوز أن يكون هذا الخطاب مع الغائبين على طريقة الالتفات، أو لأن إبليس هو الأصل في كل المعاصي صار هو المخاطب بالوعيد، أي له وزرها ومثل وزر من عمل بها"².

¹ التحرير والتنوير 152\15

² تفسير الرازي 367/21

أما في الجملة الفعلية كما في قوله : ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الواقعة 24 وقوله : ﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ النبأ 36 فسياقهما الترغيب فيما أعده الله للمؤمنين في الجنة من أصناف النعيم، والصيغة "جزاء" هي مصدر ورد بدلا عن فعله، أو هي مفعول لأجله لفعل تقديره أعطيتناهم في الواقعة، أو هي منصوبة على الحال من "مفازا" في النبأ، والغرض من الشاهدين إظهار كرامة المؤمنين إتماما لكونهم مقربين وذلك بما من به عليهم من أصناف النعيم، وفي النبأ جعل جزاء المتقين شاملا إكرام النبي صلى الله عليه وسلم- لأنهم آمنوا به وعملوا بهديه، بإضافة كلمة رب إلى كاف المخاطب منوها بعظم ذلك الجزاء وكرمه بـ "من" الابتدائية، قال ابن عاشور : "وصف الجزاء بـ "عطاء" وهو اسم يُعطى، أي يتفضل به بدون عوض للإشارة أن ما جوزوا به أوفر مما عملوه فكان مما ذكر للمتقين من المفاز وما فيه جزاء شكرا لهم وعطاء كرما من الله تعالى وكرامة لهذه الأمة إذ جعل ثوابها أضعافا، ثم وصفه باسم المصدر "حسابا" للمبالغة وهو بمعنى المفعول، أي جزاء كثير مقدر على أعمالهم، والتتوين للتكثير"¹ وقريب منه قوله : ﴿جَزَاءٌ وَفَاءً﴾ النبأ 26 وقوله : ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأحقاف 14.

تبين مما مضى أن في المادة ج ز ي 73 صيغة منها 45 فعلية، و28 اسمية، ورد بالفعل المضارع "يجزي" شاهدان في التحذير من نفع الناس بعضهم بعضا يوم القيامة، والإفراد في الشاهد للدلالة على دقة الحساب.

ورد شاهدان بالفعل "يجزي" والمضارع فيه لتجدد الأجر والثواب، والإسناد إلى لفظ الجلالة للتنبيه على صفات الكمال له تعالى في سياق النهي والترهيب والحث على التقوى والترغيب، لذلك اقترن مع أفعالهم المضارعة مثل

¹ التحرير والتوير 47/30

"يعملون" ومع اللام ورد سبعة شواهد لغرض التعليل: كإبداء الخلق وإعادته، أو قيام الساعة ودقة الحساب، وهنا اقترن مع أفعاله الماضية، فالشواهد السابقة جميعها ارتبطت بـ باء السببية سواء في الثواب أو العقاب، ونظيرها الشاهدان "يجزيهم" و "ليجزيهم".

وبنون العظمة ورد ستة شواهد في سياق الاحسان، في ثلاثة شواهد وفي احدها وهو : (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل 96 حدث التفات عن الغيبة إلى التكلم لغرض التعظيم وزاد التأكيد بالقسم، أو التأكيد بآيات الله، والغرض الترهيب من شدة عقابه تعالى، وفي العقاب شاهد واحد وسياقه معارضته القرآن والصد عنه، والغرض من نون التكلم تعظيم جرمهم، وفي هذه الشواهد ربط الجزاء بباء السببية وبأفعالهم المتجددة منهم ولكنه أتى بأفعل التفضيل ليتناسب مع التأكيد.

وفي سياق الصبر على الجهاد زاد السين على الفعل لتأكيد وقوع الوعد والإيعاد وقربهما في خمسة شواهد.

وبالبناء للمفعول شاهد "سيجزون" لإرادة مطلق الجزاء في سياق الترهيب عن اكتساب الآثام ظاهرها وباطنها.

كما ورد المصدر الموصوف "الجزاء الأوفى" للفعل "سُجزاه" في سياق انكشاف أعمال العباد يوم القيامة، وبعد من الشرطية ورد شاهد "يُجز به" في سياق تكذيب أماني الشيطان للكافرين.

وبالفعل "تجزون" ورد ثمانية شواهد، والخطاب فيها للتبكي والامتهان، إلا في شاهد جاء بضمير الغيبة لأنه في سياق وصف الكافرين، والمقصود من المضارع في جميع الشواهد مداومة العذاب لهم بسبب أعمالهم التي كانت لهم طبعاً وجبلة، والبناء للمفعول أريد به مُطلق الجزاء، وأنه هو المرعب المهول، لا كونه من مجاز معين، وذلك تكرر في نظائرها من الشواهد "يجزون" اثنان و

"تَجْزَى" ثلاثة و "لتَجْزَى" ثلاثة، وردت ضمن سياقات متعددة، أي 18 صيغة مبنية للمفعول وهي في الزمن المضارع جميعها.

وبالماضي ورد صيغتان في سياق الصبر على العبادة، والفرق بين الشاهدين أن "جزاهم" سياقه الرجاء والخوف، أما في "جزيتهم" فإنه زاد عليه تجاوز ذلك إلى تلذذهم بالطاعة مما أدى إلى انصرافهم عن أذى المشركين لهم، لذلك زاد في قربهم وأسند إلى تاء الفاعل، بينما أتى الشاهد الأول بضمير الغيبة والغرض من المضي تأكيد تحقق ثواب الفريقين.

ورد باسم الفاعل شاهد واحد فقط في سياق التحذير من أهوال الساعة، وفيه تغيير عن الفعلية، والغرض المبالغة في نفي نفع الذين اسلموا لأبائهم المشركين، وذلك للزوم الصفة في الاسم وهي تأدية الابن حقوق الوالد.

أما المصدر "جزاء" فقد ورد 27 مرة، في الجملة الاسمية 21 صيغة، وفي الفعلية 6 صيغ، فإذا كانت مبتدأ فهي للاهتمام بأعمالهم الصالحة، أما في العقاب فقد ورد المبتدأ في سياقات متعددة كالنهى عن قتل النفس المؤمنة، وفي جزاء الحراية، وقد كان هناك إضافة في الشاهد "جزاء سيئة" والغرض بيان تمام عدله تعالى.

وإذا كانت "جزاء" خبراً فالغرض التعظيم، وهو بعد اسم الإشارة كما في سياق الامتنان على المؤمنين ومدحهم.

أما في قوله: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ الإسراء 63 فالغرض من الشاهد الوعيد الشديد لذلك أعاد الاسم "جزاء" ووصفه بكلمة "موفورا" وهنا غلب المخاطب على الغائب إما لقصد الالتفات، أو ليدل على أن إبليس هو الأصل في كل المعاصي والآثام.

أما في الجملة الفعلية فسياق المصدر "جزاء" هو الترغيب فيما للمؤمنين من نعيم في الجنة، والغرض تعظيم أجرهم، وقد ورد شاهد موصوفا باسم المصدر "حساباً" للمبالغة، ولاظهار كرامة هذه الأمة بمضاعفة أجرها.

من الأغراض البلاغية لهذا الفصل الآتي:

- ورد المضارع لغرض الوعيد والإنذار والتحذير من أهوال الساعة وإفراد الفعل للدلالة على دقته كما في "تجزّي".
- وجاء في تجدد الأجر والثواب، والفعل مسند إلى لفظ الجلالة للدلالة على صفات كماله تعالى، كما في "يجزّي".
- ورد المضارع مع اللام لغرض التعليل لإبداء الخلق وإعادته ولقيام الساعة، مقترنا بباء السبب، وجاء مع أفعال التفضيل لتأكيد الجزاء، والتفت من الغيبة إلى التكلم، تعظيماً للثواب أو للعقاب.
- المبني للمفعول وغرضه الوعيد، وعلة البناء فيه هي أن العرض نفسه هو المهول في سياق التهويل والتعظيم لأهوال القيامة، كما في "تعرضون" وفائدة المخاطبة هي الوعظ، وما كان بياء المضارعة فسياقه الافتراء على الله الكذب وغرضه الإهانة، كما في "يُعرضون" أما في "تجزون" فهي للتبكي والامتهان، في سياق وصف الكافرين، وغرض المضارع استمرار العذاب، وجاء في إرادة مطلق الفعل "سيجزون" في سياق التهيب عن اكتساب الآثام. وبالماضي ورد في غرض بيان نوع القضاء وتأكيد المحكمة الإلهية، والتفصيل في تصويرها، في سياق وصف اليوم الآخر كما في "قضي" وتحقيق العرض في مقام التكذيب كما في "عُرضوا".

- المفاعلة في "يحاسب" أفادت إبداء الأعمال، أو إخفاءها عن العباد، ومحاسبتهم عليها، والمضارع ناسب تجددتها منهم، أما إذا كانت صيغة المفاعلة بالبناء للفاعل أي "يحاسب" فهي في المزاخنة والمناقشة، وإذا كانت بالبناء للمفعول "يحاسب" فهي في عدم مناقشة المؤمن، وعفو الله عنه، أي هي ليسر الحساب
- الماضي المبني للفاعل غرضه تحقق الفعل والجزم والقطع به في سياق الشك وسوء الأدب مع الرسل، كما في "برزوا". وفي سياق الرجاء والخوف ورد الفعل "جزاهم" بضمير الغيبة، لكنه لما زاد عليه تلذذهم بالطاعة أسند الفعل إلى تاء الفاعل ليدل على منزلتهم وقربهم منه، كما في "جزيتهم" والمضي لتأكيد وقوع الجزاء.
- اسم الفاعل غرضه إزاحة ما توهموه في الدنيا من الاستتار وعدم رؤية الله تعالى لهم، كما في "بارزون" في سياق الشك المبالغ فيه.
- واسم الفاعل ورد لغرض الوعد والوعيد في إثبات صفات الله تعالى تفرد بها عن خلقه أفادتها قوة الصفة في الصيغة "حاسبين" في سياق مرد العباد إلى الله تعالى.
- وورد اسم الفاعل مع أفعال التفضيل في غرض الإمعان في نندم الكافرين وتحسرهم، في سياق إقرارهم بذنوبهم، كما في "شافعين".
- في الانتقال إلى اسم الفاعل عن الفعل ولزوم الصفة فيه معنى أبلغ وأشد في قطع الشك بنفع الأبناء المسلمين لأبائهم المشركين يوم القيامة، أي "جاز" أفادت لزوم حق الدفع على الولد عن الوالد.
- فعيل غرضه الزيادة والمبالغة في التوعد بالحساب في مقام الخشية والخوف منه وحده تعالى كما في "حسيبا" لأنها تشمل معنى محاسبا أي

فلا تخش غيره، أو محسوباً فلا تلتفت إلى غيره، أي فعيل شملت الرجاء والخوف.

- وفي سياق بيان صفات الكمال لله تعالى ورد "شفيح" وفعيل هنا أنسب للاهتمام بأركان الشفاعة الثلاثة، المشفوع عنده والمشفع والمشفع له.

الفصل الرابع

توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير نعيم الجنة في القرآن الكريم

المبحث الأول: بشارة المؤمنين بالجنة

المبحث الثاني: الجنة

مسألة: في غرف الجنة

مسألة: في عيون الجنة

المبحث الثالث: في ظلال الجنة

مسألة: في فاكهة الجنة

مسألة: دخول المؤمنين الجنة

مسألة: في أبواب الجنة

المبحث الرابع: وراثة المؤمنين الجنة

مسألة: في رزق أصحاب الجنة

مسألة: في خدمة أصحاب الجنة

مسألة: في أكل أصحاب الجنة

المبحث الخامس: شراب أصحاب الجنة

مسألة: في وصف خمر الجنة

مسألة: في سقيا أصحاب الجنة

مسألة: في نضرة وجوه المؤمنين في الجنة

مسألة: في لباس أصحاب الجنة

مسألة: في حلي الجنة

مسألة: في أزواج الجنة

مسألة: في الحور العين

مسألة: في رضا الله عن المؤمنين ورضاهم عنه تعالى في الجنة

تمهيد:

النعيم.. هو ذا أحد الجزاءين، وأحسن المآلين، أكرم الله تعالى به المؤمنين، وجعل منه نعيم أبدان، وأتمه بنعيم الأرواح.

يشمل هذا الفصل خمسة مباحث، وست عشرة مسألة، حاولت ترتيبها حسب ورود موضوعاتها في النظم الكريم، فالله سبحانه بشر المؤمنين بالجنة قبل دخولهم إليها، لذلك كان مبحث "بشارة المؤمنين بالجنة" هو الأول في الفصل، سيما أن أول آية تحدثت عن الجنة في الترتيب القرآني هي ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 25 ولأن أول ما بشروا هو الجنات كان "مبحث في الجنة" هو الثاني في الفصل وهو أطول المباحث وصيغته هي الأكثر من حيث العدد والتنوع.

ولما وصفت الجنان بجريان الماء من تحتها، أي من تحت غرفها، أنت هنا "مسألة في غرف الجنة" ولما كان ينتج عن وفرة الماء كثرة الزروع والأشجار كانت "مسألة في عيون الجنة" ثم "مبحث في ظلال الجنة" ثم "مسألة في فاكهة الجنة" ولأجل انتفاع المؤمنين من الرزق المذكور في الآية، لابد من دخولهم الجنة وتمكينهم من التمتع بها فكانت "مسألة في دخول المؤمنين الجنة" ثم "مسألة في أبواب الجنة" لأن أبوابها تعلق ذكرها بدخولهم إلى الجنة وليس بوصفها كما في قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزمر 73 ثم "مبحث في وراثة المؤمنين الجنة" ثم "مسألة في رزق الجنة" ولما أكرمهم بما هو كائن للملوك كالاتكاء على الأرائك، جعلهم مخدمين بطواف الغلمان عليهم فكانت "مسألة في خدمة أصحاب الجنة" وكانوا يطوفون عليهم بالآنية

والصحاف والقوارير بالطعام والشراب، كانت "مسألة في أكل أصحاب الجنة" ولما كان الأكل مدعاة للشرب ذكر بعده "مبحث في شرب أصحاب الجنة" ولأن شرابهم تميز عن شراب الدنيا بخصائص عجيبة كانت "مسألة في وصف خمر الجنة" ولما كانت السقيا دالة على زيادة في النعيم كانت "مسألة في سقيا أصحاب الجنة" ولما كان لكثرة الشرب والسقيا أثر في الوجوه والأبدان أتت "مسألة في نضرة وجوه أصحاب الجنة" ولما كان لا بد لمن شبه بحال الملوك من اللباس الفاخر أتت "مسألة في لباس أصحاب الجنة" ولا بد لهم من الجواهر الثمينة واللائي العظيمة أتت "مسألة في حلي الجنة" وكان لا بد من إتمام مسرتهم بأن شاكل لهم أزواجا كهينتهم أتت "مسألة في أزواج الجنة" وللزيادة في مؤانستهم والإنعام عليهم جعلهن فائقات الحسن، عظيمات الود، فكانت "مسألة في حور الجنة" ولما كان ذلك النعيم لا يتم إلا بنعيم روعي أبدي أتت "مسألة في رضا الله عن المؤمنين ورضاهم عن الله في الجنة".

وفيما يلي عرض لتلك المباحث والمسائل ودراسة لشواهدا في ضوء آراء العلماء، ثم أقرر خلاصتها بعد التحليل والمقارنة.

المبحث الأول : بشارة المؤمنين في الجنة

البشرى والبشارة تقال للخبر المفرح السار، وقد وردت في القرآن الكريم لتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، والنعمة والفضل وبكل ما يسرهم في الجنة، وكلمة بشرى ترتبط بهيكل الإنسان وظاهره، يقول الأصفهاني: "البشرة ظاهر الجلد، وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف، أو الشعر، أو الوبر، وأبشرت الرجل وبشرته وبشرته: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر"^١.

في المادة بشرى ست صيغ فعلية، ثلاث منها في الزمن المضارع، وهي "يبشر" و"يبشرهم" و"يستبشرون" وثلاث أخر بصيغة الأمر وهي "بشّر" و"وأبشروا" و"استبشروا" وثلاث صيغ اسمية، منها اثنتان بالمصدر وهما: "البشرى" و"بشراكم" وواحدة بصيغة اسم الفاعل، وهي "مستبشرة".

في سورة الكهف : (فَتِمَّا لِنُنْذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) 2

في سورة التوبة : (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) 21

في سورة آل عمران : (فَرَجَيْنَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)

^١ المفردات في غريب القرآن ١٢٤١-١٢٥

في سورة البقرة : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 25

في سورة يونس : ﴿أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ 2

في سورة البقرة : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ 155

في سورة التوبة : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِضُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ 112

في سورة فصلت : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ 30

في سورة التوبة : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِذًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 111

في سورة عبس : ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)

في سورة يونس : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 64

في سورة الحديد : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾¹²

قوله : ﴿قِيمًا لِنُنْذِرَ بِأَسَا سَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾^{الكهف2} سياقه الحديث عن الوحي، والغرض من
صيغة المضارع "يبشر" هو بيان مهمة القرآن من إنذار وتبشير.

أما قوله : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُقِيمٌ﴾^{التوبة21} فسياقه الحث على الهجرة والجهاد بالنفس والمال، والغرض من
المضارع "يبشرهم" هو بيان الدرجة التي وعد بها المؤمنين، أي يفرحهم ربهم
بجنة وبرحمة ورضوان بما أعطاهم من ثواب، قال ابن عاشور: " "يبشرهم"
بيان الدرجة العظيمة التي في قوله : ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾²⁰، فتلك الدرجة
هي عناية الله تعالى بهم بإدخال المسرة عليهم، وتحقيق فوزهم، وتعريفهم
برضوانه عليهم، ورحمته بهم، وبما أعد لهم من النعيم الدائم".¹

أما قوله: ﴿فَرَجِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^{آل عمران170} فالاستفعال في الصيغة
"يستبشرون" لأن المقام في تأكيد حقيقة القدر، وأن الموت لا يدرأه أمر عند
حلوله، لغرض تبكيث المنافقين، وبطلان ظنهم في قتل شهداء بدر وأحد بأنه
سدى، والجزم للمؤمنين بإحياء أرواح الشهداء حياة خاصة بهم، وتأكيد نيلهم ما
بشروا به، قال الرازي: "الاستبشار السرور الحاصل بالبشارة، وأصل

¹ التحرير والتنوير 47/2

الاستفعال طلب الفعل، فالمستبشر بمنزلة من طلب السرور فوجده عنده¹، فهم يستبشرون بمن تقدمهم من الأنبياء والصديقين، وبمن خلفهم من المؤمنين بأن يبعثوا أمينين، قال البقاعي: "أي توجد لهم البشارة وجوداً عظيم الثبات حتى كأنهم يوجدونها كلما أرادوا"² والسبب هو إيمانهم الحق بقضاء الله الذي دفعهم إلى الصبر والثبات عند لقاء العدو، وكانوا حديثي عهد بمشروعية الجهاد، إلى ما بذله المنافقون من زعزعة صفوفهم، ومحاولة تثبيط همهم عن واجب القتال.

ولأنه وصف لهم الذين بشرهم بهم في قوله: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ) آل عمران 172 أي كان خروجهم للقتال مؤكداً لإيجاد ثابتاً محققاً خالصاً لله ورسوله، ولذلك خُصَّت الصيغة إضافةً إلى زيادة المبنى بالتكرار الوارد في السياق نفسه تحقيقاً لمعنى البشارة في قوله: (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) 171

وكرر الصيغة في الآية اللاحقة؛ لأن الاستبشار الأول لرفاقهم الذين لم يلحقوا بهم، والثاني لهم، ليدل على وجوب تمني المسلم الخير لأخيه المسلم، بل فرحه بذلك يجب أن يفوق الفرح لنفسه. قال الرازي: "الآية تدل على أن استبشارهم بسعادة إخوانهم أتم من استبشارهم بسعادة أنفسهم، لأن الاستبشار الأول في الذكر هو بأحوال الإخوان، وهذا تنبيه من الله تعالى على أن فرح الإنسان بصلاح أحوال إخوانه ومتعلقه يجب أن يكون أتم وأكمل من فرحه بصلاح أحوال نفسه"³.

¹ تفسير الرازي 430/9

² نظم الدرر 122/5

³ تفسير الرازي 431/9

وقال أبو السعود: "كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقدر قدرها وهي ثواب أعمالهم"¹، ولذلك عطف عليه قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ 171 تفخيماً لبشارتهم بأن جمع إلى النعيم الجنائي اللذة الروحية لأنهم علموا عن ربهم ما تنشرح به صدورهم، قال ابن عاشور: "أي استبشروا بأن علموا حقيقة كلية وسراً جليلاً من أسرار العلم بصفات الله وكمالاته التي تعم آثارها أهل الكمال كلهم، فتشمل الذين أدركوها وغيرهم"².

فالزيادة في مبنى الصيغة "يستبشرون" وتكرارها كان لتعدد الأغراض، كما جمع معظمها الزمخشري في قوله: "ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقيين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء، وإصابة فضلهم، وإحماذ لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله، وبشرى للمؤمنين بالفوز بالمآب"³.

تميزت الصيغة "يستبشرون" بتأكيد البشارة نفسها، وبتحقيق وبيان حال المستبشرين، وبتأكيد صفات في المستبشرين بهم التي نفى بها عنهم الخوف والحزن، وهذه المعاني هي فيصل بين الإيمان والنفاق فيما يتعلق بالموت والقضاء والقدر.

وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت 30 أتى بالصيغة "أبشروا" في سياق إقرارهم بالوحدانية، واستقامتهم على شريعته، لكنه بالغ في تبشيرهم في سياق الحديث عن المخلفين عن القتال، والحث والتحريض على

¹ تفسير أبي السعود 1: 112

² التحرير والتنوير 4: 167

³ تفسير الكشاف 1: 44

الجهاد فقال: " استبشروا" والاستفعال في الصيغة للتأكيدات الواردة في السياق وهي الافتتاح بـ "إن الله" والتمثيل لإثباتهم بالجنة بالبيع والشراء والتأكيد بالمصدر في قوله "وعداً عليه حقاً" وتأكيد ما أوجبه بكلمة "عليه" وتأكيد استحقاقهم الجنة بـ "أنَّ" وتقديم الجار والمجرور، وإشهاد جميع الكتب الإلهية، وجميع الأنبياء والرسل، ثم بلغ الغاية في التأكيد في نفي إخلاف الوعد عنه تعالى.

والسر في زيادة التأكيد هو ما ورد عقب الشاهد من صفات المؤمنين التسعة وهي ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة 112. قال الرازي: "ذكر تعالى هذه الصفات التسعة، ثم ذكر عقبها قوله: "بشر المؤمنين" تنبيهاً على أن البشارة المذكورة في قوله "فاستبشروا" لم تتناول إلا المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات"¹

وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ يونس 2 سياقة الحديث عن الوحي، وكان ممن عجبت منه قريش أن ينذرهم رجل كان يتيماً، فهو إلى كونه بشراً ليس من عظمائهم، والأمر الثاني هو تبشير المؤمنين بالمنزلة الرفيعة وزيادة الفضل عند ربهم.

أما قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 25 فسياقه تحدي الكافرين لما أنزل الله، والصيغة معطوفة على ما أعد لهم من عقاب، لكنها لم

¹ تفسير الرازي 138\30

تشاكل الخبر قبلها وأنت بأسلوب الإنشاء لأهمية البشارة، لأن إعجاز القرآن ظهر بعدم قدرتهم على معارضته، مما استدعى تخويف من كفر به، وتبشير من آمن به، دون مشكلة الأمر بالأمر، أو النهي بالنهي، قال البيضاوي: "المقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه، على حال من كفر به، وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطاً لاكتساب ما ينجي، وتنشيطاً من اقتراف ما يُردى، لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له ما يشاكله من أمر أو نهى فيعطف عليه أو على "فاتقوا" ¹ لذلك لم يعين المأمور، فهو لكل من قدر عليه تعظيماً للبشارة، قال الرازي: "لم يأمر بذلك واحداً بعينه، وإنما كل واحد مأمور به، وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن هذا الأمر لعظمته وفخامته حقيق بأن يبشّر به كل ما قدر على البشارة به" ².

والصيغة "بشّر" هنا أبلغ، لأنها كما لم تلتزم المشكلة في العطف أدت كذلك إلى الانتقال من أسلوب الخطاب في وعيد الكافرين، إلى الغيبة في تبشير المؤمنين بالجنة تعظيماً لشأنهم، قال الألوسي: "لم يُخاطَب المؤمنون كما خاطب الكفرة تفخيماً لشأنهم، وإيداناً تاماً بأنهم أحقاء بأن يبشّروا ويهنّؤوا بما أعد لهم، وقيل تغيير الأسلوب لتخييل كمال التباين بين حال الفريقين" ³.

ونظيره قوله : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة 155 لكن سياقه في اختبار أحوال المؤمنين عند البلاء، وهنا كما في الشاهد السابق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من صحت منه البشارة، ولم يعتبر الخبر والإنشاء في العطف

¹ تفسير البيضاوي 59\1

² تفسير الرازي 357\2

³ روح المعاني 203\1

للاهتمام بمضمون المعطوف، وقد وارى إنذار من لم يصبر من المؤمنين تبجيلاً لهم، قال البقاعي: " ولما كان السياق مرشداً إلى أن التقدير: فأنذر من لم يصبر ولكنه طوى إشارة إلى إجلال الذين آمنوا عن أن يكون فيهم من لم يصبر، عطف عليه إرشاداً إليه وحثاً على الصبر في قوله "وبشر الصابرين"¹

أما قوله : ﴿وَجُودَ يُؤْمِنُ مَسْفِرَةً﴾ (٣٨) ضاحكةً مُسْتَبْشِرَةً (٣٩) عبس فهو في قيام الساعة، وهلع الناس وفرعهم عند مجيء الصاخة، وتخلي المرء عن أمه وأبيه، وكل مقرب إليه وفراره منهم، مما ناسب الإتيان بصيغة اسم الفاعل " مستبشرة" أولاً لدلالة الاستفعال على طلب الفعل أي هي طلبت في هذه الأحوال خبراً يسرها، قال البقاعي: " مستبشرة أي طالبة للبشر، وهو تغير البشرية من السرور، وموجدة لذلك، وهي بيضاء نيرة بما ترى من تبشير الملائكة، وذلك بما كانت فيه في الدنيا من عبوس الوجوه وتغيرها، وشحوبها من خشية الله تعالى، وما يظهر من جلاله عن قيام الساعة"².

وثانياً لدلالة اسم الفاعل على ثبوت الصفة فيه، أي تأكيد الاستبشار فيهم عند ذكر الفرع والهلع، ما يدل على اطمئنانها، لأنها تطلب أمراً فوق الأمن وهو المفرح السار، قال الألوسي: " ضاحكة مستبشرة أي مسرورة بما تشاهد من النعيم المقيم، والبهجة الدائمة"³.

أو زيادة السين والتاء في الصيغة هي للمبالغة، أي وجوه فرحة ليقابل به سوء حال وجوه الكافرين.

أما قوله : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يونس 64 فهو بيان لتولية الله المؤمنين بعد أن نفى عنهم الخوف

¹ نظم الدرر 256\2

² المرحم نفسه 272\21

³ روح المعاني 252\15

والحزن، لأنهم: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَثُورًا يَتَّقُونَ) 63 لذلك خصهم بقوله "لهم". قال أبو السعود: "البشرى مصدر أريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة، وغير ذلك، والأجلة الغنية عن البيان وإيثار الإبهام والإجمال للإيذان بكونه وراء البيان والتفصيل".¹

وسبب اختيار المصدر هو لأن السياق في "تسليية النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلاقه من الكفار من أذى وتهديد، إذ أعلن الله للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالأمن من مخافة أعدائهم، ومن الحزن من جراء ذلك، ولمح لهم بعاقبة النصر، ووعدهم بالبشرى في الآخرة وعداً لا يقبل التغيير ولا التخلف تطمينا لنفوسهم كما أشعر به قوله عقبه: "لا تبدل لكلمات الله"²

ونظيره: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَمْشِي نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الحديد 12 وسياقه الحث على الإنفاق في سبيل الله، والغرض من المصدر "بشراكم" هو الوعد، أي ما يبشر به دون التبشير وهو دخولهم الجنة، قال البقاعي: "أي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان"³ كما اشترك في سياق الشاهدين تعظيم شأن المبشر به في قوله: (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) 12.

تبين مما مضى أن للمادة ب ش ر ثلاث عشرة صيغة، منها عشرة صيغ فعلية، والنصيب الأوفى فيها لصيغة الأمر "بشّر" وعددها أربع، وسياقها الحديث عن الوحي، وغرضها بيان مهمته، أو هي في تحدي الكافرين له، وغرضها تبشير المؤمنين بالجنة، وتعظيم شأنهم أو في سياق اختبار أحوال المؤمنين، والغرض تبشير الصابرين بالجنة. أو في سياق الحث على الجهاد،

¹ تفسير أبي السعود 160\4

² التحرير والتنوير 216\11

³ نظم الدرر 272\19

والغرض من تعدّي الشواهد إلى مفعولين هو تفخيم شأن البشارة كونها تصحّ ممن قدر عليها، ثم "أبشروا" في الإيمان والاستقامة، و"استبشروا" في تأكيد البشارة وسياقه التحريض على الجهاد.

ويُلي صيغة الأمر "بشّر" المضارع وقد ورد على صيغ مختلفة، فالفعل "يبشّر" هو في بيان مهمة الوحي، والفعل "يبشّرهم" هو في بيان الدرجة العظيمة التي وعدوا بها في سياق الترغيب بالجهاد.

و"يستبشرون" في سياق تأكيد حقيقة القدر، وغرضه تأكيد البشارة للمؤمنين، وحثّ من بعدهم على بذل الطاعات.

ثم كان بالمصدر شاهدان، وهما "البشّري" و "بشراكم" وسياقهما بيان توليته تعالى للمؤمنين، وغرضهما هو الوعد أو ما يبشّر به دون التبشير.

وأخيراً ورد باسم الفاعل شاهد واحد، وهو "مستبشرة" في سياق قيام الساعة، وغرضه المبالغة في استبشار المؤمنين.

المبحث الثاني : الجنة

الجنة دار المؤمنين ومأواهم، لا يتحولون عنها أبداً، أعدها الله لهم جزاء ثباتهم وصبرهم، واختار لها هذا الاسم لحكمة أرادها، يقول الأصفهاني: " أصل الجن: ستر الشيء عن الحاسة، والجنان: القلب لكونه مستوراً عن الحاسة، والمجن والمجنة: الترس الذي يجن صاحبه، والجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، وسميت الجنة إما تشبيهاً بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون- وإما لستره نعمها عنا"¹.

وقال البقاعي: " الجنات مبهجات للنفوس، تجمع ملاذ جميع حواسها، تجن المتصرف فيها أي تخفيه، وتجن وراءها نعيماً مزيداً دائماً"².

صاغ المادّ ج ن ن اسمية كلها، كما تنوعت بين التعريف والتكثير، وبين الأفراد والتثنية والجمع، وقد وردت مضافة في حالتها أفرادها وجمعها، والصيغ هي: الجنة، جنة، جنتان، الجنات، جنات وكذلك تنوعت الإضافة كما في "جنة المأوى" أو في إضافتها إلى الضمير، وهو في الصيغة "جنتي" أما عن إضافة "جنات" فهو كما في "جنات النعيم" أو "جنات عدن".

وقد ورد المعرف مضافاً كما في "أصحاب الجنة" ولصيغة جمع واحدة وهي: "روضات الجنات" وأحياناً ترد الصيغة موصوفة كما في "جنة عالية". ولأن شواهد هذه المادة كثيرة سوف اكتفي بذكر نماذج لكل نوع من أنواع الصيغ، أما باقي الآيات فهي ضمن ثبت خاص في آخر البحث.

¹ المفردات في غريب القرآن 204\1، ينظر مفردات القرآن عبد الحميد الفراهي الهندي 277\1 ت 1349 هـ تحقيق وشرح د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي دار الغرب الإسلامي ط 2002 م
² نظم الدرر 191\1

الجنة :

في سورة الزخرف : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 72

في سورة مريم: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي ثُورَتْ مِنْ عَبْدِنَا مَنْ كَانَ تَوَّابًا﴾ 63

الصيغة المعرفة بالإضافة:

في سورة الفجر : ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ 30

في سورة النجم : ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ 15

النكرة :

في سورة الحاقة : ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾

في سورة الدهر : ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ 12

جنتان :

في سورة الرحمن : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ 46

في سورة الرحمن : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَّتَيْنِ

ذَانِ﴾ 54

الجنات :

في سورة الشورى : ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ

الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ 22

الصيغة "جنات" معرفة بالإضافة :

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ القلم 34

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ الواقعة 89

جنات في الجملة الاسمية :

(أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) آل عمران 136

جنات في الجملة الفعلية :

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) النساء 13

(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ) التوبة 21

وردت كلمة "الجنة" في سياقات وأغراض متعددة، ففي قوله : (وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ تَتَّمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الأعراف 43 هو في تبشير المؤمنين بالجنة، والترغيب لغيرهم في الاقتداء بهم، وأشار بأداة البعد إيدانا بفخامة الجنة، وعلو مقامها، قال ابن عاشور: "وأشير إلى الجنة باسم الإشارة البعيد تعظيماً لشأنها، وإلا فإنها حاضرة نصب أعينهم، وهو مبتدأ، والجنة خبر، أي تلك التي ترونها هي الجنة التي سمعتم بها ووعدتم بدخولها"¹، وفائدة التعريف كونها معهودة بعلو وشرف مكانتها، لأن المقام في تشريف المؤمنين، وتكريمهم وتنعيمهم، فهي المكان الذي يجمع ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم، ولذلك ورد في سياق المعرف معنى مجاهدة النفس، كما في (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) النازعات 40 أي عرفت الجنة بكل ما تشتهيه الأنفس، لأنهم صبروا على الامتناع عن الهوى، كما ورد في السياق (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِخَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) الزخرف 71 ،

أي التي وعدتم بها على وصفها هذا فهي معروفة لكم تجتهدون لأجلها، وكانت أعمالكم الصالحة متجددة فاستحققتهم بها الجنة، فهو ترغيب بطريق ربط جزاء المؤمنين بأعمالهم، ونظيره : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 72، أي في ربط إخبارهم والمن عليهم بإيراثهم العظيم، ونظيره : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ مريم 63، لكنه في الترهيب من الضلال، ولذلك أتى بالموصول "مَنْ" أي نورث الجنة من اتقى من عبادنا.

وفي سياق إثبات البعث ورد قوله : ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات 41 والتأكيد سببه شدة خشية المؤمن لله ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ 40، أي خشي القيام بين يدي ربه، فكانت خشيته من صاحب المقام أشد وأبلغ، ولم تغره الدنيا وزينتها، فإن جزاءه الجنة لا غيرها، مما يلانم التعريف أي يأوي إلى الجنة لا إلى غيرها، أي هي خاصة.

وفي سياق تفصيل وبيان حال المجموعين في المحشر ورد قوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْخَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الشورى 7، أي بعد أن جمعهم فزقهم حسب تقديره ومشينته إلى فريقين أحدهما في الجنة والآخر في النار، فكان التعريف لأجل تقابل الجنة والنار حين تمييز المؤمنين عن الكافرين، ليكون كل منهم فيما قُدر له، أي (فريق في الجنة) التي وعدت بها عبادي الصالحين.

وفي سياق تهديد المشركين بأخذ الظالمين واستنصالهم ورد قوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ هود 108 وهو كذلك في تمييز الناس والقضاء فيهم، ولذلك قال : (ففي الجنة)، أي هم السعداء فازوا بما سعوا إليه، وفائدة التعريف هي للعهد، قال البقاعي: " (ففي الجنة) أي التي صارت معلومة من الدين

بالضرورة¹. أي إثبات البعث يدل على الجزاءين وهما الجنة والنار، فصارا معلومين لمن يؤمن باليوم والآخر.

وفي سياق فضح المنافقين ، وتعنيف المتأقلين عن القتال، وأمر المؤمنين بالجهاد، ورد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة [11]، استعار الشراء للمبايعة المباركة، وأكد بالمواثيق الشديدة، ونسب الفعل إلى نفسه تعالى تعظيماً لهم، وجعل الجنة هي الثمن في البيع، مقابل أنفسهم وأموالهم، لذلك جعل الجنة مختصة بهم، قال أبو السعود: "الجنة هي المقصد في العقد، ولم يقل بالجنة بل قال ﴿أَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم"² والتعريف بـ "ال" سببه اختصاصها بهم، أي لهم لبذل أنفسهم وأموالهم خالصة لله، وتصديقهم وعد الله لهم، عرفوا بالمؤمنين، لذلك قال لهم: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ بالغ في تبشيرهم به، وهو البيع الباقي الخالد، ثم أشار إلى الجنة بأداة البعد "ذلك" التي جعلوها ثمناً لما بذلوا من الأنفس والأموال، وقصر الفوز على الجنة يلانم التعريف بالصيغة، فقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي هو خاصة "الذي لا فوز أعظم منه، وما في "ذلك" من معنى البعد إشارة إلى بعد منزلة المشار إليه وسمو رتبته في الكمال"³.

بينما وردت الصيغة مضافة كما في قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ الرعد 35 وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ

¹ نظم الدرر 384/9

² تفسير أبي السعود 105/4

³ المرجع نفسه 106/4

غَسَلِ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ (محمد 15)، سياقهما في تَوَعْدِ الكافرين على ضلالهم واتباعهم الهوى، مما أدى إلى تَشَوُّفِ النفس وتطلُّعها إلى ما هو ضدهم في المآل، فقال: (مَثَلُ الْجَنَّةِ) أي صفتها العجيبة، ثم فصل في نعتها، فالإضافة سببها الحديث المتكرر عن الجنة في السياق، مما جعل في النفس تشوقاً إلى معرفتها، ولذلك ذكر عقب الشاهدين: (الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ) أي أراد شرح محاسنها بعد إذ وعدهم بها، وبيان شأنها العجيب، لذلك كانت أنهارها مختلفة عن أنهار الدنيا، وماؤها ولبنها وعسلها وخمرها على صفات غريبة لم يألُفها الناس.

والصيغة وردت مضافة كذلك إلى كلمة "أصحاب" وهو في ثلاثة عشر شاهداً. ففي قوله: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ) يس 55 وقوله: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) الفرقان 54، وقوله: (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) الحشر 20، كانت العبارة (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) مبتدأ لتدل على أن المؤمنين هم ملاك الجنة، فهم المعنيون بالكلام لخيريتهم وتفضيلهم، وقصر الفوز عليهم، وسبب تمليكهم الجنة إيمانهم بالله وباليوم الآخر وثباتهم عليه في حين كَذَّبَ الكافرون الرسل وأنكروا البعث، لذلك قال: (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) فالجملة تعليلية للتمييز بين المؤمنين وبين ناقضي العهد من اليهود، فكان الخبر هنا هو قصر الفوز على أصحاب الجنة، بينما ورد مع اسم التفضيل في (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) الفرقان 54 تهكمًا بالكافرين؛ لأن اسم التفضيل هو للمفاضلة بين أمرين بينهما مشاركة، فكيف يفاضل بين الجنة والنار، جاء في معاني النحو: "ليس ثمة اشتراك في الخير بين المستقرين، فليس عند أصحاب النار خير بل هو شرّ

محض، وليس ثمة مشاركة بين المفضل والمفضل عليه في أصل الوصف، ولكنه يراد بذلك التهكم، لأنه يعلم أن الصفة منتفية عن المفضل عليه أصلاً¹، وقد تكرر في هذه السورة اسم التفضيل، وشاع فيها الاسم المنصوب، فهي تعالج قضية الخيرية في مواضع عدة منها : ﴿قُلْ أَذْكَاءٌ خَيْرٌ أَمْ جَنْءُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾.

أما الخبر في الآية من سورة الحشر فقد جاء على صورة القصر تناسباً مع تعنت اليهود، وشدة تمردهم، وقبح فعالهم فلم يجُلُ النبي صلى الله عليه وسلم أحداً عن أرضه سواهم، فهم الأخسرون، والفوز مقصورٌ على من هو ضدهم في الحال، فجاء الخبر بالجملة الاسمية ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ وأسلوب القصر أنسب لنفي الاستواء بين أصحاب النار وأصحاب الجنة، وقد تكرر هذا الأسلوب في السورة كقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

والخبر في الآية من سورة يس : ﴿فِي شُغْلٍ﴾ مناسب لحال منكري البعث الذين قامت عليهم الساعة، وهم في مشاغلهم وقضاياهم يتخاصمون، فأصحاب الجنة شغلوا في نعيم الآخرة، لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات، فاستحقوا ملكيتها والتنعم بها في خلود دائم ثابت مستمر المعنى المستفاد من اسم الفاعل ﴿فَاكِهُونَ﴾ وهو الخبر الثاني لـ "إن" جاء في روح المعاني: "التعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها لتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها، وفيه على تقدير خصوص الخطاب زيادة لمساءة المخاطبين"²، أما سبب تميز عبارة ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هنا بـ "إن" لأن الشك بالبعث وبالرسالة شغل سياق السورة، فأتى إثبات القيامة فيها على ذروة أساليب

¹ معاني الدجر 27/4

² روح المعاني 34/12

التأكيد، كما ورد قبل الشاهد : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي كان التكذيب دأبهم وشغلهم، فجاء بـ "إِنَّ" لتأكيد ما أنكروه.

أما الشواهد التي وردت فيها عبارة ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ خبراً فهي: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 82 و ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس 26 ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هود 23 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تَكُنْ لَكُمْ أَنْفُسُ إِلَّا وَسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ الأعراف 42. وفائدة الخبر هنا هي الإشارة إلى علو منزلتهم، فالمقصود المكانة التي هم عليها، ولذلك ارتبط معنى الخلود بتلك المنزلة العظيمة في جميع الشواهد باسم الفاعل ﴿خَالِدُونَ﴾ لدلالته على الثبوت والاستمرار إضافة إلى الظرفية التي يتضمنها الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾ والسياق في جميعها يتفق في ذلك.

أما عبارة ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ في الجملة الفعلية فسياقها الترحم وطلب الغوث، كما في قوله : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف وهو في محاوراة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، وفيه تظهر شماتة المؤمنين من الكافرين وهم أعلى منهم منزلة وأحسن مستقراً، ونظير هذا الدعاء والمناداة قوله : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف 44 وهو لغرض تحسير الكافرين والشماتة فيهم.

والعبارة وردت لدى دعاء أصحاب الأعراف وندائهم لأصحاب الجنة وتحيتهم وهو في قوله : ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ

يَطْمَغُونَ) الأعراف 46 وسر اختصاص السورة بهذه المحاور الطويلة والمتنوعة هو ما غلب في سياقها من جحود الأقوام والتكذيب بآيات الله، وعصيان الأنبياء والتمرد عليهم.

وأما قوله : (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَغَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) الأحقاف 16، فقد دلت الظرفية على أن المؤمنين مازالوا في رضوان من ربهم دائم ملازم لهم؛ فهم في عداد أهل الجنة الخالدين فيها.

كلمة "الجنة" في الجملة الفعلية:

وردت في سياق الدعوة إلى التوبة والمغفرة، والترغيب بالجنة والترهيب من النار كما في : (وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) الشعراء 90 وفي (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) مريم 60 و (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) يس 26 و (مَنْ عَمِلَ سِنِينَ فَلَا يُحْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُزْرَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) غافر 40 و (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) المائدة 72 و (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) النساء 124 وفي سياق الحث على القتال والصبر عليه كما في قوله : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ) آل عمران 142 وفي سياق أن الجزاء ليس بأمانى الناس، وفي تمنى الكافرين عدم دخول المؤمنين الجنة كما في قوله : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة 111 وفي سياق

تأيس الكافرين من دخول الجنة، وتخيب ظن المستكبرين في أن الضعفاء من المؤمنين لا ينالهم الله برحمة : (أَهْؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) الأعراف 49 و (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) النحل 32.

التعريف بالإضافة:

قوله: (وَادْخُلِيْ جَنَّتِي) الفجر 30 هي الصيغة الوحيدة في القرآن التي أضيفت إلى ضمير الذات العلية، لأنه قابل كلمة "عذابه" كما ورد قبل الشاهد : (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا) (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدًا) (٢٦) الفجر. قال البيضاوي: "الهاء في (عَذَابُهُ) لله، أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواء، إذ الأمر كله لله، أو الإنسان لا يعذبه أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه"¹.

ولأنه أكرم نفس المؤمن بخطابه : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ)، قال الزمخشري: "أي يقول الله للمؤمن (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ) إما أن يكلمها إكرامًا له، كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك"².

ولأنه وصف النفس بالاطمئنان، وهو الاستقرار والثبات، واطمئنانها لا يكون إلا بمعرفتها لله، والرجوع إليه، كما في قوله : (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) الرعد 28. قال أبو السعود: "وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى في معارج الأسباب والمسببات إلى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته، وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيره بالكلية، وقيل هي النفس المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى تلج اليقين بحيث لا يخالجه شك، وقيل هي الأمانة التي لا يستفزها خوف ولا حزن"³، أي لأنها اطمأنت بمعرفة خالقها واستغنت به عن

¹ تفسير البيضاوي 311/5

² تفسير الزمخشري 752/4

³ تفسير أبي السعود 158/9

غيره، نسب الجنة إلى نفسه تعالى في خطابه لها ودعوته لدخول الجنة، وذلك إكراماً وتشريفاً لها.

بينما أضاف الجنة إلى الخلد في قوله : (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) الفرقان 15، لأنها في سياق تحسير الكافرين وتقريعهم والتهكم بهم، وذلك أن ما تمنوه من الهلاك. لنجاتهم من العذاب "لن ينالوه"، إشارة إلى خلودهم في العذاب، وذلك في قوله : (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) 14، فأراد مقابلة خلود المؤمنين في الجنة بخلودهم في جهنم، قال الألوسي: "تخاطبهم الملائكة به لتنبئهم على خلود عذابهم، وأنهم لا يجابون إلى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي، أو يقال لهم ذلك عند دعائهم المذكور لإقناطهم عما علقوا به أطماعهم من الهلاك، وتنبئها على أن عذابهم الملجئ لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرّة أبدئ لا خلاص لهم منه، وإن ما هم به من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء منهم" 1، مما ناسب هنا إضافة الخلد إلى الجنة مقابلة بتجدد عذاب الكافرين وتعدده.

بينما أضيفت الجنة إلى المأوى في قوله: (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) النجم 15، لأن سياقه في إثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام عند "سدرة المنتهى" وصفة هذه السدرة أنها ينتهي إليها علم الخلاق وأعمالهم، قال أبو السعود: "هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقِلَالٍ هَجَرٍ، وورقها كأذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، والمنتهى موضع الانتهاء كأنها في منتهى الجنة، وقيل إليها ينتهي علم الخلاق وأعمالهم، ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهي إليها أرواح الشهداء، وقيل ينتهي إليها ما يهبط من فوقها، ويصعد من تحتها" 2، معنى الانتهاء إليها ناسب إيواء

¹ روح المعاني 434/9، ينظر تفسير أبي السعود 206/6
² تفسير أبي السعود 156/8

المؤمنين إلى الجنة لأن (جَنَّةُ الْمَأْوَى) معناها كما في التحرير والتنوير: "الجنة المعروفة بأنها مأوى المتقين، فإن الجنة منتهى مراتب ارتقاء الأرواح الزكية"¹، أي يأوي إليها الأنبياء والشهداء والصالحون.

ولأنه قال: (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) النجم 16، أي يأتيها ويزورها الملائكة وغيرهم من الخلائق، يعبدون الله عندها، ويتبركون بها، قال الزمخشري: "(مَا يَغْشَى) تعظيم وتكثير لما يغشاها، فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنفها النعت، ولا يحيط بها الوصف، وقد قبل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها"²، ولهذا المعنى أي غشيانها لعبادة الله والتبرك بها، ولانتهاء أمر الخلائق عندها، ناسب إضافة "الجنة" إلى معنى الإيواء في كلمة "الْمَأْوَى".

النكرة: "جنة"

وردت النكرة في خمسة مواضع، منها اثنان في الجملة الاسمية، وثلاثة في الجملة الفعلية، والشواهد هي:

في سورة الحاقة (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) 22، وفي قوله: (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) الغاشية 10، وفي قوله: (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَيْرًا) الإنسان 12، وفي قوله: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل عمران 133، وفي قوله: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) الحديد 21.

¹ التحرير والتنوير 101\27

² تفسير الزمخشري 421\4

غرض التذكير في جميع الشواهد هو التعظيم، لأن المقام في سورة الحاقة عن إكرام المؤمن وتشريفه بأخذ كتابه باليمين، ولذلك وصف الجنة بأنها عالية مناسبة لإعزاز المؤمن ورفعته وستر ذنوبه، والعلو فيها لمكانها ومكانتها، وأبنيتها وأشجارها ودرجاتها، أي في كل أمر فيها، أي جمعت بين نعيمي الروح والجسد، لأن الجنان المرتفعة أكثر بهجة، قال ابن عاشور: "وصف جنة بـ"عالية" لزيادة الحسن لأن أحسن الجنات ما كان في المرتفعات، فذلك يزيد حسن باطنها بحسن ما يشاهده الكائن فيها من مناظر، وهذا وصف شامل لحسن موقع الجنة"¹، وسبب هذا الوصف هو ما ورد في السياق من علو شأن المؤمن ورفعته نفسه وجمعه بين الخوف والرجاء في عبادته لله، قال : (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ) الحاقة 20، فحقق الله رجاءه وآمن خوفه فلا يناقش الحساب. قال البقاعي: "الإنسان مجبول على النقص لا يقدر أن يقدر الله حق قدره، وكلما كان الإنسان أعلى كان الاستشعار والنقص من نفسه أكثر، وكان من نوقش الحساب عذب، فجمع بين الخوف والرجاء، فحقق سبحانه رجاءه وآمن خوفه ولا يناقش الحساب وإنما حسابه العرض وهو الحساب اليسير"²، أي ماثل بين مكانة الجنة العالية وصفة المؤمن، ولأنه قال : (فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ) أي ثواباً تاماً كاملاً فهو لشدة رضا المؤمن به صارت عيشته هي راضية، ويناسب هذا الكمال علو الجنة وتشريفها. قال الإمام الرازي: "ذكروا في حدِّ الثواب أنه لا بد وأن يكون منفعة، ولا بد وأن تكون خالصة من الشوائب، ولا بد وأن تكون دائمة، ولا بد وأن تكون مقرونة بالتعظيم، فالمعنى إنما يكون مرضياً به من جميع الجهات لو كان مشتملاً على هذه الصفات، فقله (عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ) كلمة حاوية لمجموع هذه الشرائط"³، وقد قابل في السياق فخار المؤمن وبلوغه الغاية في البهجة والسرور بخالة الكافر وخزيه وشدة كربيه في قوله : (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ

¹ التحرير والتنوير (299/30)

² نظم الدرر 632/20

³ تفسير الرازي 629/30

بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً (٢٥) وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَّةً (٢٦) الحاقّة. وكما كان نعيم المؤمن في علو مكان ومكانة، فعذاب الكافر يأتيه من علو عند التهكم به وإذلاله في قوله: (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) الحاقّة.

وكما اقترنت صفة الجنة هنا بمعنى الرضا، فهو كذلك في الشاهد من سورة الغاشية، قال تعالى: (وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاعِمَةً (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةً (٩) ، أي عند رؤيتها ثواب عملها تود لو أن جميع ما عملته في الدنيا للأخرة، قال البقاعي: كان سعيهم في الدنيا كريهاً إليهم، لا يباشرونه إلا بشق الأنفس، ولما ذكر السعي أتبعه ثوابه فقال: (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) الحاقّة 22 ، أي في المكان العالي والمكانة العالية والأشجار والغرف وغير ذلك بما صرفوا أنفسهم عن الدنيا ورفعوا همهم إلى النفاس^١، وهنا كذلك قابل بين كمال نعيم المؤمن وبين نتن وقبح عيش الكافر في النار". قال: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧).

فالنكرة في الجملة الاسمية سياقها الإخبار عن الجنة وبيان مكانها ومكانتها.

وفي الجملة الفعلية غرض النكرة التعظيم كما هو في الاسمية، لكن المقام مختلف. ففي سورة الإنسان ورد الشاهد بعد تعداد صفات المؤمنين بصيغة المضارع لإفادة معنى دأبهم عليها. قال: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الزَّطْعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)، ثم أتى بصيغة الماضي في تحقيق ثوابهم لعظيم خصالهم وأعمالهم، فقال "جزاهم" ونكر الجنة أي هي بساتين عظيمة لهم جزاء صبرهم، قال أبو السعود: "(وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً

وَحَرِيرًا) الإنسان 12 بصبرهم على مشاق الطاعات، ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإيثار الأموال¹.

والتنكير لتعظيم الجنة في الشاهد من سورة آل عمران هو أشد مبالغة من شاهدي سورة الإنسان وسورة الحديد، لأنه قال "سارعوا" والمسارة فيها من الاجتهاد في حصول المطلوب ما ليس في المسابقة، والآية هي: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ 133 وفيها حذف المضاف فكان عرض الجنة هو السماوات والأرض، وبينما ذكر أداة التشبيه وأفرد السماء في الآية من سورة الحديد ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ 21، وقال هناك: أعدت للمتقين وهم أعلى رتبة من الذين آمنوا لتوفية إيمانهم، ولإنفاقهم في السراء والضراء، ولأن السياق في الحث على الجهاد وبيان فضله.

فالنكرة في الجملة الفعلية سياقها أعمال المؤمنين الصالحة التي دأبوا عليها، أو المسارة والمسابقة إلى بذل الطاعات.

جنتان:

1- قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ الرحمن 46 اختلف علماء التفسير في كلمة "جنتان" منهم من جعلها واحدة، ففي البرهان: "قيل جنه واحدة بدليل قوله تعالى آخر الآية: "ودخل جنته" فأفرد بعدما ثنى² وعدّها الفراء جنه واحدة "لأن العرب تنهيا في أشعارها، وذلك أن الشعر له قوافٍ يقيمها الزيادة والنقصان فيحتمل ما لا يحتمله الكلام"³ وأنكر على الفراء هذا القول القتبي، كما

¹ تفسير أبي السعود 73/9

² البرهان في علوم القرآن 5/3

³ معاني القرآن 118/3

أنكره بشدة أبو جعفر النحاس قائلاً: "هذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل: "جنتان" فيدع الظاهر ويقول يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر، وقيل إنما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة إلى جهة"¹ ومنهم من قال أنهما جنتان²، ذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير: "اللام في ﴿وَلَمَنْ خَافَ﴾ لام الملك، أو يُعطى من خاف ربه ويملك جنتين، ولا شبهة في أن من خاف مقام ربه جنس الخائفين لا خائف معين، فهو من صيغ العموم البدلي بمنزلة قولك: وللخائف مقام ربه، وعليه فيجيء النظر في تأويل تشية جنتان فيجوز أن يكون المراد: جنسين من الجنات"³. ومنهم من قال أنها جنات كثيرة، وتعدادها سببه شدة خشية المؤمن من الحساب، فكانت خشية من ربه وهو المحاسب أشد، فاستحق جناتاً كثيرة لتبالح تقواه، ولأن العرب قد تطلق التشية وتريد بها الجمع للمبالغة والتكثير، وهو مستعمل في النظم الكريم، كما في قوله: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ خَسِيرٌ﴾⁴ الملك، ولمناسبة تكرار كلمة آلاء في السياق وهي مسخرات الكون وغيرها من النعم الكثيرة، وعلى هذا يكون إثبات الصيغة جنتان المثناة مراعاة لما سبقها ولحقها من الفواصل.

ولكن يبدو أنهما جنتان اثنتان، للأسباب التالية: وهو سر اختصاص سورة الرحمن بالصيغة المثناة، دون سائر سور النظم الكريم، ما ورد قبل الشاهد: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣) ﴿يَطُوفُونَ فِيهَا خَالِدِينَ﴾ (٤٤)، في صياغة فريدة لوصف تردد المجرمين في العذاب، قال: "يطوفون" وجعل ركني الطواف جهنم والحميم الآن، ففي بلوغهم جهنم يحترق ظاهراً وفي عودهم إلى الحميم يحترق باطنهم، فهي حلقة متكاملة من العذاب دائمة

¹ ينظر الجامع لأحكام القرآن أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن قرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي 17/177 ت 4671، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة ط2 1384 هـ 1964 م

² ينظر جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري 55/23 ت 310 تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط1 1420 هـ 2000 م، الكشف 452/4، المحرر الوجيز 233/5، نظم الدرر 180/19

³ التحرير والتنوير 264/27

ومستمرة، وعلى عادة القرآن في مقابلة الأضداد، فإنه خصَّ المقام هنا في بيان حسن حال المؤمن بأن له جنة عن يمين قصره وجنة عن يساره لتكامل نعيمه، لأنهما كما مرَّ جنسان من الجنات، أي أحدهما تكمل الأخرى، والمؤمن يتردد ويتطوف بينهما، أي أراد بتثنية الصيغة التنبيه إلى تقلب المؤمن في النعيم وتردده فيه، وقد حفته الجنتان عن جانبيه، ليقابل تطواف المجرمين وتلطيهم بالعذاب وإحاطته لهم، إمعاناً في تحسيرهم، ومبالغة في إكرام المؤمنين، وعليه ليس القصد مراعاة الفواصل. هنا في تثنية الصيغة.

ولأن سورة الرحمن مبنية على ظاهرة التثنية، لأنه ذكر نعمه وآلاءه مثناة كما في: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)، وفيما ثنى من مخلوقاته كالبحرين والزوجين والمشرقين والمغربيين، وفيما بينها جميعاً من تكامل وتكافؤ، وفي كل آية ذكر فيها نوعين من نعمه، وهي ثنائية النفع فالشمس والقمر مثلاً فيهما منافع دينية ودنيوية، وأحدهما ينير في النهار والآخر ينير في الليل.

ولأنه أتى في هذه السورة بصورة جديدة للخطاب، فهو إلى تكراره ثنائي موجه إلى الثقلين الإنس والجن في إعداره إليهم وإقامة الحجة والبرهان عليهم.

ولأنه أعاد تثنية الجنتين في شاهد لاحق في قوله: {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} (54) وفي قوله: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} (62) أي غير تلك الجنتين هناك جنتان أخريان وهما لأصحاب اليمين، والأوليان للسابقين من المؤمنين.

وقوله عن جنى الجنتين بأنه دان يقابل به هروب المجرمين من حر جهنم وحريقها إلى الحميم طلباً لتخفيف ما هم فيه من العذاب، لكنهم يسقونه فيقطع أمعاءهم لتتأهي حره أي لجنوا إليه وطلبوه، بينما المؤمنون في الجنة لا يطلبون ثمارها ولا يتعبون لنيلها فهي دانية منهم قريبة للمتكئ منهم والقائم.

في السياق الكثير من المناسبات اللفظية للصيغة "جنتان" مثل "مدهامتان" و"نضاختان".

روضات الجنات:

قوله: (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) الشورى 22.

العبارة "روضات الجنات" حال من كلمة "الظالمين" وقد انقلبوا من الاطمئنان إلى الإشفاق من العذاب وهو واقع بهم، وقابل به حسن حال المؤمنين واستقرارهم في "روضات الجنات" وقد انقلب إشفاقهم من العذاب إلى اطمئنان، والتعداد في الجنات لأجل ما ذكره من عملهم للصالحات بعد أن آمنوا، وسر الإضافة أنه أراد تشريف هؤلاء الذين خافوا عذابه من قبل بأن يجعلهم في أنزه مكان من الجنة وأطيبه بعد أن آمنهم من العذاب، قال الألوسي: "أي أنهم في أنزه موضع من الجنة وأطيب مقعد منها، لأن روضة الجنة أنزه موضع منهما لاسيما والإضافة في هذا المقام تنبئ عن تميزها بالشرف والطيب، والتعقيب بقوله تعالى: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) الشورى 22 وقد أخر توكيلاً لسلوك طريق المبالغة في الترقى من الأدنى إلى الأعلى ومراعاة لترتيب الوجود أيضاً فإن الوافد والضيف ينزل في أنزه موضع ثم يحضر بين يديه الذي يشتهي، وملاك ذلك كله أن يختص رب المنزل بالقرب والكرامة".¹

¹ تفسير الألوسي 30/13

جنات وهي مضافة في الجملة الاسمية:

جنات النعيم:

ورد تفيد كلمة "جنات" بالإضافة ضمن أغراض متعددة: منها استحقاق المؤمنين للجنة، كما في قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ القلم 34 ليدل على أن الجنات لا كدر فيها، وهي مقصورة على النعيم، وليس فيها غيره، قال البقاعي: " أفاد تعالى بإضافة النعيم إلى جنات، أنه الخالص من المكر، والمشوش، والمنغص، لا شيء فيها غيره أصلاً"¹ والجملة بدأت بـ "إن" لتأكيد ما أنكره الكافرون من الجزاء، ونظيره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ لقمان 8. إلا أنه ربط الجزاء بالإيمان وعمل الصالحات، وهناك جعله لمن رسخت فيهم التقوى، ولذلك ربطه بالعندية التي تفيد الإكرام، لأنها تدل على قرب مكانهم منه تعالى، وفي سياقات الشاهدين ذكر عذاب الكافرين في الدنيا وفي القيامة، ثم قارن بينهم وبين المؤمنين، ونظيرهما قوله: ﴿قَرَوْحُ وَرَبِحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ الواقعة 89 أي جزاء من كان من المقربين، فكان هنا لمن وصف بالكمال سواء من الذي آمنوا وعملوا الصالحات، أو من المتقين أو من المقربين، وارتبط بالإكرام، لأنه نعيم روحي متمم للنعيم الجسدي، مما يدل على سر آخر في تقييد جنات بالنعيم، وهو أنها خالصة من الأكدار، لأن جنات الدنيا قد يشوبها المنغصات.

لكنه لما زاد على الإيمان وعمل الصالحات، ووصفهم بالإحسان في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف 30 قيد "جنات" بإضافة "عدن" وهو الإقامة الطويلة، في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ 31،

وزاد بوصف النعيم الدال على طول المكث والبقاء، من لباسهم وتحليتهم واتكانهم على الأرائك، ولأنه أراد مقابلة حسن حالهم بسوء حال الكافرين، بإحاطة جهنم بالسرادق وهو الحاجز التي تحاط به الخيمة، فكان جهنم دار، ثم قال : (وَسَاءَتْ مُرْتَقَاً) وهو ما يُعد في المنزل للارتفاق، فأضاف "عدن" إلى الجنة ليدل على خلودهم في النعيم، وقال عقب الشاهد "نعم الثواب وحسنت مرتقفاً" وقد اشترك في سياقات الشاهدين التالي: بتحلية المؤمنين في قوله "يحلون فيها من أساور من ذهب" وباللباس، وهما دالان على معنى الإقامة والراحة فيها مما يناسب إضافة "جنات" إلى "عدن".

ونظيره قوله : (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) البينة⁸، لكنه هنا خصص المؤمنين بالخيرية في قوله قبل الشاهد : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ) البينة⁷، أي زاد هنا على إيمانهم وعملهم للصلحاحات تخصيصهم بالخيرية، وربط جزاءهم بالعندية لشرف مكانهم ومكانتهم، وأشار إليهم بأداة البعد لعلو رتبته، قال الألوسي: "في تقديم مدحهم بخير البرية، وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منح في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم، وجمع الجنات، وتقبيدها بالإضافة وبما يزيد بها نعيماً، وتأكيد الخلود بالأبد من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى"¹. وهنا لم يصف النعيم كما في سورة الكهف، وإنما قال "رضي الله عنهم" أي بتوفيقه لهم "ورضوا عنه" أي لأنه تفضل عليهم بكل ما يتمنونه. ونظيره قوله : (جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ) ص50 وسر الإضافة تمكين المؤمنين من دخول الجنة، والانتفاع بنعيمها، والعلاقة بين كلمة "الأبواب"

¹ روح المعاني 431\15

وكلمة "الدار" وربطهما بمعنى الإقامة والمكوث في "عدن" ولملائمة "المأب" لمعنى الخلود الوارد قبل الشاهد : ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنْ لِلْمُتَّقِينَ لُحُسْنٌ مَّأَبٍ﴾ ص 49.

أما في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ الكهف 107 فإنه قيد "جنان" بإضافة "الفردوس" وهي أعلى الجنة، لأنه ذكر في السياق جزاء الذين كفروا وهو إحباط أعمالهم وازدراؤهم لأنهم زادوا على كفرهم الاستهزاء بآيات الله ورسوله، كما قال : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ الكهف 105، أي يزدريهم فلا يجعل لهم اعتبارًا ولا مقدارًا، فأراد مقابلة جزائهم لمن كان على ضد حالهم بأن جعل لهم أعلى مكان في الجنة وهو "الفردوس" لعظيم قدرهم ورفعة رتبهم وذلك ضد الازدراء الذي عوقب به الكافرون، وقال "نزلا" مبالغة في إكرامهم، لأن النزل هو ما يعد للضيف.

وأما في قوله : ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة 19 فإنه لما ذكر في السياق تجافي المؤمنين عن مضاجعهم في قوله : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ السجدة 16 أي كان جزاؤهم جنات لا يتحولون عنها كما كانوا يتحولون عن المضاجع ابتغاء المثوبة ويصبرون على ذلك. قال البقاعي: "أضيفت الجنة إلى المأوى لأنها المأوى الحقيقي وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة، وقيل المأوى جنة من الجنات وأياً ما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز إلى ما ذكر من تجافيتهم عن المضاجع" ¹.

تلك الشواهد السابقة كانت في استحقاق المؤمنين للجنة، وهنا غرض ثان وردت فيه جنات وهي مقيدة بالإضافة، وهو استقرارهم في الجنات وبيان حسن حالهم كما في قوله : ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ الصافات 43، أراد مقابلة حال الكافرين

الذي في قوله : (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) الصافات 33 ثم قال في جزاء المؤمنين المخلصين : (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّغْلُومٌ) (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) الصافات ، أي لهم رزق كامل في صفاته معلوم وقته. قال أبو السعود: "تخصيص فواكه بالذكر لأن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لأنهم مستغنون عن القوت، وقيل لأن الفواكه من أتباع سائر الأطعمة فذكرها مغنٍ عن ذكرها "وهم مكرمون" عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل إليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا"^١، أي جمع إلى نعيمهم الجسدي النعيم الروحي، ولأن رزق الدنيا وفواكهتها مما يتعب له الإنسان ويطلبه، أتى بإضافة النعيم إلى جنات ليكون رزقهم وعيشهم خالصاً من أي كدر وتعب، ونظيره قوله : (الْمَلِكُ يُؤَمِّنُ بِلِلَّهِ يَخُفُّ بِبَنَاتِهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) الحج 56، ومعنى الاستقرار ورد لبيان حكمه تعالى بالمؤمنين، أي هم مستقرون في الجنة، لأنهم لم يماروا في القرآن الكريم، ونظيره قوله : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يونس 9، وسبب استقرارهم في الجنة ما كانوا عليهم من الهداية في الدنيا، وسر تقييد "جنات" بالنعيم هو دعاؤهم في الجنة الوارد عقب الشاهد: (دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَجِئْتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَ دَعَاؤُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) 10، فالتحية تدل على أنسهم وحبورهم، وكانت خاتمة دعاؤهم إشارة إلى نعمة إيجادهم وإعادتهم وإدخالهم الجنة، قال ابن عاشور: "وجه ذكر دعاؤهم في عداد أحوالهم أنها تدل على أن ما هم فيه من النعيم هو غايات الراغبين بحيث إن أرادوا أن ينعموا بمقام دعاء ربهم الذي هو مقام القرب لم يجدوا أنفسهم مشتاقين لشيء يسألونه، فاعتاضوا عن السؤال بالثناء على ربهم فآلهموا إلى التزام التسبيح، لأنه أدل لفظ على التمجيد

^١ تفسير أبي السعود 1907

والتنزيه، فهو جامع للعبارة عن الكمالات¹. وهكذا ارتبط كمال إيمانهم وعملهم للصالحات بمعنى استقرارهم في الجنة وبالإكرام لأنه متمم للنعيم، والدعاء بالحمد لله، وتنزيهه وتمجيده والإطنا ب في وصف النعيم من ذكر الاتكاء، والسرر لأنها تشير إلى جلسة الملوك اضجاعهم، وارتبط بمعنى سبقهم وقربهم منه تعالى كما في قوله: (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) الواقعة 12، فالنعيم اقترن بوصف "المقربون" وبالإشارة إليهم بأداة البعد للدلالة على علو رتبته، قال البقاعي: "معنى المقربون أي الذي اصطفاهم الله تعالى للسبق، فأرادهم لقربه، أو أنعم عليهم بقربه، ولولا فعله في تقريبهم لم يكونوا سابقين"².

أما إضافة جنات إلى "عدن" في الجملة الفعلية فقد وردت ضمن وعده المؤمنين بها، كما في قوله: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة 72 وسر الإضافة ذكر المساكن الطيبة لاشتراكها مع عدن في معنى الإقامة والمكوث والبقاء، ووردت الإضافة ضمن الإسراع في دخولهم الجنة، ما يفيد المضارع "يدخلون" في سياق الترغيب في التوبة من الكفر، وهو في قوله: (جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا) مريم 61 وسر الإضافة ذكره زماني البكرة والعشي الدالين على استمرار الوقت وطول المكث، ولأنه قال: (بَلِّغْ الْجَنَّةَ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) 63، والإيراث دال على الخلود والإقامة، ونظيره قوله: (جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) طه 76 لكن إضافة "عدن" هنا لمقابلة خلود المجرمين في العذاب، ونظيره قوله: (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) غافر 8، وعلاقة "عدن" بدعاء الملائكة للمؤمنين الوارد قبل

¹ التحرير والتنوير 103/11

² نظم الدرر 2000/31

الشاهد : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾⁷، فالجحيم هو دار جزاء المذنبين، أي بعد انقضاءه يخرجون من العذاب ما ينبه إلى مكان خلودهم بعده، أي بعد إقامتهم المؤقتة في الجحيم يصيرون إلى الإقامة الدائمة، فأراد الملائكة في تضرعهم وتادباً في دعائهم أن يجاوز ربهم المؤمنين دار العقاب وهو "الجحيم" إلى دار الثواب والخلود في "جنات عدن".

جنات" وهي مضافة في الجملة الفعلية:

وقد أضيفت الصيغة "جنات" إلى كلمة "عدن" في شواهد أربعة، وسياقها بيان حسن حال المؤمنين وجزاءهم ومآلهم، والعدن كما مر هو الإقامة الطويلة. قال أبو السعود: "العدن الإقامة، ثم صار علماً لجنة من الجنات، أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة"¹، لذلك اشترك في السياقات ذكر كلمة "دار" وجملة "يدخلونها"، ففي قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل 31. وقد ذكر قبل الشاهد قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أُخْسِتُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل 30 ومناسبة ذكر الدار مع عدن في السياق لاشتراكهما في معنى الإقامة. قال أبو السعود: "الدار هي المسكن في قرار، المهيأ بالأبنية التي يحتاج إليها، والمرافق التي ينتفع بها"²، وكذلك في سورة النحل كان سبب الإضافة أنه قال قبل الشاهد : ﴿لِلَّذِينَ أُخْسِتُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل 30، لأن الدنيا هي دار سريع زوالها، فامتدح الدار الآخرة بقوله "ولنعم دار المتقين" مما أدى إلى تشوف في وصفها فقال "جنات عدن" وهناك قال "ولهم عقبى الدار" ولذلك

¹ تفسير أبي السعود 1815

² المرجع نفسه 332\10

قال عقب الشاهدين "يدخلونها" إشارة إلى تمكين المؤمنين فيها، كما اشترك في سياقيهما تحية الملائكة للمؤمنين بعد دخولهم الجنة بقولهم الذي في الآية: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل 32، وهناك قال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرعد 24 وتعدد الجنات هنا لتعدد خصال المؤمنين، وتكثيرها للتفخيم.

ونظيره قوله: ﴿جَنَّاتُ عَذْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ فاطر 33 لأنه عدد أقسام الناس قبل الشاهد في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فاطر 32 ثم بينه بأنه جنات متعددة، وسبب الإضافة هنا ما ورد عقب الشاهد من قول المؤمنين في الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسئنا فيها نصب ولا يمسئنا فيها لغوب (٣٥) فاطر ، فالعبارة "أحلنا دار المقامة" ناسبت عبارة "جنات عدن يدخلونها".

"جنات" وهي نكرة:

جنات: وهي بجمع القلة، لأن عدد الجنات المذكورة في النظم الكريم هو سبعة، وهي: جنة عدن، وجنة النعيم، وجنة الخلد، وجنة المأوى، وجنة الفردوس، ودار السلام، وعليين. وردت الصيغة "جنات" في الجملة الاسمية مفيدة معنى استحقاق المؤمنين لها، وقد اشترك في سياقات الشواهد ذكر "المتقين" أو "الذين اتقوا" لأن التقوى سبب حيازة المؤمنين للجنة، لأنها تجمع بين الخوف والرجاء في العبادة، كما اشترك في السياقات تعدد خصال المؤمنين، التي هي من باب التقوى، مما يفسر معنى الجمع في الصيغة "جنات". ذكر البقاعي: "جنات أي متعددة لتعدد رتب أفعالهم التي يطابق الجزاء ترتيبها وتعددتها".¹

والتنكير للتفخيم أي بساتين عظيمة جدا.

واشترك في السياقات اقتران الصيغة "جنات" بعبارة "تجري من تحتها الأنهار" لأن الماء لا يجلب إليها، أي هو في أي موضع فيها، والماء إذا جرى شكل بساتين حوله وجنات، ومن هنا ناسب التعداد في الصيغة، ولزمت العبارة الشواهد جميعها.

واشترك في السياقات معنى الخلود في الجنة، لأن من تمام النعيم دوامه وأبديته، والشواهد هي في قوله : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 25 ، وفي قوله : ﴿قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران 15، لكنه هنا قال : "للذين اتقوا" لأنهم أثروا الآخرة على شهوات الدنيا، فلم تستهوههم زينتها، ولذلك استحقوا جناتٍ تشتمل ما يغنيهم عن حرث الدنيا وأنعامها، أي تعددت محاسنها، بعد أن تعددت هي لهم جزاء تعففهم عما تعدد من الشهوات في الدنيا، بينما جاء باسم الإشارة في قوله : ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ آل عمران 136 ليدل على أنهم استحقوا الجزاء المذكور بعدها، لأجل خصالهم المذكورة قبلها، ولكن تنكير الصيغة هنا يشعر بأنها جنات أدنى من "الجنة" الوارد ذكرها قبل الشاهد في قوله : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران 133، وإن كانت جنات متعددة وعظيمة، فهي ضمن الجنة التي بلغ عرضها السماوات والأرض، لأن المتقين الذين استحقوها هم المسارعون في الطاعات والعبادات، والذين كانوا ينفقون في السراء والضراء، والذين وصفوا بكظم الغيظ والعفو

عن الناس، أما المؤمنون الذين استحقوا الجنات فهم التائبون من الذنوب والفواحش، وبهذا تكون الصيغة "جنة" هي أبلغ في التعبير عن جزاء المؤمنين، ولأن الإحسان إلى الغير أعظم من الإحسان إلى النفس، كما في الآية الثانية.

ونظيره قوله : (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) المائدة 119؛ لأنهم صدقوا في عبادتهم فنزهوا الله عن الشريك، ولم يؤمنوا بتعدد الآلهة، كما فعل النصارى، فاستحقوا جنات متعددة، ولأنهم صدقوا كذلك في تطبيق الشرائع والأحكام، ولأنه جمع الغيب عندما نسب العلم إليه تعالى في قوله : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) 116. قال الرازي: " لما أخبر تعالى أن صدق الصادقين في الدنيا ينفعهم في القيامة، شرح كيفية ذلك النفع وهو الثواب، وحقيقة الثواب: أنها منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، فقوله: "لهم جنات تجري من تحتها الأنهار إشارة إلى المنفعة الخالصة عن الغموم"¹.

ونظيره قوله : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) البروج 11، والفرق أنه ليس في سياق تعداد صفات المؤمنين وإنما هو للإخبار بأن التائبين لهم فوق توبتهم جنات، قال ابن عاشور: " الآية استثناء بياني: أي إن تابوا لم يكن لهم عذاب جهنم فتشوق السامع إلى معرفة حالهم أمقصوراً على السلامة من عذاب جهنم أو هي فوق ذلك، فأخبر بأن لهم جنات"²، فأتي بجمع الجنات لأن التوبة هي إيمان، وعمل صالح، ولأن توبتهم من الشرك كانت الباعث على فتنهم وأذى المشركين لهم،

¹ تفسير الرازي 469\12
² التحرير والتنوير 247/3

فجعل الجنات مختصة بهم، لأنهم جمعوا إلى الإيمان والعمل الصالح الثبات على الحق وعلى ما يلاقونه من فتنة وأذى المشركين لهم، فتعددت لهم الجنات، والتعداد في الجنات أيضا لمناسبة تعدد عذاب الكافرين والتأكيد في وعيدهم فكان لهم عذابان، بعطف عذاب الحريق على عذاب جهنم.

ونظيره في مقام التوبة قوله : ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ آل عمران 136، وقد مر سابقاً إلا أنه هنا علق جزاء الجنة بالمغفرة، أي مقامه التفضل على التائبين بإقلاعهم عن المعاصي سبب مغفرتهم، والمغفرة سبب استحقاقهم الجنات، وكله يُعَدُّ فضلاً من الله، وتعددت الجنات لأنه كان للعاملين أصناف، وهم الذين وعدهم بالجزاء، كما امتدح ذلك في قوله : ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ 136.

ونظيره قوله : ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف 31، سر الإضافة أنه قابل حسن حال المؤمنين بسوء حال الكافرين، كما مر قبل الشاهد : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف 29 فإنه شبه النار بالدار ولها سرادق أي حاجز أو سور وهو ما يكون في البيوت المترفة تهكماً بهم، وأراد مقابلة حال المؤمنين بهم فأضاف "عدن" إلى "الجنة" ليدل على خلودهم في النعيم، وقال عقب الشاهد " نعم الثواب وحسنت مرتفقا" وقد اشترك في سياقات الشاهدين وصف جنات عدن بالتالي: " يحلون فيها من أساور من ذهب" وباللباس وهما دالان على معنى الإقامة والراحة فيها مما يناسب إضافة جنات إلى عدن.

وأفرد شاهداً بالبشرى، لأن سياقه في الحث على الصدقات وإنفاق الأموال في سبيل الله وهو في قوله: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الحديد 12، وتعداد الجنات فيها ناسب الإضعاف الكثيرة للعرض الحسن، لذلك قال عقب الشاهد: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

والصيغة "جنات" وردت في غرض الاستقرار والظرفية، مقترنة باسم الفاعل "المتقين" في سياقات الشواهد جميعها، لأن التقوى كما مر هي الوصف الذي كان سبباً بحيازتهم للجنة، وتمكنهم فيها، واسم الفاعل اقترن بالظرفية واستقرار المؤمنين في الجنة لدلالته على الثبوت، حتى الصلة الواردة في السياقات هي صلة اسمية، قال الألوسي في وصف المتقين: "المتقون هم الذين أتوا بالواجبات بأسرها، واجتنبوا المعاصي برمتها، والمستغفرون لذنوبهم بعدما أذنبوا وارتكبوا المعاصي برمتها، والمستغفرون لذنوبهم بعدما أذنبوا وارتكبوا الفواحش والظلم"¹، وبذلك تعددت لهم الجنات لتعدد مناقبهم وخصالهم العظيمة، وقد ارتبطت بجميع الشواهد كلمة "عيون" وفي واحد منها كلمة "نهر" ولم يقل "تجري من تحتها الأنهار"، لأن الغرض هو الاستقرار في الجنات، ولما كان الماء سبباً في إقامة الإنسان وعدم ترحاله ذكر ما يدل عليه من العيون والأنهار واكتفى به، دون داعٍ إلى ذكر جريانه، والشواهد قد ترد عقب بيان عقاب الغاوين وسوء حالهم كما في قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الحجر 45 "أي مستقرون فيها خالدون لكل واحد منهم جنة وعين منهما، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ الرحمن 46² وفي قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الذاريات 15، وفي قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ الطور 17. قال أبو السعود: "أي في أية جنات

¹ تفسير الألوسي 278\2

² تفسير أبي السعود 79\5

وأي نعيم على أن التنوين للتفخيم، أو في جناتٍ ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع¹.

ففي هذه الشواهد أتم الخبر ترغيباً وترهيباً، أو كافاً الترهيب والترغيب، وذلك ببيان سوء حال الكافرين في النار ثم أتبعه ببيان حسن حال المؤمنين أي هم في جناتٍ لا يمكن إدراك وصفها، ولا يعلم كنهها.

أما في قوله : ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ المعارج 35 فإنه ورد بعد تعداد صفات المؤمنين، على أن "في جناتٍ" خبر أول لأولئك، و"مكرمون" خبر ثانٍ، واسم الإشارة "أولئك" بالبعيد دلالة على علو رتبته، والتعدد في الجنات بسبب ما ذكره من خصال للمؤمنين قبل الشاهد، عندها تنبيهاً على أنها سبب كونهم في الجنات وقد أفاد صوغ الصلوات بالجمال الاسمية معنى الثبات والدوام مما ناسب الاستقرار والظرفية في قوله: "في جنات".

وقوله : ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ المدثر 40، ورد بيانا لحال أصحاب اليمين إذ استثناهم من الإهلاك بالارتهان بالأعمال والسينات، كما ورد قبل الشاهد : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إلا أصحاب اليمين (39) المدثر ، لأنهم انتمروا بأوامره واجتنبوا نواهيه، قال البقاعي: " ولما أخرجهم من حكم الارتهان الذي أطلق على الإهلاك لأنه سببه، استأنف بيان حالهم، فقال: (في جناتٍ) أي بساتين في غاية العظم؛ لأنهم أطلقوا أنفسهم، وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا، فهم في راحة وفراغ عن كل ما يهيم النفس، يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين² " وهنا ربما تعددت الجنات، لأنه قال: "يتساءلون" وهو حال من أصحاب اليمين، يدل على أنهم في جانبين يسأل بعضهم بعضا عن مصير المجرمين، ولأنه قال: " أصحاب اليمين" أي جعل اليمين علامتهم في تناول صحفهم وفي مواقفهم، قال ابن عاشور: " أصحاب اليمين: هم أهل الخير جعلت علاماتهم في الحشر بجهاث

¹ تفسير أبي سعود 148/8
نظم الدرر 72/21

اليمين في مناولة الصحف، وفي موقف الحساب وغير ذلك، فاليمين هو جهة أهل الكرامة في الاعتبار كجهة يمين العرش، أو يمين مكان القدس يوم الحشر لا يحبط به وصفنا¹، أي لتعدد جهات اليمين، ولتعلقه بمواقف القيامة مما يلائم تعدد الجنات، وتنكيرها كالشواهد السابقة للتفخيم والتعظيم.

جنات في الجملة الفعلية:

ارتبطت الشواهد للصيغة "جنات" في الجملة الفعلية بتكفير السيئات، وإدخال المؤمنين إليها، وقد عبر عنهما بـ "الفوز العظيم" وارتبطت بمعنى التفضل والإثابة، فلم يرد في السياقات معنى استحقاقهم الجنة، كما كان ذلك في الجملة الاسمية، وإنما بين سبب إدخالهم الجنة، بأنه رحمة منه بعد أن تجاوز عن سيئاتهم، وتقبل أعمالهم، وتارة يقول: "يدخله" أو "يدخلون" أو "لأدخلنكم" وتارة يعبر بالإثابة بقوله "فأتأبهم" أو بالوعد وإعداد الجنة لهم، أما السياقات فهي متعددة، وقد تكون في الهجرة والجهاد أو البراء من الكفرة.

وتعداد الجنات وتنكيرها كما هو سابقاً، لتعداد خصال المؤمنين أو فعالهم وأعمالهم الصالحة، والتنكير للتفخيم. قال البقاعي: "وجنات أي بساتين لا يصل إلى عقولكم من وصفها إلا ما تعرفونه بعقولكم، وإن كان الأمر أعظم من ذلك"². ودل على كثرتها وامتدادها وخلودها بعبارة "تجري من تحتها الأنهار" وارتباطها بالخلود لأجل تمام النعمة.

والفرق بين سياقات صيغة الجمع "جنات" وإفرادها بصيغة "الجنة" هو أنها في التمني، والظن، والحسبان، أي هي في تصحيح الظن أو الاعتقاد، كما في (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) آل

التحرير والتوير 325¹/29
نظم الدرر 288:18

عمران 142، أو للكشف عن أمانى الكافرين كما في قوله : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة 111، أي أتى باسم الجنس "الجنة" لأنه يفي بأغراض تأييس الكافرين، وتخيب ظن المستكبرين، فالمراد هنا الكلام عن الجنة المعهودة لمن يؤمن بالقيامة، وهو من تحدثت عنهم السياقات، لأجل إرشاد المؤمنين، أو تخيب ظن الكافرين وغيرها من أمانتهم، فصيغة "الجنة" تلائم هذه الأغراض، وليس المقام هنا لتعظيم الجنات، أو لمناسبة تعدادها، كما هو في سياقات الصيغة "جنات" في الجملة الفعلية.

تبين مما مضى أن للمادة ج ن ن منة وخمسا وعشرين صيغة اسمية متنوعة، وكان النصيب الأوفى منها للمفرد المعرف بـ " الجنة " في أربعة وعشرين شاهداً داخل الجملة الفعلية، ويلها صيغة الجمع النكرة "جنات"، في تسعة عشر شاهداً داخل الجملة الفعلية كذلك، والفرق بينهما أن في تنكير الصيغة "جنات" تفخيم لها، وجمعت لتعداد خصال المؤمنين، وغرضها الإثابة والتفضل عليهم بأنه أدخلهم الجنة برحمة منه، أما تعريف الصيغة " الجنة " فقد أفاد أنها المعهودة لمن يؤمن بالقيامة من مسلمين أو يهود أو نصارى، والغرض من الحديث عنها هو إرشاد المؤمنين إلى ما يدخلهم إليها، وتخيب ظن الكافرين وتأييسهم فيما يعتقدونه فيها أو فيمن يدخلها، وليس المقام هنا لتعظيم الجنة، أو لأجل تعدادها.

ويلها صيغة "الجنة" في الجملة الاسمية، وهي في واحد وعشرين شاهداً، وإذا وردت مبتدأ فهو لغرض قصر جزاء المؤمن عليها هي خاصة، وهو في شاهد واحد، وفي آخر وردت مؤكدة بأن في استحقاق المؤمنين الجنة، وسياقه الترغيب في الجهاد والحث عليه. وجاءت في موضعين لغرض تمييز المؤمنين

عن الكافرين بعد القضاء فيهم، في سياق تهديد المشركين بالعذاب، وفي سياق تفصيل وبيان حال المجموعين في المحشر.

أما إذا كانت الصيغة خبراً فهو لإرادة علو مكانة الجنة لتشريف المؤمنين وتكريمهم بها في سياق تبشيريهم وترغيبهم فيها، وهو في ثلاثة شواهد.

وفي موضعين وردت مضافة إلى كلمة "مثل" في سياق توعد الكافرين بالعذاب، وسر الإضافة هو لصفات الجنة العجيبة وغرابة ما فيها من أكلها وأنهارها وظلها رغم تماثل الأسماء في الدنيا والغرض ترغيب المؤمنين فيها.

وفي ثلاثة عشر شاهداً أضيفت الصيغة إلى كلمة "أصحاب" في سياق الشك في البعث والتكذيب بآيات الله والاستكبار عنها، وإذا وردت عبارة "أصحاب الجنة" مبتدأ دلت على الملكية وخلوص الجنة لأهلها، وخيرييتهم، وخلودهم الدائم فيها، وقصر الفوز عليهم وهو في ثلاثة شواهد.

وإذا وردت خبراً دلت على منزلة المؤمنين، وعن المقام الرفيع المعد لهم، وقد اقترنت الجملة الاسمية باسم الفاعل "خالدون" أو "فائزون" أو "فاكهون" لدلالته على ثبوت الصفات فيهم وهو في ستة شواهد.

وعبارة "أصحاب الجنة" وردت في الجملة الفعلية في الترحم واستغاثة أصحاب النار بأصحاب الجنة، ونداء رجال الأعراف للمؤمنين وإلقاء التحية عليهم، ولأن سياقها التكذيب جاءت لتؤكد ما أنكره الكافرون، وإظهار شماتة المؤمنين أصحاب الجنة بهم، وهو في أربعة شواهد.

وبليها الصيغة "جنات" في الجملة الاسمية وهي في سبعة عشر شاهداً، منها أحد عشر شاهداً في غرض الاستحقاق، وقد ارتبط بالتقوى، معبراً به بالصلة والموصول "للذين اتقوا" أو "بهم" أو بـ "جزاؤهم"، وقد ترد مع "أولئك"

إيذاناً ببعد منزلتهم وعلو شأنهم، وارتبط بخلودهم فيها، وغرض التنكير تعظيم الجنات، وتعدادها لتعداد صفات المؤمنين وأعمالهم الصالحة.

وفي معنى الاستقرار والظرفية ستة شواهد مرتبطة بالتقوى معبراً به باسم الفاعل "المتقين" لدلالته على الثبوت ومناسبته استقرارهم فيها، وقد ترد مع اسم الإشارة أولئك لعلو رتبهم، وتنكير جنات وتعدادها كسابقاتها من الشواهد.

يمثل الصيغة "جنات" من حيث العدد الصيغة المعرفة بالإضافة في سبعة عشر شاهداً، سياقاتها بيان حسن حال المؤمنين مقترنة بكلمة "دار" إذا قيدت الصيغة بإضافة "عدن" لأن معناه الإقامة الطويلة.

في الجملة الاسمية اثنا عشر شاهداً، ثمانية منها لغرض الاستحقاق مقترنة بالتقوى، أو المقربين، أو الذين آمنوا وعملوا الصالحات، واقرنت بالعندية إكراماً للمؤمنين وإلتزام نعيمهم لدالالتها على قرب مكانهم منه، وهنا قيدت النكرة بإضافة "النعيم".

وفي الاستحقاق ثلاثة شواهد أخرى، وقد قيدت "جنات" بإضافة كلمة "عدن" لما زاد على إيمانهم الإحسان، والخيرية، وهنا أكد خلودهم بالأبد، إلى جانب أداة البعد "أولئك" وزاد بوصف نعيمهم، وفي موضع رضوانه عنهم ورضوانهم عنه. وفي شاهد واحد قيدت الصيغة بإضافة كلمة "الفردوس" وهو أعلى الجنة ليقابل به ازدياد المستهزئين بآيات الله وإحباط أعمالهم.

وفي شاهد آخر قيدت النكرة بإضافة "المأوى" أي يأوي إليها المؤمنون جزاء هجرانهم مضاجعهم وتجافيهم عنها لأجل صلاة الليل والصبر عليها.

وفي أربعة شواهد وردت في معنى الاستقرار والظرفية، ليقابل به حسن حال المؤمنين باشتراك الكافرين في العذاب، وقرن الإيمان هنا بالكمال، وإكرام المؤمنين باصطفائهم للسبق، وإنعامهم بالقرب منه.

أما الإضافة في الجملة الفعلية فهي في خمسة شواهد، ضمن وعده المؤمنين بالجنة، أو إيراثهم إياها، أو ضمن دعاء الملائكة للمؤمنين بدخولهم إليها، والنكرة قيدت إما بإضافة "النعيم" أو بإضافة "عدن".

ويليه من حيث العدد المفرد النكرة وهو في خمسة شواهد، اثنان منها في الجملة الاسمية، والتذكير للتعظيم في جميعها.

النكرة في الجملة الاسمية سياقها الإخبار عن الجنة وبيان مكانها ومكانتها، وفي الجملة الفعلية كان السياق في أعمال المؤمنين الصالحة التي دأبوا عليها، أو المسارعة والمسابقة إلى بذل الطاعات، والغرض فيهما واحد وهو تشريف المؤمن وإعرازه وإكرامه بالجنة.

ويلي المفرد النكرة المفرد المعرف بالإضافة، وهو في ثلاثة شواهد، أحدها عَرَفَ بإضافة ضمير الذات العلية، وهي الصيغة الوحيدة في النظم الكريم، أو النكرة الوحيدة التي قيدت بإضافة ضمير الذات العلية، والسر في هذه الإضافة أنه وصف النفس المؤمنة بالاطمئنان، وهو لا يكون إلا بمعرفتها لله وذكره فأراد إكرامها وتشريفها فنسب إليه تعالى وقال: "جنّتي".

وفي شاهدين أضيفت النكرة إلى كلمة "الخلد" في سياق تحسير الكافرين ليقابل عدم خلاصهم من العذاب بخلود المؤمنين في الجنة، والثاني أضيف إلى "الماوى" لأنه ذكر في السياق "سدره المنتهى" وهو التي ينتهي إليها كثير من الخلائق والملائكة لعبادة الله عندها والتبرك بها.

وفي ثلاثة شواهد وردت الصيغة مثناة وهي "جنّتان" في سياق بيان ما للمجرم وما للمؤمن من جزاء، وغرض التنبيه إلى قلب المؤمن بين جنّتيه

وتردده في النعيم المحيط به، ليقابل طواف المجرمين بين جهنم وبين الحميم الآن وإحاطة العذاب بهم.

في شاهد واحد وردت كلمة "الجنات" مضافةً إلى "روضات" والسياق في تبديل حال الكافرين من الاطمئنان إلى الإشفاق من العذاب، وأراد بالعبارة "روضات الجنات" مقابلة حالهم، أي انقلب حال المؤمنين من الإشفاق من العذاب إلى الاطمئنان، فأكرمهم في أنزه مكان في الجنة وهو الروضات.

مسألة في غرف الجنة

أكرم رب الجلال سبحانه أحبابه المؤمنين لعلو رتبته بأعالي الجنة وهي الغرف جزاء ثباتهم على الإيمان، وصبرهم، وتوكلهم عليه "والغرفة عليّة من البناء، وسمى منازل الجنة غرفاً" ¹ وقد وردت في القرآن الكريم على ثلاث هينات، بالإنفراد والتعريف في الصيغة "الغرفة" وبجمع التكرير والتثنية في الصيغة "غرفاً" وبجمع التثنية السالم والتعريف في الصيغة "الغرفات"

في سورة الفرقان : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ 75

في سورة العنكبوت : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُخْرَجُونَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ 58

في سورة سبا : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ 37

لما عدد سبحانه صفات المؤمنين، وبين خلال ذلك ما للكافرين من العذاب، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الفرقان 68 وقد حدث للسامع تشوف بما للمؤمنين من الجزاء، فقال "أولئك" أشار بالبعيد لعظيم منزلتهم، وعلو رتبته، ولهذا جاءت الصيغة باللفظ المفرد وبالتعريف، فقال "الغرفة" ومعناها البناء العالي المرتفع، والمقصود به الجنة، فإنه لما أطل في تعريف المؤمنين وكرر الموصول في كل وصف لهم للإيدان بجل ما هم عليه من الصفات، كان من المناسب تعريف الصيغة، وأتى بلفظ اسم الجنس والمراد به الجمع، لأنها تلك

¹ مفردات غريب القرآن 360/1

الجنة التي طلبوها لا غيرها، قال البقاعي: "الغرفة: أي التي لعلوها، واتساعها، وطبيعتها، لا غرفة غيرها، لأنها منتهى الطلب، وغاية الأرب، لا يبغيون عنها حولا، ولا يريدون بها بدلا"¹ ولهذا قال: "بما صبروا" على الطاعات، ومجاهدة النفس في الابتعاد عن الشهوات، أما قوله: "في الغرفات آمنون" فإنه من عادة المترفين في كل زمان أنهم إذا أرسل إليهم نذير يقيسون أمر الآخرة على ما هم فيه من الدنيا، ويعتقدون أن الله قد مد في رزقهم مكرما إياهم ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ سبأ 35 فالمقام في كثرة الأموال والأولاد، ونفي تحقق العذاب بسببهما، فجاء بصيغة الجمع وبالتعريف، لأنه قال: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ سبأ 37 فالمؤمنون أنفقوا أموالهم في سبيل الله، وأنشأوا ذريتهم على طاعته، ولأنه ذكر هنا بأن لهم جزاء الضعف، أما الصيغة "غرفا" فلأجل الصبر على أذى المشركين، والصبر على الهجرة وشدائدها، ولأجل صفة التوكل على الله تعالى، ولأن في الهجرة إخلاص العبادة لله، وبما جاء قبل الشاهد من إحاطة العذاب بالكافرين في قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ دُوُّوْا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت 55 ناسب الإتيان بضم حالهم عن تكثير غرف الجنة للمؤمنين، فجاءت بالتكثير وجمع التكسير، وبذلك يكون التعريف مع لفظ الجنس وإرادة الجمع أقوى من جمع المؤنث السالم، لاحتماله جمع التكسير، وإفادته معنى العهد ونفي إرادة غيره معه، وجمع التكسير النكرة "غرفا" أبلغ وأقوى منهما، أي من "الغرفة" و "الغرفات" مما يدل على عظم أجر الهجرة، لما فيها من الصبر والتوكل على الله، ولذلك قال بعد الشاهد: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ 59 وقد ناسب التكثير في تكثير الصيغة غرفا السعة في قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ 56 فإنهم لما

هاجروا من أرض إلى أرض، لأجل إظهار عبادته والإخلاص له فيها، جازاهم بتكثير غرف الجنة، أما في سورة العنكبوت فإنه ربط قضية الرزق بالإيمان والتوكل على الله، وفي سورة سبأ ربط الرزق بحكمته تعالى، وإبطال طمع المترفين بالمفازة من النار لكثرة أموالهم وأولادهم، واستثنى من أنفق في سبيل الله، وأنشأ ذريته على الطاعات، مما يعني أن الإيمان بالله والتوكل عليه في الرزق، أعظم في الأجر والمثوبة من وجود الرزق وإنفاقه في الطاعات، فتكون الصيغة "غرفاً" أقوى من "الغرفات" ولهذا جاء بعدها وبعد "الغرفة" قوله "بما صبروا" لأن اسم الجنس المعرف ناسب التعداد الطويل لصفات المؤمنين، بينما جاء هناك قبل الشاهد "الغرفات" قوله "بما عملوا".

مسألة في عيون الجنة

العين هي أفضل الجوارح، ويقال للذهب عين لأنها أفضل من الفضة وغيرها من الجواهر، ولذلك يقال لأفاضل القوم أعيان، واستعيرت في جريان الماء، فيقال سقاء عَيْنٍ ومعين أي سائل، قال الأصفهاني: "يطلق على منبع الماء عين تشبيها بها لما فيها من الماء، ومن عين الماء اشتق: ماء معين، أي ظاهر للعيون"¹.

ورد في المادة ع ي ن ثلاث صيغ اسمية، المفرد "عين" والمتنى "عينان" والجمع "عيون".

في سورة الغاشية : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ 12

في سورة المطففين : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ 28

في سورة الإنسان : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ 18

في سورة الإنسان : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ 6

في سورة الرحمن : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ 50

في سورة الرحمن : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ 61

في سورة المرسلات : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ 41

في سورة الدخان : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ 51

في سورة الحجر : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ 45

في سورة الذاريات : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ 15

¹ المفردات في غريب القرآن 599/1

وردت صيغة المفرد "عين" في سياق وصف الجنة، وأراد بها جنس العيون، لأن من محاسن الجنات جريان الماء فيها. ولذلك وصف العين هنا بكلمة "جارية". وأراد بالمفرد معنى الكثرة لأن "عينا" في قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ الإنسان 18 هي بدل من "زنجبيل" وقد اشتهر في الدنيا بقلته، وأراد إكرامهم به فجعله لهم عينا دالاً بذلك على وفرته، ولذلك سمى تلك العين "سلسبيلًا". قال ابن عاشور: "انتصب "عينا" على البدل من "زنجبيل" كما تقدم في قوله: ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥٠) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦٦) الإنسان ومعنى كون الزنجبيل عينا: أن منقوعه أو الشراب المستخرج منه كثير كالعين، أي هو كثير جداً، وكان يعرف في الدنيا بالعزة، "وسلسبيلًا" وصف قيل مشتق من السلاسة وهي السهولة واللين^١ ولذلك قال "يفجرونها تفجيراً" لغزرة مانها يستقون منها بلا حد لا تنضب ولا تنفد، وأكد الفعل بـ "تفجيراً" وهذا في العين التي مزج ماؤها بالكافور وهو من العطور، قال ابن عاشور: "وانتصب "عينا" على البدل من "كافوراً" أي ذلك الكافور تجري به عين في الجنة من ماء محلول فيه أو من زيتة، يمزج به شرابهم، وإقحام فعل كان في جملة الصفة بقوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ 5١ لإفادة أن ذلك مزاجها لا يفارقها إذ كان معتاد الناس في الدنيا نادرة ذلك المزاج لغلاء ثمنه وقلة وجدانه^٢ وهذا في مقام إضافة عبوديتهم إليه تشريفاً لهم بعد وصفهم بـ "الأبرار".

أما الصيغة المثناة "عينان" فقد وردت بعد إحاطة المجرمين بالعذاب في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ الرحمن 44 وأراد أن يقابل عذابهم بنعيم المؤمنين، فجعل لكل منهم جنتين تحيطانه، عن يمينه وعن شماله، جاء في البحر المحيط: " (جنتان) أي جنة عدن وجنة نعيم، وقيل منزلان ينتقل من

^١ التحرير والتنوير 395/29

^٢ المرجع نفسه 381/29

أحدهما إلى الآخر لتتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته¹ وكان من صفات الجنتين أنهما ذواتا أصناف من الثمار والأشجار، ثم قال: ﴿ فِيهِمَا عِثَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ 50 قال أبو السعود: " صفة أخرى لجنتان أي في كل واحدة عين تجري كيف يشاء صاحبها في الأعالي والأسافل، وقيل تجريان من جبل من مسك² وقيل هما من خمر وماء غير أسن.

ثم جعل لجنتان صفة أخرى فقال: ﴿ فِيهِمَا عِثَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ 66 وصف العينين بقوة فورانهما، ثم زاد في ذكر الفاكهة بتخصيص نوعين منها يصلحان للتفكه والإيدام، شرفهما بذلك لأنها أعم نفعا من باقي الثمار.

وقيل التثنية لأن الخطاب في سورة الرحمن للثقلين، الجن والإنس، في قوله: ﴿ قَبَائِرِ آلِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أو لما ذكر في السياق من فضل السابقين والتابعين.

أو المراد بالتثنية التكرير والمبالغة، وذلك لما في السياق من تكرار إنكار التكذيب، في قوله: ﴿ قَبَائِرِ آلِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

أما صيغة الجمع "عيون" فسياقها الاستقرار مرتبطا بالنقوى والإحسان، أي هم مستقرون خالدون في النعيم؛ قال الألوسي: "ظرفية العيون للمجاورة والظاهر أنه بدل اشتمال، لا كل وبعض، وفي ذلك دلالة على نزاهة مكانهم، واشتماله على ما يستلذ من المأكول والمشرب"³.

ارتبطت صيغة الجمع بشدة التكذيب فأتى بالظلال والعيون والفاكهة، والغرض من الجمع فيها إثبات القدرة والبعث، وليدل على العظمة في مقام التحذير الشديد المتكرر كما في سياق سورة المرسلات.

¹ البحر المحيط 67\10

² تفسير أبي السعود 184\8

³ روح المعاني 133\13

كما أراد سبحانه من الجمع في الصيغة "عيون" الزيادة في النعيم، لأن نعيم المؤمنين العظيم يزيد من عذاب من لا يناله من المكذبين، ويزيد من تحسّرهم وتندّمهم، لأن المؤمنين كانوا في نعيم لا ينقضي ولهم فيه تمام المكنة بدلالة الظرفية، وأنهم في عزة ومنعة، وارتبط ذلك بكون التقوى صفة ثابتة لهم في الشواهد جميعها، والجمع في الصيغة لأنه جمع المتقين، وتكثيرها للتعظيم لأن "عيون" معطوفة على "جنات". قال ابن عاشور: "جمع جنات باعتبار جمع المتقين، وهي جنات كثيرة مختلفة، وتكثير جنات للتعظيم"¹ وقال أبو السعود: "جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها"².

ورد في المادة ع ي ن عشرة صيغ اسمية، منها أربع للمفرد "عين" وسياقها وصف الجنة، والمراد به إتمام محاسن الجنة، ومعنى وفرة الشراب وسلاسته في حين ندرته وغلاء ثمنه وقلته في الدنيا، وهنا وردت الشواهد مرة موصوفة بـ "جارية" وفي غيرها كانت بدلا للكافور، أو للزنجبيل، وخصّ بها المقربون والأبرار. وبالجمع ورد أربع صيغ وسياقها الاستقرار، والمراد بها الزيادة في نعيم المؤمنين، وتمكينهم فيه، ودل بظرفية العيون على نزاهة الجنة واحتوائها على كل ممتع، والتكثير في الشواهد للتعظيم، وارتبطت صيغة الجمع "عيون" بالتقوى.

وبالتثنية ورد صيغتان، وسياقهما الاستحقاق، وأراد بالتثنية تكامل نعيم المؤمن وإحاطته به، عن يمينه وعن شماله، ووصفهما بالجريان، بينما وصف العينين في الشاهد الثاني بـ "تضاختان" مراداً به ازدياد النعيم، وقد ناسب به تخصيص نوعين من الفاكهة لشرفهما، وتميزهما عن باقي ثمار الجنة. وهنا كذلك ارتبط الجزاء بالتقوى.

¹ التحرير والتنوير 347/26
² تفسير أبي السعود 138/8

المبحث الثالث : ظلال الجنة

لم يرد في النظم الكريم كلمة فيء لدى وصف الجنة، لأن كلمة "ظلها" أو "ظلال" هي أعم من الفيء، وهي أنسب للتعبير عن النعيم، قال الأصفهاني: الظل ضد الضح، وهو أعم من الفيء، فإنه يقال: ظل الليل، وظل الجنة، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظل، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس، ويعبر بالظل عن العزة والمنعة، وعن الرفاهة¹ فالظلال عام وقد يطلق على كل سائر، أما الفيء فهو خاص لما حجب عنه الشمس.

ورد في المادة ظل ل ثلاث صيغ اسمية وهي: "ظلها" بالإنفراد، و "ظلا" أما "ظلال" و "ظلالها" فبالجمع وبوزن فعيل "ظليلا".

في سورة الرعد : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثُهَا دَانِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ 35

في سورة النساء : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ 57

في سورة المرسلات : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ 41

في سورة يس : ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَاكِ مُتَكِنُونَ﴾ 56

في سورة الإنسان : ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ 14

ورد المفرد "ظلها" في سياق ترغيب المؤمنين وإطعامهم بالجنة، وتأييس الكافرين وإقناطهم من دخولها، والغرض من إفراد الصيغة هو التدليل على غرابة الجنة وصفاتها العجيبة، وأنه ظلّ فيها لا تزيله الشمس كما في ظلال

¹ المفردات في غريب القرآن 535، ينظر الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عباد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ص 307-309، تحقيق محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ط 1 (ب.ت)

الدنيا، قال أبو السعود: "أي ظلها دائم لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا"¹ وفي ذلك دليل على كثرة أشجار الجنة وسعة رزقها وثمارها وعلى جلال منظرها وجماله، قال ابن عاشور: "دوام الظل كناية عن التفاف الأشجار بحيث لا فراغ بينها تنفذ منه الشمس، وذلك من محامد الجنات وملاذها"² وهذا الجزاء العظيم لأنه وصفهم بتمكن التقوى ورسوخها فيهم عن طريق اسم الفاعل قبل الشاهد "المتقون" ودل على علة ما هم فيه من النعيم عن طريق صلة الموصول عقب الشاهد وهو قوله "الذين اتقوا" والاتقاء من معانيه الاجتناب والامتناع والانتفاء عن نهيه والاستعانة على ذلك بالتزام الصبر ومداومته والثبات عليه فكان ثوابه ظلا دائما لمن صارع الشهوات وكأنه القابض على الجمر، فإن بَرَد الظل باعث للمؤمن على الصبر، وملازمة التقوى. ولذلك قال: "تلك عقبي الذين اتقوا" أشار إليها بأداة البعد تعظيما لها، وأتى بالفعل المبني للمجهول "وَعِدَ" إيذانا بتحقيق وعدهم وصدقه، ولأنه أطنب في وعيد الكافرين وذمهم وزجرهم، قبل الشاهد وبعده، أتى هنا بالصيغة الدالة على عظم الجنة وغرابتها فهو أنكى للمكذبين المشركين، وأوقع في المسرة للمؤمنين لأنهم سمعوا كثيرا عن الجنة فتشوقت نفوسهم لمعرفة، ولأن جنة الخلد لعظمها لا تدركها الأفهام، شبه لها ومثل بما يعرفونه في الدنيا، قال البقاعي: "لما توعد الكافرين على تفریطهم في جانب الله تشوقت النفس إلى ما لأضدادهم، فكان كأنه قيل: فما لمن عاداهم في الله؟ فقيل الجنة، فكانه قيل: وما هي؟ فقيل إنها في الجلال، وعلو الجمال، وكرم الخلال، مما تعالى عن المنال، إلا بضرب الأمثال، فقيل: ما مثلها؟ فقيل: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)³ وقد ذكر في السياق كلمة "واق" وتشترك مع الظل بصفة المنع والستر وذلك قبل الشاهد (لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) الرعد 34 وبعد الشاهد: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا

¹ تفسير أبي السعود 25\5

² التحرير والتنوير 155\13

³ نظم الدرر 353\10

غريبًا وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ 37 ولأن المقام في صدق الوعد وتأكيده أتى الشاهد ضمن الجملة الاسمية لدلالاتها على الثبوت. ونظيره قوله في سورة النساء: ﴿وَنُذْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ 57 لكنه في الجملة الفعلية لأن سياقها الوعد، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ﴾ 57 وهنا فرق آخر أنه أتى بالصلة الفعلية "آمنوا" بينما قال هناك: "المتقون" ولأن السياق في تعذيب الكافرين لدى وعيدهم الشديد في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَنُوفِّئُ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ 56 أي يتجدد عليهم العذاب بتبديل جلودهم وبنوقة مرة بعد مرة، وأراد مقابلة ذلك فأتى بما ينفي حر الشمس عنهم ويحجبه، أي هو نفي لأنني أدنى الأذى، فهو تمام ضد صلي النار، وأتى بأسلوب التجدد فقال: "ندخلهم" ضد نصليهم، فيكون المراد من أفراد الصيغة هنا هو التعظيم، سيما أنها نكرة ليؤكد وعيد المكذبين بأنه ظل لا تتسخه الشمس فلا يؤذي المؤمنين كما عهدتم بشمس الدنيا، وذلك زيادة في تعذيبهم أي فوق صليهم النار وتبديل جلودهم كلما نضجت وذوقهم العذاب، عذاب آخر هو أن المؤمنين لا يصلهم حر الشمس، فاكتفى هنا بالاسم المفرد "ظلا" ولذلك وصفه بالاسم "ظليلا" وهو أبلغ في تنعم المؤمنين؛ لأن الظل يدل على توفر الشمس مما يزيد نورها بهجة الجنان، قال ابن عاشور: "﴿وَنُذْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ هو من تمام محاسن الجنات، لأن الظل إنما يكون مع الشمس، وذلك جمال الجنات ولذة التنعم برؤية النور مع انتفاء حره، ووصف بالظليل وصفا مشتقا من اسم الموصوف للدلالة على بلوغه الغاية في جنسه، فقد يأتون بمثل هذا الوصف بوزن فعيل" 1.

أما الجمع في الصيغة "ظلال" في قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ المرسلات 41 فإنه لما جمع العيون نتج عنها نبت الأشجار الكثيرة مما ناسب جمع الظلال، كما جمعها لأجل المناسبة في قوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى﴾ 38، فسياقه في إثبات القدرة والبعث لذلك أتى بما يدل على العظمة في الخلق والإيجاد.

ولأن التحذير شغل السياق في سورة المرسلات، مكررا بين آياتها ومؤكدرا رسوخ الكفر والتكذيب في الكافرين في قوله: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ 19 فأتى سبحانه بجمع "الظلال والعيون" ليزيد في تحسير المكذبين والتهكم بهم، لأن في جمع ظلال الجنة دلالة على زيادة تنعم المؤمنين ليقابل به ظلهم الذي هو من دخان ونار فلا يزيدهم إلا عذابا واستعارا في قوله: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْأَلْهَبِ (٣١) المرسلات جعله ظلا واحدا ليكونوا متراحمين تحته مما يزيدهم عذابا، وعبر عن قوته وكماله في ظلاله بكلمة "ظليلا" وعن إطاحته بهم بوصفه ذي ثلاث شعب، بينما كان المتقون على النقيض من حالهم، لأن جمع الظلال يدل على توفره لكل واحد من المؤمنين، قال ابن عاشور: "ظلال: جمع ظل، وهي ظلال كثيرة لكثرة شجر الجنة، وكثرة المستظلين بظلها، ولأن لكل واحد منهم ظلا يتمتع فيه هو ومن إليه، وذلك أوقع في النعيم، ولأن التعريف في المتقين للاستغراق فلكل واحد من المتقين كون في ظلال" ^١ لأن نعيم المؤمنين العظيم يزيد من عذاب من لا يناله من المكذبين، ولذلك بدأ بما كذبوه وهو أن يكون الذين آمنوا أسعد منهم يوم القيامة وهو في قوله: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ" وأتبع الشاهد بالتوبيخ والتهديد في قوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ 46 وفيه تضاد بين متاعهم القليل في الدنيا وبين جزاء المؤمنين الواسع الوفير في الجنة.

ونظيره قوله في سور يس : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴾ 56 فهو وارد بعد سياق طويل من التكذيب والتحذير، وإقامة الحجج على الكافرين والتوبيخ وإدخال الحسرة والندامة عليهم، بإعلامهم عن أهل الجنة، فأتى بصيغة الجمع "ظلال" لأنه وصفهم بمزاحهم وسرورهم وضحكهم مع أزواجهم، مما ناسب كثرة الظلال، وأفاد بالظرفية كما في الشاهد السابق أنهم في نعيم دائم لا ينقضي، ولهم فيه تمام المكنة من الانتفاع بالظلال، وأنهم في مناع وعزة.

واختلف في سورة الإنسان فقال : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً ﴾ 14 قال "عليهم" ليعبر عن دنو واقتراب الظلال منهم لتذليل وتسخير ثمارها لمتناولهم، ودل بالجملة الاسمية على دوام الظل وناسب به تجدد تذليل القطوف. والجمع في الصيغة هنا لما تميزت به سورة الإنسان من الإطناب في وصف الجنة، ولأنه تحدث عن الأبرار وعن عباد الرحمن مما ناسب تكثير الظل ليشمل كل واحد منهم.

تبين مما مضى أن أفراد الصيغة للمادة ظل ل غرضه التمثيل لغرابة الظل في الجنة وتميزه عن ظل الدنيا في شاهد، وفي آخر كان الغرض تحسير الكافرين عن طريق مقابلة ظل المؤمنين الموصوف لقوة ظله وكماله بالظليل، بدخان وظل الكافرين في النار وهو في الجملة الفعلية لأنه في الوعد وقابل به إصلاء المكذبين النار وتجدد عذابهم فيها، بينما كان الشاهد الأول في الجملة الاسمية لأنه في صدق الوعد وإنجازه.

وأتى الجمع في الصيغ الثلاثة في سياق الإطناب في التحذير وغرضه زيادة تحسير المكذبين، أو الإطناب في وصف الجنة وغرضه تسخير قطوف الجنة للمؤمنين وهنا وردت الصيغة مع كلمة "عليهم" بينما في الشاهدين الآخرين

وردنا مع الظرفية للدلالة على الديمومة، والوفرة للظلال، والمكنة للمؤمنين من
التنعم والانتفاع به.

وفائدة الجمع في الشواهد للدلالة على أن لكل مؤمن كونه من الظل، يتمتع فيه.

مسألة في فاكهة الجنة

الفاكهة تطلق على ثمار الجنة، وقيل على كل مطعوم فيها، ومعنى التفكه: التلذذ والتنعم.

في المادة ف ك ه صيغتان اسميتان، الأولى: فاكهة، والثانية: فواكه.

في سورة يس : (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) 57

في سورة الزخرف : (لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ) 73

في سورة الرحمن : (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) 22

في سورة الرحمن : (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ) 68

في سورة الواقعة : (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) 32

في سورة الواقعة : (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ) 20

في سورة الدخان : (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ) 55

في سورة ص : (مُنْكَبِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) 51

في سورة الطور : (وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) 22

في سورة الصافات : (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢))

في سورة المرسلات : (وَفَوَاكِهُ مِمَّا يَشْتَهُونَ) 42

الصيغة "فاكهة" في الجملة الاسمية سياقها اختصاص المؤمنين بها، أنها لا تنقطع عنهم أبداً، ولا يمنعون من تناولها، وأن المراد من أكلها التلذذ حيث عطف عليها قوله : (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) يس 57.

وفي سياق دوام النعيم في الجنة وكثرته، ولذلك قال على سبيل التجدد "تأكلون" في قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الزخرف 73 أي فاكهة لا تنفذ أبداً، قال أبو السعود: "لكم في الجنة فاكهة كثيرة بحسب الأنواع والأصناف، لا بحسب الأفراد فقط، وقال: (منها تأكلون) أي بعضها تأكلون في كل نوبة، وأما الباقي فعلى الأشجار على الدوام، لا ترى فيها شجرة خلت من ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار أبداً موفرة بها"¹ فلا يؤكل ثمرة منها إلا خلف مكانها غيرها. ونظيره قوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ الواقعة 32 ونظيره قوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رُوحَانَ﴾ الرحمن 52 هو في ذكر أصناف الفاكهة كأزواج متكاملة، لأنه في سياق قلب المؤمن بين جنتيه عن يمينه وعن شماله، اللتين قابل بهما إحاطة النار بالكافرين، قال أبو السعود: "أي صنفان معروف وغريب، أو رطب ويابس، وذلك صفة أخرى لجنتان"² ونظيره: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ لكنه هنا وصف "العينان" بقوة النبع والفوران، في قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فزاد على ذكر الفاكهة تخصيص نوعين منها تشريفاً لهما، لأنهما أعم بالفائدة من غيرهما، فهما للتفكه والإدام.

أما الصيغة "فاكهة" في الجملة الفعلية، كما في ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ الواقعة 20 فسياقها تمكين المؤمنين من نعيم الجنة، أي أن الفاكهة بحسبها وجودتها مما يصلح للتخير والانتقاء.

وفي شاهدين آخرين أتيا مع الفعل "يدعون" في قوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ الدخان 55 وسياقه الاستقرار، وهم في أمان من كل خوف، كما نفى الموت والعذاب عنهم، قال البقاعي: "ولما كان الإنسان في الدنيا يخشى كلفة النفقات، وصف ما هنالك من سعة الخيرات، فيطلبون طلباً هو بغاية المسرة، "فيها بكل" لا يمتنع عليهم صنف من الأصناف ببعد مكان ولا فقد أوان، وقال:

¹ تفسير أبي السعود 5518
² المرجع نفسه 18518

"فاكهة" إذنا بأن ذلك ما سمته ليس فيها شيء لإقامة البيئة، وإنما هو للتفكه ومجرد التلذذ، ولما كان التوسع في التلذذ يخشى منه غوائل جمة قال: "أمين" أي وهم في غاية الأمن من كل مخوف¹.

ونظيره قوله: (مُنْكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) ص51 ولكنه وصف الفاكهة، ليدل على أن جميع مأكُلهم هو الفاكهة، وهي ليس للقوت والحاجة وإنما للتلذذ، ودل بوصفها كثيرة بأن المؤمنين لا يملون الأكل منها، ثم ناسب به قوله بعد الشاهد: (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) 54 لأنه من دواعي الإكرام والتبجيل كما في السياق.

ونظيره قوله: (وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) الطور 22 أي زيادة على ما هم فيه من نعيم أمدهم ربهم بما يشتهون في سياق استقرارهم في الجنات.

أما الصيغة "فواكه" وهي جمع لـ "فاكهة" فلأنها وردت عطف بيان من كلمة "رزق" في سياق الاستحقاق وبيان ما للمؤمنين في الجنة من جزاء، قال قبل الشاهد: (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) الصافات 41 وهم المخلصون الذين استثناهم من العذاب، وأراد بالجمع في الشاهد "فواكه" أن ينص على أن كل طعام المؤمنين في الجنة للتفكه لا للقوت والحاجة، فهو للمتعة والتلذذ، مما يدل على خلقتهم التي استغنوا بسببها عن الأكل لأجل الشبع.

وناسب بصيغة الجمع "فواكه" تمتع المؤمنين جماعة بقوله: (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) 44 فهم يتقابلون جماعات للموانسة والمحاورة، وأمتعهم بالحوار العين، أي أن السياق حوى كثيرا من صيغ الجمع، مثل: "عباد" و "المخلصين" و "مكرمون" و "جنات" و "متقابلين" و "الشاربين" و "قاصرات" و "بيض" و "سرر" و "ينزفون" واسم الإشارة "أولئك" ومن الضمائر "لهم" و "هم" و "عليهم" و "هم" و "عندهم" و "كانهن".

ونظيره قوله : ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ المرسلات 42 لكن سياقه في تمكنهم من النعيم واستقرارهم فيه، كما قال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَغُيُونَ ﴾ 41 والغرض من الجمع في الشاهد هو ليدل على أن كل فاكهة الجنة مشتهاة، قال البقاعي: "لما كان يوجد في فواكه الدنيا الدون، قال دالاً على أن عيشهم كله لذة، وأنه ليس هناك دون: (مما يشتهون) أي الرغبة"¹ أي كلها مرغوبة ولذيذة، وقد ناسب به التعميم في الجزاء في قوله: "كلوا واشربوا" بحذفه للمفعول شمل كل مأكّل ومشرب، ثم ناسب به تعميم المجازين بقوله : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ 44.

وناسب به جمع العيون، لأنه نتج عن جمعها نبت الأشجار الكثيرة، وبالتالي كثرة الفاكهة وتنوعها.

واشترك الشاهدان في السياق الكلي لسورتي الصافات والمرسلات من الإطناب في الزجر وإقامة البراهين والمبالغة في تمادي الكافرين في التكذيب والسخرية، فأتى سبحانه بما يزيدهم تنديماً وتحسراً بعد إذلالهم وتوبيخهم، وذلك بزيادة نعيم المؤمنين عن طريق الجمع في الصيغة "فواكه" كما جمع الظلال والعيون.

واشترك الشاهدان في رقم الآية وهو اثنان وأربعون، واشتركا في معنى "المرسلات" و"الصافات" فهما اسمان يطلقان على الملائكة.

تبين مما مضى أن في المادة فك ه إحدى عشرة صيغة اسمية، وكان النصيب الأوفى للاسم "فاكهة" البالغ عدده تسعة، منه خمسة شواهد في الجملة الاسمية، في سياق اختصاص المؤمنين بها، ودوامها لهم، ووفرتها، وكثرة أصنافها، وأنها أزواج متكاملة في النفع والطعم.

وفي الجملة الفعلية أربعة شواهد، في سياق تمكين المؤمنين من الانتفاع بنعيم الجنة والغرض منها هو أنها فاكهة مشتهاة تصلح للتخير والانتقاء.

وأما الصيغة "فواكه" فهي في شاهدين وسياق الأول الاستحقاق، وأراد بالجمع التنصيص على أن كل طعام المؤمنين في الجنة للتلذذ والاستمتاع. وسياق الشاهد الثاني هو الاستقرار في النعيم، والغرض من الجمع أنه ليس في فاكهة الجنة الدون والأقل، فكله مشتهى مرغوب.

مسألة في دخول المؤمنين الجنة

ورد في المادة دخول ست صيغ فعلية، في الزمن المضارع "يدخلون" و "يدخلونها" و "يدخل" و "يدخلكم" وبصيغة الأمر "ادخلوا" و "فادخلوها"، والشواهد هي:

في سورة مريم : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ 60

في سورة النحل : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ 31

في سورة فاطر : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ 33

في سورة الحج : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ 14

في سورة الحج : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ 23

في سورة الصف : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ 12

في سورة النحل : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 32

في سورة الزخرف : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ﴾ 70

في سورة الزمر : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ 30

الصيغة "يدخلون" هي في غرض توفية جزاء المؤمنين دون إبطاء، وليلدل على أن كفرهم قبل التوبة لم ينقص أجورهم، قال ابن عاشور: "جاء في جانبهم باسم الإشارة إشادة بهم وتنبيهاً لهم للترغيب في توبتهم من الكفر، وجيء بالمضارع الدال على الحال للإشارة إلى أنهم لا يمتطلون في الجزاء"¹ ولذلك قال: "ولا يظلمون شيئاً" فالظلم هنا معناه المطل والإجحاف ليقابل به جزاء الكافرين في قوله: (فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً) مريم 59.

أما الصيغة "يدخلونها" فسياقها ذم النار بقوله "فلبنس مثوى الكافرين" وذنبتهم هو المشاققة فكان دخولهم فيها أشنع دخول وأقبحه، وأراد مقابلة ذلك فقال عن الجنة "ولنعم دار المتقين" ثم بينها بأنها جنات عدن والصيغة "يدخلونها" حال لها أي قابل أقبح دخول النار وسببه المشاققة والاستكبار عن آيات الله، بأحسن دخول الجنة وسببه التقوى والإقرار بما أنزل، فكان في الصيغة "يدخلونها" امتداح للمتقين، وامتداح لفعل دخولهم إلى الجنة وامتداح للجنة.

أما الصيغة "يدخلونها" في سورة فاطر فهي في بيان جزاء ومآل الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، وصفة دخولهم الجنة أنه لا خروج لهم بعده، قال البقاعي: "يدخلونها أي الثلاثة أصناف، ومن دخلها لم يخرج منها لأنه لا شيء يخرجها ولا هو يريد الخروج"² فالكلام فيها على الداخلين إلى الجنة، وعلى فعل الدخول إليها، وعلى الجنة، لأن الصيغة جمعت الفعل، والفاعل وهم الأصناف الثلاثة، والمفعول وهي الجنة.

والصيغة "يدخل" هي في مقابلة حال ومآل الكافرين الذين جادلوا في الله وآياته، في الشاهد من سورة الحج (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)¹⁴ أما الشاهد الثاني منها،

¹ التحرير والتنوير 136/16

² نظم الدرر 59/16

ففيه عدول إلى الابتداء وكان حقه العطف لأنه في بيان القسيم الآخر لأصحاب النار كما في قوله: ﴿كَلَّمَا أَرَأَوْنَا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِينُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾²² ليسترعي الانتباه إلى عظيم حال المؤمنين ومقابلته لحال الكافرين. قال البيضاوي: "غير الأسلوب فيه وأسند الإدخال إلى الله تعالى وأكد به إجماداً لحال المؤمنين وتعظيماً لشأنهم"¹ وكان مقتضى ظاهر القول هو: والذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلهم الله جنات..

أما الصيغة "يدخلكم" في سورة الصف فسياقها الترغيب بالإيمان والجهاد في سبيل الله، والصيغة "يدخلكم" هي جواب الطلب في قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾¹¹.

أما صيغة الأمر "ادخلوا" فهي في غرض تبشير المؤمنين بالجنة، وترغيب غيرهم في الاقتداء بهم، في سياق الدعوة إلى عبادة الله، في قوله: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَخْزَنُونَ﴾^{الزخرف 68} وسببه كما هو في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾⁶⁹ ونظيره قوله: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^{النحل 32} لكن السياق في الحث على التقوى والثبات على الطاعات، وغرضه تبشير المؤمنين لدى قبض أرواحهم بدخول الجنة، بعد طمأننتهم بإلقاء التحية "سلام عليكم" لأنهم طهروا من الكفر فثبت فوزهم وتحقق ولذلك قال لهم الملائكة "ادخلوا الجنة" ونظيره قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

¹ تفسير البيضاوي 68٧٤

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ الزمر 73 واشترك مع الشاهد السابق بتحية الملائكة لهم، وغرض الصيغة "ادخلوها" التبشير بالجنة.

في المادة دخل إحدى عشرة صيغة فعلية، في الزمن المضارع "يدخلون" وهي في شاهد واحد، وسياقة الحدث على التوبة، وغرضه توفية أجر المؤمنين دون مطل أو إبطاء.

والفعل "يدخلونها" وهو في شاهدين وسياقهما في جزاء الاستكبار عن آيات الله، وغرض الشاهد الأول مقابلة أقبح دخول للنار بأحسن دخول للجنة، وفي الشاهد الآخر الغرض هو دخول الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات الجنة، واشترك الشاهدان في معنى امتداح الجنة.

والفعل "يُدْخِلُ" جاء في شاهدين في غرض مقابلة حال الكافرين، وتعظيم شأن المؤمنين، وشاهد واحد ورد في الحدث على الجهاد والترغيب في الجنة وهو "يدخلكم" وشاهد آخر هو "يدخله" ..

وشاهد ورد مع السين وهو "سندخلهم"

وشاهد ورد مؤكدا باللام والنون وهو "لأدخلنكم"

وأخيرا صيغة الأمر غرضها التبشير بالجنة، في شواهد ثلاثة اشتركت بإلقاء الملائكة التحية على المؤمنين، وأن سبب دخولهم الجنة هو طهرهم من الكفر والمعاصي.

من الشواهد تسعة، كل ثلاثة منها متشابهة، ففي التعدي لمفعول واحد جاء "يدخلون" و "يدخلونها" في شاهدين، وفي التعدي لمفعولين ورد "يُدْخِلُ" في شاهدين و "يدخلكم" وفي صيغة الأمر ورد "ادخلوا" في شاهدين و "فادخلوها".

بالإضافة إلى الصيغ "يدخله" و "سندخلهم" و "لأدخلنكم" وهي متعدية للمفعولين

مسألة في أبواب الجنة

في المادة صيغتان: فعلية وهي في الماضي المبني للمفعول وهي: "فُتِحَتْ" والثانية اسمية وهي "مُفْتَحَةٌ".

في سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ 73

في سورة ص: ﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ مُمْتَحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ 50

ورد الشاهد الأول "فُتِحَتْ" في سياق وصف اليوم الآخر، والقضاء بين الناس وسوق كلا من المؤمنين والكافرين إلى منازلهم، لذلك كانت الصيغة فعلية، وهي بعد واو الحال، أي عندما يصلونها يجدوا أبوابها قد فتحت تبجيلاً وإكراماً لهم "وجواب الشرط محذوف إيداناً بأن ما أعد لهؤلاء المتقين حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحق به نطاق العبارات"¹ ومن هنا كانت فائدة البناء للمفعول، وهو الاهتمام بشأن المؤمنين، بينما قال في الكافرين عند دخولهم جهنم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ 73 أي تفتح أبوابها في وجوههم فجأة إمعاناً في التهويل عليهم وترعيبهم، أي هناك سوقان: سوق إهانة وإزعاج ومذلة وأعقبة بالفتح المفاجئ لأبواب جهنم عند مجيئهم ليزيدهم رعباً وتهويلاً، وسوق كرامة وتبجيل وأعقبة بواو الحال، وذلك أدعى لإكرام الداخلين إلى الجنة، أي فتحت لأجلهم وقبل وصولهم، ولذلك كانت الصيغة فعلية، وليناسب أفواج الناس يومئذ الذين عبر عنهم بكلمة "زمرًا".

¹ تفسير أبي السعود 246/7، ونظر التفسير الكبير 277/23، الكشاف 358/3، تفسير البضاوي 33/5

وبعضهم من قال أن الواو في "وفتحت" هي واو الثمانية فالعرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو وبضعهم قال هي واو العطف والمعطوف على جواب الشرط المحذوف هو فعل الفتح بعدها والتقدير: حتى إذا جاؤها وفتحت، أو معطوف على فعل الشرط والجواب بعد ذلك مقدر، أي: (حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَقُبِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) 73 فالجواب أنسوا وأمنوا.

أما قوله: (جَنَّتْ عَدْنٌ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ) 50 فسياقه استحقاق المتقين للجنة، والصيغة هنا أيضا وردت حالا، ولم يقل سبحانه مفتوحة وأتى بالتثنية في الوزن مفعلة ليدل على المبالغة في تفتيح الأبواب لهم، قال البقاعي: "للمتقين إقامة في استمراء وطيب عيش ونمو وامتلاء وشرف أصل، ولما كانت (جنت عدن) من الأعلام الغالبة، نصب عنها على الحال قوله: (مفتحة) أي تفتيحاً كثيراً وبلغاً من غير أن يعاتوا في فتحها شيئاً من نصب أو طلب أو تعب، وأشار جعل هذا الوصف مفرداً أن تفتيحها على كثرتها كان لهم في آن واحد حتى كأنها باب واحد" 2 ولذلك شمل كل أبواب الجنة بكلمة "أبوابها" ليدفع عنهم عناء الاستئذان وذل ووحشة الحجاب، "وقد فتحت أبواب الجنة قبل مجيئهم والسر في ذلك أن يتعجل الفرح والسرور، إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها، أو أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان، فصين أهل الجنة عنه، أو الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة، أو اعتبر في ذلك عادة دار الدنيا، لأن عادة من في منازلها من الخدم إذا بُشروا

¹ ينظر: رء التنزيل أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي ت 420 هـ تحقيق د. محمد مصطفى أبيدين جامعة أم القرى - مكة المكرمة ط 1422 هـ 2001 م 1224/1، ملك التأويل القاطع يذري الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه للفظ من أي التنزيل أحمد بن إبراهيم بن الزبير اللقي الغرناطي أبو جعفر ت 708 هـ دار الكتب العلمية - بيروت 429/2

² نظم الدرر 401/16

بقدم أهل المنازل، فتح أبوابها قبل مجيئهم، استبشازا وتطلعا إليهم، وعادة أهل الحبوس إذا شدد في أمرها، ألا تفتح أبوابها إلا عند الدخول إليها أو الخروج"¹

وقال ابن عاشور: "تفتح الأبواب كناية عن التمكن من الانتفاع بنعيمها، لأن تفتح الأبواب يستلزم الإنزاع بالدخول، وهو يستلزم التخلية بين الداخل وبين الانتفاع بما وراء الأبواب"² ولذلك وصفهم بأنهم متكون فيها على الأرائك، يأمرن بما يشتهون من الفاكهة والشراب، وناسب به وصف الفاكهة بالكثرة، وتنكير الشراب للتعظيم.

¹ فتح الرحمن يكشف ما يلتبس في القرآن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي ص 499
ت 926 هـ، تحقيق محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم - بيروت ط 1 1403 هـ 1983 م
² التحرير والتنوير 292\23

مبحث وراثة المؤمنين الجنة

الإيراث هو العطية التي لا يقصد بها التعاقد ولا التعاوض، وهو في المعاني كما في وراثة النبوة والفضيلة والعلم، قال الأصفهاني: "الوراثة والإرث انتقال قنية إليك عبر غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد وسمي بذلك المنتقل عن الميت فيقال للقنية الموروثة ميراث، وإرث، ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب قد ورث كذا، ويقال لمن حوّل شيئاً مهناً: أُوْرث^١، وقال ابن عاشور: "حقيقة الإرث انتقال مال القريب إلى قريبه بعد موته لأنه أولى الناس بماله فهو انتقال مقيد بحالة، واستعير للعطية المدخرة لمعطائها تشبيهاً بمال الموروث الذي يصير إلى وارثه آخر الأمر"^٢. ورد في المادة ورث أربع صيغ فعلية وهي "نورث"، و"أورثتموها"، و"أورثنا"، و"برثون"، وصيغتان اسميتان وهما "الوارثون" و"ورثة".

(بَلِّغْ الْجَنَّةَ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) مريم 63

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ خَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الزمر 74

(وَبَلِّغْ الْجَنَّةَ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الزخرف 72

(وَنُرِزُّ غَنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الأعراف 43

(أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) الْمُؤْمِنُونَ

^١ معونات، غريب القرآن 863/١
^٢ التحرير والتنوير 138/16

(وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) الشعراء 85

حيث كان المقام أمكن في ملك المؤمنين للجنة، وَرَدَ الفعل المتعدي إلى مفعولين، فالصيغتان "نورث" و "أورثتموها" اشتركتا في السياق بتفخيم الجنة والإشارة إلى علو شأنها عن طريق أداة البعد "تلك" وبذكر الوعد وبالتأكيد إنجازَه.

أما "نورث" فسياقها المنُّ والعطاء، فإنهم يؤتون برزقهم كما يتمنونه دون منٍّ عليهم به، ولا كلفة، وهذا العطاء يأتيهم دواماً، كما قال قبل الشاهد: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) مريم 62، فناسب هنا مجيء الصيغة الدالة على العطاء وهي "نورث". قال البقاعي: "أي نعطي عطاء الإرث الذي لا نكد فيه من حين التأهل له بالموت، ولا كد له ولا استرجاع"¹ لذلك جاء بنون العظمة دالاً على أنه المعطي الواهب لذلك الإرث العظيم، وقال "عبادنا" إشارة إلى ذلهم وافتقارهم إلى خالقهم، وقال تقياً مبالغة في خوفهم وخشيتهم له ليناسب معنى القوة في تملكهم الجنة في تعدي الصيغة إلى مفعولين، ولذلك أكد وعده لهم فقال: (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا) 61.

ولأنه قال: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا) مريم 59، ثم استثنى منهم من تاب وآمن وعمل صالحاً، أي أنه أعطى مكان من لم يتب في الجنة لمن تاب، قال الرازي: "أي ننقل تلك المنازل ممن لو أطاعوا لكانت له إلى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل هذا النقل إرثاً"².

أما الصيغة "أورثتموها" فقد ارتبطت بسرور المؤمنين بالجنة، واشترك المقام في الشاهدين بلفظي الوعد والحق، وتعلق الإرث بالسببية، والفرق أنه فصل في وصف النعيم في قوله: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) الزخرف 71، أي أراد

¹ نظم الدرر 227\12

² تفسير الرازي 553\21

بالشاهد صرف الانتباه إلى ألوان نعيم الجنة، وطمع النفس فيها، وهنا يكمن سر التعدي إلى مفعولين واجتماعه مع البناء للمجهول في مواطن تفصيل محاسن الجنة والمبالغة في تمكين ملكية المؤمنين لها، قال البقاعي: "لما كان الإرث أمكن للملك، وكان مطمع النفوس إلى المكنة في الشيء مطلقاً لا يبعد، بني للمفعول قوله تعالى: (أورثتموها)"¹ وقال قبل الشاهد: (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) 70 أما في سورة الأعراف فإنه يعبر عن حبورهم وشدة اغتباطهم بما نالوا بتحميدهم واعترافهم بفضله في قوله: (ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهار) وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن يتلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) 43 فالإشارة إلى الجنة أو الفوز العظيم في قوله: "هدانا لهذا" تناسب البناء للمفعول في الصيغة "أورثتموها" من خلال صرف الأنظار إليها، وعبر عن سرورهم هنا بالتحديد وهناك بالحبور، وإتمام الاهتمام بعلّة دخولهم الجنة وهو أنهم كانوا بجبلتهم مواظبين على الطاعات، لأن ذلك الذ في أنفسهم بالتمتع بما حصلوا عليه بسعيهم، ما يتناسب مع معنى الإرث أو تمكن المؤمن من ملكية الجنة، ولذلك قال: (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) الأعراف 44، وهناك قال: (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) الزخرف 43، أي ارتبط تحقيق الوعد بالاهتمام بحدث إرث الجنة، وهو من دلالات الصيغة "أورثتموها" إلى جانب اهتمامها بشأن الجنة وبفرح المؤمنين بها.

وفي السياق من المناسبة اللفظية قوله: "تحبرون"، و"يطاف"، من حيث اشتراكهما مع الشاهد بالبناء للمفعول.

أما قوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ خَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الزمر 74 فهو كذلك في تحميد المؤمنين لربهم، وصدق وعده، والتعديّة إلى مفعولين في الصيغة "أورثنا" لتمكنهم في الجنة، وتبوءهم منها حيث شاءوا، وهي بالبناء للفاعل لأن سياقها الدعاء ورد الفضل إليه تعالى، والمضي فيها لأنها وردت بعد تحقق صدق وعده، وبعد أن أكد سوق المؤمنين إلى الجنة بصيغة الماضي في قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ 73

أما الصيغ الاسمية فهي في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) المؤمنين أتى باسم الفاعل ليدل على أنهم المستحقون للجنة لأجل صفاتهم الواردة قبل الشاهد، قال أبو السعود: "أشار إلى المؤمنين بـ(أولئك) باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار إليه حساً وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم، وبعد درجتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (هم الوارثون) أي الأحقاء بأن يُسموا ورثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرانمها" ^١ ثم بين عن طريق المضارع (يرثون) ما أبهمه تعظيماً لشأن الفردوس، ودلّ به على استحقاقهم لها بما قدموه من أعمال، كما دل على أنهم يرثون منازل الكفار التي كانت لهم في الجنة.

أما قوله: ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنَ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ الشعراء 85 فإنه استعار الاسم "ورثة" إلى أهل الاستحقاق، لأنه في مقام دعاء إبراهيم عليه السلام وفيه أطل ذكر فضل ربه عليه، فكان الاهتمام هنا بمن يرث الجنة دون الالتفات إلى

موروث كان من قبل المستفاد من اسم الفاعل "الوارثون" ودون التفات إلى معنى استحقاق الجنة أو اصطفاء من يرثها، فجاء بالاسم "ورثة" وهو بوزن فُعلة الموحى بالتذلل والطلب، مثل عبدة وطلّبة، لتأكيد دعائه عليه السلام والإلحاح بطلب الفضل والرحمة منه تعالى.

تبين مما مضى أن الصيغ المتعدية إلى مفعولين سياقها التفضل والمن والعطاء والحمد والثناء واشتركت بالتقوى، ويصدق الوعد وتأكيده، فالمضارع "نورث" غرضه بيان أن الله مورث المؤمنين الجنة، وهو المعطي لما وهبهم فيها وهو في شاهد واحد.

والماضي "أورثتموها" غرضه امتداح الجنة والاعتناء بشأنها وربط ذلك بسبب أعمالهم الصالحة ظاهراً لأن إيراثهم الجنة هو بفضله ومنته تعالى، وذلك في شاهدين، والمضي فيهما لتحقيق اقتنائهم الجنة.

أما الماضي "أورثنا" فهو بعد أن ذكر تحقق وعده. أيضاً، لكنه على لسان أصحاب الجنة لدى حمدهم له والثناء عليه تعالى، وهو في شاهد واحد.

أما المضارع "يرثون" فهو لبيان نوع الموروث الذي أبهم في السياق تعظيماً له، في شاهد واحد، واسم الفاعل "الوارثون" يدل على استحقاق المؤمنين الجنة لأجل صفاتهم العظيمة، أما الاسم "ورثة" فغرضه الإلحاح في الطلب لدى دعاء إبراهيم عليه السلام وابتهاله، والاسمان "الوارثون" و "ورثة" وردا في شاهدين اثنين.

مسألة في رزق أصحاب الجنة

يطلق الرزق على الثمر، والمطر، والمال، والمأكّل والملبس، وعلى العلم والجاه، قال الأصفهاني: "الرزق يقال للعتاء الجاري تارة، دنيويا كان أم أخرويا، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به، وللمال والجاه والمطر، ولما يؤكل ويلبس"¹.

ورد في المادة ر ز ق صيغتان فعليتان مبنيتان للمجهول في الزمن المضارع "يرزقون" وفي الزمن الماضي "رزقوا" وصيغتان اسميتان وهما: "لرزقنا" و"رزق".

في سورة آل عمران : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ 169

في سورة غافر : ﴿مَنْ عَمِلَ سَنِيَّةً فَلَا يَجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ 40

في سورة الصافات : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ 41

في سورة ص : ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ 54

في سورة مريم : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ 62

الصيغة الفعلية سياقها الترغيب بالجنة، والترهيب من النار، والغرض من المضارع هو الدلالة على أن رزقهم بلا حساب، غير مقدر بأعمالهم، كما قال : ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر 40. قال أبو السعود: "أي بغير تقدير وموازنة بالعمل، بل أضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة، وجعل العمل

¹ المعجمات، في غريب القرآن 361/1

عمدة، والإيمان حالا للإيدان بأنه لا عبرة بدونه، وأن ثوابه أعلى من ذلك¹ فالفضل ومضاعفة الأجر، ورزقهم دون حساب يناسبه المضارع لدلالته على تكرار الفعل وزيادته وكثرته، ولذلك جعله مبنياً للمفعول، إيذاناً بيسر رزقهم وسهولته مما يناسب مضاعفة الأجر.

ونظيره في قوله : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران 169 إلا أن سياقه الترغيب في الجهاد وفضل الشهادة، وأن الشهداء دائم رزقهم مع بقائهم أحياء، جاء في البحر المحيط: "فضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل، حتى كأنه حياة الدنيا دائمة لهم، فقوله: بل أحياء مقدمة لقوله: يرزقون، إذ لا يرزق إلا حي"² وقال في الكشف: "يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء، يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التمتع برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة، وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم، من كونهم أحياء مقربين معجلاً لهم رزق الجنة ونعيمها"³ ولذلك جعل الفعل مبنياً للمجهول أي للاعتناء بشأن الشهداء، وبما يرزقون، دون أهمية الالتفات إلى الفاعل، وليدل على يسر رزقهم وسهولته.

أما المضي في الصيغة "رزقوا" مع أداة التكرار كلما فهو لبيان التفاوت في المزية والطعم بين ثمار الدنيا وثمار الجنة، رغم استحكام التشابه بينهما، إلا أن المؤمنين يعجبون لرتبة رزقهم الجديدة من الطيب واللذة، كما في قوله: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ البقرة 25 وجعل نوع الثمر المعلوم لهم مستمراً، لتميل إليه نفوسهم وقال أبو السعود: "ثمار الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه، فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غير معروف، وليتبين لها مزيتها، وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنساً غير معهود لظن أنه لا يكون إلا كذلك،

¹ تفسير أبي السعود 277\7

² البحر المحيط 430\3

³ تفسير الكشف 436\1

و"كلما" دلت على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا، عدا المرة الأولى،
يظهرون التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة
والحسن"¹

وجعله رزقا مستمرا لهم لأنه ذكر في السياق نهيه للكافرين عن تحدي القرآن
ومعارضته وعن استمرارهم فيه، في حين أذن له المؤمنون، وانقادوا لأمره
وأيقنوا بوحيه.

والرزق ليس مقصورا على الثمر، لأن الكرامات في الجنة هي لإثابة المؤمنين،
أي أنهم وجدوا تفاوتاً عظيماً بين ما رزقوا من طاعات في الدنيا وبين ثوابهم
ومستلذاتهم في الجنة.

أما قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات 41 فسياقه الاستحقاق وبيان ما
للمؤمنين من الجزاء، ولذلك وردت الصيغة الاسمية "رزق" وهي موصوفة
بكلمة "معلوم" أي يأتيهم بميعاده دون انتظار منهم ومسألة، وربط الرزق
بالإكرام وأشار إليهم بأداة البعد لعلو رتبته.

ونظيره قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَغَشِيًّا﴾ مريم 62

أما قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ص 54 فسياقه الوعد والإيعاد، لما قال:
﴿هَذَا مَا نُوْعِدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ 53 أي بعد تعداد النعم العظيمة، والكرامات
للمؤمنين في الجنة أراد أن يخبر عن كل ذلك بعدم انقطاعه، فأتى بالاسم مؤكداً
بالجملة الاسمية بدخول إن واللام على المبتدأ، أي لا ينفد أبداً، ولذلك ورد ضمن
الالتفات لأنه مقام تكريم وامتنان، قال البقاعي: "لما كان هذا النعيم يصدق بأن
يوجد ثم ينقطع كما هو المعهود من حال الدنيا، أخبر على غير هذا المنوال،
فقال "هذا" أي المشار إليه إشارة الحاضر الذي لا يغيب "لرزقنا" أي للرزق

الذي يستحق الإضافة إلينا في مظهر العظمة، فلذلك كانت النتيجة "ماله من نفاد" أي فناء وانقطاع، بل هو كالماء المتواصل في نبعه كلما أخذ منه شيء أخلف في الحال بحيث إنه لا يميز المأخوذ من الموجود بوجه من الوجوه، فيكون في ذلك تلذذ وتنعيم لأهل الجنة بكثرة ما عنده، وبمشاهدة ما كانوا يفتقدونه، ويثبتونه لله تعالى من القدرة على الإعادة في كل وقت جزاءً وفاقاً عكس ما يأتي لأهل النار¹.

تبين مما مضى أن في المادة ر ز ق ثلاث صيغ فعلية مبنية للمفعول اثنتان منها في الزمن المضارع "يرزقون" سياق الأولى الترغيب والترهيب، وغرضها الزيادة في الفضل، وعدم موازنة الجزاء بالعمل، وسياق الصيغة الثانية الترغيب في الجهاد وغرضها بيان دوام حياة الشهداء وتكريمهم

وتقريبهم بتعجيل رزق الجنة لهم، والغرض من البناء للمفعول في الشاهدين هو سهولة ويسر رزقهم، وزاد عليه في الشاهد الثاني أهمية الاعتناء بالشهداء.

وبالمضي ورد صيغتان وهما بالبناء للمفعول "رزقوا" و "رزقنا" مع أداة التكرار "كلما"، وغرضهما استمرار نوع الرزق الذي كان لهم في الدنيا، وبيان التفاوت العظيم بينه وبين رزق الجنة في اللذة والمزية رغم اتحاد نوعيهما، وسياقه تحدي الكافرين للقرآن.

وفي المادة أربع صيغ اسمية، الأولى وهي التي كانت لاستمرار النوع واختلاف الكنه والطعم ولذلك جاءت بمعنى "مفعول". وصيغتان وردتا في الاستحقاق، وغرضهما إكرام المؤمنين بوقت رزقهم فلا يخلف ميعاده لهم.

وصيغة وردت في عدم نفاد رزقهم لدى تعداد ما في الجنة من أصناف النعيم. أي عدد الصيغ جميعها ثمانية، أربع اسمية وأربع فعلية.

ويمكن حصر الأغراض جميعها للمادة كالآتي: الزيادة والفضل في المضارع، واختلاف الطعم واللذة في الماضي مع أداة التكرار "كلما" وتوفر الرزق في ميعاده في الصيغة الاسمية "رزقهم" وعدم انقطاعه ونفاده في "لرزقنا".

مسألة في خدمة أصحاب الجنة

ورد في المادة ط و ف صيغتان فعليتان مضارعيتان، الأولى: بالبناء للفاعل وهي "يطوف" والثانية: بالبناء للمفعول وهي "يُطاف".

سورة الواقعة : (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾)

في سورة الطور : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) 24

سورة الزخرف : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَّهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) 71

سورة الإنسان : (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرٍ مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾)

ورد المضارع المبني للفاعل "يطوف" في غرض الاهتمام بشأن الطائف وبيان حاله من غلمان وولدان. قال البقاعي: "ولما ذكر المطوف به لأنه الغاية المقصودة، وصف الطائف لما في طوافه من العظمة المشهودة تصويراً لما هم فيه من الملك بعد ما نجوا من الهلك" ١.

أما يطاف بصيغة المبني للمفعول فهي للاهتمام بالمطوف به وهي الصحاف والأنية. التي وصفت بأنها من فضة وذهب فلا حاجة في هذا التنعم من ذكر الطائف بالأنية لأن أهل الجنة شغلوا بجمالها وبريقها، ويرى السامرائي أن الصيغة يطوف وربت في السياق الأتم والأعلى، لأن في ذكر الفاعل "ولدان

مخلدون" زيادة في التنعم، وقام بموازنة بين سياقات الشاهدين "يطوف" و"يطاف" وفيما يلي اختصار لها:

في سورة الصافات	في سورة الواقعة
{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}	{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ / أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}
إنما هو في المؤمنين المخلصين	كان الجزاء للسابقين المقربين وهم أعلى الخلق من المكلفين
{أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَغْلُومٌ} (41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42)	{وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ} (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21)
فسر الرزق بالفواكه، ولم يذكر أنهم يتخيرون.	زاد إلى الفاكهة اللحم، وذكر أنهم يتخيرون.
قال هنا "فواكه" وهي تقال للأنواع فلا تطلق إلا مع ما تعدد.	قال "فاكهة" وهي أعم لأنها تضم المفرد والمثنى والجمع وتشمل عموم الأنواع.
{فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ} (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43)	{أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)
	وهو أعلى من مجرد الإكرام؛ لأنه يشمل الإكرام والزيادة
{عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} 44	{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ} (١٥) مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)
	سررهم منسوجة بالذهب، وذكر الاتكاء عليها زيادة في التنعم
{يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} 45	{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} 17
	ذكر الطائفين زيادة في التنعم، وقال: {بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} 18

{لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ} 19 لا يصيبيهم منها صداد، ولا يسكرون، وهذا الشراب لا ينفذ، وهو أتم وأعلى. ناسب "ينزفون" بالبناء للمجهول ما في الصفات. الواقعة.	{لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزِفُونَ} 47 أي لا تغتال عقولهم ولا تهلكهم. ناسب "ينزفون" بالبناء للمجهول ما في الصفات.
{وَحُورٌ عَيْنٌ} (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) هنا صفتان للهور، أنهن بيضٌ وواسعات العيون، ثم شبههن بالؤلؤ المكنون وهو أعظم وأبلغ	{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} (48) عَيْنٌ كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ (49) ها صفة واحدة للهور وهي أنهن واسعات العيون، ثم شبههن بالبيض المكنون
{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا} (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)	

وفي المضارع تجدد الطواف بالآنية والصحاف وتكراره وقد تناسبت الصيغة في آية الزخرف مع السياق في الآية السابقة لها: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ} والآيات التي بعدها {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} و {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}.

وكذلك الشاهد في سورة الإنسان ناسب السياق لفظاً ومعنى: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} و {لَا يَزُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} قال البقاعي: "ولما كان الدوران بالآنية متجدداً عبر فيه بالمضارع، وبناء للمفعول أيضاً لأنه المقصود مطلقاً من غير تعيين طائفة فقال "فيطاف" أي من أي طائف كان لكثرة الخدم".

فصيفة "يطاف" هي للأنية من صحاف وقوارير وأكواب، وصيفة "يطوف"
هي للعلمان والولدان وفي كل منهما وصف وتصوير لما خصتا به.

وقد يكون غرض المضارع هو التدليل على أن فاكهة الجنة مما تستلذه الطباع، قال ابن عاشور: "وجه تكرير الامتنان بنعيم المأكل والمشرب في الجنة: أن ذلك من النعيم الذي لا تختلف الطباع البشرية في استلذازه، ولذلك قال: (منها تأكلون)"¹ ولأجله قدم الجار والمجرور.

أما صيغة الأمر "كلوا" فسياقها إهانة الكافرين، وغرضها تكريم المؤمنين كما في صيغة "اشربوا" وربط الجزاء بالسبب ليدل على أن تكريمهم يقابل أعمالهم، وصرح برضا صاحب الجنة لينفي الفتنة عنهم كما حصل لأدم وحواء عليهما السلام فحذف المفعول ليعمم لهم جميع مأكّل الجنة.

وهنا كما في "اشربوا" استبعد الأكدار واستجلب كل مفرح سار، لأنه داعية الإكرام والتشريف، فقال لهم "هنيئا" "أي أكلا طيبا لذيذا شهيا بعيدا عن كل أذى، وسلامة العافية بكل اعتبار ولا فُضلة هناك من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا قرف ولا قدر ولا وهن ولا صداع ولا ثقل ولا شيء مؤذ"² وجعل جزاءهم مسببا عن أعمالهم الصالحة التي غدت لهم جبلة وطبعاً، بقوله "بما كنتم تعملون".

أما الصيغة الاسمية "أكل" في قوله: (أَكَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا) الرعد 35 فسياقها الوعيد للكافرين، وأراد بيان ما لأضدادهم من النعيم، فقال: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) 35 فأتى بالاسم "أكل" لأن الغرض منه هو التمثيل للجنة والتشبيه وقد سمعوا عنها ووعدوا بها، والأكل هو الثمر، أخبر عنه بأنه إثم، فهو غريب عن ثمر الدنيا الذي ينقطع في أوقات محددة في السنة، أو ينقطع من جذب ومحط، أو يقل وينقص أو يتغير ويجف لكن ثمر الجنة وجناها، لا يصيبه

¹ التحرير والتنوير 256/25

² نظم الدرر 365/20

أي من ذلك، ما يدل على بهاء الجنة وحسنها وجلالها وعلى وفرة الري وكثرتها، كما قال قبل الشاهد: (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) وهو جزاء ما عدده من صفات المؤمنين (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَيَّنَّا (٢٩). فكما أنسوا قلوبهم وعمروها بالإيمان دواما أمتعهم الله بنعيم يشبه لذتهم الروحانية يذكره تعالى وهي في صدورهم جنات لا تنقطع كما دلت عليه صيغة المضارع "تطمئن".

ولأنه قال: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) 26، بين موقف المشركين مما رزقهم وبسط لهم به، وهو موقف البطر والأشر والجحود والنكران فلم يستحقوا به نعيم وزرق الآخرة، ثم أتبعه بامتداح المؤمنين والثناء عليهم، وما وعدهم به من الجزاء، لذلك لم يقل أكلها بفتح الهمزة، ولا مأكلا ولا مأكولها، لأن لفظ "أكلها" بالضم يشمل معانيها جميعاً، وإن وردت في النظم الكريم بمعنى الثمر والجنى في عدة مواضع، فالذي يوحيه السياق ربما يتجاوز هذا المعنى لأن الأكل بالضم كلمة عامة بما تشمله من معاني يجعلها الأدل على المراد من الشاهد وإن عُيِبَ بالظن، ورد في لسان العرب: "الأكل: الرزق، وفلان ذو أكل إذا كان ذا حظ من الدنيا ورزق واسع، والأكل: الثمر وكل ما يؤكل"¹ مما يدل على سعة رزقهم وتنوعه إلى جانب غرابته ودوامه، سيما أنه رُبط بالتقوى قبل الشاهد باسم الفاعل "المتقون" وبعده بـ "الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار" وهم الذين جحدوا أنعم ربهم مع كفرهم فلم يشكروه عليها، وقابلوا الزرق والسعة بالنكران والكفران، أي هو سياق كفر وكفران فكانت عاقبتهم النار، وقابله بوفرة الرزق وسعته وديمومته وهي عقبى المؤمنين، أي كان لمن هم ضدهم حرمان من الرزق في النار وهو جزاء النكران والكفران، والصيغة "أكلها" ناسبت لفظياً "ظللها".

¹ لسان العرب 33/1

ورد في المادة أ ك ل ثلاث صيغ، اثنتان منها فعليتان، المضارع تأكلون في شاهد واحد، وسياقه الترغيب بالجنة، والغرض منه الدلالة على عدم نفاد المأكّل للمؤمنين في الجنة.

وفي صيغة الأمر ورد ثلاثة شواهد، سياقها إهانة الكافرين والتهكم الشديد بهم، والغرض منها تكريم المؤمنين وتشريفهم، مستبعدا كل كدر ونقص عن أكلهم، ومستجلباً لهم الهناءة وكل تام المسرة.

وصيغة اسمية وحيدة وهي "أكلها" في سياق مقابلة جزاء الكافرين، وغرضها التمثيل لغرابة صفات الجنة التي وعدوا بها، أي رزقهم فيها دائم عكس حال الرزق في الدنيا.

المبحث الخامس : شراب أصحاب الجنة

ورد في المادة ش ر ب ثلاثة صيغ فعلية، في الزمن المضارع "يشربون" و"يشرب" وصيغة الأمر "اشربوا" وصيغتان اسميتان، باسم الفاعل "الشاربين" والاسم "شراب".

في سورة المطففين : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ 28

في سورة الإنسان : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

في سورة الحاقة : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ 24

في سورة المرسلات : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 43

في سورة الطور : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 19

في سورة محمد : ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ 15

في سورة الصافات : ﴿بَيْضَاءٌ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ 46

في سورة ص : ﴿مُتَكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ 51

في سورة الإنسان : ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعٌ أَصَاوِرٌ مِنْ ذَهَبٍ وَسِقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ 21

ورد المضارع "يشربون" في سياق الترغيب بالجنة، والغرض منه الإرادة والاختيار، لأنه قال قبل الشاهد في عذاب الكافرين : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ الإنسان 4، وأراد أن يقابل سوء حالهم، فأتي بالنقيض وهو مشهد المؤمنين في إطلاق إرادتهم، وحركتهم ورغبتهم في التمتع بشراب الجنة، أي يشربون حيث يريدون.

ودل بالمضارع على تمكنهم من فعل الشرب، لأن شرابهم مُزج بالكافور وهو مما يتعسر نقله، ولكن في الجنة لا كلفة في ذلك، لأن الله أسأله لهم، ولذلك كرر المضارع واصفاً الشراب المزاج في قوله: (عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)⁶

قال بعض النحاة أن الباء في "عينا يشرب بها" تفيد التبعية بمعنى من، وبعضهم ضَمَن الفعل شرب معنى رَوَى¹ ويرى السامرائي أن يرتوي بها أولى من يشرب منها لأن فيها معنى آخر يدل على أنهم نازلون بالعين يشربون منها من قولك "نزلت بالمكان" فهو يدل على القرب والشرب، فالتمتع حاصل بلذتي النظر والشرب بخلاف الأول واستدل بما قاله الزركشي في البرهان أن العين هنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء نفسه، نحو نزلت بعين أي مكاناً يشرب به²

ودل بالمضارع على التجدد في مقام الكثرة، لأنه قال: (يَفْجَرُوهَا تَفْجِيرًا)⁶ أي لا حد لاستقائهم منها، ولأعم به دأبهم ومداومتهم على بذل الطاعات، وملازمتهم للأعمال الصالحة، كما قال: (يُؤْفُونَ بِالْأَنْدَرِ)⁷ كانوا يجددون وفاءهم بالندر، ولأعم به وبتكراره ما في سياق سورة الإنسان من إطناب وصف النعيم، فالمضارع "يشربون" هو الصيغة الأرحب في سياق الكثرة والوفرة والسعة وازدياد النعيم وتجده، منبهاً به إلى انطلاقهم في الجنة جزاء خشيتهم في الدنيا والذي تكرر في السياق في قوله: (يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)⁷ وفي قوله: (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا فَمُطَرِّرًا)¹⁰ ففي الخشية من الله سكون وامتناع واتقاء، فأتى بالمضارع الدال على الأمن والأمان لدلالته على الاختيار، ولدلالته على معنى الإرادة التي تقابل الاتقاء، وهي معانٍ ليس يؤديها تمام حقها سوى المضارع، لذلك لم يقل هنا "يُسْقُونَ" ليسند الفعل إليهم في الصيغة "يشربون" ليكون الذي اتقوه واجتنبوه في الدنيا سبباً في تنعمهم، وهو معنى

¹ معنى اللبث عن كتب الأعراب عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين ابن هشام ص 105
ت 761 هـ. تحقيق د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله دار الفكر - دمشق ط 6 1985 م

² بطلر النعمير القرآني 214

مضاف إلى تمكنهم من الاختيار والانتفاع الأمرين المقابلين لتقييد الكافرين بالسلاسل والأغلال، كما هو في السياق.

وأظهر موضع الإضمار في ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ 6 إيداناً بقربهم منه، ولذلك افتتح الكلام بـ "إِنَّ" لتأكيد ما نفاه المشركون من أفضلية المؤمنين عليهم في الآخرة، فهم إلى جانب إحسانهم المتكرر في السياق في قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ وفي قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ 9 فهم إلى ذلك كانوا يخشونه، أي جمعوا الخوف والرجاء معاً، وكما تكرر المضارع "يشربون" مرتين كذلك تكرر الخوف والإحسان في الإطعام مرتين.

ونظيره قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ المطففين 28 أتى بالمضارع لأنه قال في السياق: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ 26 أي في رحيق الجنة، وفي التنافس اجتهدوا وازدياد في الطاعات، فكان جزاؤهم أن يشربوا كل شراب يريدونه لأنهم قصرُوا همهم على اتباع الحق، ورغبوا فيه بجميع جهدهم واختيارهم شأن المتنافسين فيه خاصة، وهنا صرح بقربهم فقال "المقربون" وهؤلاء مع الذين قال عنهم عباد الله هم أعلى مرتبة من الأبرار فكما ورد في وصف نعيمهم: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ المطففين 25 ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ 27 "أي إنهم يسقون من رحيق ممزوج بالتسним، والتسним أعلى شراب في الجنة وهو يمزج لهم بحسب أعمالهم في حين قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ 28 أي إن المقربين يشربون من عين التسним خالصة، كما أنهم اخلصوا أنفسهم وأعمالهم لله أخلص لهم الشراب، والجزاء من جنس العمل. وهم لا يشربون منها بل يشربون بها، فهذا نظير ما مر في سورة الإنسان 1

في قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطور 19، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المرسلات 43 فعل الأمر "اشربوا ورد للتكريم والتشريف، ليقابل به إهانة الكافرين والتهمم بهم، وفي سياقات الشواهد استبعد كل منغص ومكدر ومؤذ، واستجلب كل هاني مسر، لأن ذلك من دواعي الإكرام وذلك كالتالي :

1- الاستقرار والظرفية للدلالة على نُزُل المؤمنين، وللدلالة على تمكنهم من الانتفاع والتنعيم بالجنة، وذلك في : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ الطور 17 وفي ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ المرسلات 40 وفي ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ الحاقة 22

2- فعل الأمر أشار إلى رضا الأمر صاحب الجنة، فهم غير ممنوعين، ولا مستثنى من شراب الجنة، ولذلك عمم بحذف المفعول، وعبر عن كثرة المشرب بكثرة الري، لأنه لما أفرد الضمان في "قطوفها دانية" أعلم عن اشتراك جميع ثمار الجنة، والكثرة دالة على زيادة إكرام النازلين.

3- التصريح برضا الأمر عن طريق الخطاب للمكرمين دون واسطة سواء منه تعالى أو من الملائكة عليهم السلام.

4- ليس في شربهم توقع شر، بقوله : "هنيئًا" فقد نفى عنه الكدر وكل أذى ينتج عن الشرب، فهو خالص الهناءة.

5- ربطه بالعوض، فهو ليس على سبيل التفضل والامتنان، وهو أدعى لمسرته وأتم لفرحهم، فجعله جزاء أعمالهم التي كانت كالطبع لهم والجبلة، وهو أسعد للمرء في جني ثمار جهده وسعيه وتكريمه بها، مما يزيد لذة تمتعه بالنعيم، وهو في قوله: "بما كنتم تعملون" واختلف في سورة الحاقة، فقال : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ

الْخَالِيَةِ) 24 والفرق الثاني أن تشريفهم كان على رؤوس الأشهاد والخلائق يوم العرض والموقف للحساب وتطير الصحف، فأراد تتميم مسرتهم بتكريمهم، والزيادة من تحسير الكافر وتعذيب روحه بالإهانة والتوبيخ في (خَذُوهُ فَعَلَّوْهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ (٣١). وقال في توبيخهم وتهديدهم: (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) الرسائل 46 وقال في إذلالهم وامتهانهم: (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الطور 16 أي كان تكريم المؤمنين عقب توبيخ الكافرين أو إذلالهم والتهكم بهم أتم لمسرتهم، أي بلغ الغاية في نعيمهم الروحي.

وقال : (بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) الصافات 46 لأنه في سياق عذاب المستكبرين عن التوحيد كما في قوله : (إِنَّكُمْ لَذَانِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) 38 إشارة إلى أن جزاءهم كان بقدر أعمالهم، ومن جهتهم هم، ثم ذكر النقيض لهم، فأتى باسم الفاعل "الشاربين" بعد استثنائهم من العذاب في قوله : (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) 40 ولأنه في معرض وصف شرايهم، وأظهر "للشاربين" مكان الإضمار للتعميم، ولتعليق الحكم بالوصف، وقد قابل بياض الشراب ولذته بالعذاب الأليم الذي يذوقه الكافر كل حين فيتكرر له، فيكون الغرض من اسم الفاعل، أن الكأس هي لذة لهم حال شربهم منها.

أما في قوله : (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) محمد 15 فسياقه تكرر ذكر الجنة والنار، وذكر صفات الجنة العجيبة، وأتى باسم الفاعل للاهتمام بالشاربين، لأن شراب الدنيا من ماء أو لبن أو عسل أو خمر لا يخلو من نقص أو كدر، وأراد نفي تأثير علة المشرب عن المؤمنين، قال أبو السعود: "الجنة فيها أنهار من ماء غير متغير الطعم والرائحة، ولبن لم يصبح قارصا ولا خارزا كالألبان الدنيا،

وخمر لذیذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار، وإنما هي تلذذ محض، وعسل لا يخالطه الشمع وفضلات النحل، وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الأشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها، ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينقصها والتخلية بما يوجب غزارتها ودوامها¹ أي يفهم من اسم الفاعل كذلك الاستمرار لديمومة الأشربة، وقد قابل به خلود الكافرين في النار في قوله: (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ).

أما قوله: (مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) ص51 فيساقه استحقاق المؤمنين الجنة، وبيان حسن حالهم من التمتع والتلذذ والتفكه، وربط ذلك بالتقوى في قوله: (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) 49 والاسم "شراب" أفاد تعدد أصناف ما يدعونه من النعيم.

ونظيره قوله: (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) الإنسان 21 فالاسم "شراب" بين ما هو الجزاء لدى تعدد أصناف النعيم، قال البقاعي: "أي ليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر أو من الماء أو من غيرهما، بل هو بالغ الطهارة والوصف بالشرابية من العذوبة واللذة واللطافة، وهو مع ذلك آلة للتطهير البالغ للغير فلا يبقى في بواطنهم غش ولا وساوس، ولا يريدون إلا ما يرضي مليكهم، ولا يستحيل شيء من شرابهم إلى نجاسة من بول ولا غيره، بل يصير رشحا كرشح المسك"² وإذا كانت هذه هي صفات الشراب في الجنة فإن التكرير فيه هو للتفخيم والتعظيم، وللمبالغة في لذته وعذوبته وطهره، ولغرابته عن أشربة الدنيا، رغم تماثل الأسماء، لكنه اختلف في الخصائص والصفات.

في ضوء ما سبق تبين أن الصيغ الفعلية هي الأغلب للمادة شراب، البالغ عددها عشرة صيغ، منها ثلاث في الزمن المضارع وسياقها الترغيب بالجنة، وغرضها الإرادة والاختيار والتمكن من الانتفاع بالنعيم والتجدد.

¹ تفسير أبي السعود 9618

² نظم الدرر 151\21

وثلاث صيغ أمر في سياق الجزاء الروحي، باهانة الكافرين وإذلالهم، وغرضها مقابلة ذلك بتكريم المؤمنين وتثريتهم، معلقاً به الجزاء بالعمل أو بالعوض والسببية، نافياً عن شربهم كل كدر، جامعاً لهم ما يعظم جزاءهم، ويتم فرحهم، ويكمل تنعمهم. وهنا حذف المفعول للتعميم دالاً به على الكثرة لأنه من دواعي التكريم.

وباسم الفاعل ورد صيغتان، في سياق تعدد الشراب، وتعدد صفاته، والغرض الاهتمام بالشاربين، عن طريق التخلية، أي نفي كل علة ونقص تؤدي الشراب وذلك أثناء الشرب أو بعده مما ينتج عنه، وعن طريق التخلية أي جعل للشراب صفات من لذة وعذوبة تمتع الشاربين.

لذلك أظهر هنا اسم الفاعل "للشاربين" ليدل على التعميم، ولتعلق الحكم بالوصف، وهو أنهم كانوا موحدين مخلصين، فاستثناهم من ذوق العذاب، بل متعمهم بلذة دائمة خالدة.

وبالاسم "شراب" ورد شاهدان في سياق استحقاق الجنة، وفائدته بيان نوع الجزاء، والتكثير غرضه التعظيم، والتمييز عن شراب الدنيا لغرابته، والمبالغة في لذته وعذوبته وطهره.

مسألة في وصف خمر الجنة

نزف الرجل البئر إذا استقى كل مائها، ونزف معناها أيضا انتهى وانقطع ونفد، جاء في لسان العرب: "أنزف القوم إذا انقطع شرابهم، والنزيف والمنزوف هو السكران، إذا ذهب عقله من السكر"¹.

ورد في المادة ن ز ف صيغتان فعليتان مضارعيتان، إحداها بالبناء للفاعل وهي "ينزفون" والثانية بالبناء للمفعول وهي "ينزفون".

في سورة الواقعة: { لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ }¹⁹

في سورة الصافات: { لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ }⁴⁷

اشترك سياق الشاهدين في وصف النعيم من اتكاء المؤمنين وتقابلهم على سرر عظيمة، والطواف عليهم بكأس هي الخمر بصفات تميزها عن خمر الدنيا، وقد نفى عنها كل أنواع الفساد، وأثبت لها النفع والكثرة، ففي سورة الواقعة أتى بالمضارع المبني للفاعل "ينزفون" لأنه بنفي الصداع عنهم دل على كثرة شربهم للخمر؛ حتى تتميز عن خمر الدنيا، أي رغم شربهم منها لا تنفد، فيكون الفعل "ينزفون" من أنزف أي انقطع ماؤه وانتهى، قال الرازي: "ولا يُصدعون أي لا يفقدونه ومع كثرته ودوام شربه لا يسكرون فإن عدم السكر لنفاد الشراب ليس بعجب، لكن عدم سكرهم مع أنهم مستديمون للشراب عجيب، ولا ينزفون الشراب، أو لا ينزفون عنها بمعنى لا يخرجون عما هم فيه ولا يؤخذ منهم ما أعطوا من الشراب، ثم إذا أفنوها بالشراب يعطون"² ومعنى الغول والغيلة والغائلة كما يقول البقاعي: "أي ليس فيها من فساد، من تصديق رأس، أو إرخاء

¹ لسان العرب 326/9، ينظر مقاييس اللغة 416/5
² تفسير الرازي 395/29

مفصل، أو إخماد كبد، أو غير ذلك مما يغتال أو يهلك، أو يكون سببا للهلاك¹ وللصيغة ينزفون بالبناء للفاعل وجهان: يقال قد أنزف الرجل إذا فني خمره، وأنزف إذا ذهب عقله من السكر² وكما مر سابقا في الموازنة التي قدمها الدكتور الساموراني بين سورتي الواقعة والصافات فإن عدم نفاد الشراب ناسب انتفاء الصداغ والسكر معاً، لأن انتفاء الغول لا ينفي الصداغ، وانتفاء الصداغ ينفي الغول يعني إذا انتفى أهون الفساد وهو الصداغ فمن الأولى أن ينتفي الهلاك. وهو ما كان في سورة الواقعة، ثم وردت معه المعاني الأتم والأعلى في السياق وناسب معه ورود كلمة فاكهة وهي أعم من فواكه لاشتمالها على المفرد والمثنى والجمع، وتطلق على النوع الواحد والأنواع، كما ناسب الزيادة في التمتع من الاتكاء³. ولذلك وردت صيغة المبني للفاعل في سياق تمكين المؤمنين من الانتفاع بنعيم الجنة، كتحذيرهم من فاكهتها، واشتهائهم للحمها، ما يدل على تقلبهم في تلك النعم، وناسب بين عدم انقطاع الشراب وبين جمع الأكواب والأباريق، لدلالاتها على كثرة ما فيها، ثم قال: ﴿بِكَاسٍ مِنْ مَّعِينٍ﴾⁴⁵ والمعين هو الماء الجاري.

المعنى المشترك في الصيغتين هو ذهاب العقل في نزف أو أنزف، ولكن الاختلاف هو في اختصاص المبني للفاعل بمعنى نفاد الشراب، كما يقال لمن يصبح قليل المال أعسر وأقل.

¹ نظم الدرر 231/16

² ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص83، ينظر الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي ص521

³ ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص87

مسألة في سقيا أصحاب الجنة

في المادة س ق ي ثلاث صيغ فعلية، اثنتان منها في الزمن المضارع مبنية للمجهول وهي "يُسْقَوْنَ"، وفي الزمن الماضي "سقاهاهم".

في سورة المطففين : (يُسْقَوْنَ مِنْ رَجِيْقٍ مَخْتُومٍ) 25

في سورة الإنسان : (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) 17

في سورة الإنسان: (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَخُلُوعٌ أَصَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) 21

ورد المضارع في سياق وعيد المكذبين وتهديدهم، قال قبل الشاهد : (ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) المطففين 13 أي تجددون تكذيبكم بالقرآن، وأراد ذكر جزاء من هم ضدهم في المال الذين كانوا يعرضون عن الملذات ويصرفونها لطاعته، فأتى بالمضارع "ويسقون" تجديدا لهم في لذة النعيم، وليناسب معنى الاتساع المستفاد من وصف مكان كتاب الأبرار في قوله : (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّينَ) 18 فإنه لعلوه لزمه فضاء متسع مطلق، وأخبر أنه "كتاب مرقوم" يحضره الملائكة يحملون فيه اسم صاحبه وأنه أمن النار، ويتنقلون به بين السماوات، ثم أخبر عن الأبرار أنهم في النعيم ينظرون إلى ما يشتهون من مستلذات الجنان، فهم على دوام في النظر.

أما المضارع في سورة الإنسان فإنه لما قال : (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا) 15 أخبر عن طواف الولدان عليهم بالاستمرار والتجدد، مما ناسب الإتيان بالصيغة "يسقون" الدالة على المداومة، ولأنه قال في السياق: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) ثم أخبر عن خصالهم جميعها في الزمن المضارع

مثل: يوفون، يخافون، يطعمون، وقوله: (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوسًا فَمَطْرَ يَازِا) 10 فكان جزاؤهم ما يدل على مظهر الأمن والأمان من دوران الطوائف عليهم بالإنية لسقيهم، وكلمة الطواف دالة على الحركة الدووية. قال ابن عاشور: "عبر بـ (يسقون) دون يشربون للدلالة على أنهم مخدومون يخدمهم مخلوقات لأجل ذلك في الجنة، وذلك من تمام الترفه ولذة الراحة" 1 أما علة الإسناد في الشاهدين فهي للدلالة على كمال تنعمهم، وغاية اغتنائهم عن خدمة أنفسهم، قال البقاعي: "قال بانياً للمفعول دلالة على أنهم مخدومون أبدا لا كلفة عليهم في شيء" 2.

ولما كان المقام مرتبطاً بمشهد الملوك أرباب الثياب الفاخرة وقد وجدت لهم الحلية في قوله (وَوُخِّلُوا أَزْوَاجًا مِمَّنْ فِيضَةٌ) الإنسان 21 ناسب الإتيان بالشاهد "وسقاهم" فالمضي في الصيغة لتأكيد السقيا للمؤمنين، في سياق المبالغة في وصف الشراب، والشواهد الثلاثة وردت بمعنى الإسقاء للمبالغة، جاء في المفردات: "السقي والسقيا أن يعطيه ما يشرب، والإسقاء: أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقي منه ويشرب، تقول أسقيته نهرا" 3، وأسند الفعل إليه مؤكداً إحسانه إليهم ثم قال "ربهم" ليدل على رعايته لهم وتدبير مصالحهم. قال البقاعي: "قال بانياً للفاعل بياناً لفضل ما يسقونه في نفسه، وفي كونه من عند الإله الأعظم، المتصف بغاية الإحسان على صفة من العظمة تليق بإحسانه سبحانه بما أفاده إسناد الفعل إليه "وسقاهم" وعبر بصفة الإحسان تأكيداً لذلك فقال "ربهم" أي الموجد لهم المحسن إليهم المدبر لمصالحهم" 4، ولهذا قال عقب الشاهد: (وَإِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) 22 أي هو مُعْذَلُكُمْ قَبْلَ مَوْتِكُمْ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ.

¹ التحرير والتنوير 205\30

² نظم الدور 328\21

³ المفردات: في غريب القرآن 415\1

⁴ نظم الدور 150\21

وهكذا فإن صيغتي المضارع أفادت مداومة السقيا وتجدها للمؤمنين ليقابل به تجدد العذاب للكافرين وسياقها الوصف لخصال المؤمنين الحميدة، أو لكتابهم العظيم. والبناء للمفعول للدلالة على خدمتهم وترفعهم، ويسر سقياهم وسهولته وتوفره في الجنة. أما المضي في "وسقاها"، فلأنه في مقام الحديث عن أصحاب الجنة مشبهين بحال الملوك وقد توفرت لهم الحلية والسقيا، والبناء للفاعل للدلالة على إحسان ربهم إليهم، وقد ورد في صيغة واحدة.

مسألة في نضرة وجوه المؤمنين في الجنة

النضرة والنضارة تطلقان على الحسن، ونضرة الوجه أي رونقه، ويقال للغصن: ناضر أي حسن، قال الأصفهاني: "النضر والنضير: الذهب لنضارته، وقدح نضار، خالص كالنبر، وقدح نضار بالإضافة: متخذ من الشجر"¹

ورد في المادة ن ض ر صيغتان اسميتان وهما "ناضرة" باسم الفاعل، والاسم "نضرة" وهو مضاف، أو غير مضاف.

في سورة القيامة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾²²

في سورة المطففين: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾²⁴

في سورة الإنسان: ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾¹¹

ورد الشاهد في سورة الإنسان بعد تخوف المؤمنين وخشيتهم يوم الحساب وعليه بنوا أعمالهم الصالحة، فكان جزاؤهم بأن أبدل الله خوفهم بالأمن، وجعل وجوههم نضرة حسنة البشرة، لأن الخائف تزول خشيته هذه النضرة، ولذلك قرنوها بالسرور، لأنها البهجة التي لا تكون إلا لوجه الراضي المسرور، أي وافق جزاؤهم عملهم، ولأنه وصف يوم القيامة بالعبوس الكالج وهو ضد المبتهج النضر، أي امنهم من خوفه وعبوسه، وهو في قوله: ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

بينما أضاف الشاهد إلى كلمة "النعيم" في سورة المطففين لأنه قال في السياق: ﴿يَنْ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ فإن النظر إلى كل مبهج ومسر ودوام ذلك يظهر أثرا على الوجوه، وهو الحسن والبهجة، أو النضرة، لأنه أظن بعدة في سقياهم ووصف شراهم، فإن سقي الماء والشراب وبازدياد

¹ المصدر: في غريب القاموس 81/11

وكثرة يضيفي على الوجوه رونقاً وحسناً عجيبين، قال بعد الشاهد: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَجَبٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِرَاجُهُ مِنَ الثَّنِيمِ * عَيْنًا يَشْرِبُ بِهَا الْمُعْرِبُونَ﴾ 25-28 ومن هنا يظهر سر تقييد الصيغة "نضرة" بكلمة "النعيم".

بينما أتى باسم الفاعل "ناضرة" لأنه قال في السياق: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ القيامة 15، 14 أي مبصر بنفسه يومئذ وبما قدم ولو أتى بكل المعاذير، فإنه متيقن من وقوع الجزاء عليه فوصفه بقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ 24 أي شديدة العبوس كالحة، وقد أتى بوصف من هم ضدهم في المال والحال فقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ 22 وسبب كونها موصوفة بالنضرة هو نظرهما إلى ربها تعالى، وفيه دليل على زيادة فوق تتعمهم ونيلهم الجنة، وهو فضل رؤيته سبحانه، وهو نظر إليه خاص بالمؤمنين لا يشاركهم فيه أحد ممن هم دونهم في الرتبة، لذلك أتى باسم الفاعل لثبوت الصفة فيهم "أي النضرة" وقوتها واختصاصها بهم.

في السياق من المناسبة اللفظية الكلمات التالية: "ناظرة"، "باسرة"، "فاقرة".

تبين مما مضى أن الاسم "نضرة" مسوق لإبدال خشية المؤمنين وخوفهم بالأمن والنجاة من الحساب، والغرض منه ظهور أثر اطمئنانهم وابتهاجهم بالنعيم على وجوههم، وهنا غطف عليه بالسرور.

أو الاسم "نضرة" هو لغرض ظهور أثر فرحهم وابتهاجهم لسببين، الأول: نظرهم إلى كل حسن مبهج، والثاني: الإكثار والمبالغة في السقيا من أصناف الشراب العظيمة في الجنة.

واسم الفاعل أتى لاختصاص المؤمنين بروية ربهم سبحانه، في سياق تيقن الكافرين العقاب، والغرض من وصفية الصيغة هو قوة المعنى وثبوته واختصاصه بالمؤمنين، وهو نضرة وجوههم.

مسألة في لباس أصحاب الجنة

للمؤمنين في الجنة لباس من الحرير الأخضر، ويقال للغليظ منه: الإستبرق، وللرقيق السندس، وفي أصل معنى اللباس يقول الأصفهاني: "اللباس واللبوس واللبس ما يلبس، وجعل اللباس لكل ما يغطي الإنسان من قبيح، وأصل اللبس: ستر الشيء"¹.

في المادة ل ب س ورد صيغتان إحداها فعلية وهي "يلبسون" والأخرى اسمية وهي "لباسهم"

في سورة الكهف: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ٣٠ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ 31

في سورة الدخان: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ 51-53

في سورة الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ٣٠ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ 23
في سورة فاطر: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُخَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ٣٣ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ 33

وردت الصيغة الفعلية في سياق تعدد أصناف اللباس الذي يدل على كثرتة، قال البقاعي: "لما وصف ما أعد لهم من اللبس في الجنة دل على الكثرة جدا بقوله: من سندس وهو ما رقى من الحرير يعمل وجوها، وزاد صنفا آخر فقال

¹ المعر دا: في غريب القرآن 735/1

"واستبرق" وهو ما غلظ منه يعمل بطاتن¹ وأراد من المضارع تجديد الفعل وتكثيره لدلالته على الحدوث والتكرار، لأن كثرة اللباس تدل على كثرة فعل اللبس.

وأسد الفعل إليهم، لأن اللبس يقوم به الإنسان بنفسه، أو لأنه جزاء عملهم، بينما كانت التحلية فضل من الله فأتى بالبناء للمفعول "يحلّون". قال الألوسي: "أسد اللبس إليهم لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا إذا كان فيه ستر العورة، وقيل بني "يحلّون" للمفعول و "يلبسون" للفاعل إشارة إلى أن التحلية فضل من الله تعالى واللبس استحقاقتهم"².

وليقابل به ما يكون من تكرار استغاثة الكافرين بالفعل المضارع في قوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

بينما أتى بالصيغة الاسمية لبيان لباسهم في سياق المنّ عليهم، وفيه عدول عن الفعلية، قال الألوسي: "غير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا للإيذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غني عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنه، وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف التحلية فإنها ليست من لوازمهم الضرورية فلذا جعل بيانها مقصودا بالذات"³ وبه قال أبو السعود.

وقال البيضاوي: "غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة، أو للمحافظة على هيئة الفواصل"⁴ والذي أميل إليه هو قول الألوسي والسبب ما ورد في السياق قبل الشاهد: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ﴾ الحج 19 شبه لإحاطة النار بأجسادهم وتراكمها عليهم بثياب فصلت على قدر هياكلهم تهكما بهم، وأراد ذكر النقيض لحالهم ببيان نوع لباس أصحاب الجنة، فالحرير هو ألطف

¹ نظم الدرر 4818

² روح المعاني 25918

³ المرحوم نفسه 13019

⁴ تفسير البيضاوي 13114

الثياب وأنعمها، أي قابل به أشنع ما يتصور من ثياب لعذاب الكافرين في النار، وليس مجيء الصيغة "لباسهم" هو لمراعاة هيئة الفواصل، لأن كل مفردة في النظم الكريم لابد أن يربطها بالسياق أبلغ مناسبة، وبدليل أنه قال بعد الشاهد الثاني: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ فاطر 34 فإنه قابل نعومة الحرير بالخزن وهو الخشونة في الأرض أو في النفس لما فيها من غم وقد اشترك في سياق الشاهدين معنى دخول المؤمنين إلى الجنة، أما الشاهدان السابقان فقد اشتركا في معنى استحقاقهم الجنة واستقرارهم فيها.

مما سضى تبين أن الصيغة الفعلية سياقها المن والتفضل بذكر صنفى لباس الجنة مرادا به الكثرة مما ناسبه المضارع الدال على الحدوث والتكرار.

وأن الصيغة الاسمية سياقها المن والتفضل ببيان نوع لباس الجنة ليقابل به ثياب أصحاب النار.

مسألة في حلي أصحاب الجنة

الجلي جمع جلية وهو ما يتخذ للزينة من جواهر، وقد وردت في القرآن الكريم على هيتين وهما للبناء للمفعول، المضارع "يُحْلَوْنَ" والماضي "حَلَوْا". في سورة الكهف: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ٣٠ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ٣١

في سورة الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ٢٣ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٤

في سورة الإنسان: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ٢٣ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١﴾

ورد المضارع "يُحْلَوْنَ" في سياق وعده للمؤمنين بالجزاء في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ والغرض من الصيغة هو بيان الأجر المعد لهم، فهو خبر ورد بعد خبر استحقاقهم الجنة.

ولأنه قال قبل الشاهد: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ٣٠ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ٣١ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ٣٢ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ٣٣ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف 29 أي أراد بالمضارع "يُحْلَوْنَ" المباينة الشديدة للفعل "يُغَاثُوا" المراد به التهكم بالكافرين، بعد استغاثتهم لما يطفى حرّ احتراقهم، وهؤلاء أصحاب الجنة قد أنعم الله عليهم بالجلية دونما طلب منهم، وهي للزينة وليست لضرورة الإنسان كالماء المغاث به، وأولئك أصحاب النار يستغيثون وهم يعذبون في النار فيغاثون بماء يشوي وجوههم، فصيغة المضارع "يُحْلَوْنَ" نبهت إلى هذا التضاد الشديد والتباين

العظيم بين الحاليين، والحبور يعلو وجوه المؤمنين أثر تحليتهم بأساور من ذهب ولأجل المناسبة اللفظية بين "يغاثوا" و "يحلون" من حيث زمن الفعل، والبناء للمفعول. ونظيره قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا خَرِيرٌ ۖ ﴾ الحج 23 و علة المضارع فيه هو ما ورد في السياق من رد الكافرين من أعالي جهنم إلى أسافلها في قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾ 22 فالنار أحاطت بهم كما تحيط الأسورة بالمعصم، أي أراد بالمضارع "يحلون" التنبيه إلى كمال المباينة بين المقامين، أي قابل طلبهم النجاة ومحاولتهم الهروب من العذاب ثم ردهم إليه، بما هو زائد عن ضرورات الحياة، وهو التحلية، فيكون القصد من المضارع أيضا المداومة والمناوبة لأنه خصّ الشاهد هنا بصنفين من الزينة وهما الذهب واللؤلؤ، أي تارة يحلون بهذا وتارة يحلون بذاك، وكلاهما للترفيه والتنعم ليقابل به طرفي جهنم عندما تضربهم النار فيرتفعون إلى أعلاها، حيث يضربون بالمقامع فيهبون إلى أسفلها، اشترك في سياق الشاهدين وصفهم بالإيمان والعمل الصالح، وتقديم التحلية على اللباس لأن المقصود بيان الرعاية بالمؤمنين بالمن عليهم بما هو الفضل ولذلك أسند إلى نفسه إدخالهم الجنة، وليعقب به الاستغاثة والهروب من العذاب.

بينما ورد الماضي "خلوا" في سياق الإطناب في وصف النعيم بعد تعداد فعال المؤمنين الحميدة، قال قبل الشاهد: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ الإنسان 21 ثم أتى بصيغة "خلوا" تعظيما لشأن الحلية، أي تملوهم الثياب العظيمة، وقد حصلت لهم الحلية وتمت، لأنه مشهد مُعَدٌّ للراني المخاطب في قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ 20 أي مشهد مرتبط بشعار الملوك من خدمتهم وطواف الغلمان عليهم بالأنية والقوارير من الفضة، ولا بد

أن تكون الحلية قد جعلت لهم وتمت، ولذلك أتى بالصيغة الفعلية "خُلُوا" بعد قوله: (غَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضِرَ وَإِسْتَبْرَقٌ) والتعظيم لشان الحلية لأنها هي المقصودة لأرباب الثياب الفاخرة.

ولأنه قال عقب الشاهد: (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) 22 إذ عبر عن قبول أعمالهم بالماضي، أي كان عملكم مرضيا ومشكورا.

علة الإسناد في الشواهد جميعها واحدة وهي الإشارة إلى يسر وسهولة تحليتهم، قال ابن عاشور: "أسند الفعل إلى المجهول، لأنهم يجدون أنفسهم مُحلّين من الله تعالى" 1 أو للإشارة إلى أهمية الحلية وعظيم شأنها، قال البقاعي: "بني الفعل للمجهول لأن القصد وجود التحلية وهي لعزتها إنما يؤتى بها من الغيب فضلا من الله تعالى" 2

في المادة ح ل ي ثلاثة شواهد، اثنان منها في الزمن المضارع وهي في بيان أجر المؤمنين والمن والتفضل عليهم، ومزيد العناية بهم للمباينة الشديدة بينهم وبين حال الكافرين في النار، ولذلك ورد فيه شاهدان، بينما كان بالماضي شاهد واحد في وصف المؤمنين وقد جعلت لهم الحلية، فالفرق بينه وبين بيان الأجر، أن الوصف كان لمشهد ثابت، هو في صورة المؤمنين مشبهين بالملوك وهم محلّون بالأساور والغرض من المضي تحقق وجود الحلية له، وهنا سبق الشاهد جملة اسمية، أما الشاهدان السابقان فهما للمقارنة والمباينة بين مقامين متضادين ولذلك وردا عقب ذكر عذاب الكافرين، ولأجله كانت الصيغتان في الزمن المضارع، لما تختص به المضارعية من تحقيق أعلى صور المباينة بين النقيضين، ولذلك ورد الماضي عقب الإطناب في مدح المؤمنين.

¹ المصنف والمؤلف 444/8

² نظم الدرر 736/4

مسألة في أزواج الجنة

في المادة زوج أربع صيغ، منها واحدة فعلية وهي "زوجناهم" وثلاث آخر اسمية وهي "أزواج" حيث جاءت موصوفة بكلمة "مطهرة" أو متصلة بالضمير "أزواجهم" و "أزواجكم".

في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ٣٦ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ٣٧ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ٣٨ وَأَنُودُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ٣٩ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ٤٠ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 25

في سورة آل عمران: ﴿قُلْ أُوْتِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ٩ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ١٠ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ 15

في سورة النساء: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ٣٦ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ٣٧ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ٣٨﴾ 57

في سورة يس: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَاكِ مُتْكِنُونَ﴾ 56

في سورة الرعد: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ٣ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ٤ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ 23، 24

في سورة الزخرف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ﴾ 70

في سورة الدخان: ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ﴾ 54

في سورة الطور: ﴿مُتْكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوفَةٍ ٢ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ﴾ 20

الصفة الفعلية سياقها استقرار المؤمنين في الجنة، وبيان ما هم فيه من النعيم، والمضي فيها لتأكيد ذلك الجزاء وثبوته لهم، ولأن الفعل "زوجناهم" اقترن بالباء دل ذلك على أنه لا يُراد به النكاح ولا العقد كما هو في زواج الدنيا، لأن هذا متعد بنفسه، وهو يفيد الحل، وليس في الجنة تكاليف من التحليل والتحريم، فكان الغرض من الصيغة قرانا بين الأزواج للإيناس، لأن سرور المؤمنين بكل ما فضلوا به من النعيم لا يتم إلا بهن، ولهذا بدأ الكلام بقوله "كذلك" أي كما أنعمنا عليهم بشتى أصناف النعيم، فإن لهم نعيما آخر متمما له، فقال "زوجناهم" قال ابن عاشور: "الزوج هنا كناية عن القرين، وليس في الجنة عقود نكاح، وإنما المراد أنهم مأنوسون بصحبة حبايب من النساء كما أنسوا بصحبة الأصحاب والأحبة من الرجال استكمالا لمتعارف الأنس بين الناس، وفي كلا الأنسين نعيم نفساني وهذا معنى ساج من معاني الانبساط الروحي، وإنما أفسد بعضه في الدنيا ما يخالط بعضه من أحوال تجر إلى فساد منهجي عنه"¹ وأسند الفعل إلى نفسه تعالى ليدل على أنه تزويج يليق بما له من العظمة.

أما الصيغة الاسمية "أزواج" فسياقها الاستحقاق وتكريم المؤمنين، وغرضها تمييز أزواج الجنة بطهرهن عن أزواج الدنيا ولذلك كانت جميع الشواهد موصوفة بكلمة "مطهرة" أي بالغ في طهرهن فلم يقل طاهرة؛ ليحقق كامل التمييز بينهن، أي تطهرن عن كل مستقذر، فهن طاهرات الأجسام، والأفعال، والأخلاق، وناسب به اختلاف ثمار الجنة عن ثمار الدنيا في الحسن والطعم واللذة رغم اتحادهما في النوع، وقد اشترك في سياقات الشواهد إضافة إلى الاستحقاق وصفة الأزواج، خلودهم في الجنة، وعبرة "تجري من تحتها الأنهار".

¹ التحرير، والتوير 318/25.

أما إذا اتصلت الصيغة بالضمير كما في قوله: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبِرُونَ ﴾ الزخرف (70) فسياقه التكريم للمؤمنين المتحابين في الله، وغرضه إتمام مسرتهم بدعوتهم بالدخول إلى الجنة مع أزواجهم، مؤانسة لهم، وهو من دواعي التكريم وقد نفى عنهم الخوف والحزن في قوله: ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ 68 ولذلك قال عقب الشاهد "تحبرون". قال أبو السعود: "تسرون سرورا يظهر خبازه أي أثره على وجوهكم، أو تزينون وهو حسن الهيئة، أو تكرمون إكراما بليغا والخبرة المبالغة فيما وصف بجميل".¹

ونظيره قوله: ﴿ جَنَّاتٌ عَذْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ الرعد 23 ذكر الأزواج والذرية لأنهم تسبوا عنهم، واصطحابهم في دخول الجنة أدعى للسرور في سياق التكريم والتشريف في قوله: "ادخلوا الجنة" ولأن مسرتهم لا تكتمل بدخولهم إليها إلا برفقة خاصة مشاكلة لهم في صفاتهم فقال: "أنتم وأزواجكم".

ونظيره قوله: ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴾ يس 56 إلا أن الشاهد ورد ضمن الجملة الاسمية مؤكدا به ما أنكره المكذبون إنكارا شديدا، وهو البعث، والجزاء، فجاء وصف نعيمهم على هذا الصياغة من الجزم والتأكيد كما ورد في السياق: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ 55 أي لهم عيش الأمن واللذة والراحة، وهم متفكهون أي مرحون طربون، ينعمون بالبسط والمؤانسة والأحاديث الحسنة المرحية، وهي أعظم ما تكون مع أزواجهم، قال البقاعي: "لما كانت النفس لا يتم سرورها إلا بالقرين الملائم قال "هم" أي بظواهرهم وبواطنهم "وأزواجهم" أي أشكالهم الذين هم في غاية الملاءمة كما كانوا يتركونهم في المضاجع على الذم ما يكون".²

¹ تفسير أبي السعود 6/18
² نظم الدرر 146/16

تبين مما مضى أن في المادة زوج ثماني صيغ، خمس منها اسمية، فالصيغة "أزواج" وردت في ثلاثة شواهد، وسياقها الاستحقاق، وغرضها تمييز أزواج الجنة عن أزواج الدنيا، ولذلك كانت موصوفة بالصيغة "مطهرة".

وجاء الاسم متصلاً بالضمير في سياق التكريم والتشريف وهو "أزواجهم" في شاهدين، وشاهد واحد بالصيغة "أزواجكم" والغرض إتمام مسرة المؤمنين بمشاكل أزواجهم لهم في الصفات، وبصحبته أثناء دخولهم الجنة وبمؤانستهم. وهناك صيغتان فعليتان وهما: "زوجناهم" وقد صرف الفعل المتعدي بنفسه الدال على الحل عن ظاهره، لأن الجنة غنية عن الأسباب، وضمنه معنى قرناهم والغرض هو النعيم الروحاني بمؤانسة الأزواج عن طريق اقترانهم بهن.

مسألة في الحور العين

القنطرة هي أصل الشجرة، والقصر هو البناء العظيم، وقصر الشيء ضم بعضه إلى بعض أو ترك بعض أركانه، أو حبسه، وقصر النظر غضه، قال الاصمغاني: " قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض أركانها ترخيصاً، وقصرت اللقحة على فرسي حبست ذرها عليه، وقصر السهم عن الهدف أي لم يبلغه".¹

ورد في المادة ق ص ر صياغتان اسميتان، الأولى باسم الفاعل "قاصرات" في ثلاثة شواهد، والثانية باسم المفعول "مقصورات" في شاهد واحد.

في سورة ص: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرًا﴾ 52

في سورة الصافات: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ 48

في سورة الرحمن: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ 56

في سورة الرحمن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ 72

الحور العين: يتجاوز عددهن السبعين، لكنه أتى بجمع القلة في سياق المدح والامتنان، لأن الصيغة "قاصرات" أبلغ من قواصر، قال البقاعي: "لما كان سياق الامتنان مفهماً كثرة الممتن به لا سيما إذا كان من العظيم، أتى بجمع القلة مريداً به الكثرة لأنه أشهر وأوضح وأرشق من قواصر المشترك بين جمع قاصرة وقوصرة - بالتشديد والتخفيف لوعاء الثمر فقال: قاصرات"²

¹ مفردات، في غريب القرآن 367/1

² نظم الدرر 402/16

ولأنه ورد في السياق تمكن المؤمنين من الانتفاع بالجنة، وفي كلمة "قاصرات" كناية عن كمال تودد الحور إلى أزواجهن، فهن لعفتن وطهرهن يقصرن الطرف على أزواجهن، ولفرط حسنهن يقصرن طرف الأزواج إليهن فلا يتجاوزهن، قال ابن عاشور: "قاصرات الطرف كناية عن قصر محبتن على أزواجهن، أو أنهن يقصرن أطراف أزواجهن عليهن كناية عن تمام حسنهن في أنظار أزواجهن بحيث لا يتعلق استحسانهم بغيرهن فالأطراف المقصورة أطراف أزواجهن، وإسناد قاصرات إليهن مجاز عقلي إذا كان حسنهن سبب قصر أطراف الأزواج فأنهن ملايسات سبب القصر"¹.

ولأنه قال: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) الرحمن 46 فإن جزاء المؤمن الخائف المتقي زيادة على أمنه أن يأنس جزاء خشيته وقصر همته على ربه بالحور، لأنهن المونسات المتوددات، ومن هنا أتى بصيغة اسم الفاعل، قال البقاعي: "قاصرات الطرف أي نساء مخدرات هن في وجوب الستر بحيث يظن من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح قد قصرن طرفهن وهمهن على أزواجهن، ولهن من الجمال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات إلى غيرهن لفتور الطرف وسحره وشدة أخذه القلوب جزاء لهم على قصر همهم في الدنيا على ربهم"² ولذلك كانت صيغ اسم الفاعل هي الغالبة.

بينما أتى باسم المفعول في قوله: (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) 72 الرحمن في شاهد واحد لأنه أراد به وصفاً آخر للحور العين، وهو أنهن عظيمات مخدومات لا يتبدلن، ولأنه ذكر هنا الخيام فهن مقصورات فيها على أزواجهن، لكل مؤمن منهن أهل مقصورات عليه لا يراهن غيره من أهل الجنة، يرى السامرائي: أن اسم الفاعل "قاصرات" أتم وأعلى في الدلالة على النعيم من اسم المفعول "مقصورات" من خلال مقارنته لسياقات الشاهدين لأن "قاصرات" وردت في

¹ التحرير والتنوير 283/23

² نظم الدرر 184/19

العليين ووصفهن "كأنهن الياقوت والمرجان" ولم يقل ذلك في "مقصورات"
وهذا الوصف يدعو إلى التشويق للطاعة وإحسان العمل (وهل جزاء الإحسان
إلا الإحسان؟) الرحمن¹ 60

تبين مما مر أن "قاصرات" ناسبت خشية المتقين وخوفهم، فأتى بما يدل على
فرط أنسهم في الجنة بالحوار العين لقصر حبهن على أزواجهن، وأما
"مقصورات" فلأنهن قُصِرْنَ في خدورهن على أزواجهن محبوسات عليهم،
وأراد التنبيه إلى عظمتهم لأنهن مخدومات في الخيام غير متبذلات.

¹ نبطر المصنف الغرائي 218

مسألة في رضا الله عن المؤمنين ورضاهم عنه تعالى

ورد في المادة ر ض ا صيغتان فعلتيا "رضي" و "رضوا" وثالثة اسمية وهي "رضوان".

في سورة المجادلة: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۖ أُولَٰئِكَ جِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ جِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلَحُونَ) 22

في سورة المائدة: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) 119

في سورة البينة: (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) 8
في سورة آل عمران: (قُلْ أُو۟تِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) 15

في سورة التوبة: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) 72

في سورة التوبة: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ) 21

وردت الصيغ الفعلية في سياق الوفاء بالعهد وربطه بوصف المؤمنين بالصادقين، وفي سياق المبارأة ممن حاد الله ورسوله، وفي سياق الخشية من الله وربطها بخيرية المؤمنين، فأولئك جميعهم ثبت لهم الرضا في الآخرة بما من الله

به عليهم، وهو إعطاؤهم رضاءه، فلا يسخط عليهم أبداً، وتلك هي علة المضي في الصنيع، قال البقاعي: "أي رضي عنهم بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق، ولما كان الرضا إذا كان من الجانبين كان أتم وأعلى لهم قال: "ورضوا عنه" لأنهم لم يبق لهم أمنية إلا أعطاهموها مع علمهم أنه متفضل في جميع ذلك، لا يجب عليه لأحد شيء ولا يقدره أحد حق قدره"¹ وقال في البحر المحيط: " (رضي الله عنهم) قيل: بقبول حسناتهم، ورضوا عنه بما آتاهم من الكرامة، وقيل بطاعتهم، ورضوا عنه في الآخرة بثوابه"².

بينما وردت الشواهد الباقية بصيغة المصدر ذي الزيادة في المبنى وسبب اختياره هو كما يقول الأصفهاني: "رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأوامره، ومنتهياً عن نهيه، والرضوان: الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى"³ فالرضا الكثير سببه السمة المشتركة بين المواضع المختصة بالمصدر "رضوان" وهي الزيادة على الإيمان والعمل الصالح، وذلك لإرادة معنى مضافاً إلى جزاء المؤمنين لصرفهم الشهوات إلى العبادات، وابتغاء الأجر، وإخلاص الأعمال من الرياء والمفاخرة، فتكون الزيادة في مبنى الصيغة لأجل جزائهم المضاف وهو النعيم الروحي، قال ابن عاشور: "الرضوان مصدر كالرضا، وزيادة الألف والنون فيه تدل على قوته كالغفران والشكران، والتذكير في رضوان للتنويع يدل على جنس الرضوان وإنما لم يعرف بلام تعريف الجنس ليتوسل بالتفكير إلى الإشعار بالتعظيم فإن رضوان الله عظيم" وقد زاده أضعافاً مضاعفة بعد أن عدد نعيمهم البدني في قوله: ﴿فَلْأَوْثِقُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ

¹ نظم الدرر 1981/22

² البحر المحيط 423/4

³ المفردات، في غريب القرآن 356/1

نصير (بالعباد) آل عمران 15 فالسياق في المقارنة بين نعيم الدنيا الزائل وثواب الآخرة الدائم المقرون بـ "رضوان الله" لأن نعيم الدنيا قد لا يقرن برضاء الله فكان المصدر بالألف والنون دون غيره ليناسب الصبر على مجاهدة النفس في القتال وعلى مجاهدتها في كبح الشهوات.

ولذلك لم يرد المصدر مرضاة رغم توافقه في زيادة المبنى مع "رضوان" لكنه مختلف عنه بل هو ضده في الدلالة والاستعمال، يقول السامرائي: "لم يقل مرضاة لأنها خاصة في ابتغاء الرضا فهي لم تستعمل في غيره، ولأنها عامة في السبغ منه الرضا فهو الله أو غيره وأتى بالمصدر "رضوان" لأنه خاص في الله، وعام في ابتغاء الرضا وغيره"¹

ونظيره قوله: ﴿وَعَذَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَتَّىٰ تَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي حَتَّىٰ عَذَى ۚ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة 72، هو في الوعد وسبب نيلهم الرضوان أو النعيم الروحي هو موالة المؤمنين بعضهم بعضاً، وهو لا يتحقق إلا بصدق السريرة، ومداغة هوى النفس. ومن حظي بهما حرّياً بالرضوان، ما يدل على زيادة فضل الموالة على المباراة، لأن المباراة سبقت للصيغ الفعلية "رضي" و "رضوا" في قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة 22 وسياق المصدر "رضوان" كما ورد قبل الشاهد ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ

¹ على ما روي التفسير البياني الدكتور فاضل صالح السامرائي 281/1 النشر العلمي- جامعة الشارقة 1423هـ/2002م

سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ { التوبة 71 ما يدل على ضرورة الموالاة وأهميتها، لأنها تدفع المؤمنين إلى النصر على كل شر وباطل، وتجمع لهم الخصال الحميدة، لذلك بالغ في الرضا عنهم فقال: " ورضوان من الله " وعظمه بكلمة "أكبر" وأكد وعده بقوله "سيرحهم الله" لأن السين تؤكد وجود الرحمة لهم.

وفي الشاهدين قال "من الله" لعلو شأن المؤمنين، ولتعظيم الرضوان الذي بشروا به، بينما أشار إلى علو مكانتهم في نيلهم رضوانه بتبشيرهم إياهم بلا واسطة دالا على إحسانه إليهم بهدايتهم واصطفائهم، في قوله: { يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَجِيمٌ مُّقِيمٌ } التوبة 21 وسبب المبالغة في الرضا أو النعيم الروحي هنا هو فضل الجهاد إلى جانب تركهم المفاخرة، جاء في البحر المحيط: "لما كانت الأوصاف التي تحلوا بها وصاروا بها عبيده حقيقة هي ثلاثة: الإيمان والهجرة، والجهاد بالمال والنفس قوبلوا في التبشير بثلاثة: الرحمة، والرضوان، والجنات، فبدأ بالرحمة لأنها الوصف الأعم الناشئ عن تيسير الإيمان لهم، وثنى بالرضوان لأنه الغاية في إحسان الرب لعبده وهو مقابل الجهاد إذ هو بذل النفس والمال وقِّم على الجنات لأن رضا الله عن العبد أفضل من إسكانهم الجنة" ¹ ولذلك أخبر عنهم قبل الشاهد بقوله: "أعظم درجة عند الله" – تفضيلا لهم عن غيرهم – والسبب ما ادعاه اليهود من تفضيلهم على المؤمنين لأنهم أهل السقاية والعمارة، ولسبب نهيه المؤمنين عن موالاة الكافرين ولو كانوا ذوي قربى، ولذلك خص الشاهد بتقديم الرضوان على الجنات، وبتصريحه بالبشرى وتجدها عن طريق صيغة المضارع ليدل على تجدد السرور لهم، وتعاقب الخيرات عليهم، وبالعندية بعد إذ ترقوا إليها من العبدية، كما في قبل الشاهد وبعده، وذلك لأنهم جردوا أفعالهم لله فلم يفاخروا بها، ثم أشار إليهم بأداة البعد "أولئك" لعلو رتبته، وخصهم بالفوز بخير الدارين فقال:

¹ البحر المحيط 390/5

"هم الفائزون" وبقوله بعد الشاهد: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أْخَرٌ عَظِيمٌ ﴾ 22 فالسياق هنا زاد على الشاهدين قبله بأنه جمع الإيمان والهجرة والجهاد وفضلها على سقاية الحاج وعمارة البيت الحرام، وإخلاص ذلك لله تعالى، والبراء من الكافرين ولو كانوا أولي قربى.

ورد في المادة ر ض ا تسع صيغ، منها ست فعلية، وهي "رضي" و "رضوا" في كل منهما ثلاثة شواهد، وسياقها الإيمان والصدق والمباراة والوفاء بالعهد والخيرية، وغرضها ثبوت الرضا للمؤمنين وتحقيقه لهم.

وثلاث صيغ اسمية وهي "رضوان" وسياقاتها: الإيمان والهجرة والجهاد والمولاة والإخلاص وترك المفاخرة وصرف الشهوات والمكاثرة وحيازة المال وكل أمر للعبادة وابتغاء الأجر.

والغرض من المبالغة في الرضا، لأنه النعيم الروحي، وهو أعظم من إسكان الجنات ومن كل نعيم.

في مولاة المؤمنين بعضهم بعضا والجهاد في سبيل الله، ومجاهدة شهوات النفس، ناسبها الصيغة الأقوى في الدلالة، فلم يأت هنا رضي الفعل، ولا رضا ولا مرضاة وإنما جاء بالمصدر المزيد بالآلف والنون "رضوان".

يتميز هذا الفصل "توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير نعيم الجنة" بغلبة الصيغ الاسمية البالغ عددها 202 صيغة، أي هي ثلاثة أضعاف الصيغ الفعلية البالغ عددها 58 صيغة.

وهذا التفاوت العظيم فيما بين الصيغ الاسمية والفعلية لأجل المبالغة في وصف الجنة، لأن ذلك أوقع في التشويق إليها، والترغيب فيها، ولأن الحديث عن الجنة يفهم استع المؤمنين بها، لأنها منزلهم ومثواهم، وذلك أعظم أثرا في الحث على

الطاعات، والصبر على ما يوصل إليها لما ورد في الأثر: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات".¹

ولأجل القدرة في الأسماء والصفات على التوسع والتنوع في وصف النعيم، والجزاء، ودواعيه، وأسبابه، وألوانه، وقدرة الاسم على الدقة في تمييز الجزاء، لأن الذي يجازي له العدل المطلق، فعندما قال "غرفاً" ناسب بجمع التكسير النكرة الصبر على الهجرة، والجهد في سبيل الله، بينما كانت "غرفات" و "غرفة" في الإيمان والعمل الصالح.

والاسم في تنكيره، أو تعريفه، أو إضافته، أو تقديمه، أو تأخيريه، أو جمعه، أو إفراده، أو تثنيته، أو كان اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو فعيل، لكل منها وجه بلاغي خاص في وصف الجنة، لذلك كانت الصيغ الاسمية أنسب في وصف الجمال ومحاسن الجنة، مثل: "قاصرات" و "مقصورات" و "ناصرة" و "مفتحة" و "مستبشرة" و التنكير مثلاً ورد للتفخيم والتعظيم كما في "جنات" و "شراب" لكن إذا قيدت النكرات بالإضافة، دل ذلك على ألوان التشريف، والتنعيم، والتكريم، والعندية، والخلود، والنعيم الذي لا ينقضي، مثل "جنتي" فيه إعزاز النفس المؤمنة بإضافة الجنة إلى نفسه تعالى، ومثل "لرزقنا".

وإذا كان الاسم بدلاً مثل "عينا" لـ "زنجبيل" دل على الكثرة والوفرة، وإذا وصف الاسم دل على الاختلاف في الطباع والجثمان كما في "أزواج مطهرة".

وتميز هذا الفصل أيضاً في التنوع العددي، لاسيما في الأفراد والجمع، لأن التثنية كانت في أربع صيغ فقط.

¹ أخرجه الألباني على مسلم بحسب شرف أبو زكريا النوري كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها دار الخير 298/4 سنة النشر: 1416 هـ / 1996.

فإذا كانت الصيغة مفردة فهي في غرض التمثيل لغرابة الجنة، وصفاتها العجيبة، وتميزها عن أكل الدنيا، وظلها، وثمرها في اللذة والكنه، والحسن والطعم رغم اتحاد الأنواع. وإذا كانت مثناة فهي في غرض تكامل النعيم، وإحاطته بالمؤمن، مقابلا به إحاطة العذاب بالكافرين، وإذا كانت جمعا فهي في غرض تعدد النعيم لتعدد فعال المؤمنين، وليلد على الوفرة والكثرة، وليزيد به تندم الكافرين بازدياد نعيم المؤمنين.

وكان التعريف مع لفظ الجنس، وإرادة الجمع أقوى من التذكير ولفظ الجمع؛ لإفادته معنى العهد ونفي إرادة غيره معه، ولذلك وردت الصيغة المعرفة "الجنة" 45 مرة من أصل 125 صيغة، وحققت أغراضا متنوعة أكثر منها في حال تنكيرها، بينما كان عدد النكرات 21 صيغة من أصل 125 صيغة اسمية.

والصيغ الاسمية أكثر لأنها ساهمت في تحقيق أغراض هامة كالاستحقاق، والظرفية، والاستقرار، وملكية المؤمنين للجنة، وخلوصها لهم، وخلودهم فيها، وقصر الفوز عليهم، وتأکید الجزاء وثبوته لهم.

وتدل قوة المعنى في الأسماء والصفات على ثبوت وقوة الصفة في المؤمنين، أو في النعيم المعد لهم، مثل المصدر "رضوان" هو أبلغ في معنى الرضا من الصيغة الفعلية "رضي"، إضافة إلى قابلية الصيغة الاسمية "الوارثون" إلى معنى قصر وراثته الفردوس عليهم.

أما الصيغ الفعلية وعددها 58 فمنها 37 صيغة متعدية إلى اثنين؛ أي ناسب الجنة أفعال تمكن المؤمنين من الانتفاع بها، وهي المتعدية، ولذلك كانت الصيغ المتعدية إلى مفعولين أكثر مثل: أورثتموها، زوجناهم، سقاها، خلوا، يحلون، يسقون، بينما كان عدد صيغ الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد 16 من 58 صيغة.

اتضح النعيم الجثمانى فى الصيغ المتعدية إلى مفعولين، ثم فى المتعدية إلى مفعول، لأن نعيم الأبدان لابد وأن يقرن بالنعيم الروحى، فذلك من دواعى الإكرام؛ إذ فيه إتمام النعيم.

بينما ساهمت الصيغ الفعلية اللازمة فى إبراز النعيم الروحى مثل: رضى ورضوا، وهو فى عشرة صيغ.

أما صيغ الأمر وهى إحدى عشرة صيغة، فهى فى تشريف المؤمنين وتبجيلهم، وإكرام نزلهم كما يبجل الضيف فى نزله.

وفى البناء للمفعول 13 صيغة منها 8 بالمضارع، أفادت أغراضا مختلفة، مثل تجدد النعيم ودوامه، وازدياده، وعدم الإبطاء بالجزاء، وبيانته، وسهولته ويسره عليه تعالى.

الفصل الخامس

توجيه تنوع الصيغ في سياق تصوير عذاب النار

تمهيد:

العذاب قسيم الجزاء، ومقام الكفرة ومستقرهم، ونُزل عصاة المسلمين، إلى أن ينقضي أجلهم ويخرجون منها.

للعذاب نوعان كما هو الأمر في النعيم، روحيّ وجثماني، وردا في مختلف الصريح، وربما اشتركا معا في شاهد واحد.

وهذا الفصل كسابقه طويل بالنسبة لباقي فصول البحث، وربما دل هذا على الاستمرار والخلود في العقاب، وكذلك كان مبحث العذاب هو أطول المباحث كما كان مبحث الجنة هو الأطول في فصله.

يشمل هذا الفصل خمسة مباحث وسبع مسائل، حاولت ترتيبها كما هو المتوقع حدوثها يومئذ، وهي كالتالي:

المبحث الأول: العذاب

مسألة: في إلقاء الكافرين في النار

مسألة: في دخول الكافرين النار

المبحث الثاني: صلي الكافرين النار

المبحث الثالث: ذوق العذاب

مسألة: في أكل أصحاب النار

مسألة: في سقيا أهل النار

مسألة: في حميم النار

مسألة: في اسوداد وجوه أصحاب النار

المبحث الرابع: لعن أهل النار

مسألة: في انتفاء معذرة أهل النار

المبحث الخامس: الخروج من النار

المبحث الأول : العذاب

العذب من الماء هو البارد الطيب، والعذاب يطلق على الإيذاء الشديد، قال الأصمغاني: "التعذيب في الأصل هو حمل الإنسان أن يعذب أي يجوع ويسهر، وقيل أصله من العذب، عذبه أي أزلت عذب حياته، وقيل أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط، أي: طرقها، وقيل ماء عذب إذا كان فيه قذى وكدر فيكون عذبه، أي: كدّرت عيشه"¹

تنوعت الصيغ في المادة ع ذ ب بين الفعلية والاسمية، ففي الزمن المضارع ورد بهمزة المضارعة الفعل "أعذبهم" وبياء المضارعة "يعذب" و "يعذبكم" و "يعذبه" و "يعذبهم" وفي الشواهد اقترن الفعل بالاسم "عذاب" إلا في شاهد واحد من أصل ثمانية شواهد.

أما الصيغ الاسمية فهي في اسم المفعول "معذبين" وفي كلمة "عذاب" وقد تكون نكرة أو معرفة بال التعريف، أو بالإضافة إلى الاسم مثل: "عذاب جهنم" أو بالإضافة إلى الضمير مثل: "عذابي"، وفيما يلي عرض لهذه الشواهد، ولأن شواهد هذه المادة كثيرة سوف اكتفي بذكر نماذج لكل نوع من أنواع الصيغ، أما باقي الآيات فهي ضمن ثبت خاص في آخر البحث.

أولاً: الصيغ الفعلية :

أَلْ عَمْرَأَن (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) 56

¹ معر دال ، تحريث القرآن 555

في سورة الكهف ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَنُوفُ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا
نَّكَرًا﴾ 87

ثانيا: الصيغ الاسمية :

أ- اسم المفعول:

في سورة الشعراء ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ 213

ب- الاسم المفعول بال:

في الجملة الاسمية :

في سورة الصافات ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ 33

في سورة طه ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ 48

في الجملة الفعلية :

في سورة يونس ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ 97

في سورة البقرة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْتَظِرُونَ﴾ 162

ج- الصيغ المعرفة بالإضافة:

1- التعريف بإضافة الاسم :

في الجملة الاسمية :

في سورة البروج ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ

جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ 10

في سورة الزخرف ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ 3

2- التعريف بإضافة الضمير:

في الجملة الاسمية:

في سورة إبراهيم ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ﴾ 7

في سورة الفرقان ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ 65

في الجملة الفعلية:

في سورة يونس ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ 52

في سورة الحج ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ 4
د- النكرة

في الجملة الاسمية:

في سورة النحل ﴿ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَ لِيُظْهِرَهُمُ النَّارُ لَلِئِيمِ﴾ 63

في سورة النحل ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 117

في الجملة الفعلية:

في سورة فصلت ﴿فَلَنُذِيقَنَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ 27

في سورة الإنسان ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ 31

اشترك في العذاب المشروط بالتولي والإعراض المضارع المتصل بالضمير، وهو "يعذبهم" أو "يعذبه" واقتترانه بالاسم الموصوف "عذابا أليما" والمضارع في الشواهد جميعها غرضه التهديد والوعيد، ففي قوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الفتح 16 وهو في وعيد من تولى عن واجب القتال والجهاد، وأكد بالاسم

"عذابا أليما" لتضاعف ذنبهم، لأنهم تولوا يوم الحديبية من قبل، والتكثير للتفخيم، وقال "أليما" وهو فعيل بمعنى فاعل أي مؤلم أي لا يقادر قدره، ولأنه قابل به الأجر الحسن، وهو إدخالهم الجنة فيكون العذاب الأليم هو في دخولهم النار، كما في الشاهد: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا) الفتح 17.

أما العذاب المشروط بالتولي والإعراض عن التوبة فهو في قوله: (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَا بِمَا لَمْ يَنْتَهِوا وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) التوبة 74 هو في تهديد ووعد المنافقين ذوي الأيمان الكاذبة، وفائدة الاسم تأكيد العقاب لهم، لأنهم أكدوا نفيهم قول الكفر بحلفهم الكاذب، وكفروا بعد إسلامهم، فتضاعف جرمهم؛ وقابل بتعذيبهم الأليم هنا بقوله: (فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ) فالعذاب مشروط بالإعراض عن التوبة من الكفر والنفاق.

أما العذاب المقرون بالمشينة فلم يتصل الفعل فيه بالضمير إلا في شاهد واحد وهو: (وَأَخْرَجُوا مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة 106 هو في نفر تخلفوا عن الجهاد لا نفاقا منهم ولا كراهية له، وأفادت الصيغة "يعذبهم" أن أمرهم موقوف حتى يقضي الله بهم ما يريد. وهنا لم تعلق توبتهم، وبعد خمسين ليلة تاب الله عليهم، ولم تذكر في الآية كلمة "يشاء" كما ذكرت في قوله: (وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. رَحِيمٌ) آل عمران 129 فهو في نفي سحابة العباد في العذاب والمغفرة، فالله يقضي بحكمته وعدله ورحمته، ولا بد المقام من الصيغة الملانمة لمعنى التصرف وإطلاق المشينة لمالك الملك، والصيغة تتعلق بالإرادة ولم تكن إلا الفعلية، وهي بالمضارع لتعلق مشيئته

تعالى بالمغفرة أو العذاب في الزمن المستقبل، ونظيره قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الفتح 14 وقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوا يُخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة 284 وقوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة 18 وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة 40 وقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ العنكبوت 21.

أما قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ الكهف 87 فسياقه في إرشاد قريش إلى الإقرار بالبعث، والصيغة الفعلية بينت نكال الله فيمن كفر، وأفادت التتميم للعذاب، لأن عقوبة ذي القرنين كانت عذابا دنيويا مؤقتا وصاحبه مستحق لما هو أشد ولذلك ورد الاسم بعدها نكرة وهو "عذابا" لتمييز عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا أي عذابا لم يعهد مثله، لأنه قال في عذاب الدنيا "نعذبه" دون ذكر المفعول ثم وصفه بكلمة نكرا أي غير معروف أو مألوف، وهو فوق مدارك الناس وطاقتهم، يقول الشعراوي: "الشيء النكر هو الذي لا نعرفه، ولا عهد لنا به أو ألفه، لأننا حينما نعذب في الدنيا نعذب بفطرتنا وطاقتنا، أما عذاب الله فهو شيء لا نعرفه، وفوق مداركنا وإمكاناتنا"¹ بينما قال في سورة الغاشية: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ 24 بتعريف الاسم مع أن السياق في التولي عن الذكر والكفر معا في قوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ 23 ما يدل على أن النكرة أشد في وصف العذاب وأعظم؛ لأن سياقها الظلم وهو يشمل عبادة غير الله، والتولي، وكفر النعم وكل أشكال المعصية ولأنه وصفها بـ "نكرا" أي لا يحيط بهذا العذاب وصف، ولا يتصور كنهه، أما

¹ تفسير الشعراوي ص 291

في قوله: "العذب الأكبر" فهو في مقابلة عذاب الدنيا، وهو العذاب الأصغر، أي حدث نوع تصور لما هيته.

أما قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب 73 فالصيغة جاءت فيه فعلية لإفادة ترتب الجزاء على العمل، أي بعد عرض الأمانة يظهر نفاق المنافقين وشرك المشركين ليعذبهم الله.

وبهمزة المضارعة ورد شاهد واحد وهو: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ آل عمران 56 وسياقه رد الأمر والحكم لله، وغرض الهمزة بيان قدرته تعالى ترهيبا للكافرين من النار، وترغيبا للمؤمنين بالجنة.

الصيغة الاسمية:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ الشعراء 213 سياقه في "سماع القرآن وتدبره، والنهي عن عبادة غير الله تعالى، واسم المفعول "المعذبين" أفاد يسر أمر تعذيب المشركين وسهولته، لأنه دل على الفاعل وهو القاهر والقوي القادر على ما يشاء ويريد.

والأمر الذي في السياق هو للنبي صلى الله عليه وسلم- لكنه لأفراد أمته، وذلك لأجل المبالغة في الإنذار والوعيد والزجر؛ لأنه إذا خاطب به المعصوم عن الشرك، فهو لغيره من باب الأولى؛ أي حدث اهتمام بشخص المنهيين عن الشرك، وهو أحد معاني اسم المفعول، قال البقاعي: "خاطب نبيه عليه الصلاة والسلام وهو أكرم الخلق لديه وأعزهم عليه، ليكون لطفا لغيره فيما يأتيه عن

الإنذار فيكون الوعيد أزجر له ويكون هو له أقبل"¹ ولما وصف الشياطين باسم المفعول في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴾ الشعراء 212 لصفات في ذواتهم، إنه أتى بالصيغة "المعذبين" ملائمة لحالهم، ولأنه من سمع القرآن وتدبره هو في أشد المباينة لهم، وفيه تعريض للمشركين بتعذيبهم يومئذ؛ ما يفيد معنى الاستقبال وهو أحد معاني اسم المفعول، قال ابن عاشور: "المقصود من مثل ذلك الخطاب غيره ممن يبلغه الخطاب، وهذا تعريض بالمشركين أنهم سيعذبون للعلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه غير مشركين"².

المعرف بآل :

وردت الصيغة المعرفة بآل "العذاب" في الجملة الاسمية في سياق الاشتراك في العذاب للغاوين والمغويين، وانتفاء الأعداء منهم، وذلك كما في الشاهدين: ﴿ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ الصافات 33 وقوله: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ الزخرف 39.

وجاء المعرف بآل في سياق الإحاطة بالمجرمين عن طريق أداة الظرفية، وملازمته للعذاب كونهم محضرين فيه، كما في قوله: ﴿ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴾ الروم 16 وفي قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴾ سبأ 38.

وفي سياق الخلود في النار للكافرين كما في قوله: ﴿ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ المائدة 80 وللتهمك بالمنافقين، والفصل بينهم وبين المؤمنين، كما في قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَاهِ الْعَذَابُ ﴾ الحديد 13.

¹ نظم الدرر 99\6

² التحرير والتوير 229\10

وفى سياق التوكيد في الوعيد، كما في قوله: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ طه 48 وقوله: ﴿ إِنَّا كُنْزُ الْعَذَابِ الْإِلِيمِ ﴾ الصافات 38.

أما ال التعريف في الشواهد فهي للعهد، أو للعذاب المعهود، بوصفه التام الحق الكامل الجامع لكل عذاب، ومعهود للملائكة ولمن دخلها، ومعهود في عالم الحق، ولذلك وردت النكرة في الوعيد والإنذار أكثر، والمعرف بال العهد جاء في وصف حال أصحاب النار، في اشتراكهم في العذاب، وإحاطته بهم، وخلودهم فيه.. بينما كان في الوعيد شاهد واحد.

أما في الجملة الفعلية فقد وردت الصيغة المعرفة بال في سياق بيان جهنم التي سبق ذكرها قبل الشاهد قال: ﴿ أَلْقَيْنَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ 24 فالتعريف والوصف للعذاب سببهما الإصرار على الكفر، سيما مجيء الشاهد مع الفعل المؤكد لفظيا "ألقيا" فهنا العذاب بلغ الغاية في الشدة، وهو في قوله: ﴿ فَأَلْقَيْنَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ 26.

أما المعرف بال الذي جاء مع أفعال التفضيل فقد ورد مع الرد إلى العذاب في سياق الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، وذلك له عقابان: الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة، ولذلك أتى بأفعال التفضيل للمقارنة بينهما، ولأن عذاب جهنم هو أشد من أي عذاب، فلم يقل هنا العذاب الشديد، والشاهد هو: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِينِكُمْ يُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ وَعَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمُ اسْتِزَارٌ فَقَادُواهُمْ وَهُمْ مُّحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة 85 أي ناسب عقابهم بأقصى العذاب، ونظيره قوله: ﴿ ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر 46 إذ ورد بعد عرض أرواحهم على النار في الغداة والعشي إلى

يوم القيامة، بعد ذلك لهم عذاب أشد من عذاب الروح أو عذاب القبر وهو عذابهم في النار.

وفي ذوق العذاب ورد المعرف بآل لدى سياقات متعددة، وهي الكفر بعد الإيمان، والتكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها، والافتراء على الله الكذب، وفي سياق إذاقتهم العذاب الأدنى وهو الخذلان في الدنيا رجاء توبتهم من الكفر، ولذلك ورد الشاهد موصوفا بكلمة "الأكبر" وتلك الذنوب ناسبتها الصيغة المعرفة بآل الدالة على نوعي العقاب المعنوي والحسي، لأن التهكم بالمكذابين شغل الشواهد جميعها من خلال الصيغتين "ذوقوا" أو "ليذوقوا" ولأن عذابهم في الدنيا قد يقتصر على الخزي والهوان، فال تعريف في سياقات ذوق العذاب شملت الذل والصغار لهم إلى جانب مقاساتهم في نيل العذاب، والشواهد هي: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأحقاف 34، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأنعام 30، وقوله: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ الأعراف 39 وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ آل عمران 106 وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء 56.

أما المعرف بآل في سياقات رؤية العذاب فهو في العقاب المعنوي، وقد تناولت، تخاصم أصحاب النار، وتبرؤ بعضهم من بعض، وتندمهم وتمنيهم الرجوع إلى الدنيا، وعجزهم عن فداء أنفسهم، وتحيرهم إذ لم تستجب الآلهة لهم، وفي سياق استمرارهم على الغواية رغم وضوح الأدلة حتى رأوا العذاب

وأمنوا به، وفي سياق أنهم الأثيت في الضلالة لدى إقامة الحجة عليهم لما رأوا العذاب، أي هو العذاب الروحي، فال التعريف في هذه السياقات دالة على عذاب من نوع خاص، استبعدت معه العذاب للأبدان بغية المبالغة في الإيلاء النفسي، وإنه لأشد من حرقهم واستعارهم في النار، وهو في ثمانية شواهد، كما في قوله: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ الفرقان 42 وقوله: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ البقرة 166 وقوله: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ القصص 64 وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يونس 54 وقوله: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يونس 97 وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ الشعراء 201 وقوله: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الزمر 58 وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَاعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْقَابِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سبأ 33.

أما نفي تخفيف العذاب، وغشيانه للكافرين فيساقه عبادة غير الله والموت على الكفر والتكذيب بآيات الله، وفي إثارة الدنيا على الآخرة، وفائدة ال التعريف هي الدلالة على أنه العذاب التام الحق لا غيره، وهو في ثلاثة شواهد وهي، قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة 86، وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ 162 وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ آل عمران 88.

أما مس العذاب لهم، واشتراؤهم له بالمغفرة، ومجازاتهم به، فسياقاتها متقاربة، وهي التأكيد بآيات الله في ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأنعام 49 وكتمان ما أنزل الله في ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة 135 والإعراض عن آيات الله في ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام 157 وهنا أضيفت الصيغة لطول في السياق يختلف عن نظائره، فزاد على الإعراض عن آيات الله والذي عبر عنه بكلمة "يصدقون" زاد عليه تماديهم في الاقتراح على ربهم وهو لو أنزل عليهم وحيا لكانوا أهدى من المؤمنين، فقابلهم بالحجة وأبطل زعمهم، وأضاف كلمة "سوء" إلى العذاب وقد ناسب بينها وبين الفعل بزيادة السين عليه لتأكيد وقوعه وقربه وهو "سنجزى" وتلك الإضافة والزيادة لاءما ما ورد في السياق من تماد في العصيان، وتطول وإعراض عن آيات الله، فخص الشاهد هنا بالتعبير عنه بالسوء ليبطل ما نسبوا لأنفسهم من حسن الظن بها لما توقعوا هدايتهم لو أنزل عليهم الكتاب؛ فأراد بيان الحق وإظهاره بأن هؤلاء لا يهتدون بل "سوء العذاب" جزاؤهم، أما إضافة "أشد" إلى "العذاب" في الشاهدين السابقين، فإن معنى الشدة ناسب القتل وسفك الدماء، وفي الشاهد الثاني ناسب بطش آل فرعون بالمؤمنين.

وفي جوب وقوع العذاب ورد قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ خَوْفٌ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ الحج 18 وهو في سياق تفرد تعالي بالألوهية، وأل التعريف هنا هي للعهد، ولما كان السياق في مقابلة بين الكافرين وبين أصحاب جهنم أضاف

لفظ "كلمة" إلى "العذاب" وهو في قوله : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ رُمًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿الزمر 71﴾.

أي الإضافة ناسبت الإقرار والاعتراف.

المعرف بالإضافة :

أولا الجملة الاسمية: المعرف بإضافة الاسم

1- استحقاق العذاب، وسياقه مشاققة الكافرين لله ورسوله، في قوله: ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ ﴾ الأنفال 14 وفائدة إضافة الاسم تعريف العذاب لهم أي هو من نوع آخر، لأنه عذبهم في الدنيا بتسليط المؤمنين عليهم بالقتل، ولذلك، التفت إليهم بالخطاب، ثم أظهر موقع الإضمار ليعم بتوعده الكافرين كلهم، وإن لم تظهر مشاققتهم، وهو ما يناسب الاسم المضاف "النار" لأنها عذاب يشمل كل من حق عليه العذاب، بخلاف الجحيم أو جهنم، ونظيره الشاهد من سورة الحشر ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ 3 وهو كذلك بعد إهانة الكافرين وأخذهم بإلقاء الفرع في قلوبهم وتخريب بيوتهم، توعدهم بعذاب آخر وعرفه لهم بإضافته إلى كلمة "النار" للتمييز بين ما نالهم في الدنيا من عذاب، وبين ما هو أشد ينتظرهم في الآخرة.

في سياقات الشواهد المضافة هناك تركيب أو زيادة تقتضي تلك الإضافة، كما في الشاهد الأول وسياقه في أمر المؤمنين بالجهاد، والصبر عليه مع اليقين بالنصر والتأييد؛ وهذا فيه عذاب للكافرين، وأن لهم عقاباً آخر يومئذ، فهو سياق مركب من معان عدة، ناسبت الإضافة إلى الصيغة إلى جانب اسمية الجملة، وذلك في قوله: ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ ﴾ الأنفال 14، فإن إضافة

الاسم "النار" إلى كلمة عذاب أفاد عذابا آخر وهو ما كان بنصر المؤمنين وتأييدهم على الكافرين في الدنيا، فالتعريف بالإضافة ناسب التركيب في السياق، ونظيره الشواهد الواردة عقب إذاقتهم الخزي بالأخذ والعقاب في الدنيا كما في ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر 26 وفي ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ فصلت 16 وفي ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ الطور 7 وفي ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ القلم 33 ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ الرعد 34 وفيها أضيفت الصيغة إلى لفظ "الآخرة" أي عذاب في الآخرة، والشواهد ورد بعد أخذهم بالعذاب، ولذلك كان وصف عذاب الآخرة كله بأفعل التفضيل وهو في الكلمات التالية: "أشقى" و "أشد وأبقى" و "أخزى" و "أكبر" وهو في شاهدين.

وفي سياق الاستحقاق للعذاب كذلك ورد مضافا إلى الاسم الشاهد في قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الملك 6 وفيه توعدهم للشياطين المستترقين للسمع بالعذاب، واستحقاقهم له، وتعميمه عليهم، أما فائدة التعريف عن طريق إضافة الاسم "جهنم" فلما وصفها به من فورانها وغلوانها حيث شبه حسيستها الفظيع بالشهيق وهي مغتظة على من فيها تغلى بهم بشدة "أي الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والغضب لا للمعذب من الخلاص منها مسلك ولا رجاء بل كلما طال الزمن تلقته بالشدة والامتداد" أي الذي اقتضى الإضافة إلى الاسم هو ما ورد في السياق من عدم انتفاع الشياطين من دلائل الإيمان حيث حرك فيهم التأمل فيها، لكنهم كفروا وزادوا على كفرهم استراقهم السمع، ولذلك قدم الجار والمجرور وبدأ الكلام بهم، ونظيره قوله : ﴿لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرِيقِ﴾ البروج 10 فهم استحقوا "عذاب جهنم" لكفرهم

واسحقوا "عذاب الحريق" لتعذيبهم المؤمنين والمؤمنات بحرقهم بالنار بعد لقائهم في الأخدود.

وهنا تمت الإضافة في شاهدين إلى كلمة "النار" وهما : ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ ﴾ الحشر 3 مكررة وفي قوله: "وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ" الأنفال 14 وشاهدان تمت الإضافة فيهما إلى كلمة "جهنم" وهما : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الملك 6 و ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ البروج 10 وشاهد واحد تمت الإضافة فيه إلى كلمة "الحريق".

2- وفي سياق الوعاء والظرفية وردت إضافة الصيغة إلى كلمة "جهنم" في قوله : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ الزخرف 74 وسياقه توعد المشركين بالنار، ووصفهم باسم الفاعل لعراقتهم في الإجرام وهو الشرك بالله، وتكذيب نبيهم ولمزهم، ولذلك أضاف كلمة "جهنم" إلى الصيغة "أي النار التي من شأنها لقاء داخلها بالتجهم والكراهة والعبوسة كما كان يعمل عند قطعه لأوليائه الله تعالى" ¹ وهي محيطة بهم إحاطة الظرف بالمظروف، لأن الإجرام طبع لهم لا ينفك عنهم، وبدأ الكلام بـ "إِنَّ" اهتماما بحالهم، وتأكيذا لعقابهم، وقال "خالدون" إتماما لمعنى إحاطة العذاب بهم، ووصف النار بأنها لا يعتريها أي نوع من الضعف والتغيير كما هو شأن النار في الدنيا، وذكر إبلасهم في العذاب، وهو سكون اليأس من الخلاص والنجاة.

3- وفي الترهيب والوعيد ورد شاهد واحد بإضافته الصيغة إلى لفظ الجلالة لأنه ذكر مجادلتهم في الله بغير علم، ولأن السياق في زلزلة الأرض، وأهوال الساعة العظيمة، وبها حصل العذاب بالفرع وغيرها من ذهاب العقول والذهول، فنسب إلى نفسه تعالى، فقال : ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ الحج 2 ووصفه ببالغ الشدة ليلائم كرب قيام الساعة.

4- وفي التبويض للعذاب، والإشفاق منه، ورد قوله : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَذَابًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إبراهيم 21 وسياقه استحكام اليأس في نفوس الضعفاء من نفع المستكبرين لهم يوم القيامة، لذلك وردت الجملة الاسمية، وأتى باسم الفاعل "معدون" لتيقنهم أن متبوعهم عاجزون عن إغنائهم، والسر في إضافة لفظ الجلالة أن السياق في محكمة إلهية ومقالة بين المحكومين، بعد بروزهم إليه تعالى ووقوفهم أمامه للقضاء والحكم فيهم، وتعليقهم الهداية به في قولهم "لو هدانا الله لهديناكم" ونفيهم المهرب والخلاص في قولهم "مالنا من محيص" يؤكد معنى كمال الألوهية له، فمن ذا ينفذ من أقطار ملكوته تعالى.

5- وفي الويل من العذاب ورد شاهد بإضافته إلى الظرف "يوم" ووصفه بـ "اليم" وهو : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ﴾ الزخرف 65 سياقه في اختلاف الأحزاب من بني إسرائيل في عيسى -عليه السلام- مما أدى إلى وصفهم بالظلم، فتوعدهم بالعذاب وأضاف إلى كلمة "يوم" لأنهم أنكروا البعث وجادوا في شأنه، كما ورد في السياق : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الزخرف 66.

6- وفي سياق تأكيد وقوع العذاب، والتعليل للدعاء بالنجاة منه وردت الصيغة "عذاب" مضافة إلى كلمة "رب" المضافة إلى الضمير حسب سياق كل شاهد، ففي قوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ الطور 7 أضيفت الصيغة إلى كلمة "ربك" لأنها في سياق تسليية النبي -صلى الله عليه وسلم- ووعدته بإبطال أكاذيبهم فيه، وبتأييده ونصره عليهم، فأقسم سبحانه بوقوع العذاب لهم.

وفي قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ الإسراء 57 سياقه فيمن آله الأصنام أو الملائكة أو المسيح وعزير، وهكذا إضافة الصيغة إلى كلمة "ربك" إبلاغا بإحسانه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدم أخذ قومه المشركين، قال

الزمخشري: "(إن عذاب ربك) أي المحسن إليك برفع انتقام الاستئصال منه عن أملاكك "كان" كونا ملازما له "محذورا" أي جديرا بأن يحذر كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم، لما شوهده من إهلاكه للقرون ومن صناديده العظيمة".¹

أما قوله: (إن عذاب ربهم غير مأمون) المعارج 28 أي هم على اجتهدهم في الحركات كما في السياق: (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَخْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّتَ الَّذِينَ (٢٦) الْمَعْرَاجِ فهم على طمعهم في مثوبة الآخرة خائفون مشفقون من عذاب الله. والسر في إضافة الصيغة إلى كلمة "ربهم" هو كما قال البيضاوي: "(إن عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأس من عذاب الله وإن بالغ في طاعته"² فعلى العبد أن يترجح بين الخوف والرجاء. ونظيره قوله: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) الفرقان 65 فهم على اجتهدهم في العبادة خائفون يدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم، وإضافة الصيغة إلى الضمير لأجل التعليل لدعائهم بالنجاة من العذاب، أي لأن عذابها هلاك وخسران لازم، كما ورد في السياق (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) 66.

الاسم المعرف في الجملة الفعلية:

ورد في ذوق العذاب إضافة الصيغة إلى الاسم داخل الجملة الفعلية في تسعة شواهد، اثنان منها أضيفا إلى كلمة "الخلد" في سياق نسيان الآخرة، قال: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) السجدة 14 أي طلبوا الرجوع إلى الدنيا وهو محال إشارة إلى خلودهم في النار.

¹ تفسير الشافعي 451/11

² تفسير البيضاوي 2/45/5

وفي سياق استعجالهم العذاب تعجيزا وإنكارا له، أي كان اعتراضهم في زمن وقو ٤٠، فكان المناسب إضافة كلمة الخلد إلى الصيغة، وقد ناسب في ذكر وقتي الليل والنهار كما هو قبل الشاهد : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَغْلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يونس 50.

وأضيفت الصيغة إلى كلمة "النار" في سياق الظلم بعبادة غير الله، والفسوق أو الخروج عن دائرة الانقياد والإذعان للحق، وذلك في الشاهدين : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ السجدة 20 وقوله : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ سبأ 42 والشرك الذي حصل منهم بعبادتهم الجن والملائكة. وفي ذوق العذاب أيضا أضاف "الحريق" إلى "عذاب" لكن سياقاته مختلفة وهو في ثلاثة شواهد، فقد جاء في الجدل في الله أي في قدرته تعالى بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، مع الإعراض والتكبر، كما في قوله : ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾ الحج 9 وفي عدم السجود لله جحدوا من الذين تخاصموا في ربهم ثم هم كفروا بعد ذلك، قال : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾ الحج 22 وفي التطاول في الافتراء على الله الكذب، قال : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾ آل عمران 181 في هذه الشواهد اختار إضافة كلمة "الحريق" لأن ذنوبهم كانت في حق الله تعالى، أي جادلوا في قدرته تكبرا وإعراضا، ثم هم كفروا بعد أن تنازعوا في الله وامتنعوا عن السجود له، ونسبوا إليه الفقر سبحانه، فناسب هنا الإضافة إلى "الحريق" أي بالغ في الإحراق، ولم يضاف "النار" هنا "لأن النار تقال للهب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة، ولنار

جهنم، والنار والنور من أصل واحد وكثيرا ما يتلازمان، لكن النار متاع للمقوين في الدنيا، والنور متاع لهم في الآخرة¹ ففي معنى "الحريق" زيادة في العذاب أشد من النار، والذي يجادل في الله تكبرا وإعراضا "يجعله يحس بال ألم العذاب بالحريق كما يحس الذائق بالشيء كما أحرق قلوب المهتدين بجداله بالباطل"².

وفي شاهد أضاف "السعير" إلى "عذاب"، وسياقه الإنابة إلى الله، وممن أنابوا إليه داوود عليه السلام وقد وافقته الجمادات والطيور، بالتسبيح، فكان من لم ينب هو أشد قسوة من الحجارة، ولأنه نسب إلى نفسه في قوله : (وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِهِ إِذْ يَنْصَرِفُونَ) عذاب السعير³ 12 تشديدا في الوعيد، فناسب إضافة "السعير" إلى "عذاب" فهو أبلغ من "النار" و"الحريق" و"السعير" هي فعيل بمعنى مفعول، أي نار مسعورة ملتهبة ومهيجة، فالسعر هو التهاب النار واشتعالها، أما "حرق الشيء فهو إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب، كحرق الثوب بالدق، وحرق الشيء إذا برده بالمبرد، وماء خرق يحرق بملوحته"³ فالزيف عن الحق ناسبه إضافة "السعير" ثم ناسب بينه وبين إذابة النحاس وإلانة الحديد، لأن الاستعار أشد من الإحراق، زيادة في الترهيب من العذاب، وحيثما ذكرت الجن ورد الوعيد بالسعير لمن كفر منها، أو العذاب بالنار أو بـ "جهنم".

ومن هذه الكلمات المضافة إلى "عذاب" وهي "الخلد" و "النار" و "الحريق" و "السعير" يظهر ربطها بمعنى ذوق العذاب، لأن في حرق الأبدان ينعدم الشعور بالألم، مما ينفي عذابها، لكنه يومئذ يتجدد الألم كما لو كان للمرة الأولى وهو معنى الذوق للعذاب، ولذلك كان نصيب إضافة كلمة "الحريق" إلى الصيغة هو الأكثر فجاء في ثلاثة شواهد، ثم تلاه الإضافة إلى الكلمتين "الخلد" الذي يلائم استمرار العذاب في تجدد الشعور به، و"النار" التي تلائم معنى ذوق

¹ معر داء : ترويت القرآن 828/1

² نظم القرآن 1683

³ معر داء : ترويت القرآن 229/1

العذاب لأن الإحراق يتم بها، وأخيراً الإضافة إلى السعير في شاهد واحد والذي يدل على التهاب النار وتاججها.

والإضافة إلى الاسم داخل الجملة الفعلية ورد في الاضطرار إلى العذاب، وسياقه الكفر وهو في قوله : ﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُشْسِ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة 126 وفي الاهتداء إلى العذاب، وسياقه الجدل في الله وانتباع خطوات الشيطان وهو في قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ الحج 4 وفي إعداد العذاب للكافرين، وسياقه الكفر ورجم الشياطين المسترقة للسمع بالشهب وإحراقها وهو في قوله : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ الملك 5 فالإضافة إلى "السعير" هي في موالاة الشيطان، وفي وعيد الجن المسترقة للسمع، بينما الإضافة إلى "النار" فسياقها الكفر، وفي "السعير" مبالغة في العذاب.

وفي صبب العذاب في قوله : ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ الدخان 48 والحميم ما تنهى حره من ماء جهنم، فهو لما شبه شجرة الزقوم وهي طعام الأثيم بالمهل وهو دردي الزيت، وأنه يغلي في بطون الكافرين، أضاف هنا "الحميم" إلى "عذاب" لأنه أراد إحاطة العذاب بالكافر، أو الأثيم وهو كثير الآثام، تهكماً به، ومبالغة في وعيده، لشركه وإنكاره البعث، والإضافة هنا للتخفيف عن طريق حذف الضمير هو لأنها في سياق المبالغة في العذاب، قال البيضاوي: "كان أصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم، فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة، ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف"¹ وهنا أتى بـ "من" لإفادة نوع المصبوب من العذاب.

أما الافتداء من العذاب ففيه شاهد واحد كذلك وهو: (يُبَصِّرُوهُمْ يَوْمَ الْمُخْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِنِ بْنِيهِ) المعارج 11 وإضافة العذاب إلى "يومئذ" لاهتمام السياق بذكر اليوم الآخر، ووصفه، وما يكون فيه من أهوال، ومقداره، وقربه، وهو في ثبوت وتأکید البعث.

وفي الجزاء ورد شاهدان الأول في قوله: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) الأحقاف 20 وسياقه استيفاء الكافرين ما لهم من الطيبات في الدنيا، ولم يبق لهم إلا سوء الجزاء، وسببه الاستكبار في الأرض والفسوق، فناسب هنا ذكر "الهُون" وهو الذل وإضافته إلى العذاب من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، ونظيره: (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) الأنعام 93 لكنه لدى قبض الأرواح، وسياقه الاستكبار عن آيات الله، والافتراء على الله الكذب، وفي الشاهدين ناسب بين الفعل المبني للمجهول "تجزون" وبين كلمة "الهُون" لإفادته معنى التحقير والذل للكافرين.

وفي سن العذاب ورد قوله: (وَلَنِ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) الأنبياء 46 وسياقه عدم انتفاع المشركين من الإنذار، والتبعض أفاد شدة ضعفهم وأنه لا قوة لهم يومئذ، لأنهم أعرضوا عن الإنذار وهم في قوة، ولما مسهم أدنى ما أذروا به وهي الراحة اليسيرة من العذاب وقد شغلهم قدر هذه الراحة عن كبرهم، فاعترفوا بضعفهم وإجرامهم، وفائدة الإضافة إلى كلمة "ربك" هي بيان إحسانه تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم- بنصره عليهم.

المعرف بإضافة الضمير

وردت إضافة الضمير إلى الصيغة "عذاب" في الجملة الاسمية، كما في قوله: (وَإِذْ نَادَى رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) إبراهيم 7

وسبأه جحود قوم موسى - عليه السلام - وكان عليهم شكر ربهم بعد إذ نجاهم من العذاب، ولأجله أتى بكلمة "كفرتم" عوضاً عن الكفران الذي يقابل الشكر؛ تغليظاً لذنبهم، وعدل عن الجملة الفعلية إلى الاسمية في قوله : ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وهي الجملة المقابلة لقوله : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فالأصل لأعذبكم، وكان الاستغناء بالجملة الاسمية "لكونه أعم وأوجز، ولكون إفادة الوعيد بضرب من التعريض أوقع في النفس، والمعنى إن عذابي لشديد لمن كفر فأنتم إذن منهم" ولذلك كانت العبارة مؤكدة بأن وباللام الداخلة على الخبر، وأكد تشديد الصيغة "تأذن" أي أعلم ربكم إعلاما بتأكيد منه، وأضاف كلمة "عذاب" إلى نفسه تعالى؛ لأن أعظم الكفر جحود المنعم الخالق، وعبادة غيره معه، وهذا التأكيد ناسب كفران النعمة؛ لأن حال من كفر أنعم الله إما منكر، أو بطر أشر مستهزئ متعاقل عن حق الله عليه من الشكر.

وفائدة إضافة الضمير كذلك للتنبيه على أن ما ملكه العباد هو منه سبحانه فهو الواهب للنعم كلها، المستحق للشكر، وإن كان كفر العباد لا يضره شيئاً كما ورد بعد الشاهد: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ٨٤ فالجملة الاسمية وإضافة الضمير وردا في سياق مركب من الكفر والجحود معاً وأفادا أغراضاً لم تكن تأتي بها الجملة الفعلية، أو إضافة الاسم إلى "عذاب" إذ به حصل الربط بين النعم والمنعم، وفي نسبة العذاب إليه المبالغة في الذر هيب منه.

ونظيره قوله: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ الحجر 50 وسياقه في المعصية والجحود، وفي الشاهد إنذار للغاوين ولمن ضل معهم، لأن في تمرد إبليس وإضلاله للناس خروج عن طاعة ربه، وثماد في الكفر، فكان المناسب إضافة باء المنكلم إلى الصيغة، لتعنيف العاصي المتمرد المتحدي وزجره، وقد ورد في

السياق استكباره وامتناعه عن السجود لأدم - عليه السلام - فأتى بالصيغة التي تفيد تحقير ذلك المتكبر أمام أخذ الجبار إذ توعدّه بإضافة العذاب إلى نفسه تعالى، ولأنه عزف الصيغة بإضافة ياء المتكلم ناسب أن يكون الخبر معزفاً، وفائدة الوصف بـ "أليم" وهو فعيل بمعنى اسم الفاعل مؤلم أي كل عذاب هو دونه في الألم، فهو المؤلم حقاً ولا عذاب يضاهيه ويشابهه لمن عصى واستكبر ليقابل المبالغة في المغفرة والرحمة في قوله قبل الشاهد: (تَبَيَّنْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) 49.

النكرة "عذاب"

النكرة في الجملة الاسمية:

وردت النكرة في الجملة الاسمية ضمن سياقات متعددة، وغرضها الوعيد والإنذار، إما في الاستحقاق للعذاب، وهو في خمسة وخمسين شاهداً، أو في إحاطة العذاب للكافرين، وهو في شاهد واحد فقط.

والتنكير في الشواهد معناه التفضيم، أي هو فوق مدارك البشر وأفهامهم، فلا يحيطون به وصفاً، قال أبو السعود: "أي لا يقادر قدر العذاب، ولا يبلغ كنهه" 1 وقال الرازي: "معنى التنكير أن لهم من بين الآلام العظام نوعاً عظيماً لا يعلم كنهه إلا الله تعالى" 2 وهو سر مجيء النكرة موصوفة، أي لا يمكن لعقولهم تصور العذاب بأكثر مما يصفه لهم، والصفة تختلف حسب سياق الشاهد.

بلغت الشواهد الموصوفة بكلمة "أليم" خمسة وعشرون شاهداً، وهناك تفاوت كبير بينها وبين الصفات الأخرى للعذاب وهي: "عظيم" وعددها 11 شاهداً و"شديد" وعددها 6 شواهد و"مقيم" شاهدان، و"واصب" شاهد واحد، و"سِرُّ"

¹ تفسير أبي السعود 1818

² تفسير الرازي 29612

غلبة الشواهد الموصوفة بكلمة "أليم" هو أن الألم يدخل في تعريف العذاب، جاء في البحر المحيط: "العذاب أصله الاستمرار ثم اتسع فيه فسمي به كل استمرار ألم، واشتقوا منه فقالوا: عذبتّه، أي داومت عليه الألم"¹ لكنه أتى به بوزن فعيل للمبالغة فقال "أليم" أما الصفة "عظيم" فسياقاتها تختلف عن سياقات الشواهد الموصوفة بـ "أليم" إما بزيادة الأحكام، أو في مبالغة الكفر، أو في الظلم، لأن "عظيم" هي أشد في وصف العذاب من "أليم" جاء في المحرر الوجيز: "عظيم معناه بالإضافة إلى عذاب دونه يتخلله فتور، وبهذا التخلل المتصور يصح أن يتفاضل العرضان كسوادين أحدهما أشيع من الآخر، إذ قد تخلل الآخر ما ليس بسواد"² ولكن الجحيم ليس فيها إلا العذاب، ومحال حصول شيء غيره، والمراد من التعريف التفاضل في معنى "عظيم" أي هناك عذاب دونه وليس هذا في "أليم" وفيما يلي توضيح لهذا المعنى من خلال المقارنة بين سياقات الموصوفين:

في "عذاب أليم" قال: (فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) البقرة 10 أما في "عظيم" علل عدم نفع إنذارهم بالختم على قلوبهم، وذكر انشراح الصدور بالكفر وهو أشد، قال البقاعي: "وكان عذابهم عظيماً أخذاً في عموم ذواتهم لكونهم لم تلتبس أبدانهم ولا نفوسهم ولا أرواحهم بما يصد عنهم شيئاً من عذابها كما يكون للمعاقبين من مذنبى الأمم حيث يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضوئهم ونحو ذلك"³ في "أليم" ورد كتمان ما أنزل الله، والاختلاف على القرآن، والافتراء على الله الكذب، وفي "عظيم" ذكر الاستكبار عن آيات الله والاستهزاء بها وهو أعظم إثماً. لأن المقصود بالمرض الذي في القلوب هو الشك والرياء والنفاق أي هو في دائرة الضلال إذ جزأؤهم أن يزيدهم ضلالاً "فزادهم الله مرضاً" أما الاستهزاء بالله وآياته ورسوله ففيه

¹ البحر المحيط 76/1

² المحرر الوجيز 89/1

³ نظم الدرر 97/1

ردة عن الدين، كما ورد في السياق : (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) التوبة. قال العلامة الفوزان: "أن من استهزا بالله أو برسوله أو بالقرآن ارتد عن الدين ردة تنافي التوحيد وتخرج من دين الإسلام، لأن هؤلاء كانوا مؤمنين، فارتدوا عن دينهم بهذه المقالة، بدليل قوله تعالى: "قد كفرتم بعد إيمانكم" ^١.

في "اليم" ورد الظلم والبغي في الأرض، وإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والصديق عنه، والسخرية من المؤمنين، فهو أليم لأنهم آمنوا المؤمنين بينما في "عظيم" ورد ظلم لا كأي ظلم وهو في قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَتَّخِلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) البقرة 114. لأن في منع مساجد الله صدا للناس عن الدين وهو تجاوز في حد ظلم النفس بالكفر إلى ظلم العباد.

في "اليم" ورد الكفر والموت عليه، بينما في "عظيم" ورد التوغل في الكفر والمصارعة في إظهاره، والتفرق والاختلاف من بعد ما جاءتهم الآيات البينات.

أما في الأحكام ففي "ولهم عذاب أليم" ورد وعيد من يحب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين بينما في "ولهم عذاب عظيم" خص فأتى بجديث الإفك، وحكم قذف المحصنات الغافلات، وفي "ولهم عذاب أليم" وردت أحكام القصاص، بينما في "عظيم" أتى بأحكام الحراة وفيها زيادة على القتل الصلب، ولا يجوز فيها

^١ إعلنة الأستاذ المساعد بعلوم كتاب التوحيد المؤلف صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان من 190 مؤسسة الرسالة ط3 1423 هـ 2002 م. هو صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (28 سبتمبر 1935 م - 1 رجب 1354 هـ) هو الشيخ الدكتور في المملكة العربية السعودية، وعضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، إلى جانب أنه عضو في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإمام وخطيب ومدرس في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود في الرياض، ويشارك في الإحابة في برنامج (نور على الدرب) في الإذاعة، كما أن له مشاركات منتظمة في المجالات العلمية على هيئة محاضر، ودراسات ومسابقات وقضايا، جمع وطبع بعضها.

العفو لأنها في قطع الطريق، وهو ما ليس في القصاص، ما يعنى أن "عظيم" اشد في وصف العذاب من "اليم".

وفى "اليم" قال في المنافقين : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة 9 أما في "عظيم" فإنه وصفهم وغيرهم من الكفار بصيغ المبالغة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة 41 فالأصل في وصف العذاب بالاليم، ولذلك كانت الشواهد المودسوفة به هي الغالبة في العدد، ولكن لما تضاعفت الآثام، كما في الآية السابقة، وتزايدت الأحكام، وصف تعالى العذاب بالعظيم، قال البقاعي: "ولهم عذاب عظيم) أي لعظيم ما ارتكبه من هذه المعاصي المتضاعفة" أما في مواطن مشاققة الله ورسوله، والاستهزاء بآيات الله، وشرانهم لهو الحديث، فإنه وصف العذاب بالمهين ومعناه المذل كجر الكافرين بالسلاسل أو ضربهم بالمقاسع، فهنا جمع إلى مقاساتهم العذاب الإيلام الروحي، ولذلك ذمهم في قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ البقرة 90 ولأنهم اتخذوا إيمانهم جنة، فإن العذاب المهين لهم لا يقيهم منه شيء أو يسترهم، وهو في الشواهد التالية : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ البقرة 90 وقوله : ﴿وَلَا يَخْسِبُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمَّا تُمْلِ لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا لُمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ آل عمران 178 وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ الحج 57 و ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿الجاثية 9﴾ وَ (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) النساء 14 و (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْخَبَثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) لقمان 6 و (إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) المجادلة 5 و (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) المجادلة 16.

وفي مواطن الفرقان بين الحق والباطل وهو الكتب السماوية، أو ذكر عداوة الشيطان، وأنه تعالى عزيز ذو انتقام، وصف العذاب بالشديد في الشواهد التالية : (مَنْ قَبْلَ هُدَى النَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ تَعَزَّيْزُ ذُو انتقام) آل عمران 4 و (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) فاطر 7 و (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) فاطر 10 و (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) ص 26 و (وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) الشورى 16.

وفي مقام حرمانه الكافرين من الجنة، وتركهم من رحمته وطردهم وإبعادهم؛ لأنهم أسوا الله فنسيهم، والتمثيل للزوم العذاب للكافرين بتمنيهم الافتداء منه، أتى بوصفه بالمقيم لمناسبته معنى اللعن والخلود في النار، وهو في شاهدين، الأول: (يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) المائدة 37 والثاني: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) التوبة 68.

وفي شاهد وصف العذاب بالواصب، وهو الدائم، لأنه قال في السياق : ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ الصافات 7 أي من كل شيطان مرد على معصية الله وداوم عليها فلا تنفعه موعظة، قال ابن عاشور: "وصفه بالمارد إشارة إلى ما يصيب إخوانه من الضر بالشهب لا يعظه عن تجديد محاولة الاستراق لما جبل عليه طبعه الشيطاني من المداومة على تلك السجايا الخبيثة كما لا ينزجر الفراش عن التهات حول المصباح بما يصيب أطراف أجنحته من مس النار" ¹ فالشياطين جبلت على محاولة استراق السمع، فكان عذابهم في الدنيا مع طردهم واحذارهم، أنهم يقذفون بالشهب الثاقبة فتخرقهم، ولذلك توعدهم بعذاب لا يتقيد بظرب كمعصية استراق السمع، وهذا العذاب هو الدائم أي الواصب.

وفي شاهد توعد الكافرين بالويل، ووصف العذاب بالشديد، لأنه ذكر في السياق العزة والغلبة لله تعالى، واختصاصه بحق العبادة، وهو في قوله : ﴿الرَّ كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) اللّٰهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) إبراهيم فالويل ناسب الشدة في العذاب، جاء في الكشف: "لما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، توعد الكافرين بالويل، ووجه اتصاله بقوله (عذاب شديد) لأنهم يولولون منه ويضجون منه ويقولوه يا ويلاه" ².

وفي احاطة العذاب وملابسته للكافرين ورد شاهد واحد وهو : ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ الشورى 45 لأنهم زعموا نصرة الآلهة لهم، فأراد إبطال ما ادعوا، فوصف العذاب بالمقيم، ولأنهم قالوا : ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ 44 إمعانا في إقراطهم وتأيسهم من النجاة، ولأنه قال : ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ 45 فهم أملوا النعيم لأنفسهم والموانسة بأهليهم، فوجدوا ضد

¹ التحرير والتنوير 91/93

² تفسير الأنشاف 537/2

ما حسبه، وهو الخسران ومعناه: تلف مال التجارة، ولكنه ورد هنا من باب الاستعارة كما يخسر التاجر ما أعده للنفع، فكان من المناسب هنا وصف العذاب بالمقيم، لأنه يطلق على من اتخذ داراً لا يرتحل عنها، مما يلائم معنى الربح والخسران في التجارة، والجملة افتتحت بحرف التنبيه لأهميته في تذييل الشاهد للجمال التي وردت قبله "لأن حالة كونهم في عذاب مقيم أعم من حالة تلهفهم على أن يردوا إلى الدنيا، وذلهم وسماعهم الذم، وهم مع الندم وذلك الذل والخزي بسماع ما يكرهون في عذاب مستمر"¹ فكان الغرض من الصفة والموصوف هو التقرير والتوبيخ للظالمين، قال البقاعي: " (في عذاب مقيم) لا يزالهم أصلاً، فلذلك لا يفرغون منه في وقت من الأوقات، فلذلك كان خسرانهم لكل شيء"².

ورد مع بعض الشواهد اسم الفاعل "الكافرين" أو "الظالمين" أي العريقين الراسخين في الكفر، أو في التعدي لحدود الله، كما في قوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المجادلة 4 وقوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ البقرة 90.

ومع بعضها الآخر ورد اسم الإشارة "أولئك" كما في قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ أَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ آل عمران 91 وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ﴾ سبأ 5. قال ابن عاشور: "الإتيان باسم الإشارة للتنبيه على أن المشار إليه جدير بما سيرد بعد اسم الإشارة من الحكم لأجل ما قبل اسم الإشارة من الأوصاف"³ وخص هنا في بيان العذاب بالرجز أي أسوأه لأنهم بالغوا في مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم- شبههم بمن يسابق غيره في جدال المؤمنين تثبيطاً لهم عن اتباع الهدى.

¹ التحرير والتنوير 129\25

² نظم الدرر 345\17

³ التحرير والتنوير 142\22

النكرة في الجملة الفعلية:

وردت في الوعيد والإنذار، وقد اشترك في السياق العرابة والرسوخ والمداومة على الكفر المستفاد من اسم الفاعل الكافرين أو الظالمين. واقرنت بالتوعد من خلال الكلمات "أعد"، "اعتدنا"، أو "نذقه"، واختلفت في الصفة وفي الغرض من التنكير.

كما وردت النكرة لدى زيادة التنفير من قتل النفس المؤمنة أو العزم عليه، ولذلك قصد أن لا تعرفه عقولهم لشدة، وذلك لمن قتل مسلماً متعمداً، والغرض المبالغة في تهويله إذ لا يمكن لعقولهم تصوره، وهو في قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء 93، قال البقاعي: "أي من بعد هذا العذاب في جهنم عذاباً آخر، لا تحتمل عقولكم وصفه بأكثر من الغلظ"¹ وهو سر مجيء النكرة موصوفة في الشواهد إلا في واحد منها، وسر الوصف هنا بـ"عظيماً" لأن في الآية خلوداً في جهنم المقاتل المتعمد المستحل لقتل النفس المؤمنة، وفيها غضب الله عليه وإبعاده عن رحمته.

والنكرة وردت في سياق تعميم المحكوم عليهم بالعذاب، أي لكل الظالمين في أي عهد كانوا، كما في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ 4 وهي فيمن كذب ببعض الرسل -عليهم السلام- كما وردت النكرة في سياق تعميم الحكم للأمر المنهي عنه وهو في قوله: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء 161 إذ

علل ااكلهم الربا ثم عمم فقال : (وَأَكْلُهُمْ أَمْوَالِ النَّاسِ) أي ربا أو رشوة لأن في التعمم على الصورتين شمول العذاب سواء للظالمين أو لحالتي إتيان الأمر المنهي عنه، ما يناسب الزيادة والمبالغة للعذاب، وذلك يفيد التذكير، كما في الشاهد: (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ) ص 61 وقال هنا "ضعفا" لأن زيادة العذاب كانت بسبب إضلالهم للضعفاء، فاستحقوا عذاباً آخرًا مع عذابهم، وقد قيدوه بالظرف إشارة وطلباً منهم لفخامته.

وفي سياق العذاب المبالغ فيه ورد قوله : (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) النبأ 30 لكنه لم يصف العذاب مطلقاً فيه الذهن والتصور، لما في السياق من تعداد لقبات أعمالهم، وقد أكد النفي بـ "لن" وجاء بالالتفات في مشافهتهم بعد المغايبة تشديداً في وعيدهم، قال أبو السعود: "وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد، وإيراد "لن" المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى"¹ وقد وصف كذبهم بالمفرط فقال "كذاباً" وأحصى أعمالهم وضبطها بالكتابة، وهذه هي النكرة الوحيدة من بين الشواهد جميعها أتت دون وصف، قال الرازي: "هذه الآية دالة على المبالغة في التعذيب من وجوه، أحدها: قوله : "فلن نزيدكم" وكلمة لن للتأكيد في النفي وثانيها: أنه في قوله: "كانوا لا يرجون حساباً" ذكرهم بالمغايبة وفي قوله: "فذوقوا" ذكرهم على سبيل المشافهة، وهذا يدل على كمال الغضب وثالثها: أنه تعالى عدّد وجوه العقاب ثم حكم بأنه جزاء موافق لأعمالهم ثم عدّد فضائحهم، ثم قال: "فذوقوا" فكانه تعالى أفتى وأقام الدلائل، ثم أعاد تلك الفتوى بعينها، وذلك يدل على المبالغة في التعذيب"².

وهذه النكرة لم توصف أيضاً من بين جميع الشواهد؛ لأنهم كلما طلبوا الخلاص من العذاب زادهم عذاباً أشد منه، وقد جاء في الأثر قوله عليه الصلاة والسلام:

¹ تفسير أبي السعود 92/9
² التفسير الرازي 200/31

"هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار، كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه"¹ أي هو عذاب جامع لكل أصناف العذاب، وبالتالي فهو شامل لكل ما هو وصف له لذلك أطلق ولم يحدده بصفة واحدة.

وفي غرض الوعيد والإنذار كذلك وردت النكرة في الجملة الفعلية مفيدة معنى جزء العذاب لا الكامل أو بعضه لأن المشروط في العقاب هو نوع من الإلحاد وليس الإلحاد الكامل، وهو في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْخَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْخَادِ بِظُلْمٍ نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الحج 25.

أما قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَثُكُم نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ الفرقان 19 فسياقه تبرز المعبودين من العبدية، وجاء بالوصف "كبيراً" لأن التقدير "فمن يعدل منكم لسماع هذا الوعظ بوضع العبادة في «وضعها تشبه ثواباً جليلاً، عطف عليه ما المقام له فقال: (ومن يظلم منكم) أي بوضع العبادة في غير موضعها"².

وقوا: ﴿فَلَنْ نَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصلا 27 وصف بـ "شديداً" لأنه هدد بالحرمان في الدنيا والهُوان، وبُعذاب النار في الآخرة، فهم تحدوا القرآن ثم عجزوا عن الإتيان بآية من مثله، عندئذ لجأوا إلى الصد عنه، كما ورد في السياق: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ 26.

وقوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ فصلت 50 أتى الوصف بكلمة "غليظ" وهو أبغ من "الليم" و"شديد" لأن الغلط مستعار في شدة العذاب، ومعناه في الحقيقة الصلاب، ومناسيته هنا لأنه قال: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ لا يدع من

¹ البغداد، الشورى أحمد بن الحسين بن علي بن موسى القشورجودي الخراساني أبو بكر البهيتي 3181 ت 458م تحقيق عامر أحمد حيدر

² نظم الدور 364/13

أعمالهم شينا، فيريهم إياه ضد ما حسبوه في الدنيا، فيكون قوله: "من عذاب غليظ" هي مقابل "إن لي عنده للحسنى" وهي أحد أقوال الذي أنعم الله عليه، وإبطاله الظن بالبعث في "وما أظن الساعة قائمة" وزعمه أن ما أذاقه الله من رحمة هو لاستحقاقه بما عنده من الفضائل، فالعذاب الغليظ هو الذي لا يمكنهم التخلص منه لشدة، قال البقاعي: "بعد إقامة الحجة عليهم بموازين القسط الوافية لمثاقيل الذر، قال: (لنذيقنهم من عذاب غليظ) لا يدع جهة من أجسامهم ولا ذواتهم إلا أحاط بها، ولا تقوى على دفعه قواهم".¹

فالنكرة كما في الشواهد السابقة وردت في سياق جعل العبادة في غير موضعها، وفيمن اعتقد بالرسول مالا ينبغي الاعتقاد فيهم، كما في "نذقه عذابا كبيرا" لكنه لما كان الأمر في إيذاء النبي -صلى الله عليه وسلم- اشتد في الوعيد فقال: "أعذنا" واشتد بوصف العذاب فقال "مهينا" كما في ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ النساء 151 وهو في تفريقهم بين الله ورسله، وفي هذا التفريق إبعاد لهؤلاء الرسل عن الله فوصف العذاب بالمهين، وأظهر بدل الإضمار لتعميم المحكوم عليهم بالعذاب، أي لكل الظالمين في أي عهد كانوا، ونظيره: ﴿وَقَوْمٌ ثُوِّجَ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الفرقان 37.

ونظيره: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ النساء 37 لكن النكرة هنا وردت في سياق تعداد صفات الكافرين واغترارهم بالمال الحامل على كبرهم واختيالهم، ولذلك، قال "أعذنا" بنون العظمة وبالوصف "مهينا" مناسبة مع كبرهم، ونظيره: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء 18 هو في صفات الكافرين الموصولة للكفر الحقيقي أو المجازي.

ونظيره : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ النساء 102 قال: "إن الله" لأن السياق في الحكم والتشريع لصلاة الخوف، وجاء بالوصف "مهيئا" لأنه في حرمة إيذاء المؤمنين، ففي صلاة الخوف إلقاء واضطرار لهم من أذى العدو، لذلك أراد الله امتهائهم بالعذاب في الآخرة، قال الألوسي: "أي عذابا يهينهم ويذلهم جزاء كفرهم الذي ظنوا به العزة"¹.

وقريب منه قوله : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء 18.

أما قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران 21 فالفعل بشر هنا مستعمل في معنى أنذر تهكما بالكافرين، فهو استعمال في الضد، ويسمى استعارة تهكمية، والشواهد التي وردت مع هذا الفعل اقترنت بالصفة أليم، والسر في ذلك هو أن "أليم" معناها مؤلم وهو ضد معنى البشارة، وبهذه الصفة مع موصوفها يتحقق غرض التهكم بالكافرين، قال ابن عاشور: "(بشرهم) مستعاراً للإندار والوعيد على طريقة التهكم لأن حقيقة التبشير: الإخبار بما يسر وينفع فلما غُلِقَ بالفعل (عذاب أليم) كانت قرينة التهكم كنار على علم"² والمراد به قوم عرفوا بتجروهم في قتل النبيين وهم خصوص اليهود.

ونظيره الشواهد : ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة 3 وقوله : ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الجاثية 8 وقوله : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ النجم 35 وقوله : ﴿وَلَقَدْ بَشِّرَ الْفِرْعَوْنَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ النجم 35 وقوله : ﴿وَلَقَدْ بَشِّرَ الْفِرْعَوْنَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ النجم 35 وقوله : ﴿وَلَقَدْ بَشِّرَ الْفِرْعَوْنَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ النجم 35

¹ روح الباري 292/4
² النجوم والنوادر 294/3

البيم) 7 و قوله : (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) الانشقاق 24 وسياقاتها متعددة وهي: الإعراض عن الإيمان، والاستكبار عن آيات الله والإصرار على الكفر، والتكذيب ومعادنة معجزة القرآن، والإضلال عن سبيل الله، ولذلك أتى بالتنكير الدال على تفخيم العذاب، ووصفه بأنه شديد الإيلام.

ورد شاهدان في الرد والاضطرار إلى العذاب، الأول في قوله : (نَمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْزِرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ لِّقَمَانٍ 24 هو فيمن خدعه متاع الحياة الدنيا فكفر، ووصف عذابه بالغليظ، وهو من صفات الأجسام وهو القوي الخشن، وأطلق على الشديد من الأهوال على وجه الاستعارة بجامع الشدة على النفس وعدم الطاقة على احتماله¹ ما يناسب تمتيعهم المؤقت، أي قابل نفعهم القليل بإعطائهم المتاع، بما فيه معنى القوة والشدة والديمومة في العذاب، ألجأهم إليه فلا يقدر على احتماله.

والشاهد الآخر في الرد إلى العذاب هو في قوله : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) التوبة 101 أتى بالتنكير لتفخيم العذاب، ووصف بـ "عظيم" لأن السياق في قوم تأصل النفاق فيهم.

تبين مما مضى أن في المادة ع ذ ب منة وست وثلاثين صيغة منها عشرون فعلية وكلها في الزمن المضارع متصلة بالضمير مثل : " يعذبهم " و " يعذبه " و " يعذبكم " وهي في غرض الوعيد في سياق التولي عن التوبة أو عن الجهاد ، مقرونة بالاسم " عذابا " الموصوف بـ " أليما " أو هي في سياق العذاب المقرون بالمشيئة وهنا لم تتصل بالضمير إلا في شاهد واحد وسياقه في نفر تخلفوا عن القتال ثم تاب عليهم .

¹ الصحاح ، التور 179(21)

وفائدة المضارع في الشواهد مناسبة الإرادة وإطلاق المشيئة له تعالى في المعجزة أو في التعذيب في الزمن المستقبل ، كما ورد المضارع في العذاب المتم لِعَذَابِ الدنْيا موصوفاً بكلمة " الأكبر " وورد في ترتب الجزاء على العمل مقرونا بلام التعليل .

وبهزمة المضارعة ورد شاهد واحد وهو " فأعذبهم " وغرضه بيان قدرته تعالى في ترهيب الكافرين من النار.

أما الصيغ الاسمية وعددها مئة وأربع وسبعون صيغة فمنها شاهد واحد فقط باسم المفعول وهو " المعذبين " والباقي أتى بالاسم " عذاب " إما نكرة وعددها سبع سنون وهي موصوفة جميعاً إلا في شاهد واحد فقط وهو ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَهُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾ الباء (30) والغرض من ترك الوصف المبالغة في إطلاق الذهن لتصوير العذاب العظيم في سياق تناهي غضبه تعالى وزجره للكافرين .

أما المصيغة " المعذبين " فغرضها التعريض لعذاب المشركين في سياق النهي عن عبادة غير الله . المعرف بال في الجملة الاسمية ورد في سبعة شواهد في سياق اشتراك الكافرين في العذاب ، وإحاطته بهم ، وخلودهم فيه ، وفي تأكيد الوعد لهم ، وفائدة ال التعريف هي للعهد .

وفي الجملة الفعلية ورد اثنان وثلاثون شاهداً في بيان صفة جهنم، وفي الرد الى العذاب ، وهنا أتى مع أفعل التفضيل مثل " أشد " لمقارنته للعذاب الدنيوي في شاهدين اثنين، وقد ناسب بصيغته ما في السياق من بطش بالمؤمنين وسفك للدماء ، وفي ذوق العذاب وردت الشواهد للتهكم بالكافرين ، وفي سياق رؤية العذاب وردت للعقاب المعنوي ، وهناك سياقات أخرى متعددة مثل عبادة غير الله والتكذيب بآياته والإعراض عنها .

وفي شاهد أضيف إلى كلمة " سوء " لتماميهم في الإعراض ، وما نسبوا إلى أنفسهم من حسن الظن بها وأضيف شاهد آخر إلى " كلمة " لأن السياق في مقابلة بين خزنة جهنم وبين الكافرين .

أما المعرف بإضافة الاسم فكان تبعا لزيادة المعاني في السياقات التي تجمع عذاب الخزي في الدنيا إلى عذاب الآخرة ولذلك وردت الشواهد مع أفعال التفضيل للتمييز بينهما مثل " أشد وأبقى " كما وردت الإضافة في تواعد الشياطين المسترقين للسمع واستحقاقهم للعذاب والكلمة المضافة هي " جهنم " وزاد عليها " الحريق " فيمن عذب أصحاب الأخدود المؤمنين وألقاهم في النار .

وفي سياق الوعاء والظرفية وردت الإضافة إلى كلمة " جهنم " معبرا بها عن إحاطة العذاب بهم لرسوخ الإجماع فيهم المتمثل باسم الفاعل ، وفي زلزلة السامة كانت الإضافة إلى لفظ الجلالة لجدالهم في الله بغير علم ، وليلائم كرب القيامة وأهوالها ، كما وردت في التبويض للعذاب والاشفاق منه وسياقها في محكمة إلهية ، ومقابلة بين المحكومين ، وأضيفت إلى كلمة " يوم " في سياق الجدال بالبعث واليوم الآخر ، وفي سياق التسرية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أضيفت الصيغة " عذاب " إلى كلمة " رب " المضافة إلى الضمير مقرونة بالقسم والتأكيد لوقوع العذاب ، وفي خوف المؤمنين ورجائهم وهو في الجملة الاسمية المؤكدة والغرض من الإضافة هو أن على كل مؤمن أن لا يأمن من عذاب ربه وإن بالغ في الطاعة .

ورد في الجملة الفعلية تسعة شواهد فقط ، وأضيفت الصيغة " عذاب " إلى الاسم في سياقات مختلفة مثل استعجال العذاب ، أو نسيان الآخرة وهنا كان الإضافة إلى كلمة " الخلد " وفي سياق الإشراف في الله كانت الإضافة إلى كلمة " النار " وفي سياق الجدال في الله والتكبر أضيفت إلى الحريق وفي سياق الزينغ عن الحق أضيفت إلى " السعير " .

أما السعير بإضافة الضمير فهو في الجملة الاسمية وفي شاهدين اثنين ، تم في الأول عدول به عن العفل لإفادة التعريض بعذاب المشركين ، وفائدة الضمير هو أن كل ما يملكه العباد هو الله تعالى وهو في قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم 7.

أما النكرة فقد وردت في الجملة الاسمية في استحقاق العذاب ، أو في إحاطته الكافرين ، والغرض من التنكير هو تعظيم العذاب ، والشواهد وردت موصوفة حسب السياقات فالصفة " أليم " مثلا كانت في أذى الكافرين للمؤمنين ، أو في الأعدام كالقتل والحراية ، وفي جزاء المنافقين ، والصفة " ميهن " كانت في مشافهة الله ورسوله ، و " شديد " كانت في التفريق بين الحق والباطل ، و " مقيم " في سياق لزوم العذاب للكافرين وملابسته لهم ، أما " واصب " ومعناها الدائم فهي في مقام مداومة الشياطين على سجاياهم الخبيثة كما في استيراقهم السمع .

أما النكرة في الجملة الفعلية فقد وردت في الوعيد والإنذار في سياق الإصرار على الكفر ، أو في التنفير من قتل النفس المؤمنة عمدا وفي تبعيض العذاب في سياق جزء الإلحاد ونقصانه ، وتعددت صفات النكرة حسب السياقات كما في الصيغة المعرفة إلا في شاهد واحد لغرض إطلاق الذهن والخيال في تصور العذاب كما مر سابقا .

فالنكرة أكثر من المعرفة بست عشرة صيغة أي عدد المعارف تسع وأربعون صيغة وذلك لأنه أنسب في الوعيد والإنذار لما في النكرة من تفخيم وتشديد للعذاب والصيغ المعرفة تنوعت فملها تسع وثلاثون عُرِفَتْ بِأَلْ مَفِيدَةٌ مَعْلَى الْعَهْد ، منها سبعة في الجملة الاسمية ، واثنان وثلاثون في الجملة الفعلية .

أكثر ما وصفت به الشواهد هو بكلمة " أليما " وهي فعيل بمعنى اسم الفاعل للمبالغة في الوصف أي لا يضاهيه ألم وكل عذاب هو دونه .

مسألة في إلقاء الكافرين في النار

الإلقاء في اللغة هو الطرح، واستعمل في القول والسلام والإصغاء، قال الأصمغاني: "والإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه أي تراه، ثم صار في التعارف اسما لكل طرح، ويقال ألقيت إليك قولاً وسلاماً ومودة وإلقاء السمع هو الإصغاء إلى الاستكلم"¹ أما دلالة ألقى الخاصة هنا فهي في الماضي المبني للفاعل الانقياد والاسسلام والخضوع، وفي الماضي المبني للمفعول، وصيغة الأمر القذف والرمي بقوة وعنف وإهانة، وفي المادة ثلاث صيغ "ألقوا" و "ألقوا" و "ألقيا" في سورة النحل : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 28

في سورة النحل : ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالَ أَوْفَاءُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ 86

في سورة النحل : ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ 87

في سورة الفرقان : ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ 13

في سورة الملك : ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)﴾

في سورة ق : ﴿أَلْقَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ غَنِيٍّ﴾ 24

في سورة ق : ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ 26

وردت الآية الأولى في سياق التكذيب بالآخرة، وبما أنزل الله تعالى، ومعنى "ألقوا السلم" هنا كما جاء في الكشف: "الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا" وهذا الاستسلام منهم وقع لما توفتهم الملائكة، أما الآية الثانية وفيها ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ النحل 86 فهو في اليوم الآخر، وعند العرض للحساب، فكان إلقاء القول إليهم من شركائهم الذين كانوا يدعونهم من دون الله، والقول هو: "إنكم لكاذبون".

والفعل "ألقوا" جاء بصيغة الماضي لأن سورة النحل تعنى بأحداث مضت وآيات كونية حدثت، وكذا أفعال العباد وأخطائهم بحق الله وأنبيائه، فاختار الماضي ليدل على أن الآتي متحقق ثابت الوقوع: "أي فيلقون السلم، وهو عطف على قوله تعالى: "ويقول أين شركائي" وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقاً لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الأشهاد" 2 والسورة افتتحت بصيغة الماضي المقصود به المستقبل الآتي لا محالة، قال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل 1 يقول الإمام الألوسي عن الفعل الماضي "ألقوا": "وكان الظاهر فيلقون إلى آخره إلا أنه عبر بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، أي يقول لهم سبحانه ذلك، فيستسلمون وينقادون، ويتربصون المشاققة، وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة" 3.

أما الفعل المبني للمجهول فهو كما مر للقفز والرمي بعنف وإهانة، وجاء بالصيغة "ألقوا" وهي في التكذيب، فالإلقاء هنا ليس للقول ولا للسلم وإنما هو إلقاء الكافرين في جهنم، ولذلك لم يرد الفعل من قبلهم، لشدة أهوال النار

¹ تفسير الكشف 585/2

² تفسير أبي السعود 106/5

³ روح الباني 129/14

المستعرة، فالصيغة بالبناء للمفعول أفادت عدم مقدرتهم على تحامي حرها، أو التقلت من زفيرها، وتغيظها، فهم مقيدون "لم يتركوا لهذه الغول طلقاء، يصار عونها فتصرعهم، ويتحامونها فتغلبهم، بل ألقوا فيها إلقاء، ألقوا مقرنين، قد قرنت أيديهم إلى أرجلهم في السلاسل عاجزين عن التقلت والتملل"¹

والبناء للمجهول أفاد التهويل لإحاطة العذاب بهم، ليس لهم أن يتفادوا حر النار، ونظيره الشاهدان من سورة الملك، لكن سياقهما في الكفر، وزاد عليه توفر من قام بفعل الإلقاء، وهم الزبانية، فيضاعف عذابهم، لأنهم ملائكة غلاظ يشتد منهم دفع الكافرين في جهنم، فيقذفونهم فيها قذفاً، وفيه معنى الإهانة والإذلال لهم، قال الزمخشري: "إذا ألقوا فيها أي طرحوا كما يطرح الحطب في النار ويرمى به"².

وردت الصيغة "ألقوا" مرة واحدة في سورة الفرقان، وفي سورة الملك مرتين، لأن ما يميز سورة الملك أن كل السياقات التي وردت فيها الشواهد ذكرت السماء للتدبر بآياتها أو للنفع من مائها إلا في الملك فهي للعذاب والعقاب، كما في قوله: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) الملك 5

وربهما يكون لذكر السماوات قبل الشواهد جميعها ارتباط بالفعل "ألقى" لأنه يذكر بالعلو والارتفاع.

أما صيغة الأمر "ألقيا" فهي كذلك لمعنى الطرح بعنف وإهانة وسياقها في الشاهدين الشرك بالله، والغرض منها التهكم والإهانة، كما في "ثم الجحيم صلوه" والتثنية للمبالغة قال الرازي: "ألقيا في جهنم: هو أمر لراحد، وفيه

¹ في ملأ: القرآن 110/5

² تفسير اللغات 582/4

وجهان أنه ثنى لتكرار الأمر كما في ألق ألق، وثانيهما عادة العرب في ذلك¹ كما في قول الشاعر سويد بن كراع²: "فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر - وإن تدعاني أحج عرضاً ممنعا"³

وقيل التثنية لخطاب السائق والشهيد، أما إذا كان لتكرار الفعل، أو لخطاب المفرد بمنزلة الاثنين، فهو لما حصل من تطويل في السياق من وعيد وإنذار، من مبدأ السورة إلى الشاهد، ومن استنكار لتكذيب الكافر، ولتعجبه من النشأة الأخرى، لذلك، جاءت الصيغة "ألقيا" هنا على زيادة في بنائها، وتكرار لها في سياق واحد.

صيغ المادة ل ق ي فعلية كلها، ثلاثة منها للماضي المبني للفاعل وجاءت لمعنى الاستسلام والانقياد والخضوع واحدة منها أثناء توفيه الملائكة، وهي في قوله: {فَأَلْقُوا السُّلُومَ} النحل 28 أي استسلموا لله بعد استكبارهم وعتيهم، والثانية إلقاؤهم القول عند عرضهم للحساب وهو: {إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} النحل 86 والثالثة إلقاؤهم السلم إذ سألهم ربهم {أَيُّنَ شُرَكَائِي} النحل 26 فانقادوا مستسلمين تاركين المشاقة، وقد تخلوا عما كانوا عليه من كبر في الدنيا، أي إن البناء للفاعل ناسب الاعتراف والاستسلام والانقياد والتندم.

وفي الماضي المبني للمفعول ثلاث صيغ، وجاءت لمعنى الطرح والقذف والرمي بعنف وإذلال وسياقها الكفر بالله والتكذيب، والمضي فيها وفيما سبقها لتحقيق وقوع الفعل والبناء للمجهول، لأنه لا يتصور منهم إلقاء في النار المستعرة، وأفاد إحاطة العذاب بهم، لأنهم عاجزون عن الثقلت منه، وأفاد أن

¹ انظر: الزبيدي، 141/1، ينظر فيه اللغة وصر العربية عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ص 253 ت 429 تحقيق وفاز محمد، دار الكتاب العربي - بيروت ط 1 1427 هـ 2006 م، تفسير البيضاوي 229/5

² "الذم" ص 100، كراع المكي، كان فارساً شاعراً محكماً وذا الرأي والتقدم في قومه ومن شعراء الدولة الأموية. وكان في آخر أيام هروير من أحوال الضرر والفق

³ شرح الأمل، أبواب الصيغ الحسن بن أحمد الزوزني ص 9 مكتبة المعارف - بيروت ط 1 1425 هـ 2004 م

الإلقاء كان بفعل الزبانية، وهم ملائكة غلاظ يشتد منهم قذف الكافرين في جهنم وفي الأمر ورد صيغتان، وهما في سياق الشرك بالله، والتثنية فيهما إما للسائق والشهيد، أو لتكرار الفعل على عادة العرب للمبالغة، والزيادة في مبنى الصيغة لزيادة، وتطويل في الوعيد والإنذار، والغرض من الأمر هو الإهانة والتهكم بمنكري البعث.

مسألة في دخول الكافرين النار

جاء في المادة دخل سبع هينات فعلية وواحدة اسمية، أما الفعلية فتمثلت في المضارع بثلاث صيغ، الأولى جاءت مع السين وهي: "سيدخلون" والثانية هي: "تدخل" بتاء المضارعة، وبياء المضارعة مضافا إليه الضمير جاء الفعل "يدخله" وبصيغة الأمر وردت ثلاث صور: الأولى في الفعل "ادخلوا" والثانية للمثنى وهي: "ادخلا" والثالثة "ادخلوا" والصيغة الفعلية السابعة في الماضي المبني للمفعول وهي "فادخلوا" وأما الصيغة الاسمية فهي باسم الفاعل "الداخلين"

في سورة غافر : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) 60

في سورة النساء : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) 14

في سورة آل عمران : (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) 192

في سورة غافر : (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) 76

في سورة الزمر : (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) 72

في سورة النحل : (فادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) 29

في سورة الأعراف : (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) 38

في سورة التحريم : ﴿وَقِيلَ ادْخُلُوا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ 10

في سورة غافر : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ 46

في سورة نوح : ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ 25

المضارع مع السين "سيدخلون" سياقه الجدل في آيات الله، والاستكبار عن عبادته، والمقصود بكلمة "عبادتي" الدعاء، لأن السبب في ترك الدعاء هو الكبر، ففي الآية ينهاهم الله سبحانه عن ترك الدعاء له، حتى لا يكونوا مستكبرين، وهذا ترهيب في طيه ترغيب، أي إن جملة "إن الذين يستكبرون عن عبادتي" هي تعليل للأمر بالدعاء، وهذا التعليل يفيد تحذيرهم من الإقبال على دعاء غيره كالأصنام، جاء في التحرير والتنوير: "ومعنى التعليل للأمر بالدعاء بهذا التحذير أن الله لا يحب لعباده ما يفضي بهم إلى العذاب، قال تعالى: "ولا يرضى لعباده الكفر" ففي الآية دليل على طلب الله من عباده أن يدعوه في حاجاتهم" (1) فالصيغة "سيدخلون" هي لغرض الترغيب في الدعاء والترهيب من عبادة غيره، والإعراض عن دعائه عند الشدة أو الرخاء، فإن فعلوا فإنهم سيدخلون جهنم صاغرين جزاء لتكبرهم، كما قال "داخرين" وقد اقترنت الصيغة بالسين لتأكيد هذا الترهيب الذي يتضمن معنى الترغيب.

والمضارع "تدخل" في قوله : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ آلَ عِمْرَانَ﴾ 192 هو في سياق دعاء المؤمنين ربهم، وسؤالهم أن يكونوا ممن جنب النار، وبذلك تكون الصيغة "تدخل" لغرض الوقاية من النار، ذكر ابن عاشور: "قوله تعالى "إنك من تدخل النار فقد أخرجته" هو مسوق مساق التعليل لسؤال الوقاية من النار، كما تؤذن به "إن" المستعملة لإرادة الاهتمام، إذ لا مقام للتأكيد

هنا" ¹ وعلّة طلبهم الوقاية من النار، أن في عذابها خزيا وإهانة، لما جاء في دعائهم "فقد أخزيتّه".

أما المضارع "يدخله" في قوله : (وَمَنْ يَغْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا) النساء 14 فسياقه طاعة الله ورسوله فيما أمر به من الأحكام والفرائض، والصيغة "يدخله" هي لغرض الوعيد لما في السياق من حثّ على القيام بالفرائض، والتحذير من التعدي لحدود الله تعالى، وقد جاءت الصيغة بالإفراد للضمير، والظاهر جمعه لاستجلاب الوحشة للكافر في النار، ولنفي شفاعته في غيره يوم القيامة، جاء في روح المعاني: "وأفرد هنا وجمع هناك، لأن أهل الطاعة أهل الشفاعة، إذا شفع أحدهم في غيره دخلها معه، وأهل المعاصي لا يشفعون، فلا يدخل بهم غيرهم فيبقون فرادى، أو للإيدان بأن الخلود في دار الثواب بصيغة الاجتماع الذي هو أجلب للأنس، والخلود في دار العقاب بصيغة الانفراد الذي هو أشد في استجلاب الوحشة" ² فللكافر في النار عذابان، روحاني وجسماني، ولذلك قال: (وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) 14

أما الماضي المبني للمفعول في قوله : (بِمَا خَطِئْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا) ³ وهو في سياق عقاب قوم نوح بعد أن دعا عليهم بالهلاك لإصرارهم على الكفر، والصيغة "فأدخلوا" بالماضي لكنها تعبير عن المستقبل الثابت وقوله، قال الفخر الرازي: "فأدخلوا" معناه أنهم سيدخلون في الآخرة نارا، ثم عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصحة كونه وصدق الوعد به" ³ وبني الفعل

¹ التحرير والسوير 380/3

² روح المعاني 4/233

³ تفسير الرازي، 1/4547

للمجهول لترهيب المكذبين بسهولة ويسر إدخالهم النار، ذكر البقاعي: "قال بانبا للمفعول للإعلام بأنه في غاية السهولة على الفاعل المختار الواحد القهار"¹ وهم أغرقوا في الدنيا، وأدخلوا النار في الآخرة، والآية "أغرقوا فأدخلوا" ورد فيها الغاء للتعقيب، ولكن التعقيب والترتيب هنا مقصود، لأن الفاصل الزمني لا يحسب شيئا في موازين الله، قال في الظلال: "يعرض هنا ما صار إليه الخطاة من الخاطئون في الدنيا والآخرة جميعا، فأمر الآخرة كأمر الدنيا حاضر بالقياس إلى علم الله، وبالقياس إلى الوقوع الثابت الذي لا تغيير فيه"².

أما صيغة الأمر "ادخلوا" فسياقها جميعا التكذيب بآيات الله، وهي في غرض التهكم والتفريع، ففي الشاهد من سورة الأعراف (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَيْنَهُمْ غَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ أَنُلِّيْ ضِعْفًا وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) 38 كان التوبيخ بسؤال الملائكة للذين افتروا على الله الكذب لدى احتضارهم، ثم تغيبت من السياق الفترة التي هي بين الموت والبعث والحشر، حتى يشاهد أولئك المحتضرون، هم في النار، فتكون صيغة الأمر "ادخلوا" امتدادا لذلك التوبيخ من الملائكة عند توفيقهم المكذبين. ونظيره في الشاهد من سورة النحل (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ فَلَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) 29، ناسب التهكم في صيغة الأمر ما في السياق من معاني الخزي والإهانة جزاء استكبارهم ومكرهم.

ونظيره الشاهد من سورة الزمر (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) 72، وردت الصيغة "ادخلوا" بعد أسلوب التبكيت في قوله تعالى: "ألم يأتكم رسل منكم" فكان جزاؤهم بعد أن اعترفوا بذنبهم إدخالهم جهنم

¹ نظم الدرر 266/8
² في القرآن 350/7

مع انهكم بهم، ولقد حقت عليهم كلمة العذاب لكفرهم وتكبرهم عن الحق، ولذلك أبهم القائل هنا لتحويل قوله: "ادخلوا"

أما الشاهد من سورة غافر (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) 46، فإنه حصل فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، لأنه زاد في السياق توسعهم في البطر والطغيان، إلى جانب تكبرهم، وتكذيبهم وجدالهم في آيات الله فجاءت جملة "ادخلوا أبواب جهنم"، استئناف بياني لأنهم لما سمعوا التقرير والتوبيخ، وأيقنوا بانتفاء الشفيع ترقبوا ماذا سيؤمر في حقهم، ف قيل لهم "ادخلوا أبواب جهنم" والالتفات أفاد المبالغة في التأييب والتوبيخ لهم.

وأما صيغة الأمر المثناة في قوله: (وَقِيلَ ادْخُلُوا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) التحريم 10 التحريم فسياقها الخيانة في الدين، وقد كانت من امرأتي نوح ولوط - عليهما السلام - فكان بالصيغة خزى لهما، إذ لم تنفعهما قرابة زوجيهما، ويتضح هذا الغرض من بقوله "مع الداخلين" لما في اسم الفاعل من مساواة الزوجتين الخائنتين مع الكفرة الذين لا صلة لهم بالأنبياء - عليهم السلام - واسم الفاعل كذلك أفاد معنى التينيس لهما بعد مساواتهما بالداخلين جهنم إلى جانب التهكم بهما.

وأما صيغة الأمر "ادخلوا" في قوله: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) غافر 46 فسياقها قصة فرعون إذ هم وآله بإلحاق العذاب بالمؤمنين، فرد الله منكرهم عليهم بتعذيبهم في الآخرة، بعد إغراقهم في الدنيا، فالصيغة "ادخلوا" هي لاتهكم إلى جانب معنى الحيق وهو أن يهم إنسان بأذى غيره فيقع في شر ما دبره من الأذى.

وهكذا كان نصيب فعل الأمر من المادة د خ ل ست صيغ، أربع منها للفعل "ادخلوا" وهي لغرض التأييد والتبكيك والتهكم، وسياقها التكذيب بآيات الله، وصيغة واحدة للمثنى وهي "ادخلا" وهي إلى جانب التهكم في تحقيق معنى التبعة الفردية باشتراكها مع اسم الفاعل الذي أفاد معنى مساواة الزوجتين الخادنتين مع الكفرة جميعهم، وأفاد معنى التينيس لهما من نفع قرابة زوجيهما لهما، والصيغة السادسة هي "أدخلوا" وقد أفادت مع التهكم معنى الحيق وهو ما أصاب آل فرعون من مكرهم الذي رده الله عليهم.

الصدع بدأت باللزم وانتهت بالتعدي، لأن آل فرعون إلى جانب كفرهم هموا بتعذيب المسلمين فكان ذنبهم أعظم من ذنب الكافرين الذين قيل لهم "ادخلوا" في الشواهد السابقة، وكان نصيب الفعل المضارع ثلاث صيغ، إحداها للدعاء، وهي لغرض طلب الوقاية من النار، وهي "تدخل" والثانية للوعيد، وجاءت بإفراء الضمير لتنفيذ استجلاب الوحشة للكافر في النار، والتينيس من الشفاعة، وهي "يدخله" والأخيرة كانت لغرض الترهيب الذي يتضمن معنى الترغيب، وهي "سيدخلون".

وصيغة واحدة في الماضي المبني للمفعول وهي "فأدخلوا" وهي لغرض إثبات صحة كون المستقبل وصدق الوعد به، ولإعلام الكافرين ببسر وسهولة القيام بإدخالهم النار على الواحد القهار.

المبحث الثاني : صلي الكافرين النار

استعملت العرب الصلي في مقاساة حر النار، أو معاناة الشدائد، وصلى اللحم بالتخفيف، شواه وأصلحه، وبالتشديد أحرقه وأفسده، ذكر الأصفهاني: "أصل الصلي لإيقاد النار، ويقال صلي بالنار وبكذا أي بلي بها، واصطلى بها، وصابت الشاة شويتها، وصلى الكافر النار قاسى حرها"¹

وردت شواهد المادة ص ل ي ثلاث وعشرون مرة في صيغ متعددة، منها ثماني عشرة فعلية، في المضارع خمس عشرة، وهي بهينات مختلفة، بعضها بياء المضارعة مثل "يصلى" أو مسندا إلى الضمير مثل "يصلها"، و"يصلونها" وبعضها بالتاء مثل "تصلى" وجاء بنون المضارعة "نصله" و"نصليه" و "نصليهم" وجاء بعضها مع السين أو مع سوف، وبهمزة المضارعة ورد "ساصليه".

وجاءت ثلاث صيغ للأمر على صورتين هما "اصلوها" و "صلوه" أما الجملة الاسمية فقد جاء فيها اسم الفاعل "صال" في ثلاثة شواهد، والمصدر في شاهدتين، أحدهما كان على هيئة فريدة في القرآن الكريم، وهو المصدر السماعي بوزن فعول "صليا" أما المصدر الثاني فهو على وزن تفعلة "تصلية" وفيما يلي عرض للشواهد، ثم التحليل والمقارنة، ثم التعقيب عليها.

في سورة الأعلى : (سَيَذْكُرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢))

¹ معر دار: تريب القرآن 285/1، بطر الحين أبو عبد الرحمن الحليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري 1547 ت 170 هـ تحقيق د. هادي المحرومي، د. إبراهيم السامرائي دار مكتبة الهلال (بعت)، حمرة اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي 898/2 د 3210 هـ تحقيق رمزي مبر مملكي دار العلوم للملايين - بيروت ط 1987 م، تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهرى الأزهري دار معاصر 167/12 ط 370 هـ تحقيق محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت ط 2001 م

في سورة الانشقاق : (وَيَصْلَى سَعِيرًا) 12

في سورة الغاشية : (تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً) 4

في سورة الليل : (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى) 15

في سورة الإسراء : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ

جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا) 18

في سورة الانفطار : (وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي حَجِيمٍ) (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥)

في سورة المجادلة : (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) 8

في سورة ص : (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ) 56

في سورة إبراهيم : (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) 29

في سورة المسد : (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) 3

في سورة النساء : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) 10

في سورة النساء : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) 115

في سورة المدثر : (سَأَصْلِيهِ سَتَرًا) 26

في سورة النساء : (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عِدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) 30

في سورة النساء : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ

جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) 56

في سورة يس : (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) 64

في سورة الطور : ﴿اصْلَوْهَا فَاَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 16

في سورة الحاقة : ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوَةٌ﴾ 31

في سورة الصافات : ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ 163

في سورة ص : ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْخَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ 59

في سورة المطففين : ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ 16

في سورة مريم : ﴿ثُمَّ لَنُخِلَ أَغْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا صِلًا﴾ 70

في سورة الواقعة : ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ 94

ورد المضارع من ص ل ي خمس عشرة مرة في القرآن الكريم على اختلاف في احرف المضارعة أو التشديد والتخفيف، أو اقترانه بالسين وسوف إلا أن جميع صيغ المضارع اتفقت في غرض الوعيد بعذاب الآخرة، في سياقات متشابهة، فما كان بياء المضارعة مضافا إلى واو الجماعة فهو في أربعة شواهد، وهي: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾ إبراهيم 29 وقوله : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَبْسُ الْمِهَادِ﴾ ص 56 وقوله : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَبْسُ الْمَصِيرِ﴾ المجادلة 8 وقوله: ﴿وَإِنَّ الْأَفْجَارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١٤) ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٥) الانفطار.

وسياقاتها في التكذيب والطغيان والإضلال عن سبيل الله، واختلف في سورة المجادلة فكان في النهي عن التناجي بالإثم والعدوان، ومعصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - أي إن الجمع في الفعل جاء في المعصية التي ترتبط بالجماعة، أما أفراد الضمير فقد جاء في مشافقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين والتعدي لحدود الله، وهذه المعاصي لا يشترط فيها جهد الجماعة، ولذلك قال في سورة النساء: "ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده...".

وكذلك الشاهد من سورة الإسراء فإنه ورد للمعصية التي لا يشترط فيها جهد الجماعة، وهو تفضيل العاجلة على الآخرة، قال : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا﴾ 18 وكذلك في الشاهدين من سورتي الانشقاق والأعلى، هما في المعصية الفردية، وعدم الانتفاع بالذكرى، وفي سورة الليل : ﴿لَا يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ 15 هو في التولي عن آيات الله.

أما المضارع مع السين فهو على ثلاث هينات وهي : ﴿وَسَيَصْلُونَ﴾ 26 سعي (النساء 10) و ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المسد 3، و ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ المدثر 26 الشاهد من سورة النساء في غرض الوعيد العام، لأن سياقه في حفظ الأموال والنفوس والتوصية باليتامى، أما في الشاهدين الآخرين فالغرض الوعيد الخاص لخصوص السبب، ولأن السياق أظهر زيادة في معاندة الوليد بن المغيرة، قال : ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ (١٦) سَأَرْهَقُهُ صَغُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قُدِّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قُدِّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) اختص الشاهد بهمزة المضارعة بين خمس عشرة شاهدا، فالتكرار في الآيات لاستتكار ذنبه، ولتأكيد عقابه، ويزيد من إيلاجه والتهمك به المناسبة اللفظية بين الضمير في "ذرني" وتاء الفاعل في "خلقت" و "جعلت" و "مهدت" وبين همزة المضارعة في "سأرهقه" و "سأصليه" ما يدل على زيادة اعتناء من النظم المعجز لتعظيم جرم ذلك المعاند، أما في سورة المسد فإنه لم يحدث في السياق تكرار ومبالغة في جرم أبي لهب، وسبب نزول الشاهد، أنه زعم لو كان ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - الحق، لافتدى

بماله، وولده¹، فنسب الفعل إليه في الصيغة "سيصلى" أما في سورة المدثر، فإنه بالغ في إظهار السخط والغضب على الكافر، فنسب الفعل إلى نفسه تعالى. فازداد وعيده مبالغة بسبب همزة المضارعة، وبسبب السين التي أفهمت في الشاهدين أي في الوعيد الخاص معنى قرب العذاب وتحققه واستمراره لتحويل إثم الكافرين، ذكر السامرائي: "قد يكون القصد إظهار أن ما يوعدون به قريب، فيؤتى لذلك بالسين، وذلك نحو قوله "سأصليه سقر"²

أما المضارع مع سوف في قوله : (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا) النساء 30 فسياقه حفظ النفس والمال وأحكام القتل، وصلاة الخوف، وهنا جاء بسوف لأنها أكد من السين التي كان مقامها التوصية باليتامى، قال السامرائي: "جاء بسوف هنا بخلاف آية الأيتام، وذلك أن المقام يقتضي الزيادة في التهديد، لأنه في عقوبة قتل النفس عدوانا وظلما، بخلاف الآية السابقة فإنها في أكل أموال اليتامى، والقتل أشد ولا شك، فزاد لهم في التهديد والتوكيد لما زاد الفعل سوءا ونكرا، ثم إنه لما قال عدوانا وظلما، فزاد العدوان على الظلم، زاد لهم التهديد، فجاء بـ "سوف" التي هي أكد من السين"³

وقياسا عليه فإن الشاهد (سَوْفَ نُصْلِيهِمُ النَّسَاء) 56 ناسب فيه الكفر بآيات الله الحرف سوف لأنه أعظم الذنوب، ولأجله نسب تعالى الفعل إلى نفسه، كما في الشاهد السابق، أما في آية اليتامى فقد نسب الفعل إلى أكلي أموالهم.

وفي الشاهد : (وَنُصْلِيهِ جَهَنَّمَ وَنَسَاءتْ مَصِيرًا) النساء 115 نسب الفعل إلى نفسه تعالى، لكنه جرد عن السين وسوف، لأن مشاققة النبي - صلى الله عليه وسلم - واتباع غير سبيل المؤمنين، ليس كإثم ظلم اليتامى، وقتل النفس عمدا، ففي

¹ انظر: الترويض للحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي من 469 ت 468 هـ تحقيق عصام بن عبد الله - دار الحرمين دار الإصلاح - الدمام ط 2 1412 هـ 1992 م

² معاني الرمان 25/4

³ المرجع نفسه 23/4

الإسناد إلى الضمير المعظم ذاته سبحانه ما يضعف التوكيد المفاد من دخول السين أو سوف، لعظم جرم المشاقين المعاندين.

ولأن الوعيد بالفعل "يصلى" تكرر في سورة النساء أربع مرات، فإن الله وهو الرحمن الرحيم دعا إلى تكفير السيئات، والاستغفار في مواطن عديدة في السورة ذاتها، قال : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخِلَ كَرِيمٍ﴾ 31، وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ 484، وقال : ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ 106 وقال : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ 110 وقال مرة أخرى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ 116 وقال : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ 64

- صيغة الأمر جاءت في الشواهد التالية : ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَتَفَرَّغُونَ﴾ يس 64

وفي . ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطور 16 وفي : ﴿ثُمَّ الْجَجِيمَ صَلْوَةً﴾ الحاقة 31

سياق الصيغة "اصلوها" في الشاهدين إنكار البعث، فجاء بفعل الأمر للتهكم بهم، قال السكاكي: "صيغة الأمر إن استعملت في مقام تسخط المأمور به أفادت التهديد"¹ ولذلك قال في السياق: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يس 63 والسور الثلاثة: يس، والطور، والحاقة، تعالج قضية البعث وإثبات عذاب النار، إلا أن سياق الشاهد "صلوه" زاد فيه التكذيب بالرسول، وهو أعم من إنكار البعث. لأنه يشمل كافة قضايا الدعوة، فاستند بالإهانة، وجاء بالصيغة المضغفة الثقيلة، إلى جانب ما فيها من التهويل في أسلوب الغيبة، لما فيه من تنكيل في مقام العرض

على الحساب، وتجريع الهون للكافر إذ صرف عن أن يخاطب تصغيراً لشأنه، وتعداها لذنبه، واقتضاحاً لأمره، ولأن مبدأ سورة الحاقة وثناياها وخاتمها طابعها القرع والوعيد ووصف العذاب وأهواله والتأكيدات المغلظة على صدق الرسالة، وسمتها التشديد بالألفاظ، إذ افتتحت بكلمة الحاقة مثقلة العين، وتكررت ثلاث مرات، كل ذلك جعل سورة الحاقة تختص بين جميع الشواهد بالصيغة المثقلة "صلوه" وتزداد الدلالة في المتعدي إلى اثنين، كما حدث في الصيغ "نصابه" و "نصليهم".

- اسم الفاعل ورد كذلك في ثلاثة شواهد وهي : ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ الصافات 163 و ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ ص 59 ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ المطففين 16

سياقها التكذيب بالله وبنبيه وبآلبعث، وسبب مجيء اسم الفاعل في سورة الصافات، أنه نفى قدرة الكافرين على الإضلال، إلا لمن ثبت حكمه عليه بالشقاوة، فإنه ضال بحكمه وقدره، لا بهم، وعليه فهو معذب في النار، فالنقل من الفعل إلى اسم الفاعل لأجل ثبات معنى الضلال فيمن قدرُوا على فتنته وتغييره، كما جاء في السياق : ﴿فَأَنكُم مَّا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِينَينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ (١٦٣) الصافات وفيه تأييس لهم من رد بعض المؤمنين إلى الشرك، وقال البيضاوي: "معنى "صال الجحيم" أي إلا من سبق في علمه أنه من أهل النار ويصلاها لا محالة" وفي سورة ص فإن اسم الفاعل جاء مسقة للفوج المقتحم في النار، بأنه داخل فيها بأعماله كالذين سبقوه إليها، ولعدم نفع المتبوعين لهم، أو صفتهم هي لا نفع فيهم لمن أضلوهم، والذي استندعي الوصف هنا ما ورد من تغليظ العذاب وكرهه، فظهر في دعاء بعضهم على بعض، وفيه معنى التأييس، لأنهم أدركوا استحالة النفع من رؤسائهم، واسم

الفاعل بين علة دعاء الاتباع عليهم، ذكر الألوسي: "في قوله "إنهم صالوا النار" تعليل من جهة الملائكة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر، أو تعليل من الرؤساء لذلك، والكلام يتضمن الإشارة إلى عدم انتفاعهم بهم كأنه قيل: إنهم داخلون النار بأعمالهم مثلنا فأي نفع لنا فلا مرحبا بهم"¹ ولأجله ورد التوكيد في الجملة.

أما اسم الفاعل في سورة المطففين، فهو لاستحكام الرين على قلوب المكذبين، إذ تقولوا على القرآن، فتوعدهم بالخزي والإهانة في قوله: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَخْجُونُ) 15 ثم ارتقى في الوعيد لهم، لأن دلالة "ثم" هنا في التراخي الرتبي، ومعنى اسم الفاعل جاء للمستقبل أي سيصلون، ذكر ابن عاشور: "معنى "صالوا الجحيم" أي سيصلون عذاب جهنم، وأتى بـ "ثم" الدالة على التراخي الرتبي، وهو ارتقاء في الوعيد، لأنه وعيد بأنهم من أهل النار، وذلك أشد من خزي الإهانة"² ولذلك جاءت الجملة بتوكيدات أكثر، وهي "إن" واللام الداخلة على الخبر، بالإضافة إلى معنى "ثم" الدال على ازدياد في العذاب.

أما المصدر فقد جاء في شاهدين وهما: (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّ أَهْلَهُنَّ بِأُولَىٰ بِهِنَّ صَالِيًا) مريم 70 وقوله: (وَنُصَلِّيَنَّاهُ جَحِيمًا) الواقعة 94

سياق الأول التهديد والوعيد لصناديد المشركين، إذ تعددت فيه الإنذارات، لإلقاء الخوف فيهم، قال: "فوربك لنحضرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا. ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا" فجاء المصدر "صليا" على صيغة فريدة في القرآن، لأن السياق يصور انتقالهم من عذاب إلى عذاب أشد، من حشرهم مع الشياطين، ثم جثوهم جثو مذلة حول جهنم، ثم ينزع تعالى أيهم أظطع عصيانا وتجبرا لتصلية النار، لأن عذاب المضل لا كعذاب الضال المتبع، فهؤلاء هم أولى بأشد العذاب، قال الألوسي: "ثم لنحضرنهم أعلم

¹ روح المعاني 17/375

² التحرير والتنوير 30/201

بتصلية هؤلاء، وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالحين، ودركاتهم أسفل، وعذابهم أشد¹

والمصدر "صليا" جاء هنا مجردا عن الإضافة، وكما مر في معناه "المصدر ما دل على حدث لا غير، ويسمى حدثا، وحدثانا، واسم معنى"² فإن اهتمام السياق في سورة مريم في إثبات القدرة لله، كان في صرف الأذهان إلى مجرد الحدث دون نظر إلى زمن فعل أو فاعل، مثل خلق آدم - عليه السلام - من غير والدين، ثم خلق عيسى - عليه السلام - من غير أب، ونطقه في المهد، وهي أحداث غير مألوفة للناس، فوجه الاهتمام إليها، ولذلك جاء المصدر خاليا من أي إضافة ليخلص لمجرد معنى الحدث، أما في سورة الواقعة، وقد أضيف المصدر إلى الاسم "جحيم" فاكسب معنى الفعل، أي حدث بعض النفقات إلى الفعل، وتصور الفاعل، لأن الناس ألفوا ما حولهم من آيات، كما في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ 63 وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ 71 فأراد إثارة الأذهان التي ركزت بآيات المشهودة المتكررة في حياتهم، وهذا الحدث على التدبر أثارته قوة الجملة الاسمية وهي "وتصلية جحيم" ومعنى تصلية كما في تفسير القرطبي: "إدخال في النار، وقيل: إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها"³ والمصدر جاء على وزن تفعلة وغرضه التهمك بالمكذبين، لأنه قال قبل الشاهد: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (٩٢) ﴿فَنُزِّلَ مِنَ حَمِيمٍ﴾ (٩٣) والنزال هو القرى يقدم للضيف "والتصلية: مصدر صلاه المشدد، إذا أحرقه وشواه، يقال: صلى اللحم تصلية، إذا شواه، وهو هنا من الكلام الموجه لإيهامه أنه يعلى له الشواء في نزله على طريقة التهمك، أي يحرق بها"⁴

¹ روح المعاني 38/12

² المفتاح في الصرف 52/1

³ بصير العرب 234\17

⁴ التحرير والتنوير 150/27

كان في المادة ص ل ي ثلاث وعشرون صيغة، وردت في أربع هينات:

أ- المضارع: وله النصيب الأوفى من حيث العدد إذ بلغ خمسة عشرة شاهداً، كلها في الوعيد، فما كان بياء المضارعة مضافاً إلى واو الجماعة، وهو في أربعة شواهد فسياقه المعصية الجماعية، والذي أفرد معه الضمير وهو في سبعة شواهد فسياقه المعصية الفردية، وإذا اقترن بالسین فهو إما لوعيد عام كما في حكم آكلي أموال اليتامى، أو في وعيد خاص كما أنزل في الوليد بن المغيرة، وأبي لهب، وعدده ثلاثة شواهد، وإذا كان المضارع مع سوف فهو في الوعيد العام، وسياقه الكفر وقتل النفس ظلماً وعدواناً، ويتعدى المضارع إلى مفعولين زاد إلى الوعيد التهكم، كما هو في همزة المضارعة "سأصليه" في سياق التكذيب المبالغ فيه، وبنون المضارعة إيداناً بعظمته واقتداره في أخذ الظالمين، كما في "نصليهم" و "نصليه" و "نصله" وأفاد المضارع تحقق وقوع التصليّة وقربها واستمرارها.

ب- صيغة الأمر: وهي في غرض التهكم والإهانة، وجاءت في ثلاثة شواهد، فهي بعد المضارع من حيث العدد والترتيب، وسياقها إنكار البعث، بدأت بالتخفيف في "اصلوها" ثم أتى بالصيغة المثقلة "صلّوه" مشتداً بالإهانة والتهويل والتصغير للكافر، لأنه في سياق التكذيب بالرسول وهو أعم من إنكار البعث.

ج- اسم الفاعل: جاء بالعدد نفسه أي ثلاثة شواهد، على تراوح بينه وبين صيغة الأمر، وسياق الأول الإضلال عن سبيل الله، فأفاد الوصف ثبوت الضلالة فيمن هو صال الجحيم بحكمه تعالى وقدره، وفيه تأييس للمشركين من رد المؤمنين إلى الكفر، والثاني أتى وصفاً للمقتحمين النار ضمن دعاء أتباعهم عليهم، كونهم لا نفع فيهم، وأنهم داخلونها بأعمالهم،

وفيه كذلك تأسيس لهم، وأفاد الوصف علة استحقاق الرؤساء من الشيع الدعاء عليهم، وهي أنهم "صالوا النار" فالجملة مؤكدة، والثالث في غرض التوعيد بالخزي والإهانة، لاستحكام الرين على قلوبهم ولعمائتهم على رؤية الحق، وارتقى في تهديدهم فازدادت الجملة تأكيداً، وأفاد الوصف الاستقبال فهو بمعنى سيصلون.

د- المصدر وجاء على صورتين "صليا" لدى تعدد الإنذارات للمضلين، فهم أولى أهل النار بأسفل الدرجات وأشد العذاب.

و "نمسية جحيم" جاء مضافاً وعلى وزن تفعلة لغرض التهكم بالمكذبين.

الوعيد هو الغرض الرئيس للمادة، وتبعه الإهانة والتهكم ثم ثبوت النصلية وعلة استحقاقها للمكذبين، والتأسيس، ومعنى تمييز وألوية الضالين المضلين بأشد العذاب، ولغرض التهكم بهم، وذلك بالجملة الاسمية. أما دور الجملة الفعلية فهو في الوعيد ومعنى تجدد العذاب وقربه واستمراره والتهكم والإهانة.

بدأت الشواهد باعتبار ترتيب النزول بالخاص ثم العام، مراعاة لحال الدعوة التي بدأت بالأفراد سراً، ثم تحولت إلى الدعوة العامة جهراً، وباعتبار ترتيب المصاحف جاء العام أولاً في أربعة مواضع، تشمل أصنافاً من جماعات المهديين بتصلية شديد العذاب، وانتهى بالوعيد الخاص في سورة المسد، وكذلك في تأكيد الوعيد فإنه بدأ بدخول السين على المضارع في مقام التوصية باليتاسى، وأما في حكم القتل العمد فإنه تدرج بدخول "سوف" على المضارع، لأنها أكد من السين في مقام أشد ظلماً وعدواناً، وبالتعدي إلى مفعول بدأ في "سيصلون" ثم أتى بالتعدي إلى مفعولين في "نصله" و "نصليهم" وبدأ بنون

المصارعة، ثم جاء بهمزة المضارعة في التكذيب المبالغ فيه، وفي صيغة الأمر قال : (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يس 64 ثم قال مشتداً في إيلامهم: (اصْطَاوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُخْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الطور 16 ثم اشتد في الإهانة فقال : (ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوَةٌ) الحاقة 31 بالمصيغة المضعفة الثقيلة، وباسم الفاعل بدأ بقوله : (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) الصافات 163 ثم أكد فقال : (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) ص 59 وزاد في التأكيد فأدخل اللام على الخبر في قوله : (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) المطففين 16، والترتيب في المصحف في هذه المادة حصل في المصدر كذلك، فقد بدأ بالمصدر المجرد عن الإضافة، وهو للفعل صلى بالتخفيف، وانتهى بالمصدر المضاف وللعل صلى بالتشديد وهو "تصلية"، والأول "صليا"

أي حصل في الشواهد ترتيب من العام إلى الخاص، ومن التأكيد إلى التأكيد الأشد والأقوى، ومن المتعدي إلى المتعدي إلى مفعولين، ومن التخفيف إلى التشديد، ومن المجرد عن الإضافة إلى المصدر المضاف. وبين من هذا كله التلاوم في الترقى بالدلالة من المؤكد إلى ما هو أكد.

المبحث الثالث : ذوق العذاب

الذوق، معناه اختبار الطعم، أو إدراك الإحساس بالمطعم، ومن ثم استعير هذا المعنى في اختبار الأمور سواء مادية أم معنوية، وهو من المجاز كتذوق الشعر، وفي أساس البلاغة: "ذقت الطعام وتذوقته شيئا بعد شيء، ومن المجاز: ذاق القوس: تعرفها فينظر ما مقدار إعطائها"¹ والذوق ورد في القرآن الكريم في العذاب، كما ورد في الرحمة، ولكنه في العذاب أكثر استعمالاً، قال الفيروز أبادي: "ذاقه ذَوْقاً وَذَوْقاً وَمَذَاقاً: اختبر طعمه، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر من ذلك يقال له الأكل، واختير في القرآن لفظ الذوق للعذاب، لأن ذلك وإن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعلم الأمرين، وكثر استعماله في العذاب، وقد جاء في الرحمة"².

كل الصيغ الواردة في المادة ذوق فعلية، ورد في الزمن المضارع ستة شواهد، في أربع هينات "يذوقون" بالرفع، و "ليذوقوا"، و "فليذوقوه" و "نذقه" وجاء في فعل الأمر أربعة عشر شاهداً، وهي على هينتين: "ذق" و "ذوقوا"

في سورة النبأ : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ 24

في سورة النساء : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ 56

في سورة ص : ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ 57

في سورة الحج : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْكَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِطَلْمٍ يُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ 25

¹ أسس البلاغة 296/1
مصائر 1، ي التمييز 786²/1

في سورة الفرقان : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا
وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ 19

في سورة سبأ : ﴿وَلِئَلَّيْمَانَ الرِّيحِ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ
الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَل بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُدِقْهُ مِّنْ
عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ 124

في سورة الدخان : ﴿نَقِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ 49

في سورة الذاريات : ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ 14

في سورة القمر : ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ 48

في سورة آل عمران : ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾ 181

في سورة السجدة : ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ 20

في سورة السجدة : ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 14

في سورة يونس : ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا
كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ 52

في سورة الأنفال : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَذْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾ 50

في سورة الحج : ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا
عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾ 22

في سورة الأنعام : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى
وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ﴾ 30

في سورة التوبة : ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَنُومٌ بِهَا جَبَاهُهمُ وَجُنُوبُهُمْ
وَأُظْهَرُهمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ 35

في سورة آل عمران : ﴿يَوْمَ تَنبِضُ وُجُوهٌ وَتَسْنُودُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ 106

في سورة الأعراف : ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لَأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ 39

في سورة السجدة : ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 14

قوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ النبأ 24 هو في سياق التكذيب، وجاء بصيغة المضارع لأنه قال : ﴿لَا يَبْتَئِينَ فِيهَا أَهْقَابًا﴾ 23 أي تتابع عليهم الأمداء في جهنم، ففي الشاهد استمرار العذاب وحدثه في كل حقب يتجدد لهم، كما أفاد نوعين من العذاب، أحدهما بالنفي، والآخر بالإثبات، فهم لا يذوقون راحة من الحر، ولا شراباً يطفى العطش، ولما قال "فيها" دل على مكان آخر يعذبون فيه "كأنه أشار بتقديمه إلى أنهم يذوقون في دار أخرى الزمهرير" ¹ فهو في الوعيد لهم، إذ أخبر بإعداد جهنم لهم، فقال : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ 21 وجاء في الكشف: "الاستثناء منقطع، يعنى: لا يذوقون فيها برداً وروحاً ينفس عنهم حر النار، ولا شراباً يسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً" ² وعلة ما هم فيه من العذاب الإفراط في التكذيب، كما قال بصيغة المبالغة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) جاء في التحرير: "فإن ذلك أصل إصرارهم على الكفر، وهما أصلان: أحدهما عدمي وهو إنكار البعث، والآخر وجودي وهو نسبتهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - والقرآن للكذب، فعوقبوا على الأصل العدمي بعقاب عدمي وهو حرمانهم من البرد والشراب، وعلى

¹ العلم الشرعي 310/2

² تفسير الشافعي 689/4

الأصل الوجودي بجزاء وجودي وهو الحميم يراق على أجسادهم، والغساق يمر على جراحهم".¹

وأما المضارع "ليذوقوا" فهو في الكفر بآيات الله، وفي الوعيد وتهديد المكذبين، وقد أفاد تجدد العذاب لهم، لأن السياق وصفه بالتكرار والدوام، في قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ النساء 56 فكان إصلاؤهم النار، وإحراق جلودهم، "ليذوقوا العذاب" أي ليجدوا فيه الألم كما لو يعذبون لأول مرة، قال البقاعي: "ليدوم لهم تجدد ذوقه، فتجدد لهم مشاهدة الإعادة بعد البلى كل وقت، كما كانوا يجددون التكذيب في كل وقت، ليكون الجزاء من جنس العمل"² ولذلك قال "إن الله كان عزيزا حكيما" أي حكمته تقتضي تهديد الكافرين بدوام العذاب وتجده لهم.

ويتضح تكرار العذاب لهم، في أن معنى الذوق يكون في إدراك القليل منه، وقد أخبر أنهم في أشد العذاب، يقول الرازي: "المقصود من ذكر الذوق الإخبار بأن إحساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كإحساس الذائق المذوق، من حيث أنه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق"³.

فالشاهد "ليذوقوا" جاء لمعنى تجدد العذاب، وحدثه، واستمراره، بينما جاء الرفع في "يذوقون" للخلود في العذاب، وللعذابين العدمي والوجودي، أو العذاب بالنفسي وهو الحرمان من البرد والشراب، وبالإثبات بإحراقهم بالحميم والغساق، وذلك لأنه زاد في السياق الإفراط في التكذيب، وإنكار الساعة.

أما المضارع "نذقه" فهو في الوعيد كذلك، ولكل شاهد سياق خاص به، فقوله: ﴿وَلَيْسَ إِيْمَانُ الرِّيحِ غَدُوْهَا سَهْرٌ وَرَوَاحُهَا سَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَبَيْنَ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

¹ المحرر: النوير 47\16

² نظم الدرر 22\12

³ تفسير الرازي 269\3

السَّعِيرِ 12 هو في الانحراف عن الحق، ثم زاد في تهويل العذاب بـتذكيره لأن السياق في الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِذْ فِيهِ بِالْإِخَادِ يُظْلِمُ نَذْقُهُ مِنْ غَذَابِ الْيَمِّ) الحج 25 ثم زاد بدخول قد التي تفيد تحقيق إقامة الحجة عليهم، وتقريب العذاب لهم، في مقابلة بينه تعالى وبينهم فيما عبدوا من دونه، في قوله : (فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذْقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا) الفرقان 19 فالشاهد في التبكيت والتفريع، وفي الكفر والفسق ظلم فقال: "من يظلم" بالمعسار على سبيل الدوام والاستمرار، فتفيد الصيغة "نذقه" مداومة العذاب له. قوله : (هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) ص 57 سياقه وصف ما للمؤمنين، وما للكافرين في الدار الآخرة، فلما قال في نعيم الجنة (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) 54 أتى بما لأصحاب النار من الوعيد بصيغة المضارع "فليذوقوه" فدل على دوام إحراقهم بالزمهرير البارد، وبالحميم والغساق وهذا يقابل دوام الرزق في الجنة وعدم انقطاعه عن أهلها.

أما صيغة الأمر وهي على هينتين، الأولى في قوله : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) الدخان 49 فقد نزل في الكافر أبي جهل "أي العزيز الكريم عند قومك بزعمك وذلك أنه كان يقول أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ" 1 لأن في الأمر معنى الإهانة والإذلال، كما قال السكاكي: "إن استعمل الأمر في مقام تسخط المأمور به فهو في معنى التهديد" 2 وقد قيل ذلك لأبي جهل على سبيل الاستهزاء به والتهكم والتفريع.

¹ لسان الدارول في معاني الدرر 395:3

² معراج المرام 142:1

الهيئة الثانية لصيغة الأمر هي "ذوقوا" وقد وردت في ثلاثة عشر شاهداً، وهي في سياق الافتراء على الله الكذب، والكفر والفسق والتكذيب بالساعة، كما في الشاهد من سورة الذاريات ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ 14 أي عذابكم وقد استحقوه بسبب كفرهم، جاء في التحرير: "الأمر في قوله "ذوقوا" مستعمل في التنكيل، وفي الإضافة دلالة على اختصاص الفتنة لهم لأنهم استحقوها بكفرهم"¹

والشواهد التي جاءت مع الفاء "فذوقوا" هي لدى إقامة الحجة عليهم أثناء عرضهم على الحساب، أو أثناء تعذيبهم في النار، فيقال لهم ذلك توبيخاً لهم وأنه كان بسبب كفرهم ومعاصيهم، كما كان في الشاهد من سورة التوبة: ﴿يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْرَى بِهَا جَبَاهُهمُ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فُذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ 35 لأن البخل واكتناز الذهب والفضة مما ينفق في الصمد عن سبيل الله، وكثرته تورث الاستكبار، وتغرر بالافتراء على الله الكذب، ولذلك ورد في سياقات الشواهد ظلم المكذبين لأنفسهم، ونفي الظلم عنه تعالى، كما في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت 46

كل الشواهد التي وردت بالصيغة "ذوقوا" في عذاب جهنم، باستثناء شاهد واحد جاء في قبض أرواح الكافرين، وربما يكون السبب أن ذوق العذاب لا بد أن يكون أثناء تعذيب أهل النار، والغرض من الذوق تجدد الإحساس بالعذاب، وهو في النار لتناهي الزمن فيها، وتوالي الأحقاب، وتباعد الأمد، أما احتضار الكافرين فإنه وإن طال زمنه فضئيل ضئيل إلى جانب العذاب المهول في جهنم. وهكذا يرتبط ظلم النفس والضلال والإجرام بالتكذيب والافتراء على الله الكذب، والإعراض عن آيات الله، المعاني التي أحاطت الشواهد بسياقها

الجزئي والكلي، كقوله : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُفْجَرِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ السجدة 22

والشواهد جميعها محاطة بسياج من أفعال الأمر، سيما الفعل "قل" ويرتبط بالأمر "ذوقوا" من وجهين الأول: الإنشاء، والثاني: تلاؤم أغراض مقول القول مع دلالات الشواهد أو الصيغة "ذوقوا" كالاستنكار والتوبيخ وإقامة الحجة على المكابرين، والإنذار والوعيد، بالإضافة إلى أسلوب الخطاب الموجه إليهم، والمحمل بالتنديد والتحذير والتوبيخ، مثل قوله : ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يونس 35

من الأسرار اللفظية للمادة ذوق أنها تتكرر في السورة وإن اختلفت في الهيئة، ففي ال عمران جاء مع "ذوقوا" صيغة اسم الفاعل في قوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ 185 وفي سورة يونس الفعل الماضي ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرْأٍ مَّسْنُومٍ..﴾ 21 وتكرر مثل ذلك في باقي الشواهد، مما أدى إلى تناغم وترابط بين الألفاظ، وهذا بدوره يؤكد المعنى والغرض للصيغ أيا كانت بنيتها إذ لكل منها موقعها الأنسب، وفي إثارة هذا عن نظائره المشتركة نوع من التقابل المجازي الذي يجلي الفارق بين الجزأين، وإن كان من حيث الظاهر متحد اللفظ، وفيه مضاعفة للإهانة والتحسير لأهل الظلم والافتراء والاستكبار مع مزيد امتنان وفضل وإحسان لأولى الصديق والتواضع والإحسان، ففي سورة الدخان ورد بعد قوله : ﴿ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ 49 آية في نعيم أهل الجنة، وهي: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ 56 لأن أكثر ما يخافه أهل الدنيا هو الموت، قال البقاعي: "أي لا يتجدد لهم أوائل استطعامه فكيف بما وراء ذلك، ولما كان المراد نفي ذلك على وجه يحصل معه القطع بالأمن على أعلى الوجوه، وكان الاستثناء معيار العموم، وقد استحال عود ذوق الموت، قال معللا

معلقا على هذا المحال: "إلا الموتة" وقد أفهم التقييد بالظرف أن النار يذاق فيها الموت، والوصف بالأولى أن المذوق موتة ثانية، فكان كأنه قيل: لكن غير المتقين ممن كان عاصيا فيدخل النار¹ حققت المادة ذوق التقابل بين النعيم الخالد السرمدي، وبين الخلود في العذاب، في استحالة تجدد أول استطعام الموت في الجنة فضلا عما وراء ذلك، وتحققه لأصحاب النار، وفي القطع بحصول الأمن على أعلى وجه لأصحاب الجنة، وحرمان المعذبين في النار من أدنى درجات الأمان، والقطع بمنع ذوق الموت، وحصول الأمان يتجدد لأهل الجنة، وذوق النار والموت وحرمان الأمان يتجدد لأهل النار، فالصالحون تحققت صيرورتهم في الجنة منذ الموتة الأولى دون موت آخر، وفيه بشارة لهم، ويقابله النذارة للعصاة، جاء في التحرير: "هذه بشارة بخلود النعمة، لأن الموت يقطع ما كان في الحياة من النعيم، كما كان الإعلام بأن أهل الشرك لا يموتون نذارة بدوام العذاب، والاستثناء في قوله: "إلا الموتة" من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لزيادة تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أهل الجنة، فكانه قيل لا يذوقون الموت البتة وقرينة ذلك وصفها بـ "الأولى"² أي اتصال النعيم، واستقرار الحال لأهل الجنة يقابل الاضطراب في حال أهل جهنم، فلا يخفف عنهم العذاب، ولا يقضى عليهم فيموتون.

تلك كانت بعض أسرار التقابل المجازي للمادة ذوق في تصوير النقيضين الثواب والعقاب، وهو أحد أساليب النظم المعجز، ولأجله وردت صيغ مختلفة الهيئة للمادة في سياقات الشواهد، إلا ما كان في سورة الذاريات فقد تفردت الصيغة في قوله: (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُسْتَعْجَلُونَ) 14 لكنه أتى بما في معناها اللغوي، في قوله تعالى بعد تعليقه خلق الجن والإنس بعبادته: (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا) 57 وفي السورة ناسب فعل الأمر

¹ نظم الدرر 84/7

² التحرير والشواهد 372/13

الشاهد "ذوقوا" مثل: "ففرّوا"، "فتول عنهم"، "وذكر"، وفيها من أسلوب الخطاب ما يوهم صيغة التهكم، مثل: (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) 21 وقوله: (فَقُورِبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَقٌّ مِّثْلُ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) 23

في ضوء ما سبق تبين أن للمادة ذوق عشرين شاهدا، منها أربع عشرة صيغة لفعل الأمر، وهي في سياق الكفر والفسق والتكذيب والافتراء على الله الكذب، والبهل والاستكبار، والصد عن سبيل الله، والغرض منها الوعيد، والإهانة، والإذلال، والتوبيخ والتهكم، منها شاهد واحد في الوعيد الخاص ومع خصوص السبب إلا أن عموم اللفظ يشمل كل نظرانه من عتاة الكفر وجبايرته في كل مكان وزمان وهو "ذق" في الكافر أبي جهل، والباقي وهو بصيغة "ذوقوا" في الوعيد العام.

والصيغة الستة الباقية هي في المضارع، وعلى أربع حالات من حيث الإعراب، فالمرفوع "يذوقون" هو في الإفراط في التكذيب، وإنكار الساعة، وجاء في غرض الوعيد بالعذاب العدمي، هو الحرمان من البرد والشراب، والوجودي، وهو الإحراق بالحميم والغساق، وفي غرض الخلود في العذاب، والصورة الثانية هي في "ليذوقوا" هو في التكذيب، وأفاد تجدد العذاب لهم، وحدوثه، واستمراره، وتكراره، والصورة الثالثة هي في "فليذوقوه" هو في مقابلة امتداد النعيم في الجنة وعدم نفاذه وانقطاعه، ودل على دوام العذاب للمكذبين، وإحراقهم بالزمهرير البارد، وبالحميم والغساق، والصورة الرابعة للمضارع هي "اذقه" مسندا إليه الضمير مع نون العظمة، وهو في ثلاثة شواهد، وسياقها الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام والزيف عن الحق، فكانت في غرض الوعيد وفي التبكيت والتفريع، وأفاد المضارع دوام العذاب لهم، وأتى بالنون إيذانا بعظمته وقدرته في إهلاك المكذبين الظالمين.

مسألة في أكل أصحاب النار

جاء في المادة أكل صيغتان، الأولى فعلية وهي "كلوا" والثانية اسمية وهي "أكلون".

في سورة المرسلات : { كُلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ } 46

في سورة الصافات : { فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَيْسُوا مِنْهَا الْبُطُونَ } 66

في سورة الواقعة : { لَا يَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ } 52

الصيغة "كلوا" وردت في سياق التكذيب، وهي فعلية لأنهم آثروا الحياة الدنيا على النعيم الدائم فالآية تصف حال المكذبين بقول مقدر "أي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إثارة المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك بإجرامهم دلالة إلى أن كل مجرم ماله هذا¹ فالأمر في الصيغة غرضه التوبيخ والتقريع لهم.

أما الصيغة "أكلون" فهي باسم الفاعل لأن المشركين استنكروا وجود شجرة في النار، وهي التي تحرق الحجارة فكيف تنبت فيها شجرة ولذلك كانت الجملة هنا اسمية وهي مؤكدة وعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل لإثبات ما استنكروه من قبل.

مسألة في سقيا أهل النار

ورد السقي في عذاب جهنم، في ثلاث صيغ، وهي بالبناء للمفعول كلها، اثنان، منها في الزمن المضارع "يُسقى" و "تُسقى" والصيغة الثالثة في الزمن الماضي وهي "سقوا".

في سورة إبراهيم : ﴿مَنْ وَرَّاهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ 16

في سورة الغاشية : ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ غَيْرِ أَنْيَّةٍ (٥)﴾

في سورة محمد : ﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ 15

وردت الآية الأولى في سياق توعد الذين كفروا للرسول بإخراجهم من أرضهم، فقالوا: "لنخرجنكم" مؤكداين هذا التوعد بلام القسم والنون الثقيلة ما يدل على تماديهم في الشر فكان جزاؤهم بأن يسقوا من صديد جهنم، والسقي هنا مستعار للصديد وهو السائل المنبعث من أجساد أصحاب النار، وذكر ابن عاشور: "وجعل الصديد ماء على التشبيه البليغ في الإسقاء، لأن شأن الماء أن يُسقى" 1 وفي هذا التشبيه تهكم بالكافر الذي جعل له الصديد سقيا، فصيغة المضارع "يُسقى" ناسبت وصف تجرّع ذلك المانع المنفر بحرارته وريحه، جاء في تفسير الخازن: "يتجرّعه أي يتحسّاه ويشربه لا بمرة واحدة، بل جرعة بعد جرعة لمرارته، وحرارته، وكراهته، ونقته "ولا يكاد يسيغه" أي لا يقدر على ابتلاعه" 2 كما ناسبت صيغة المضارع "يُسقى" التوعد الذي بدر من الكافرين للرسول لأن التوعد يفهم الاستقبال في وقوع ما هددوا به، وفي الشاهد معنى النون للكافرين بعذاب سقيا الصديد، ثم أتبع بقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾

1 الدرر السنية 495/7

2 تفسير الخازن 26/1

وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} 17 ناسب تجدد إتيانه الموت عن طريق المضارع الصيغة "يُسقى" واسم الفاعل "بميت" المفهم للاستقبال، وفي سورة إبراهيم الآيات التي وصفت عذاب النار وردت بصيغة المضارع واسم الفاعل، وفي عبارة "ويبغونها عوجاً" أحسن التلاؤم لفظاً ومعنى مع الشاهد "يُسقى" لأن الإضلال نوعان: أولهما الصد عن الحق، وثانيهما: جعل الشك والريبة والشبهات في الحق، وهو أشد الصنفين من الإضلال، وقد تمثل في "يبغونها عوجاً" على عنادٍ منهم واستمرار ومُضي في الإضلال جوزوا بالتجرع للصد يد ويسقونه تارة بعد أخرى، وهو من أشد عذاب جهنم لأنه ورد بعطف بيان على الماء فكأنه حُصِّن بالذكر لعظيم نكاله بالكافرين.

أما الصيغة "سَقُوا" فهي في سياق إخراج أفضل الخلق نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- من أرضه مكة المكرمة، فالمضي في الشاهد ورد بمعنى المستقبل¹ جاء التأكيد العذاب لهم إذ تم منهم إخراجهم، أي حُتَّت عقوبتهم، وثبت سقياهم الصديد، وكأنه قد تمَّ لهم جزاء بما كسبوا، والشاهد أحيط بمعنى ابتاع الهوى والصد عن سبيل الله وكره ما أنزل على نبيه، وكله في الزمن الماضي والمضارع الذي يأتي حالاً بعد الفعل الماضي يدل على المضي كما وصفهم أثناء ذكر القتال: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ وكالآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْهَبَ لَهُمْ﴾ ومن المناسبة اللفظية ذكره الصيغ "زَيْن" و"وَعَدَ".

إذا كان الكافر يُسقى الصديد ويتجرعه، كما في سورة إبراهيم، فإنه قد تم في سورة محمد الآتية بالترتيب بعد سورة إبراهيم، وذكر فيها الحدث بعد السقي: "فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ" وهو المراد من سقيهم الصديد، ثم عاد بالصيغة إلى زمن المضارع في سورة الغاشية التي افتتحت بخطاب النبي -صلى الله عليه وسلم-

¹ انظر (ال، مل، مشكل القرآن 1811، الدرهم في علوم القرآن 372\3

ما يوحى باختصاص عذاب السقي في جهنم بأذى المشركين للنبي، لأن الشاهد ورد بعد خطاب الله تعالى إياه، والسياق في اتباع الهوى عن طريق الاجتهاد والنسب في عبادة غير الله، ولما كانت المعاني تشير إلى التجدد في اجتهاد القسيسين والرهبان وغيرهم من الضلال في العبادة دون أجر يكسبونه جاءت الصيغة "تُسقى" في الزمن المضارع، كما ناسبت الألفاظ: "تصلى" و"يُسمن" و"يُغني" و"تسمع" و"ينظرون" و"فيُعذبه" وهو ما يلائم اسم الفاعل لما فيه من معنى الاستمرار خاشعة، عاملة، ناصبة، حامية، أنية، راضية، ناعمة، لاعية، مذكر، مسيطر، وبهذا تشترك سورة إبراهيم والشاهد فيها في الزمن المضارع مع سورة الغاشية في توفر اسم الفاعل مهطعين، مقنعي، مقرنين.

الصريح جميعها وردت بالمبني للمفعول على أشهر القراءتين في شاهد الغاشية، لماذا؟ من الشواهد السابقة والسياقات التي جاءت فيها ظهرت بعض مدلولات لهذا الصيغة:

1- توفر الحدث ووقوعه دون جهد وعناء، لأن في ازدحام الحشود الهائلة العظيمة في ضيق من المكان، واشتداد في الحرارة يغدو توفر السقيا أمراً شاقاً، ولكن في جهنم يختلف الحال فهم "سُقوا" ومضى السقي هكذا ببسر وسهولة، وفيه ردع وتخويف للكافرين، جاء في التحرير: "ولما كان من الحر أحوج شيء إلى الماء يبرد باطن الكافر، قال بانيا للمفعول: "تُسقى" أي يُسقى كل من أذن له الملك، في ذلك على أهون وجه وأيسره".¹

2- المبالغة في إظهار قدرة الله سبحانه على تعذيبهم لأنهم اغتروا بمقدرتهم على إخراجهم النبي صلى الله عليه وسلم- وتوعده وتهديده بالعودة إلى ملتهم، فهم أرادوا امتهانه- عليه أفضل الصلاة والسلام- لأن في الإخراج والإبعاد امتهانا وإذلالاً فأذلهم الله وجازاهم بمثل ما فعلوا وفيه تنديد لهم.

¹ الدرر، والتوير 406/8

3- ثم الاهتمام بالفاعل في حال توفر السُّقيا لحشود عظيمة مكتظة في ضيق جهنم واستعار حرها للمبالغة في الانشغال بالذي جُعل له سقي الحميم، فتتصرف الأذهان للتدبر في مصيره وتتعض النفوس من سوء حاله.

4- إكراههم على السقي لشدة مرارته، قال البقاعي: "ولما كان المرجح وجود السقي للصديد مطلقاً، بُني للمفعول قوله: "وَيُسْقَى" أي فيها "من ماء صديد" وهو غسالة أهل النار كقيحهم ودمائهم "يتجرعه" أي يتكلف بلعه شيئاً فشيئاً، لمرارته وحرارته، فيغص به ويلقى منه من الشدة ما لا يعلم قدرة الله إلا الله، "ولا يكاد يسيغه" ولا يقرب من إساغته، فإن الإساغة جر الشيء في الحلق على تقبل النفس¹ فلا يتصور منهم أن يشربوه بأنفسهم.

5- النحقير من شأنهم وامتهانهم، ويؤيده قوله تعالى في سورة الدهر: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾²¹ فإنه نسب الفعل إلى نفسه تعالى تعظيماً وتكريماً وتعظيماً وتبجيلاً لأصحاب الجنة، على النقيض من سقي أهل النار.

6- صرف الأذهان والقلوب إلى تصور الحدث دون انشغال بمن قام بالفعل، قال: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَنِيدٍ﴾ مهّد الأذهان إلى تخيل السقي للصديد ثم فصل، وبين فقال: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾.

وهكذا خص عقاب السقي في جهنم في أذى الرسل، وإخراج النبي -صلى الله عليه وسلم- أو توعده بذلك، وهو مرتبط باتباع الهوى، وهو أشد ألوانه وأعظمه إثمًا -عند الله سبحانه وتعالى-.

وتتغير الصيغ حسب طريقتهم في اتباع الهوى، فلدى إيثارهم الدنيا على الآخرة، واستمرارهم في الإضلال بالتشكيك في الدين، وردت صيغة المضارع "يُسْقَى" ولدى إخراجهم النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة المكرمة، وفي سياق اتباع الهوى، بالتخلي عن قتال الكفار، وترك النفقة في سبيله، وكراهية ما أنزل،

وردت الصيغة في الزمن الماضي "سُقُوا" ثم عاد إلى قضية إثبات الدنيا على الأخرى، وفيه مداومة واستمرار، وذكر المجتهدين بعبادة غيره سبحانه، فعاد إلى صيغة التجدد والحدوث والاستمرار في المضارع "تُسْقَى" فالسقي في جهنم من أشد عذابها، لأن معصيته تجاوزت حد الكفر بالله وتكذيب الرسل إلى إرادة امتنائه - عليه أفضل الصلاة والسلام - ولذا ورد السقي بالبناء للمفعول لتكون الصيغ "يُسْقَى" و "سُقُوا" و "تُسْقَى" هي الأبلغ في مكانها.

واشترك في سياق القرآن ما كان في سورة الكهف من البناء للمجهول في قوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ للمعاني التي سبقت في الصيغ السابقة من تخويف الكافرين وإنذارهم، والتنديد بهم، وامتهانهم، وتحقير شأنهم، والتهكم بهم.

مسألة في حميم النار

الحميم هو الماء الذي تنأهى حره، ولذا اختاره تعالى للماء الذي يسقى للكافرين في جهنم، ذكر الأصفهاني: "الحميم الماء الشديد الحرارة، وقيل للماء الحار في خروجه من منبعه حمة، وروي: العالم كالحمة يأتيها البعداء، ويزهد فيها القرباء"¹ وقال ابن عطية: "هو السخن جدا من المانع الذي في جهنم، والعرب تقول للماء السخن جدا حميماً"² أي قد يكون مما ينبعث من أجساد المعدنين في النار، لأن العرب أطلقت الحميم على العرق تشبيهاً به.

وقد جاء في المادة ح م م ثلاث هينات "حميم" بوزن فعيل وهي بين التعريف والتذكير، وجاء بوزن "يحموم" يفعول، وباسم الفاعل "حامية"

في سورة الغاشية: {تَصْنَلِي نَارًا حَامِيَةً} 4

في سورة الأنعام: {لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} 70

في سورة غافر: {فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} 72

في سورة الصافات: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ} 67

في سورة ص: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} 57

في سورة الواقعة: {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ} ٤٢ {وِظِلٍّ مِّنْ يَّخْمُومٍ} ٤٣

في سورة محمد: {وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} 15

في سورة النبأ: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} ٢٤ {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} ٢٥

في سورة الرحمن: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ} 44

¹ معجم اللغة العربية الإسلامية 1/130

² المعجم الوسيط 5/222

حميم - حامية - يحموم

وردت الآية الأولى في سياق الإعراض عن الدين والاعتراض بالحياة الدنيا قال تعالى : ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَئَاءَ وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ فهم بما كسبوا من ذنوب استحقوا العذاب ولذلك قال هنا : ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ الأنعام 70 قدم الجار والمجرور لإفادة معنى الاستحقاق وفي السياق: "أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا" أي سلموا للهلاك بما فعلوا واكتسبوا من ذنوبهم.

أما الشاهد في سورة الصافات فقد ورد في سياق إنكار البعث ولأنه تكرر منهم زود ، الآية بجملة من أساليب التوكيد: "ثم" التي هي لتراخي الرتبة والمنزلة و "إن" واللام الداخلة على الاسم "الشوبا" إضافة إلى تنكير كلمة "حميم" للتحويل فناسب التكرار منهم لإنكار البعث زيادة في تأكيد وقوعه.

وفي سورة ص لم يتكرر فيها إنكار البعث فخلا الشاهد من التأكيد، وابتدأ باسم الإشارة للتنبيه على شدة عقابهم وللتناسب مع أسلوب عنادهم وتعنتهم قال في السياق : ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاجِرٌ كَذَّابٌ﴾ ص 4 و ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ هود 72 و ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُزَادُ﴾ ص 6 فكان جزاؤهم بقوله : ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوا حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ 57 أي مطابقا لأسلوبهم في السخرية والإنكار.

وفي سورة الواقعة كذلك لم يتكرر من المكذبين إنكار البعث فجاء الشاهد دون توكيد وإنما زاد في عقابهم "اليحموم" لأنهم زادوا على إنكارهم البعث أنهم

كانوا مترفين وكانوا يصرون على الكفر، واليحموم بناء مبالغة هو يفعل قيل أصله الدخان الشديد السواد، وتسميته إما لما فيه من فرط الحرارة كما فسر في قوله: {لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ} الواقعة 44 أو لما تصور فيه من الحممة وإليه أشير بقوله: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ} المزمر 16 في اليحموم لشدة سواده وفرط حرارته وتظليلهم بالحممة ما ليس في حميم مما ناسب تماثيلهم وإصرارهم على الكفر، وإفادة الصيغة "يحموم" معنى التهكم بما فيها من زيادة في المبنى وأثرها في قوة المعنى¹ قال ابن عاشور: "ولما كان للتهكم في القلب من شديد الوقت ما يجلب عن الوصف والحد قال "وظل" ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال من "يحموم" أي دخان أسود كالحمم أي الفحم شديد السواد للزيادة وشبه صيغة المبالغة"² ويزيد معنى التهكم بهم ما ورد في السياق من نعيم أهل الجنة في حال تقابل حال أولئك المترفين في الدنيا الذين أصروا على الكفر فلأصحاب الجنة: {وَذَا مِمْدُودٍ} {٣٠} وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} {٣١} الواقعة وأولئك أهل النار في شواظ ساخن ينفذ إلى مسام أجسامهم فيحرقها، وإذا أرادوا التبريد فإن ماء جهنم متناه في الحرارة لا يروي ولا يبرد وما أشق الشظف على من كانوا مترفين وهم مع ذلك العذاب الأليم لهم إيلاهم أشد وهو أنه سبحانه جعل لهم ظلاً يأوون إليه ولكنه: "هنالك" "ظل من يحموم" ظل الدخان اللافت إنه ظل السخرية والتهكم"³

ولم يأت في النظم الكريم "حموم" في آية: "في سموم وحميم" فاختار "فعيل" على "فعول" ليناسب معنى الاستكثار الذي يلجأ إليه من كان في معاناة من هبوب الرياح وأذاها الشديد وفي هذا ذكر الرازي لطيفة لغوية فقال: "فعول لما تكرر من الشيء والريح لما كانت كثيرة الهبوب تهب شيئاً بعد شيء وخص السموم بالفعل، والماء الحار لما كان لا يفهم منه الورود شيئاً بعد شيء لم يقل

¹ ينظر: السبائك 268/3، المهر في علوم اللغة وأنواعها 411/1

² المحرر والنوثر 411/7

³ في طائفة النثر 109/7

فيه حموم"^١ فهم إن تعرضوا للهواء أصابهم السموم وإن أرادوا أن يدفعوا عنهم هذا السموم كانوا في ظل من يحوم فلا خلاص لهم من عذاب الحميم.

وكما هو ملاحظ من وصف الماء في جهنم بالحميم في جميع الشواهد فلم يقل "حاميا" أو "محموما" أي اختيرت الصيغة "فعل" لأنها بناء يحمل في معناه اسم الفاعل واسم المفعول ويتضح هذا المعنى في الجمل الفعلية من الشواهد وهو:

في سورة محمد: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ 15

في سورة النبا: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)

في سورة الرحمن: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ 44

إذا كانت الصيغة "حميم" تشمل معنى فاعل ومفعول فهي وصف أشد للماء وأبلغ وهو ما يناسب المقام من تقطيع الأمعاء وإذابة ما في باطن الكافر من الأحشاء وظاهره من الجلد.

لم تكن صيغة "حام" أو "محموم" تناسب ذلك الماء الذي لو سقطت منه نقطة على جبال الأرض لأذابتها، فلم اختيرت "حميم" وما يميز "فعل" عن مفعول أو فاعل، ما الذي جعل "فعل" هي الأبلغ في مقام أشد ما يكون فيه العذاب في جهنم، ففي الآية: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ 44 أي أن أهل النار يفرون منها إلى الحميم فيكون الحميم مطلوباً لهم أي مفعولاً وإذا فروا منه إلى النار كما في الملواف بين الأمرين يكون الحميم فاعلاً لأنه أحرقهم، جاء في التحرير: "يمشون بين مكان النار وبين الحميم فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبرّد فلاح لهم الماء فذهبوا إليه فأصابهم حره فاتصرفوا إلى النار دواليك"² وبهذا تدل الصيغة "فعل" على معنى الإحاطة بالمعذبين في جهنم كما في الشاهد الآخر:

^١ نصير، الأري 4363/1

^٢ التحرير والتوير 382/4

"وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم" لما سقوا الحميم كان هو مفعولا، ولما قطع أمعاءهم أصبح فاعلا، فليم يقل ماء حاميا أو محموما ليناسب معنيي سقيهم للحميم وتقطيعه لأمعائهم فهم يلجؤون إليه ثم يفرون منه ويتضح معنى الإحاطة بهم في الشاهد بما ورد في السياق: "في الحميم ثم في النار يسجرون" لأن معنى السجر هو الامتلاء بالشيء فإن جهنم امتلأت بالكافرين في حين امتلأت أجوافهم من نارها وجميعها قال الزمخشري: "يسجرون" من سجر التتور إذا ملأه بالوقود. ومنه السجير ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم يسجرون بالنار مملوءة بها أجوافهم"¹

ولذلك خص سبحانه الشاهد في سورة الغاشية باسم الفاعل لما ذكر معنى العمل والندب فقال: (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ)³ ثم قال: (تَصْنَعُ نَارًا خَامِئَةً) الغاشية⁴ ليتناسب الجزاء مع العمل وللمناسبة اللفظية بين "حامية" وبين "خاشعة" و"غاشية" و"ناسبة" و"آنية".

وفعل أنسب من اسم المفعول في حميم لمعنى الثبوت والشدة والمبالغة جاء في شرح شذور الذهب: "فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس" وأقيم فعيل مقام مفعول لأنه أبلغ منه"²

وقال الألوسي: "الحميم يغلي منذ خلق الله تعالى جهنم"³ أي يناسبه صيغة فيها من الشدة والمبالغة كفعيل، وفي معنى الثبوت قال البقاعي: "كغلي الحميم أي مثل غلي الحميم أي الماء الذي تنأى حره بما يوقد تحته، فهو يثبت كأنه يريد أن يتخلص مما هو فيه من الحر"⁴ وفعل أبلغ من اسم الفاعل لأن الثبوت فيه أدوم فلم يكن إطلاق اسم الفاعل على الحميم الذي يغلي منذ خلقت جهنم مناسبا

¹ تفسير الشاف 183/4

² شرح شذور الذهب 102

³ روح المعاني 115/2

⁴ نظم الدرر 81/7

لأن صفة الحمم قد ثبتت للمانع المغلي منذ أمد بعيد فاختار الله سبحانه له الصيغة "حميم".

كما مر سابقا فإن "حميم" و "يحموم" جاءتا في جمل اسمية وعددها أربعة وهي لمعنى الجزاء واستحقاق العذاب والتهكم والسخرية ولمعنى الوعاء والظرفية فهم كائنون في الحميم واليحموم لاثبون فيهما.

وفي الجملة الفعلية جاءت "حميم" لغرض إحاطة العذاب بالكافرين والتنكيل بهم واقتسام مشربهم على ذلك المغلي من الشراب يُسْقَوْنَه فيقطع أمعاءهم وهذه الأغراض كانت في ثلاثة شواهد وفي شاهد واحد للجملة الفعلية وردت الصيغة "حامية" ليوافق اسم الفاعل معنى الاجتهاد في عبادة غير الله سبحانه وتعالى...

و"حميم" وردت نكرة في أربعة مواضع لغرض التعظيم والتهويل لعذابهم وكذلك "يحموم" و "حامية"

مسألة في اسوداد وجوه أصحاب النار

جاء في المادة س و د ثلاث صيغ، الأولى فعلية وفي الزمن المضارع وهي "تسود" والثانية فعلية في الزمن الماضي "اسودت"، والثالثة اسمية وهي "مُسَوْدَة".

في سورة آل عمران : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ 106

في سورة الزمر : ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ 60

السواد في الآيتين مجاز عن الغم أي عندما يرى الكافر أعماله السيئة محصاة يسود وجهه لشدة الحزن والغم، وقيل اللفظ حقيقة في السواد والحكمة في ذلك أن أهل الموقف إذا رأوا السواد في وجه الكافر أدى ذلك إلى تحقيره مما يزيد من غمه في الآخرة.

كانت الصيغة "تسود" فعلية لما ورد في السياق من النهي عن الاختلاف في الدين كما يفعل اليهود والنصارى والآية قبل الشاهد فيها من الأوامر والنواهي ما يتناسب مع الصيغة الفعلية هنا مثل: "ولا تكونوا كالذين تفرقوا" ومثل: "ولتان منكم أمة" و "ولا تفرقوا" أما في سورة الزمر فإن الصيغة جاءت اسمية لأن المكذبين نسبوا إلى الله سبحانه ما تنزه عنه كاتخاذ الولد وغير ذلك، ولوسفهم بالمتكبرين في قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فوصف وجوههم بأنها مسودة ولم يأت بالفعل هنا "ففي وصفهم بالمتكبرين إيماء إلى أن عقابهم بتسويد وجوههم كان مناسباً لكبريانهم لأن المتكبر إذا كان سيء الوجه

انكسر كبرياؤه لأن الكبرياء تضعف بمقدار شعور صاحبها بمعرفة الناس
نقائضه"¹.

أما في آل عمران فإن النهي كان عن الاختلاف في أصول الدين لما ينجم عن
ذلك من تفرّق بين المسلمين واستثنى الاختلاف في الفروع لأنه مفتاح الاجتهاد
فجاءت الصيغة فعلية لتناسب هذه المعاني ولهذا قال : (أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)
بالاستفهام للتوبيخ والتعجب لأن الاختلاف مفضي إلى الكفر كما حدث
للنصارى واليهود.

وفي الآية حدث تقابل بين بياض الوجوه واسودادها "وابتداً بحال الذين اسودت
وجوههم لمجاورته، وتسود وجوه وليكون الابتداء والاختتام بما يسر الطبع
ويشرح الصدر"² وهكذا فالصيغة الفعلية ناسبت معنى الاختلاف المفضي إلى
التفرّق، ومقامه الأوامر والنواهي، أما الاسمية فإنها ناسبت عقوبة ما نسبوه إلى
الله تعالى من صفات لا تليق بجلاله، فجاء وصفهم بصورة تلائم تكبرهم
وترفعهم عن الحق.

¹ الصدر ١١، المورد 450\12
روح المعاني 25\1

المبحث الرابع : لعن أهل النار

اللعن هو الإبعاد عن الخير، قد يكون من الله تعالى، أو من الإنسان، ولكل معنى خاص، ذكر الأصفهاني: "اللعن الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره"¹ وقال ابن عاشور: "اللعن الإبعاد عن الرحمة والتحقيق والغضب"².

تتوزع صيغ المادة ل عن ن بين الفعلية والاسمية، أما الفعلية منها فهي على خمس هينات:

"يلعنهم" في شاهد واحد، والماضي مبني للفاعل أربعة شواهد، ثلاثة منها مسندة إلى الضمير "هم" وجاء شاهد بقاء الفاعل "لعنت" وبالبناء للمفعول ورد شاهدان مضافان إلى واو الجماعة، "لعنوا" وبصيغة الأمر ورد شاهد واحد مع المصدر الموصوف في ﴿وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ الإسراء 68

في سورة الإسراء : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ 60

أما الصيغ الاسمية فالنصيب الأوفى فيها كان في الصيغة "لعنة" وعددها بالتعريف ست، وبالتنكير اثنتان، وباسم المفعول ورد شاهد واحد وهو "ملعونة" وباسم الفاعل شاهد آخر وهو "اللاعنون" وفيما يلي عرض لجميع الشواهد، ثم التحليل والمقارنة بينها، ثم التعقيب والخاتمة.

في سورة البقرة : ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ 159

¹ سورة البقرة : حرف القرآن 451/1
² التحرير والتنوير 407/6

في سورة الأحزاب : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ 57

في سورة التوبة : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّيَسَّرٌ﴾ 68

في سورة الأحزاب : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ 64

في سورة الأعراف : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾ 39

في سورة الأحزاب : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ 64

في سورة المائدة : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ بَدَأَ بَنِسَوِطَانٍ يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ 64

في سورة النور : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَخَسَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 23

في سورة الإسراء : ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ 68

في سورة الأعراف : ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ 44

في سورة البقرة : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ 89

في سورة البقرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ 161

في سورة هود : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ 18

في سورة الرعد : ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ 25

في سورة غافر : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ 52

المضارع مع اسم الفاعل

في سورة البقرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ 159

وردت الآية في سياق كتمان ما أنزل الله سبحانه أي جميع ما أوحاه إلى رسله فشمول بذلك كل من كتم من الأمم السابقة وجاءت الصيغة يكتُمون بالمضارع لتعاقب الأمم في كتمانها ما أنزل الله ولتجدده منها فقال "يلعنهم" بالمضارع ليناسب ما اقتترفوه من إثم.

والعدول بالصيغة إلى الغيبة للترهيب فجاءت "يلعنهم" بدل نلعنهم قال الألوسي: "الانتفات إلى الغيبة بإظهار اسم الذات لتربية المهابة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن سفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من صفة الجمال"¹.

وجاء باسم الفاعل هنا ليدل على شمول كل لاعن قال البقاعي: "أي كل من يصح منه لعن" أي هم متهينون لذلك ثم يقع لهم ذلك بالفعل عند كشف الغطاء وهم أهل لذلك وكل أحد يلعن الظالم وأظلم الظالمين الكافر"².

من كلام البقاعي ظهرت بعض دلالات اسم الفاعل: "اللاعنون" منها:

.. شمول الصيغة لكل لاعن

.. تهيو الأفراد للعن في المستقبل

¹ روح البقاعي 27/2
² نظم القرآن 291/1

أهليتهم لفعل اللعن وهذا مستمد من صفة الملعون وهو بأنه ظالم وكل أحد يلعن الظالم. قال في الكشف: "اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن وهم من الملائكة والمؤمنون من الثقلين"¹ جعل أهلية فعل اللعن مستمدة من صفة اللاعنين.

وفي قوله : ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الْمُتَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ التوبة 68 الماضي في الشاهد ورد لأن علة النفاق هي الشك والريبة، فكان من الأبلغ تأكيد لعنهم بصيغة دالة على الثبات فهم حادوا الله ورسوله، واستهزؤوا بآيات الله، فاستحقت أعمالهم زيادة في تأكيد العذاب لهم، أما في سورة الأحزاب فإن السياق ذكر إيذاءهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك فيه إيذاء له سبحانه وتعالى، ولكن محال أن يتعلق الأذى بالله حقيقة، ونظم الآية مما نبه العلماء إلى لطيفة فيه، حيث قالوا: يكون الفعل أو الحكم موجه إلى المعطوف وإنما يذكر المعطوف عليه. لنكتة بلاغية دقيقة وكأن الذي يؤذي رسول الله يؤذي رب الجلال سبحانه، وفيه تهويل وتفخيم للأمر، ثم إنه امرحي بقدر رسول الله عند ربه، فكان من المناسب أن تجيء الصيغة بالمبني للفاعل وهو رب العزة سبحانه، فكانهم أذوه بأذاهم لنبيه - عليه الصلاة والسلام - وبالماضي تأكيداً لعقابهم فهم إنما تجرؤوا على ذلك الجرم لتمردهم في الكفر ولمرض في قلوبهم وقسوة، فعوقبوا بما هو أشد من العذاب، وهو الطرد من الرحمة، قال الرازي: "اللعن أشد المحذورات لأن البعد عن الله لا يرجو معه خير بخلاف التعذيب بالنار"² والشاهد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ الأحزاب 64 سياقه التشكيك في الساعة فلزمه التأكيد بصيغة الماضي للدلالة على ثبوت وقوع اللعن للكافرين، ونسب الفعل إلى نفسه تهويلاً لعقوبتهم،

¹ تفسير الكشف 235/1

² تفسير الرازي 197/25

ولأن المنافقين كفروا بعد إيمانهم، وأدوا نبيهم - صلى الله عليه وسلم - ولأن أعمال المنافقين والكفار من كفر واستهزاء كانت في حقه تعالى، أو في حق نبيه، ولأن المنافقين أظهروا خلاف ما في باطنهم الذي خفي على الناس، إلا أنه ظاهر لله وحده مطلع عليه، فناسب المقام مجئ الفعل مبنيًا للفاعل، وهو هنا في لفظ الجلالة، ولأن جزاءهم المذكور في السياق ورد بأفعال منسوبة إليه سبحانه مثل: ﴿سَجَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ التوبة 79 وفي الصورة المقابلة كانت أعمال المؤمنين مقرونة بذكره تعالى، وكان جزاؤهم بأفعالهم منسوبة إليه سبحانه مثل: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ 89.

وزاد على اللعن في جميع الشواهد التعذيب، وأكد بوصفه "مهينا" وهو الذي يهين الكافرين مع إيلاهم أو "مقيما" لأن في إعداد العذاب دلالة على استمرارهم فيما بعد "والعذاب المقيم هو نوع من العذاب غير عذاب النار، دائم لا ينقطع أبدا"¹.

وهكذا كانت السياقات في إيدانه - عليه الصلاة والسلام - وفي سرد ذنوب المنافقين والكفار، وفي التشكيك في الساعة، مما لزم تأكيد الفعل في جميعها فجاء اصيغة الماضي، لأن الإيذاء لا يتحقق إلا ممن تمكن الكفر من قلبه، كما كانت علة النفاق الشك والريبة، ما استدعى نسبة الفعل إليه تعالى، وفي الشاهد الأخير: ﴿كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْتَهَا﴾ الأعراف 38 زاد فيها التكرار مع الماضي في "كلما" مناسبة مع ما تكرر من تكذيب من الكافرين في سياق السورة، ولذلك ورد اللعن بالماضي مع "كلما" لتأكيد وقوعه من بعضهم لبعض، فتلعن الأمة اللاحقة من سبقها من أهل النار.

¹ روح المعاني 286/7

الماضي المبني للمفعول

في سورة المائدة : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) 64

في سورة النور : (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) 23

المشترك في سياق الشاهدين هو الحديث عن اليهود والمنافقين وهدفهم في هدم الدعوة إما بالطعن في أهل بيته كما في حادثة الإفك وفي هذا الجرم شاركهم اليهود، أو بالدلعن الثاني وكان من اليهود في افتراءهم على الله الكذب بقولهم: "يد الله مغلولة".

والمراد بالمؤمنات عائشة - رضي الله عنها - لأن رميها هو رمي لكل أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - لاشتراكهن بالنزاهة والطهر والعفة وعد رميهم كفرا، والفعل جاء بالماضي ليناسب ما في قلوب المنافقين من شك وريب بالله وآياته وليناسب جرمهم وجرم اليهود وهو التشكيك بالدعوة لهدمها فأكد لهم العذاب بما في صيغة الماضي من ثبوت اللعن وتحقيق وقوعه لهم.

أما البناء للمجهول فلأن الطعن في عائشة من أعتى أصناف الكفر وأغلظه جاء في تفسير أبي السعود: "جعل رمي أمهات المؤمنين كفرا إبرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية من أن يحوم حوله أحد بسوء وهذا التهويل للجرم الذي اقترفوه تناسبه صيغة المبني للمفعول لدلالته على شدة عقابهم وهو الطرد من رحمته تعالى. وللامتهان والتصغير من قدرهم فهم أرادوا النيل من كرامة أهله ... صلى الله عليه وسلم - فامتهنهم ربهم بقوله "لعنوا" فكان جزاء موافقا لعملهم وللاهتمام بهم دون الفاعل إضافة إلى ما يدل عليه الاسم الموصول "الذين" أي أنهم اتصفوا بعادة رمي المحصنات فاختير المبني للمجهول ليحدث اهتماما بهم دون الفاعل، والاسم الموصول كذلك نبه إلى علة لعنهم جاء في

الظلال: "ويجسم التعبير جريمة هؤلاء ويبشعها، وهو يصورها رميا للمحصنات المؤمنات وهن غافلات ! فهي جريمة تتمثل فيها البشاعة كما تتمثل فيها الخسة، ومن ثم يعاجل مقترفها باللعنة. لعنة الله لهم، وطردهم من رحمته في الدنيا والآخرة"¹ ظهر من النص السابق ما أوحى به الفعل المبني للمجهول وهو الاهتمام بعقوبة اللعن والاعتناء بعلّة استحقاقهم للعن وهي رميهم أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - أي أن الصيغة "لعنوا" شدت الأذهان إلى عظيم جرورها.

أما المبني للمجهول في الشاهد الثاني (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا) بما قالوا بل يذاه مبسوطان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للخبز أطفاها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين² المائدة 64 فهو أسلوب دعاء علم الله المسلمين أن يدعوا به على اليهود قال الرازي: "(غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا) المعنى أنه تعالى يعلمنا أن ندعوا عليهم بهذا الدعاء"³.

ففي هذا الأسلوب تهويل لجرمهم، وتصغير لشأنهم لأنهم تجرؤوا عليه سبحانه بالقول الباطل الذي يحمل في ثناياه السخرية - تعالى الله علوا كبيرا مما يقولون - وفي هذا الأسلوب اهتمام بهم دون الفاعل للندارة والموعظة مما آلوا إليه من عقاب. قال البيضاوي: "غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا" دعاء عليهم بالبخل والنكد والمسكنة"³.

¹ في مدارك القرآن 270/5

² تفسير الرازي 1683/1

³ تفسير الرازي 180/4

وعقابهم في الدنيا لا ينفي عقوبتهم في الآخرة فهم مطرودون من رحمته معذبون خالدون في العذاب، بل عقوبتهم في الدنيا مرتبطة بعقاب الآخر ممتدة إليه.

صيغة الأمر مع المصدر الموصوف:

في سورة الأحزاب : (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) 68

وردت في سياق التكذيب بالساعة، وجاءت صيغة الأمر هنا وهي للدعاء وكان من الضعفاء لدى تخاصمهم مع متبوعهم فأرادوا الانتقام منهم ونادوا بهذا الدعاء وهو من باب طلب النفس بتعذيب الذين أضلوهم، قال الفخر الرازي: "وفي قوله تعالى : (ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) معنى لطيف وهو أن الدعاء لا يكون إلا عند عدم حصول الأمر المدعو به والعذاب كان حاصلًا لهم واللعن كذلك فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب بقولهم ضعفين وزيادة اللعن بقولهم لعنا كبيراً"¹

وهذا ما يفسر وجود المصدر "لعنا" في الآية وما ورد في السياق من تكرار ندائهم للمبالغة في قولهم: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا) (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) الأحزاب لم يرد في النظم الكريم مثله ودلالته على لسان هؤلاء هي مضاعفة عذاب المضلين. جاء في التحرير "وصف "اللعن" بالكثرة كما وصف "العذاب" بالضعفين إشارة إلى أن الكبراء استحقوا عذاباً لكفرهم وعذاباً لتسبيهم في كفر أتباعهم، فالمراد بالكثير الشديد القوي، فعبر عنه بالكثير لمشكلة معنى التثنية في قوله "ضعفين" المراد به الكثرة"² وقد زاد التنوين تعظيماً للوصف.

¹ مصابيح الآري 201/25

² التحرير والتنوير 332/11

الصيغة "الملعونة":

في سورة الإسراء : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي
أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا
طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (60)

وردت الآية في سياق التكذيب بالله تعالى وهنا يذكر سبحانه نبيه بالرؤيا التي
بشره بها بمصارع كفار قريش يوم بدر ولما أنزل الله قوله : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ
(٤٣) طَعَامُ الْآثِمِ (٤٤)﴾ الدخان في الصافات صار أبو جهل ومن معه يسخرون
بها وبالرؤيا ويقولون كيف تنبت شجرة في الجحيم والنار تحرق الحجارة، أراد
الله تخويفهم فما زادهم إلا نفورا وطغيانا وبذلك صارت الرؤيا والشجرة فتنة
لهم.

لماذا وصفت الشجرة باسم المفعول ولماذا تلعن شجرة لا ذنب لها، قال
الزمخشري: "لعنت حيث لعن طاعنوها من الكفرة والظلمة: لأن الشجرة لا ذنب
لها حتى تلعن على الحقيقة، وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز"¹
والغرض هو ردع كفار قريش مرة أخرى وإقامة الحجة عليهم بعد ذكر شجرة
الزقوم بوصفها هنا بـ "الملعونة" ليذكرهم بأنهم هم الملعونون على الحقيقة
ولكن لعن ما هم أكلوه في جهنم للمبالغة في تخويفهم فما زادهم إلا كفرا
وطغيانا. ومنهم من جعل اللعنة حقيقة للشجرة، قال في البحر المحيط "والظاهر
إسناد اللعنة إلى الشجرة واللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في
أبعد مكان من الرحمة"² وبذلك يكون وصفها بالملعونة لأنها في أبعد مكان من
رحمته تعالى. وقال البقاعي: "الملعونة" في القرآن بكونها ضارة والعرب

¹ تفسير الدغشاب 676/2

² البحر المحیط 55/6

يسمى كل ضار ملعونا وبكونها في دار اللعنة وكل من له عقل يريد بعدها عنه¹.

وفي أساس البلاغة "الشجرة الملعونة: كل من ذاقها لعنها وكرهها"² فيكون وصف الملعونة لها على الحقيقة بكونها مكروهة لمن طعمها ويتجنبها كل عاقل لضرها. وكلام الزمخشري هنا أرجح لأنها جاءت في سياق تهديد الكفار الملعونين وليس في سياق وصف الشجر وإن لم تبعد باقي المعاني.

وصيغة "الملعونة" جاءت مبتدأ حذف خبره وتقديره فتنة وهي معطوفة على "الرويا" وقد ناسبت بعض الألفاظ في السياق مثل: "محدورا"، "مسطورا"، "مؤدورا".

الصيغة المعرفة بال وهي "اللعنة":

حيث وردت في موضعين هما: في سورة الرعد: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾²⁵ وفي سورة غافر: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾⁵²

في سياق نقضهم عهده - سبحانه وتعالى - من بعد ميثاقه وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والإفساد في الأرض فالمبتدأ "اللعنة" جاء مؤخرا في جملة خبرية اسمية وتقديم الخبر هنا "لهم" يفهم معنى الاستحقاق أي أنهم استحقوا اللعنة بما فعلوا من ذنوب.

¹ نظم الدرر 401/4
² أساس البلاغة 336/2

الصيغة المعرفة بالإضافة في الجملة الاسمية:

في سورة الأعراف : (فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) 44

في سورة البقرة : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) 89

في سورة البقرة : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) 161

في سورة هود : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) 18

ارتبطت كلمة "لعنة" بالكفر والافتراء الكاذب عليه سبحانه وتعالى وهو الظلم البالغ وقد وردت في مواضع ستة في القرآن الكريم ضمن جمل اسمية وقد يتأخر المبتدأ عن الخبر، والخبر في جميع الشواهد هو شبه الجملة إما بالجار "علي" أو بالجار حرف اللام مع الضمير "هم" أو اسم الفاعل "الظالمين" أو "الكافرين".

و "لعنة" جاءت معرفة بطريقتين: بأل التعريف أو بإضافتها إلى لفظ الجلالة وهي "لعنة الله" وهنا اقترنت بالخبر "عليهم" أو "على الظالمين" أو "على الكافرين" فلماذا حدث هذا الاقتران؟ لأن السياق يدل على معنى الحكم والفصل كما في "فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين" أي وكتبت اللعنة وحققت عليهم وأنها من لدن من لا حَكَمَ غيره يومئذ وهو "الله" عز وجل وهو ما يفسر إضافة لفظ الجلالة إلى كلمة "لعنة" وكذلك حين إشهاد جوارحهم أو الملائكة والنبيين على كذبهم وافتراءهم على الله سبحانه الباطل وهذا في موقف العرض عليه سبحانه للحساب أي هو مقام الفصل والحكم، وهنا اقترن التكذيب باسم الفاعل، "الظالمين" لأن الافتراء على الله الكذب هو أظلم الظلم.

وشبه الجملة "عليهم" أفادت معنى الاحاطة بهم لما ورد في السياق: "لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون" والعذاب هو اللعن قال البقاعي: "ولما كان اللعن دالا على العذاب صرح به فقال: "لا يخفف عنهم العذاب" لاستعلاء اللعن عليهم وإحاطته بهم".¹

وفي الشاهد الثاني من سورة البقرة قدم الخبر لأنهم أصرروا على كتمان ما أنزل الله وماتوا على كفرهم وجاء بصيغة المبالغة كفار بدل كافرين ونبه إليهم باسم الإشارة لتهويل ذنبهم وأسلوب الآية يفهم القصر ما يؤكد زيادة استحقاقهم لللعن وهو ما يقابل حال المؤمنين في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ 157.

النكرة "لعنة":

وقد وردت في جمل فعلية في موضعين وهما:

في سورة هود: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ 60

في سورة هود: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ 99

وهما في سياق إهلاك قومي عاد وفرعون والصيغة جاءت مع الفعل "اتبعوا" واقتربت بلعنة في الدنيا ولأنها في سياق الإهلاك وردت نكرة للتهويل والتنديد بالكافرين ولذلك قال بعدها: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ 60 وقال في فرعون وقومه: ﴿يَنْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ 99.

كان النصيب الأوفى في المادة ل ع ن للصيغة الاسمية "لعنة"، وهي بين التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، في ثمانية شواهد، أما الصيغة "لعنة" المعرفة بالإضافة فهي في أربعة مواضع، وقد ارتبطت بأبلغ الظلم، وهو الافتراء على الله الكذب. خبرها جميعا شبه الجملة، إلا أنه تنوع حسب المقام الذي هو فيه، فإن كان المعنى هو الحكم، والقضاء والفصل، أو معنى الاستشهاد عليهم، أتى بشبه الجملة "على الظالمين" وهنا تَقْتَرِنُ اللعنة أو تَعْرِفُ بالإضافة لفظ الجلالة إليها، للدلالة على أن اللعن كان من لدن مَنْ لا حَكَمَ غيره يومئذ، وشبه الجملة "على الظالمين" أفاد إحاطة اللعن بهم، لاستعلانهم عليهم وتقديمه أفاد معنى القصر مؤكدا زيادة استحقاقهم لللعن.

أما ما عُرِفَ بآل فهو في شاهدين، وسياقهما نقضهم العهد، والإفساد في الأرض، والغرض الاستحقاق، أي استحقوا اللعن بما كسبوا من ذنوب، وهنا قَدَّمَ الخبر "لهم" أي إن الصيغة "لعنة" وهي معرفة وردت ضمن الجملة الاسمية. أما الصيغة "لعنة" وهي نكرة فقد وردت في جمل فعلية في موضعين، ومقامهما الأخذ والإهلاك لقومي عاد وفرعون، واقترن الشاهدان بالفعل "أتبعوا" والتنكير كان لغرض التهويل والتنديد بالكافرين.

ثم يلي الاسم "لعنة" من حيث العدد الماضي المبني للفاعل. فكان في أربعة شواهد، وسياقها التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها والتكذيب بالساعة، وسرد أعمال المنافقين، فالمضي ناسب علة نفاقهم وهي الشك، وتمكن الإجماع والكفر في قلوبهم، فالصيغة دالة على تحقق اللعن لهم.

ونسب الفعل إلى نفسه تعالى، لأن النفاق قد يخفى على المسلمين، لكنه ظاهر لله فكان اللعن من جهته، وكذلك إيذاء النبي هو جرم عظيم، فتكفل ربه بلعنهم، أما في الصيغة "لعنت" فقد نسب الفعل إلى الأمة اللاعنة لمن سبقها في الجحيم، وذكرت مع "كلما" للتكرار والدلالة على تعاقب الأمم المكذبة في الدنيا، ثم يليه

من حيث العدد الماضي المبني للمفعول فكان في شاهدين، وسياقهما الحديث عن اليهود والمنافقين، ما يعني إن الماضي كما في الشواهد السابقة ليناسب ما في قلوب المنافقين من شك وريب في الله وآياته، وليناسب جرم اليهود وهو التشكيك في الدعوة لغرض هدمها. والبناء للمجهول لتهويل اللعن لهم، ولا متهانهم، والتصغير من قدرهم، وقد أفاد الموصول علة استحقاقهم للعن أنهم خسيسو الطباع برميتهم للمؤمنات الطاهرات، وأفاد البناء للمجهول في الشاهد الثاني أدبا قرأنا في الدعاء على اليهود.

وجاء بالمضارع شاهد واحد مع اسم الفاعل، والمضارع لتعاقب الأمم في كتمانها ما أنزل الله، ولتجدده منها وليناسب ما اقترفوه من اثم، وتم في الصيغة عدول إلى الغيبة، مظهرا اسم الذات للترهيب، ودل اسم الفاعل "اللاعنون" على شمول كل لاعن من الثقلين.

وصيغة واحدة للأمر في غرض الدعاء، ومقامها المحاجة في النار، وهو من باب تفشي المستضعفين بتعذيب خصومهم المتبوعين، انتقاما منهم، وفائدة المصدر الموصوف "لعنا كبيرا" تحقق لعنهم وعذابهم والمبالغة في زيادتها.

وباسم المفعول ورد شاهد واحد وهو "ملعون" سياقه المبالغة في التكذيب وتهديد الكفار المعاندين، فهو في غرض الردع والمبالغة في تخويفهم بأنهم هم الملعونون على الحقيقة.

مسألة في انتفاء معذرة أهل النار

جاء في المادة ع ذ ر ثلاث صيغ، اثنتان منها فعليتان، الأولى منصوبة بلن وهي "تعتذروا" والثانية مرفوعة بثبوت النون وهي "تعتذرون" والصيغة الثالثة هي اسم المصدر "معذرة".

في سورة المرسلات : (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) 36

في سورة التحريم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) 7

في سورة الروم : (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) 57

في سورة غافر : (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) 52

ورد الشاهد "تعتذروا" لما استدعى المقام الاعتمال للفعل، ففي السياق جاء قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) التحريم وهذا الأمر منه للمؤمنين يتطلب منهم الاجتهاد لتبليته، والانتفاء من الافتعال، أي إن اجتناب النار لابد له من صبر واجتهاد، وكما عرف الصرفيون الافتعال بقولهم: "افتعل للتصرف أي الاجتهاد والاضطراب في نحصيل أصل الفعل" 1. فكما ناسب معنى الافتعال السياق السابق، كذلك ناسب ما لحقه بعد الشاهد إذ ورد الأمر بالتوبة وهو ما يعوزه الصبر والاجتهاد في الإقلاع عن الذنب والاستغفار والمداومة للعمل الصالح، ولذلك وصف التوبة بصيغة المبالغة فقال "نصوحا" وكأنها تنصح صاحبها، فالشاهد حفته الأوامر فجاء بأسلوب النهي "لا تعتذروا" وحفه الاعتمال والصبر والاجتهاد فجاء

¹ شرح التوبة ابن الحاجب (1108)

بصيغة الافتعال، فهو جل وعز يُذَكِّر الذين كفروا بالأعمال التي تغني عن اعتذارهم يوم القيامة وهي اتقاء النار، والتوبة، أي اجتهدوا اليوم فإنكم منهون عن الاعتذار يوم القيامة، لأنه يوم جزاء لا توبة فيه ولا اعتذار، قال البقاعي: "تعذروا أي تبالغوا في إظهار العذر وهو إيساع الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير"¹ فإنه لما بالغ في وصف النار فجعل وقودها الحجارة والناس، أي اللين والصلب، وبالع في وصف ملائكتها بأنهم "غلاظ شداد" وأشار إلى تجدد عملهم في تعذيب أصحاب النار، فقال: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فإنه نهى هنا عن بذل الجهد في الاعتذار، قال الرازي: "لما ذكر شدة العذاب بالنار، واشتداد الملائكة في انتقام الأعداء، فقال: (لا تعذروا)"² أي أن صيغة الافتعال ناسبت مقام الشدة والاعتماد لتحصيل أصل الفعل، وغرض النهي تنييسهم من النجاة والخلص لأنه "إذا نهى عن المبالغة في الاعتذار لعدم نفعها، كان النهي عن مطلقه من باب الأولى، وهذا قطع لرجائهم، وإيجاب لئاسهم ليعظم همهم، وتنقطع قلوبهم، لأن معناه أن الاعتذار لا ينفع وإن بالعتهم فيه"³.

أما اسم المصدر "معذرة" فهو في إثبات القدرة لله تعالى وخلق المعجزات وذكر الأقوام المكذبين لرسولهم، وذلك اشترك في سياقات الشاهدين، إلا أن لكل من الصيغتين وجوه بلاغية خاصة بها ففي سورة الروم بسط وفصل في ذكر المعجزات حتى هزيمة الروم عدها آية ومعجزة و"المعذرة اسم مصدر، معناه إذا أبدى علة أو حجة ليدفع عن نفسه مؤاخذه على ذنب أو تقصير لأجل سبب يدفع عنه المؤاخذه بما فعله"⁴ ومناسبة مجيئه هنا لتأييسهم من أدنى نفع للعذر؛ لأن المصدر دال على مجرد الحدث، ومن هنا يبدوا الربط بين المعجزات التي

¹ نظم الدور 53\8

² تفسير الرازي 4490\1

³ نظم الدور 53\8

⁴ التحرير والتلويز 181\11

أوجدناها للتدبر بأحداثها والإيمان بها، وبين اسم المصدر "معذرة" لأنه مجرد عن الزمن؛ فهم لم ينتفعوا من خلق وتسخير تلك المعجزات، لذلك هم محرومون من أدنى نفع وهو مجرد حدث الاعتذار، ولذلك أُرِدَفَ الشاهد بالعبارة "فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم" بالجملة الفعلية "ولا هم يستعتبون" لأنهم لم يفعلوا ما أمرهم به، وهو أن يتفكروا ويؤمنوا ويشكروا، ولذلك قال بعد الشاهد : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا نَأْتِيَكُم بِآيَاتٍ مِّن مَّا مَنَعُوا إِلَىٰ إِزَالَةِ الْأَعْدَارِ وَإِتْيَانٍ بِمَا فُوقَ الْكَفَايَةِ مِنَ الْإِنذَارِ^١﴾. أما الشاهد من سورة غافر فقد ورد أثناء تحاجج أهل النار، قال الضعفاء : ﴿قَهَلْ أَنتُم مَّعْتُونٌ عَنَّا نَحْصِيَّا مِّنَ النَّارِ﴾ غافر 40 ففي اختيار الجملة الاسمية واسم الفاعل، وتقديم كلمة "عنا" ومجيء كلمة "نحصىا" وتنكيرها، وذكر "من" للتقليل، في ذلك كله إشارة إلى تمكن اليأس في قلوبهم من جدوى نفع الرؤساء لهم ذلك اليوم، ثم رد عليهم خصومهم بالجملة الاسمية المؤددة: "إنا كل فيهما" وأتبعوا قولهم بيأس أشد: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ 48 جاورا بأن للمرة الثانية، وبقد التي هي لتأكيد الفعل، وهو هنا دال على الثبوت لإرادة المستقبل به، ولما استحکم اليأس في الأتباع من المتبوعين استغاثوا بخزنة جهنم، وفي كلمة ريبكم مزيد استغاثة، فالسياق دال على يأس عظيم عندهم، وعلم بانقطاع الأمل لدى خزنة جهنم المتمثل في ردهم ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيَكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ 50 فكان المناسب لهذا المقام مجيء اسم المصدر "معذرة" الدال على مجرد الحدث لينتفي إمكان حصول أدنى نفع للاعتذار، ولذلك قال لهم خزنة جهنم ﴿فَادْعُوا مَآءَ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ غافر 50 ولذلك قال هنا "الظالمين" ولم يقل "الذين ظلموا" كما حدث في سورة الروم إشارة إلى عظيم كفرهم، إذ صار الظلم وصفا لهم، وتكررت هنا الجمل الاسمية، وأتبع بأسلوب القصير في جملتين قال : ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ 52 ثم جاء بأسلوب

^١ المصادر الروي 3589/1

التوكيد في إثبات القدرة والبعث : (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ) 59 بينما في سورة الروم استدعى مجيء اسم المصدر "معذرة" كفرهم بالآيات وإصرارهم على ذلك، واهتمام السياق البالغ بهذا الغرض من تكرار ذكر الآيات والحث على التفكير بها، والعطف بالفاء في "فيومئذٍ" والتعقيب بإقامة الحجة وإزالة العلة بعد انتفاء الأعداء بأنه تعالى ضرب للناس من كل مثل.

فالمقامان في الشاهدين يدلان على يأس وتأييس عظيمين لدى أصحاب النار بفوات النجاة بعد الإنذار وإقامة الحجة.

لم يقل تعالى اعتذارهم بدل "معذرتهم" لأن الاعتذار من الافتعال وفيه من التكلف ما ينافي معنى اليأس والتأييس في الشاهدين فهم حرموا من التطلع إلى النفع من مجرد حدث المعذرة وعلم من المقامين أنهم في أعظم درجات اليأس فكيف يتكلفون الاعتذار، ولهذا كان اسم المصدر "معذرة" هو الأنسب في موقعه.

والمصدر في السورتين تكرر في ثنايا الآيات الكريمة، ففي سورة الروم ذكر الله سبحانه الكلمات التالية:

وغد، خلق، اختلاف، منامكم، ابتغاؤكم، خوفاً، طعماً، وفي سورة غافر ذكر المصدر مقت، خروج، ظلم، ويلاحظ أنها في عذاب النار، وفي ختام السورتين اشتراك في الآية : (فَاصْنِرِْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) 77 أي بذكر المصدر "وعد".
تدرج القرآن الكريم بهذه المادة فبدأ باسم المصدر في يأس الكافرين لنفي نفع أدنى درجة من العذر واتباع بالجملة الفعلية لعدم قيام الكافرين بما أمروا به من التفكير بالآيات والإيمان بها والشكر عليها وذلك في الشاهد من سورة الروم، ولما استند يأسهم وظهر تنبيسهم من خزنة جهنم أحيط الشاهد بسياج من أساليب التوكيد وذلك لما ذكر في السياق من تشكيكهم بالساعة وكفرهم وتكذيبهم بالله

وأياته، وهذان نفيان انتقل من نفي إلى نفي أكد وأشد أي من نفع مجرد الحدث العذر، والشاهدان يشيران إلى وجود أعذار منهم أثناء اضطراخهم في جهنم.

ثم انتقل إلى النهي عن تقديم العذر وهذا تدرج بالعقاب قال: "لا تعتذروا: وفيه إشارة إلى تمكنهم من الاعتذار قبل النهي ثم انتقل إلى نفي الإذن والمعذرة فقال: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ المرسلات 36 وهو ما يكون قبل دخولهم جهنم حيث يعرفون للحساب ولكنه كان الشاهد الأخير في القرآن الكريم فيكون تدرجه بهذه الطريقة: من نفي نفع المعذرة إلى نفي أكد ثم إلى نهى عن تقديم الاعتذار ثم إلى نفي الإذن والمعذرة وفيه إيلاء أشد وتنبؤ أعظم لأهل النار وإن كان في واقع اليوم الآخر هو الأسبق ولكن الله سبحانه أراده في الترتيب القرآني هو الأخير ليحذر الذين آمنوا وليتمكن اليأس من قلوب الذين كفروا.

ترك المصدر الدال على الافتعال للتخفف، واختار سبحانه اسم المصدر "معذرة" ثم انتقل إلى صيغة أقوى، وهي المضارع المجزوم بلا الناهية "لا تعتذروا" ثم انتقل إلى الأقوى وهو المضارع المرفوع بثبوت النون "يعتذرون". لو جسنا الترتيب القرآني إلى وقائع اليوم الآخر لظهرت حلقة مفرغة يدور في فلكها أهل النار، أي سواء عليهم أعتذروا أم لم يعتذروا فلن ينجوا من العذاب وهم بذلك كأنهم لم ينطقوا، وهو ما أتى به القرآن الكريم في سياق آخر شاهد ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ وفي واقع يوم القيامة هو قبل دخول النار ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ وهو ما يعيد بالذهن إلى اسم المصدر أي الصيغة التي بدأ بها وأراد انتفاء أدنى نفع للعذر.

المبحث الخامس : الخروج من النار

جاء في المادة خرج ثلاث صيغ فعلية، الأولى كانت في المصدر غير الصريح "أن يخرجوا" والثانية في صيغة الأمر "أخرجنا" والثالثة في المضارع المبني للمفعول "يخرجون" وصيغتان اسميتان وهما: اسم الفاعل "خارجين" والمصدر "خروج".

في سورة الحج : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ 22

في سورة السجدة : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ 20

في سورة المائدة : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ 37

في سورة الجاثية : ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ 35

في سورة المؤمنون : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ 107

في سورة فاطر : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَعْمٍ﴾ 37

في سورة غافر : ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلْتُنَّيْنَا وَأَخْيَتُنَا أَلْتُنَّيْنَا فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ 11

اشترك في الشاهدين من سورتي الحج والسجدة معنى تكرار إرادة خروجهم من النار والذي يفهم من الظرف "كلما" وسياقهما أن كل من في السماوات والأرض يسجد لله، ثم ذكر الذين امتنعوا عن السجود، وهو هؤلاء الذين أرادوا الخروج من النار، فأتى بالمضارع ليدل على تكرار تعذيبهم ويظهر ربطه بتجدد عبادة السجود لله من جميع المخلوقات، والربط بين الشاهد والألفاظ المذكورة في العذاب كما في السياق: (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾) أي بصيغتي المضارع "يُصَبُّ" و "يُصْهِرُ" فأتى بالفعل "يخرجوا" لتصوير ذلك المشهد المتحرك الشاخص الذي يعبر عن انفعالات أصحاب النار، وهم يحاولون الخروج من النار ثم يعادون فيها، جاء في الظلال: "إنه مشهد عنيف صاخب، حافل بالحركة، مطوّل بالتذليل الذي يبعثه في النفس نسق التعبير، فلا يكاد الخيال ينتهي من تتبعه في تجدده"^١.

والمعنى الثاني لاجتماع المضارع مع "كلما" هنا هو التنبيس لأصحاب النار، فهم بين طمع ورجاء وبين يأس وانقطاع أمل، ذكر الشعراوي في وصفهم: "مثال ذلك السجين العطشان الذي يطلب كوب ماء.. ويستطيع السجان أن يقول له: لا. ليس هناك ماء. أما إذا أراد السجان تعذيبه بأكثر من ذلك فيقول له سأتي لك بالماء، ويحضر له كوبا من ماء زلال، ويمد السجين يده لكوب الماء لكن السجان يسكب كوب الماء أرضا، فهذا هو الابتداء المطمع والانتهاه المونس"^٢ ومن هذا الوصف والتمثيل لعذاب أصحاب النار تظهر بعض الدلالات للصيغة "يخرجوا":

١- تنبيسهم بعد أمل ورجاء.

٢- المبالغة في تعذيبهم.

^١ في الخلا، القرآن ١٨٨٥
^٢ تفسير الشعراوي ص ٦٩٩

3- الإهانة والتهكم بهم. وهذا معنى قوله تعالى : (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) ولهذا قال هنا : {ثَوَقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ}.

4- الإشارة إلى العذاب الروحي، وقد لاءم ما في السياق من حرمانهم من لذة السكينة في الامتثال لله بالسجود له، فهم لم يسجدوا كغيرهم فكان جزاؤهم تجدد تعذيبهم وسعاودة تنبيسهم وامتهانهم بعد رجائهم وأملهم بالنجاة، فالوصف بالصيغة ليس لتعذيب أجسادهم فحسب بل لما يدور في خواطرهم. في سورة المائدة (يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) 37 الآية تنفي خروجهم منها، إلا أن الخروج متحقق بدليل إعادتهم في النار، جاء في الكشف: "الإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج، فالنار تضربهم بلهبها فترفعهم ، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً" 1 وقال الألوسي: "كلما أراد أحدهم أن يخرج من مكانه المعد له في النار إلى مكان آخر منها فخرج منه أعيد فيه" 2 لكن الشاهد يختلف عن سابقه بغياب معنى تكرار إرادة خروجهم من النار المستفاد من الظرف "كلما" فالصيغة تستفيد من السياق فيحدد معنى فيها كما في المضارع الذي في المصدر غير الصريح هنا، إذ معنى "يريدون" أي يتمنون فيغيب معنى تكرار الخروج من النار في الشاهد لأن السياق في إقامة الحدود من قتل وصلب وقطع الأيدي والأرجل في عقوبتي الحراية والسرقعة المحيطة بالشاهد قبل وبعد وهو ما يفسر تعقيب الشاهد بالجملة الاسمية المنفية وباسم الفاعل المقرون بالباء (وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا) لأن الحكمة من إقامة الحدود هي تطهير المجتمع من الجريمة فلا تكرر ولا تعاد حتى تكاد تختفي لخشية الناس من هول العقاب، وربما كان هذا سببا في غياب معنى تكرار إرادتهم الخروج من النار، وبالتالي غياب معنى تكرار الفعل في الشاهد. ومن أسباب مجيء اسم الفاعل عقب الشاهد أن أفعال

¹ تفسير الكشاف 151/3

² روح المعاني 135/17

الشر التي قاموا بها هي من عند أنفسهم فكان جزاؤهم موافقا لعملهم بخلاف أصحاب الجنة فإن أعمالهم كانت بتوفيق من الله فورد وصفهم باسم المفعول، جاء في نظم الدرر: "م يكن هنا (وما هم منها بمخرجين) كما قال في أهل الجنة للإشعار بأن اليأس والانقطاع واقع منهم على أنفسهم، فكان بوادي أعمالهم في الدنيا من أنفسهم عندهم جرى نأ جزائها على حد ذلك في المعنى كما قال أعمال أهل الجنة عندهم من توفيق ربهم جرى ذكر جزائهم على حد ذلك من المعنى بحسب ما يقتضيه اختلاف الصيغتين، ولأن الجنة لعظيم نعيمها لا يتصور إرادة الخروج منها فلم يقل بخارجين"¹ لأن أهوال النار تؤدي بأصحابها لأن يهملوا بالخروج منها بخلاف نعيم الجنة الذي يجعل أهلها {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا} جُولًا الكهف 108 واسم الفاعل يدل على انقطاع رجائهم من شركائهم بعد أن دعواهم ولم يستجيبوا لهم، أو هم عجزوا عن نفعهم بأن يخرجوهم من النار، فعادوا إلى أنفسهم لينظروا فيما هم فيه من عذاب.

أما الجملة الاسمية فهي للمبالغة في خلودهم في العذاب، قال البيضاوي: " (وما هم بخارجين) أصله وما يخرجون فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والإقنات من الخلاص والرجوع إلى الدنيا"².

والجملة الاسمية تفيد استمرار عدم خروج الكافرين من النار، جاء في روح المعاني: "إيثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدره بما الحجازية الدالة بما في حيزها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها، فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت، تفيد السلبية أيضا بمعونة المقام دوام النفي لا نفي الدوام"³.

¹ نظم الدرر 304/1

² تفسير الزمخشري 44/1

³ روح المعاني 131/1

فالجمله الاسمية أدل في تصوير حالهم من مكوثهم وإقامتهم في النار مع شدة كربهم، وعظم ما هم فيه من عذاب، جاء في الكشف: "وما هم بخارجين من النار.. كلمة "هم" للدلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم".¹

يُخْرَجُونَ:

في سورة الجاثية: (ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) 35

علة مجيء البناء للمفعول هنا أنهم زادوا على تكذيبهم بالساعة الهزاء بآيات الله، ويناسبه التحقير لهم بالإعراض عنهم عند خطابهم، والالتفات إلى غيرهم، وهو ما حدث في الشاهد "يُخرجون". قال ابن عاشور عن غرض هذا الالتفات: "ويحسنه هنا أنه تخيل للإعراض عنهم بعد توبيخهم وتوبيسهم، وصرف بقية الإخبار عنهم إلى مخاطب آخر ينبأ ببقية أمرهم تحقيرا لهم"² ولقد وصفهم سبحانه عن طريق الصيغة ذاتها، أي المبني للمفعول في سورة الأنعام، فقال: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) 28.

والصيغة "يُخرجون" ناسبت الكلمة "تُدعى" في قوله: (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) الجاثية 28 وغيرها من الأفعال مثل تُجْزَوْنَ وتُتْلَى و يُسْتَعْتَبُونَ.

ارتبط الشاهد بمعاني الاستكبار والإذلال، والاستهزاء بآيات الله، وجثو كل أمة لدى الحساب، ثم توبيخه تعالى للكافرين في قوله: (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) 31 وكان موقفهم من الساعة موقف السخرية والاستهتار كما ورد: (قُلْتُمْ مَا نَذَرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ

¹ بصير الدشاش 238\1

² التحرير والتنوير 414/13

بِمُسْتَقْبَلَيْنِ} 32 وأخيرا ناسب الختام تلك المعاني كلها في قوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 37.

أخرجنا:

في سورة المؤمنون : ﴿زَبْنًا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} 107

في سورة فاطر : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ
مَنْ نَصِيرٌ} 37

ورد الشاهدان في سياق الكفر والتكذيب بآيات الله، وصيغة الأمر فيهما
"أخرجنا" هي لغرض الدعاء وقد كان منهم لدى اضطراخهم، وإقرارهم
بذنوبهم واعتذارهم، إذ تضرعوا إلى ربهم بالدعاء للخلاص مما هم فيه، جاء في
البحر المحيط: "ثم تدرجوا من الإقرار إلى الرغبة والتضرع، وذلك أنهم أقروا
والإقرار بالذنب اعتذار".¹

ولكن كيف يكون منهم الدعاء، وقد علموا أن عذابهم دائم؟ السبب أنه "ربما
يلحقهم السهو عن ذلك في أحوال شدة العذاب فيسألون الرجعة، ويحتمل أن
يكون مع علمهم بذلك يسألون على وجه الغوث والاسترواح"² والصيغة
"أخرجنا" التي هي لغرض التضرع والدعاء تحيط بها المعاني الإنشائية التالية:
التائب والإنكار ثم التحقير والإذلال والتوبيخ والتهكم.

المصدر "خروج":

في سورة غافر : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَّ وَأَخْيَيْنَا ائْتِنَّا فَاغْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى
خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ} 11

¹ البحر المحيط 389(6)

² اللغات، علوم الكتاب 264(14)

سياق الشاهد هنا أنهم زادوا على الكفر إيداءهم للرسول - عليهم السلام - وجدالهم بالباطل ليدحضوا به الحق، ولأنهم لما سألوهم وهم يصطرخون في النار "ربنا أخرجنا" قال لهم: ﴿قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: 108) وكانوا من قبل: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ صاروا في قنوط شديد فقالوا هنا: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ قال الزمخشري: "أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء فلا خروج ولا سبيل إليه، وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط، وإنما يقولون ذلك تعطلا وتحيرا؛ لذلك جاء الجواب (ذلكم) الذي أنتم فيه، وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به"¹ فعلة مجيء المصدر بلوغهم الغاية في اليأس والقنوط والتحير، لأن المصدر كما مر في المباحث السابقة دالٌّ على مجرد الحدث² فهم يأسوا من أي خروج، وأسلوب الاستفهام قبل الشاهد بحرف "هل" هو للاستعطاف وكثيرا ما يأتي للنفي، وقد ناسب مجيء المصدر "خروج" لأنهم عجزوا عن أن يخرجوا من النار، ثم استكتوا بالزجر والتوبيخ، لما تضرعوا إلى ربهم بأن يخرجهم منها، فهنا لم يتجرؤوا على أن يحاولوا الخروج منها، أو أن يقولوا لربهم "أخرجنا" إنهم يسألون عن مجرد الخروج وقد أيقنوا عدم خروجهم منها، ولذلك زادت التأكيدات في نفيه عقب الشاهد مثل زيادة الحرف "من" وتنكير كلمه "خروج" جاء في التحرير والتنوير: "زيادة (من) إلى هل لتأكيد النفي وتنقيص عموم النفي، وتنكير (خروج) للنوعية تلتفقا في السؤال، أي إلى شيء من الخروج قليل أو كثير، لأن كل خروج ينتفعون به راحة من العذاب، كقولهم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾"³

وصيغة المصدر "خروج" ناسبت كثيرا من الألفاظ في السورة مثل كلمة "تنزيل" وكلمة "مقت" التي هي في نداء الملائكة لأصحاب النار الوارد قبل

¹ تفسير الكشاف 160\4

² ينظر المصنف الصرمي عبده علي إبراهيم الراجحي ص 66 دار النهضة العربية - القاهرة ط 1 (ب) ت، المفتاح في الصرف 25\1

³ التحرير والتنوير 483\12، ينظر من روائع القرآن ص 249

الشاهد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

تلك كانت شواهد المادة خ ر ج بصورها الخمسة، وقد وردت منها أربع صيغ فعلية، وكان للمضارع النصيب الأوفى فيها:

أ. جاء بالهيئة "يخرجوا" ثلاثة شواهد، اثنان منها في غرض تكرر العذاب وتجسيم مشاهد النار، وسياقهما امتناع الكافرين عن السجود لله، والشاهد الثالث هو في غرض بيان إرادتهم وما تتحدث به نفوسهم، وسياقه إقامة حدي الحراية والسرقة.

ب. "يُخرجون" بالبناء للمفعول وسياقه التكذيب بالساعة والاستهزاء بآيات الله، وهو لغرض التحقير لهم بالإعراض عنهم عن طريق الالتفات من الخطاب إلى ضمير الغيبة، وهو في شاهد واحد.

ج. صيغة الأمر "أخرجنا" جاءت في شاهدين، لغرض التضرع والدعاء بعد الإقرار بالذنب وقد قوبلوا بالزجر والتوبيخ والتهكم، وسياقه الكفر والتكذيب بآيات الله تعالى.

د. وبصيغة اسم الفاعل ورد شاهدان في الجملة الاسمية المنفية المؤكدة لدوام نفي خروجهم منها، وللمبالغة في خلودهم في النار وقنوطهم من النجاة، وللدلالة على أن أفعال الشر من عند أنفسهم، وسياقه في إقامة حدود الله.

هـ. وجاء بصيغة المصدر شاهد واحد، وهو في غرض بيان تعللهم وتحيرهم، وبلوغهم الغاية في القنوط واليأس، وسياقه التكذيب بآيات الله وإيذاء الرسل- عليهم السلام-.

بدأ النظم الكريم بهذه المادة بوصف أهل النار أثناء تردهم من أسفلها إلى أعلاها، أو فيما بين أماكنها لفرط ما هم فيه من العذاب عن طريق صيغة

المضارع، ثم تحول إلى إثبات مكوّتهم في جهنم، وإلى رد ما هم فيه إلى شر أفعالهم في الدنيا عن طريق اسم الفاعل، ثم انتقل من إرادتهم وخروجهم وإعادتهم إلى مشهد الخطاب والمحاورة، وهو ما كان باعتذارهم وتضرعهم إليه وزجره تعالى لهم، وهذا كان عن طريق صيغة الأمر "أخرجنا" ثم عبر عن فرط بأسهم من الخلاص عن طريق المصدر، وأخيرا عاد إلى صيغة المضارع لتحقيرهم حيث زادوا على تكذيبهم بالساعة الاستهزاء بآيات الله تعالى.

وقد حدث في المادة الثفان، من الفعلية إلى الاسمى لى إقامة حدود الله تعالى. ومن الخطاب إلى الغيبة لى الاستهزاء بآيات الله تعالى ما يدل على عظيم هذين الشانين، فالهزاء بما أنزل الله أشد كفرا من التكذيب بها، ودل على قوة المعنى الفعل المبني للمجهول، مالم يؤديه الفعل المبني للمعلوم من الشدة في امتهانهم وإذلالهم. وكذلك الجملة الاسمى "وما هم بخارجين من النار" أفادت مالم تؤديه الجملة الفعلية من تأكيد نفي خروجهم ودوامه، ويدل على شديد اهتمام القرآن بإقامة الأحكام الشرعية المتعلقة بحقوق العباد.

تنوعت الألفاظ المتشابهات، وصور وهيئات المادة لهذا الفصل كما هو حال الفصول السابقة، وفيما يلي عرض لبعض الأغراض البلاغية التي ظهرت بعد دراسة الشواهد وتحليلها:

1 - الصيغ الفعلية

أ- المضارع

-- التحذير: كما في "يدخله" وأفرد الضمير مفيدا استجلاب الوحشة للكافر في النار.

-- للوعيد العام والخاص، إذا كان مع السين كما في ﴿سَيَصْنَعُ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المسد3 فهو في الوعيد الخاص.

- للوعيد العام إذا كان المضارع مع سوف.

-- للترهيب الذي يتضمن معنى الترغيب، إذا كان مع السين.

- الدعاء لغرض الوقاية من النار، كما في ﴿زَيْنًا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ 192.

-- المضارع المرفوع أفاد نفياً للفعل أقوى وأشد من النهي، كما في "لا تعتذروا".

- تجسيم المشاهد في النار ذات الصور المتحركة الدائبة التي لا تزال تتكرر وتتجدد، فالمضارع مع "أن"، أي المصدر غير الصريح أتم وأشمل لوصف ما يجيش في نفوسهم إلى جانب تصوير حركاتهم وانفعالاتهم وهم يترددون من أسفل جهنم إلى أعلاها.

ب - الماضي المبني للفاعل

- صحة كون الفعل، وصدق وقوعه، وقد ناسب علة النفاق وهي الشك في الله وآياته، وجرم اليهود وهو التشكيك في الدين.

- أفاد الإسناد إلى لفظ الجلالة توليه تعالى للعنهم، لأن نفاقهم ظاهر له لا يخفى عليه ولعظم إثم إيذاء نبيه صلى الله عليه وسلم.

ج - الماضي المبني للمفعول

- .. يسر وسهولة القيام بالفعل، وصحة كون المستقبل وصدق الوعد به، كما في "فأدخلوا".
- .. إحاطة العذاب بهم وعجزهم عن التفنت منه كما في "ألقوا" وعدم تصور إلقاء منهم لأنفسهم في النار المستعرة.
- .. اشتداد العذاب عليهم وامتداده، لأن الإلقاء بفعل الزبانية، وهم غلاظ يشدد منهم قذف الكافر في جهنم.
- .. التحقير لهم عن طريق الالتفات من الخطاب إلى ضمير الغيبة، كما في "يخرجون".

د- صيغة الأمر

- للتأنيب والتبكيك والتهكم، كما في "ادخلوا" و"ذوقوا" و"اصلوها".
- .. إلى جانب التهكم أفادت صيغة الأمر معنى الحيق كما هو في رد مكر آل فرعون على أنفسهم لما أرادوا إهلاك المؤمنين.
- .. وأفاد معنى التبعة الفردية، كما في "ادخلا النار مع الداخلين" لزوجي النبيين نوح ولوط عليهما السلام.
- .. وصيغة الأمر أفادت التضرع والدعاء بعد الإقرار بالذنب والاعتذار، كما في "أخرجوا".

2- الصيغ الاسمية

أ- فعيل:

الإحاطة بالعذاب، لأن فعيل تحتمل الفاعل والمفعول، كما في "حميم" وهذا في الجملة الفعلية.

أما في الجملة الاسمية فقد وردت فعيل في غرض استحقاق العذاب والسخرية والتهكم بالكافرين.

ب- اسم الفاعل

تمكين التينيس وشدته وذلك في المساواة في الكفر، كما كان للزوجتين الخائنتين مع سائر الكفرة إذ لم تنفعهما مكانة الزوجين النبيين منهما، وهذا في الجملة الفعلية.

أما في الجملة الاسمية فإن اسم الفاعل أفاد انقطاع الرجاء عن نفع الشركاء إذ دعوهم ولم يستجيبوا لهم، وذلك بالعدول عن الفعل إليه للمبالغة في خلودهم في العذاب، وإقناطهم من النجاة، وأفاد استمرار عدم خروجهم من النار، وأن أعمال الشر كانت من عند أنفسهم.

ج- المصدر

للدلالة على شدة قنوطهم وتمكن اليأس من قلوبهم كما في ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا إِثْنَيْنِ وَأَخْيَيْنَا إِثْنَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ غافر 11.

المصدر الموصوف وصفته أفادا أن عذاب ولعن الكافرين كانا متحققين لهم، قبل دعاء الأتباع على متبوعهم لغرض الانتقام منهم والتشفي بهم.

المصدر إذا جرد عن الإضافة كان الغرض منه صرف الأذهان إلى التدبر في المعجزة، وتقتصر العناية على مجرد الحدث، أما إذا أضيف ففيه تنبيه إلى تصور الفعل حين ألف الناس ما رأوه من مخلوقات، لأن المصدر المضاف اكتسب معنى الفعل فكان هنا أنسب مع غرض إثارة الأذهان إلى التدبر فيما ألفوه واعتادوا عليه.

خاتمة:

تميز فصل تدمير أجرام الكون بالصيغ الفعلية الثقيلة، وبالمسند الفعلي، حتى الصيغ الاسمية فيه - وهي ثلاث فقط - وردت مزيدة مثل "منفطر" إذ دل اسم الفاعل على معنى أشد من التفعّل أو الانفعال لأنها في سياق كفر فرعون وتكذيب أكابر قريش.

وكذلك اسم المفعول "مطويات" دل على معنى أشد في الأهونية من "نطوي" في تدمير السماوات لأنه في سياق وصفه تعالى بما لا يليق بجلاله.

وتميز فصل البعث والنشور بسعة دلالات المصدر، لغرض إثبات إحياء المومن، والتمثيل له، والقدرة عليه، ولأن المصدر يجمع بين سر وهوان البعث وبين نهويله وتعظيمه.

وتميز فصل الحساب والجزاء بالفعل المبني للمجهول ليدل على أن الأمر المهور هو الجزاء لا كونه من جاز معين، كما دلت الصيغة فاعل على اسم الفاعل واسم المفعول معا في "حسبنا" مبالغة في الحساب وفي "شفيع" التي اهتمت بالشافع والمشفوع له معا.

وكثرت في فصلي نعيم الجنة وعذاب النار الصيغ الاسمية لمناسبتها الوصف والتعداد.

بينت الدراسة كثيرا من الالتفات بالضمائر، وأنواعه هي:

من الغيبة إلى الخطاب، كما في "تبعثون" تخويفا للمكذبين، وتنبيها إلى أهمية البعث.

وعكسه الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وهو الأكثر ورودا كما في "عرضوا" لغرض تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء لله تعالى، ومن أغراضه تفخيم شأن المؤمنين وتخيل كمال التباين بينهم وبين الكافرين.

ومن التكلم إلى الغيبة لغرض الوعيد وتربية المهابة.

والالتفات عن الغيبة إلى التكلم لغرض التعظيم، كما في "لنجزين".

وقد وقع العدول من المضارع إلى الماضي كما في "حشرناهم" و"سيرت" تأكيداً لحدوث الفعل.

ومن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية كما في "مجموع" لغرض ثبوت الجمع.

من أسرار الضمانر التي ظهرت في الدراسة أن ضمير الغيبة ورد للنهكم بالمكذابين وامتھانهم وإھلاكهم كما في "يخرجون".

وضمير الخطاب ورد في الرحمة والموعظة وإثبات القدرة والحكمة لله تعالى، وفي الاستجابة والامتنال لأمره كما في "تخرجون".

واتصال الضمير بالفعل يدل على تخصيص المؤمنين بهدایتہ وتوفيقهم للإيمان كما اختص بالقدرة على بعثهم، كما في "يبعثهم".

واتصاله بالفعل كذلك يدل على الشمول والعموم كما "نحشرهم".

اشتركت الصيغ عامة في الوعد والإيعاد، باستثناء المصدر فإنه اختص بالتدبير، والترهيب والوعيد، فالصيغة "كلوا" هي لغرض الإهانة والإذلال، كما هي للإكرام والتعظيم في سياقين مختلفين.

وذلك حدث في الضمانر كذلك فإاء المتكلم وردت في إعزاز المؤمن وتكريمه، كما في ﴿وَإِنْخَلِي جَنَّتِي﴾ الفجر 30 وفي المبالغة في السخط والعذاب، كما في ﴿وَإِذْ ثَاذُنْ رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كُفِّرُكُمْ إِنْ غَدَّابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم 7.

وحدث في نون المضارعة فهي في مناسبة إحسانه إلى أهل الجنة وتكريمهم، كما هي في تحقير ومهانة المكذابين.

المضارع في نفي البعث أشد وأقوى من الماضي، أي هو في الإنكار المبالغ فيه الذي لا تردد معه، كما في "يبعث"، في حين أن الماضي أكد في إثبات البعث، كما في "بعثنا".

الوعد يتحقق بالصيغ الفعلية، ويشد بالتوكيد والقسم ونون المضارعة، لكنه يشد أكثر بالصيغ الاسمية كما حدث في "مطويات".

اختار تعالى تثنية الفعل، كما في "فدكتنا" هي بدل فدكن جاعلا السماوات جميعها واحدة، والأرض واحدة مبالغة في الدك فكانت التثنية في الفعل أبلغ من الجمع، كما في "القياء" هو للمبالغة في الأمر بالإلقاء، لكنه كان بدلا من أفراد الفعل.

واختار تذكير المؤنث لإرادة الشدة والقوة، كما في "منفطر" بدل من السماء منفطرة.

واختار الجمع المؤنث السالم "قاصرات" بدلا من قواصر لشهرته ورشاقته ما يدل على حسن ألفاظ النظم الكريم وجمالها.

واختار التعريف في "المسجور" بعد التكرير ليبدل على شدة هول سجر البحر، وأنه غير معروف، ما أخرج - اللام - عن المعرفة.

ظهر الترتيب القرآني في ثلاث مواد فقط هي: ع ذ ر، و س ق ي، وأجلها وضوحا في المادة ص ل ي إذ تدرج من العام إلى الخاص ومن التخفيف إلى التثقل ومن اللازم إلى المتعدي ومن التأكيد إلى الأكيد والأشد، وفيها صيغة نادرة وهي "تصلية" حيث ظهر التقابل المجازي جليا في ذوق العذاب.

حققت الصيغة فعيل إحاطة العذاب بالكافرين، كما حققت الصيغة المثناة "جنتان" إحاطة النعيم بالمؤمنين.

مر .بدر الدراسة ثلاثة مواضع ظهرت فيها بعض الأسرار البلاغية لصيغ، اعتبر بعض العلماء ورودها مراعاة للفواصل فقط، رغم عدد الشواهد القليل لا أوافق على أن تحل الصيغة من أجل مراعاة الفواصل فقط، لأن وراء كل مفردة أبلغ مناسبة، وهو سبحانه غني عن الحاجة، وكلمة مراعاة لا تتوافق مع الإعجاز.

وأظهرت الدراسة مماثلة بين إنكار البعث وبين إثباته، فقد أتى بالمصدر مع فعله عند سؤال المشككين عن البعث، وإذا كان نوع الإنكار بادعائهم ثبات أجرام الكون، كان الرد عليهم عن طريق المسند الفعلي لتقوية الخبر، وإذا ورد تطاول منهم بالتكذيب، أكد وقوع القيامة بالالتفات عن المضارع إلى الماضي، وبنى للمفعول، وعندما كان التكذيب من أكابر قريش ومترفيها أثبت بالالتفات عن الفعلية إلى الاسمية وأتى بتذكير المؤنث كما في "منفطر" وإذا أنكروا بصيغة المضارع المبني للمفعول "يبعثوا" كان الرد عليهم بالصيغة ذاتها "لتبعثن" وفي التكذيب المبالغ فيه أيضا ورد الإنكار بالجملة الاسمية إذ أنكروا بصيغة المصدر (ذَلِكَ زَجَعٌ بَعِيدٌ) 3 رد عليهم بقوله : (وَاللَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْنَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) وقوله : (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) 42

- من أشكال التعريض الواردة في الدراسة، الاستغناء بالجملة الاسمية عن الفعلية، كما في "عذابي" لأنه أعم وأوجز.

وتحقق التعريض أيضا عم طريق اسم المفعول (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ) الشعراء 213 في خطابه للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ليس منهم، وهذا أبلغ في وعيد الكافرين.

ترك المشكلة في العطف في موضع واحد فقط، فأتى بأسلوب الإنشاء بدل الخبر (وبشّر) البقرة 25 تنشيطاً للترغيب، وتعظيماً لشأن البشارة.

توصية:

مما لاحظته في الاستعمال اليومي للهجة العامية تناولها للأغراض ذاتها التي تدل عليها الصيغ الصرفية، لذلك أوصي بنشر علم المتشابه اللفظي في المدارس بأسلوب مبسط وفي الجامعات، فهو صميم بلاغة هذه اللغة، وركنٌ عظيم من أركانها.

ثبت الآيات

المادة ح س ب ، وهي من الفصل الثالث رقم الصفحة 159

نوع الصيغة	الآية	السورة
الفاعل، مضارع	{ لِّلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُا يُخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 248	البقرة
	{ فَسَوْفَ يُخَاسِبُ جَسَابًا يَسِيرًا } 8	الإنشقاق
اسم الفاعل	{ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْخُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ } 62	الأنعام
	{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } 47	الأنبياء
مفعول	{ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } 39	الأحزاب
	{ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } 14	الإسراء
المفعول، اسمية	{ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَغْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوبُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَغَلْبَانَا الْجِسَابُ } 40	الرعد
	{ وَمَنْ يُدْغِ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا جِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } 117	المؤمنون
	{ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْخُسْطَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْجِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } 18	الرعد
	{ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا جِسَابُهُمْ } 26	الغاشية
	{ إِنْ جِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ } 113	الشعراء
	{ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظِلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْجِسَابِ } 17	غافر
	{ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْجِسَابِ } 202	البقرة
	{ لِيُجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مِمَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْجِسَابِ } 51	إبراهيم
	{ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يُكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْجِسَابِ } 19	آل عمران
	{ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْعُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثُمَّ قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْجِسَابِ } 199	آل عمران

المائدة	{ يسألونك ماذا أجل لهم قل أجل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكيلين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب}4	المصدر في الجملة الاسمية
الرد	{ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب}21	
الرد	{ أولم يزوا أنا تأتي الأرض لنقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب}41	
النور	{ والذين كفروا أفعالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب}39	
الأنبياء	{ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون}1	المصدر في الجملة الفعلية
إبراهيم	{ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب}41	
النور	{ والذين كفروا أفعالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب}39	
النبا	{ إنهم كانوا لا يزجون حسابا}27	
الحاقة	{ إني طننت أني ملقي حسابية}20	
الحاقة	{ ولما أدر ما حسابية}26	
النبا	{ جزاء من ربك عطاء حسابا}36	
الإنشاق	{ فتوف بخاسب حسابا يسيرا}8	
ص	{ هذا ما توعدون ليوم الحساب}53	

المادة ج ز ي ، من الفصل الثالث رقم الصفحة 182

البقرة	{ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاع ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون}48	المصدر في المعنى للفاعل
البقرة	{ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاع ولا هم ينصرون}123	
يوسف	{ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين}88	

المضارع الماضي للفاعل	﴿ جَنَّاتٌ عَذْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ 31	النحل
	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ 31	النجم
	﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَغَدَ لِلَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ خَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ 4	يونس
	﴿ لِيُجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ 51	إبراهيم
	﴿ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ 45	الروم
	﴿ لِيُجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ 24	الأحزاب
	﴿ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ 4	سبا
	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيُجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ 14	الجاثية
	﴿ لِيُكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ 35	الزمر
	﴿ لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ 38	النور
	﴿ وَلَا يَنْفَعُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ 121	التوبة
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاقِيَ الْجَحْلَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ 40	الأعراف
	﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ 41	الأعراف
	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا تَقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَاذِبٍ ﴾ 36	فاطر
	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ 44	المرسلات
	﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ 29	الأنبياء

المضارع المبني للفاعل	(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿96﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿97﴾)	النحل
	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿7﴾)	العنكبوت
	(فَلَنَنْدِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿27﴾)	فصلت
المضارع المبني للمفعول	(وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الطَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿93﴾)	الأنعام
	(ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿52﴾)	يونس
	(وَمَن جَاءَ بِالسَّبْتِ فَكَذَّبْهُ وَجَاهَهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿90﴾)	النمل
	(فَالْيَوْمَ لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿54﴾)	يس
	(اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿16﴾)	الطور
	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَتَنَبَّزُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿7﴾)	التحریم
	(وَالْيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَذَّتْكُمْ طَبِيبَاتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿20﴾)	الأحقاف
	(وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿39﴾)	الصفافات
	(لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿123﴾)	النساء
	(ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴿41﴾)	النجم
	(مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّبِيَّةِ فَلَا يُجْزَىٰ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿84﴾)	القصص

المضارع المبني للمفعول	(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُزْرَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) 40	غافر
	(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 160	الأنعام
	(الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) 17	غافر
	(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) 15	طه
	(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 22	الجاثية
	(أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرُفَةَ بِمَا صَنَعُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَجَنُّةً وَسَلَامًا) 75	الفرقان
	(وَقَالِ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْتُرُونَنَا أَنْ تَكْفُرَ بِاللَّهِ وَتَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) 33	سبا
الفعال الماضي	(إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَنَعُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) 111	المؤمنون
	(وَجَزَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا) 12	الإنسان
اسم الفاعل	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْسُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) 33	لقمان
المصدر في الجماعة الاسمية	(ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَةِ وَالْعَدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إخراجهم أَقْنُوْهُمْ بِنِعْمِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِنِعْمِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جُزَاءٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُزَادُونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) 85	البقرة
	(إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) 22	الإنسان
	(إِلَيَّ أَرْيَدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِي وَإِيمُكَ فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) 29	المائدة
	(فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا خَتَابَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) 85	المائدة

المائدة	(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) 33	المصدر في الجملة الاسمية
يونس	(وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَنِيَّةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرَاهُمْ بِذَلِكَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) 27	
الكهف	(وَأَمَّا مَنْ أَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) 88	
سبا	(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّغْفِرِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ) 37	
النساء	(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) 93	
الإنسان	(إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) 22	
الإسراء	(قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مُوقُورًا) 63	
آل عمران	(أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) 87	
آل عمران	(أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا يُجْزَوْنَ أَجْرًا غَيْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) 136	
البينة	(جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) 8	
الإسراء	(ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خُلُقًا جَدِيدًا) 98	
طه	(جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) 76	
الفرقان	(قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) 15	
الفرقان	(قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) 15	

المصدر في الجملة الاسمية	{ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يُعملون } 17	السجدة
	{ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي هزواً } 106	الكهف
	{ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان } 60	الرحمن
	{ فكان عاقبتُهُما أَنَّهُما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين } 17	الحشر
المصدر في الجملة الفعلية	{ جزاء وفاقاً } 26	النبأ
	{ جزاء من ربك عطاء جسداً } 36	النبأ
	{ جزاء بما كانوا يعملون } 24	الواقعة
	{ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون } 14	الأحقاف
	{ فلنضحكوا قليلاً ولنبتكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون } 82	التوبة
	{ سنخلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رخص وماؤهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون } 95	التوبة

مادة ج ن ، وهي من الفصل الرابع رقم الصفحة 216

المصدر في الجملة الاسمية	{ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون } 72	الزخرف
	{ ونزلنا ما في صدورهم من غلٍ تخري من تخهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسلنا بالحق ونودوا أن تكون الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون } 43	الأعراف
	{ تلك الجنة التي نورت من عبادنا من كان تقياً } 63	مريم
	{ فإن الجنة هي المأوى } 41	النازعات
	{ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير } 7	الشورى
	{ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون } 55	يس
	{ وأما الذين سبئوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير محدود } 108	هود

السورة في الجملة الاسمية	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي الثَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾ 111	التوبة
	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ 35	الرعد
	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ 15	محمد
	﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ 54	الفرقان
	﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ 20	الحشر
	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 82	البقرة
	﴿وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْفَى وَزِيَادَهُ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 26	يونس
	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 23	هود
	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 42	الأعراف
	﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ 20	الحشر
	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ بُودِنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ 44	الأعراف
	﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ 46	الأعراف

الأحقاف	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَغَدَ الصَّبْرُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ 16	المورد في الجملة الاسمية
الشعراء	﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ 90	المورد في الجملة الفعلية
مريم	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ 60	
البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ 111	
آل عمران	سورة آل عمران : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ 142	
النساء	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ 124	
الأعراف	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُلَاحَظَ أَجْمَلٌ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ تُجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ 40	
الأعراف	﴿أَهْلَ الْأَيْمَنِ الَّذِينَ ائْتَمَسُوا اللَّهَ يَرَوُوهُ كَرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تُخْزَوْنَ﴾ 49	
النحل	﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 32	
مريم	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ 60	
المائدة	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ 72	
العنكبوت	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ 58	
يس	﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ 26	
الزمر	﴿وَسَبِّحْ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَابَمَا فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ 73	
الزمر	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَغَدَا وَوَرَّثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ 74	

الزخرف	(ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون) 70	المفرد في الجملة الفعلية
غافر	(من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يزرقون فيها بغير حساب) 40	
فصلت	(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغفوا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأنبئوا بالجنة التي كنتم توعدون) 30	
ق	(وازلقت الجنة للمتقين غير بعيد) 31	
التحريم	(ومررت الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) 11	
الحاقة	(في جنة عالية) 22	المفرد في الجملة
الغاشية	(في جنة عالية) 10	
الدهر	(وجزاها بما صبروا جنة وحريرا) 12	
ال عمران	(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين) 133	
الحديد	(سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) 21	
الرحمن	(ولمن خاف مقام ربه جنتان) 46	المفرد في الجملة
الرحمن	(ممكنين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين ذان) 54	
الرحمن	(ومن دونهما جنتان) 62	
الشورى	(ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) 22	الجمع معرف بال
الحج	(الملك يومئذ به يحكم بينهم قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) 56	الجمع المعروف بالإضافة
لقمان	(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) 8	
الواقعة	(فرح وزيخار وجنت نعيم) 89	
القلم	(إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) 34	
الصفات	(في جنات النعيم) 43	

الماندة	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سِتَاتٍ﴾ ﴿وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ 65	الجمع المعرف والإضافة
يونس	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ 9	
الواقعة	﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ 12	
البينة	﴿حِزْأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ 8	
الكهف	﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبْغُمُ الثُّرَاثِ وَحُسْنَتُ مَرْفَعًا﴾ 31	
التوبة	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 72	
مريم	﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ 61	
طه	﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ 76	
النحل	﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ 31	
فاطر	﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُزْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ 33	
ص	﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ 52	
غافر	﴿رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ 8	
الكهف	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ 107	
السجدة	﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ 19	
آل عمران	﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَبْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ 15	الجمع النكرة في الجملة الاسمية

الجمع النكرة في الجملة الاسمية	(أُولَئِكَ جَزَاءُ هُم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا) 136	آل عمران
	(لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) 198	آل عمران
	(قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) 119	المائدة
	(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) 45	الحجر
	(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) 23	الرعد
	(فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) 52	الدخان
	(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) 15	الذاريات
	(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) 17	الطور
	(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) 54	القمر
	(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسْعَاكُمْ أَلَيْسَ النَّارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) 12	الحديد
	(أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ) 35	المعارج
	(فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) 40	المدثر
	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) 11	البروج
الجمع النكرة في الجملة العملية	(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مَنْ تَكَرَّرَ أَنْتَنِي بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) 195	آل عمران
	(تِلْكَ خُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) 13	النساء
	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ فِيلًا) 122	النساء

النساء	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ 75	الجمع مع الذكورة في الجملة الفعلية
التوبة	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْثَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 72	
المائدة	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ 12	
التوبة	﴿يَسْتَبْرِهُمُ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ 21	
التوبة	﴿وَأَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 89	
التوبة	﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 100	
الحج	﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ 23	
إبراهيم	﴿وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَجِيئُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ 23	
محمد	﴿إِنِ اللَّهُ يَدْخُلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ 12	
الفتح	﴿لِيَدْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ 5	
الفتح	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَقُولُ يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ 17	
الصف	﴿يُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 12	

الجمعة النكرة في الجملة المعلية	(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) 22
التغابن	(يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) 9
التحريم	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا نُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَمَانَتِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 8
الطلاق	(وَمَنْ لَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) 11

سادة ع ذ ب ، وهي من الفصل الخامس رقم الصفحة 332

السر د المصارع	(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 284
آل عمران	(وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) 129
الفتح	(وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) 14
المائدة	(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَجِبَاوْهُ فَلَيْسَ بَعْدُكُمْ يُذْنِبُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَهِهُ الْمَصِيرُ) 18
المائدة	(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 40
العنكبوت	(يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) 21
الأحزاب	(لِيُخْرِجَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) 24

الأحزاب	﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ 73	المعرد السماع
الفجر	﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ 25	
آل عمران	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ 56	
الغاشية	﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ 24	
آل عمران	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ 56	
الفتح	﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُ عَزَّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَى يَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ 16	
الفتح	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ 17	
الكهف	﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا﴾ 87	
التوبة	﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا وَبَغَدُوا بِإِسْلَامِهِمْ وَهُمْ لَا يُدْرِكُونَ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ 74	
التوبة	﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دُونِهَا سَبْعَ آلَافٍ مِنْهُمْ لَا يَصُدُّهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ أُولَئِكَ لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانَ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدًا﴾ 106	
الشعراء	﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ 213	الاسم المفعول
الحديد	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِلُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ 13	المعروف في الآية الاسمية
الصفات	﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ 33	
سبا	﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ 38	
الروم	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ 16	
المائدة	﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الذِّينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قُدِّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ 80	

المعروف بال في الجملة الاسمية	(إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابَ الْآلِيمَ) 38	الصفات
	(إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) 48	طه
المعروف بال في الجملة الفعالية	(الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقَيْنَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) 26	ق
	(مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) 44	الشورى
	(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا يَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّفْسَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) 33	سبا
	(وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) 64	القصص
	(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّفْسَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 54	يونس
	(إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) 166	البقرة
	(وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرْوُوا الْعَذَابَ الْآلِيمَ) 88	يونس
	(وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرْوُوا الْعَذَابَ الْآلِيمَ) 97	يونس
	(لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرْوُوا الْعَذَابَ الْآلِيمَ) 201	الشعراء
	(إِنْ كَادَ لِبُضْلَانَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلَ) 42	الفرقان
	(أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) 58	الزمر
	(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خِرَافَتُهَا أَلَمْ يُأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) 71	الزمر
	(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) 34	الأحقاف

المعروف بال في الجملة العملية	(مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) 70	يونس
	(وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) 39	الأعراف
	(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) 106	آل عمران
	(وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) 30	الأنعام
	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) 56	النساء
	(وَالَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) 86	البقرة
	(خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) 162	البقرة
	(خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) 88	آل عمران
	(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) 49	الأنعام
	(يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) 55	العنكبوت
	(كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) 25	الزمر
	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) 18	الحج
	(ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ يَتَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَةِ وَالْغَدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادَوْهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَلَا تُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جُزَاءٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُورِ الْقِيَامَةِ يَزِيدُونَ إِلَى شِدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) 85	البقرة
	(أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) 157	الأنعام

المعروف بال في الحملة الوعائية	(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾	الزمر
	(فَوَقَاہُ اللَّهُ سَنَابِتَ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾	غافر
	(لَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْضَرُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تُحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾	آل عمران
المعروف بإضافة الاسم في الحملة الاسمية	(إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرِيقِ ﴿١٠﴾	البروج
	(وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾	الحشر
	(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٣﴾	الزخرف
	(يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾	الحج
	(وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾	طه
	(لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾	الرعد
	(فَازْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ لِّنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾	فصلت
	(فَإِذَا فَعَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾	الزمر
	(وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾	القلم
	(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾	الطور
	(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾	الإسراء
	(إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾	المعارج

الزخرف	(فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ) 65	المعرف بالصورة الصور في الجملة العملية
الأنبياء	(وَلَيْنَ مَسْنَنُهُمْ نَفْخَةٌ مِنْ عَذَابٍ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) 46	
الملك	(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) 5	
البقرة	(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا آتَا بِمُصْرَخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرَخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُوهَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 22	الذكر في الجملة الاسمية
النحل	(ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَآلِيَهُمْ فِيَوْمَ عَذَابٍ أَلِيمٍ) 63	
البقرة	(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتَرْزِقُونَ بِهِ نُمًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 174	
البقرة	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 178	
البقرة	(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) 10	
آل عمران	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا قُلْ نَقْبِلُ مِنْ أَعْدَابِهِمْ مِلَّةَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) 91	
آل عمران	(وَلَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَبُجِبُوا أَنْ يُخْزُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تُحْسِبْنَهُمْ بِمَغَارَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 188	
المائدة	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا نَقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 36	
المائدة	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيِّدِ ثَمَالَهُ إِيْدِيكُمْ وَرَمَا حُكْمُ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 94	

التوبة	﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلٍّ أَدْنَىٰ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَنُؤَسِّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 61	الذِّكْرَةُ فِي الْأَسْمَاءِ
التوبة	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 79	
النور	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ 19	
الشورى	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 42	
الحشر	﴿كَمَثَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُ أَرْوَاحٍ وَأَمْرُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 15	
التغابن	﴿الَّذِينَ يَأْتِيَكُمُ النَّبِيُّ يَقُولُ كُفُّوا مِنْ قَبْلِ فِئَةٍ ذَاتُ أَرْوَاحٍ وَأَمْرُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 5	
النحل	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 104	
النحل	﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 117	
العنكبوت	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَنْسَوْنَ مَنْ رَحِمْتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 23	
البقرة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 104	
المجادلة	﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتَلْكَ خُذُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 4	
يونس	﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَذَابُ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيُخْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ خَمِيرٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ 4	
البقرة	﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 7	
البقرة	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جُزِيَ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 114	
آل عمران	﴿وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ خَطَأً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 176	

المائدة	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 33	الذكارة في الاسماء الاسمية
المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِدَلِيلٍ يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 41	
آل عمران	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 105	
النور	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُخَلَّصَاتِ الْغَافِلَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 23	
النور	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 11	
الجاثية	﴿مَنْ زَارَبَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 10	
النحل	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 106	
النحل	﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ 94	
الصافات	﴿تُخَوَّرُوا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ 9	
البقرة	﴿يَسْمَا شَرًّا وَآيَةً أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ 90	
آل عمران	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّكُمْ تُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ 178	
الحج	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ 57	
الجاثية	﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ 9	
النساء	﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ 14	

النكرة في الجملة الاسمية	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾6	لقمان
	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾5	المجادلة
	﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾16	المجادلة
	﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءٌ بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾90	البقرة
	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾37	المائدة
	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾68	التوبة
	﴿مَنْ قَتَلَ هَدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفَرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾4	آل عمران
	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾7	فاطر
	﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْجَزَةَ فَلِلَّهِ الْجَزَةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبْثُورٌ﴾10	فاطر
	﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا﴾26	ص
	﴿وَالَّذِينَ يُخَاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاجِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾16	الشورى
	﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾2	إبراهيم
النكرة في الجملة الفعالية	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْبَيعِ﴾25	الحج
	﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُزِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾19	الفرقان

الدعوة في الحملة الدولية	(فَقْتُولُوا قُلْنَ نَزَيْدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا) 30	النبا
	(وَلَنَنْزِلَنَّ أَزْفَاءَ رَحْمَةٍ مِنَّا مِنْ بَعْدِ صُرَاءَ مَسْتَهْ لِيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنَرِجِعَنَّ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) 50	فصلت
	(فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) 27	فصلت
	(يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) 31	الإنسان
	(قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَمَوَاتُ عَذَابِهِ ثُمَّ يَرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا) 87	الكهف
	(قُلْ لِلْمُخْلَقِينَ مِنَ الْأَغْرَابِ سِتْدُ عَرْوَنَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَاسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) 16	الفتح
	(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطْعِمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا) 17	الفتح
	(يَخْلَعُونَ بِأَنَّهُمْ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يُنَالُوا وَمَا تَفْعَلُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) 74	التوبة
	(قُلْ إِنْ أَنْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) 28	الملك
	(الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) 37	النساء
	(أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) 151	النساء
	(وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) 18	النساء
	(وَأَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) 15	المجادلة
	(وَأَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) 10	الطلاق

المصادر والمراجع

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم محمد بن محمد العمادي أبو السعود دار
إحياء التراث العربي - بيروت (ب،ت)

أساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ت538هـ
تحقيق محمد باسل عيون السود الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط1 1419
هـ - 1998 م

أسباب النزول أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري
الشافعي ت468هـ تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان دار الإصلاح - الدمام ط2
1412هـ 1992م

اسرار التكرار في القرآن المسفى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة
والبيان محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرمانى ت505هـ
تحقيق عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق أحمد عبد التواب عوض دار الفضيلة
(ب،ت)

إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الثالثة، 1423هـ 2002م

الإعداد البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة محمد علي عبدالرحمن المعروفة
ببيت الشاطي دار المعارف ط3 1319هـ

إعراب القرآن أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي
النحوي ت338هـ وضع حواشيه وعلق عليه: عبدالمنعم خليل إبراهيم منشورات
محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت ط1 1421هـ

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد
الشيرازي البيضاوي ت685هـ التحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء
التراث العربي بيروت ط1 1418 هـ

البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير
الدين الأندلسي ت745هـ تحقيق صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت ط 1420 هـ

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة
الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ت1224هـ دار الفكر (ب،ت)

بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي تحقيق
د. محمود مطرجي دار الفكر - بيروت (ب،ت)

البرهان في علوم القرآن محمد بن بهاء بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله دار المعرفة
- بيروت 1392هـ تحقيق محمد علي أبو الفضل إبراهيم

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب
الفيروز آبادي ت817هـ تحقيق محمد علي النجار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -
لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة (ب،ت)

البعث والنشور أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْروجردي الخراساني أبو
بكر البهقي ت458هـ تحقيق عامر أحمد حيدر (ب،ت)

تأويل شكل القرآن أبو محمد عبدالله بن مسلم بن كتيبة الدنيوري ت276هـ تحقيق
إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ب،ت)

التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي
مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان ط1 1420هـ / 2000 م

تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي د. عبدالله الهتاري الملتقى العلمي
للتفسير وعلوم القرآن (ب،ت)

التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيها يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الأفريقي القيرواني ت200هـ تحقيق، هند شلبي الشركة التونسية للتوزيع 1979م

التطريق الصرفي عبده علي إبراهيم الراجحي دار النهضة العربية - القاهرة ط1 (ب،ت)

تفسير الشعراوي - الخواطر محمد متولي الشعراوي ت1418هـ مطابع أخبار اليوم (ب،ت)

تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور ت370هـ تحقيق محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت ط1 2001م

حاشية البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري ت310هـ تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط1 1420هـ 000م.

الجامع لأحكام القرآن أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحررجي شمس الدين القرطبي ت671هـ تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة ط2 1384هـ 1964م

جمهرة اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت321هـ تحقيق رمزي منير بعلبكي دار العلوم للملايين - بيروت ط1 1987م

الحجة القراء السبعة الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي الأصل أبو علي ت377هـ تحقيق، بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني راجعه ودققه عبدالعزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق (ب،ت)

الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ت392هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط4 (ب،ت)

درة التنزيل أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي
ت420هـ تحقيق د. محمد مصطفى أيدين جامعة أم القرى - مكة المكرمة ط1
1422هـ 2001م

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله
الحسيني الألوسي ت1270هـ تحقيق علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية -
بيروت ط1 1415هـ

سورة الواقعة ومنهجها في العقائد محمود محمد غريب دار التراث العربي - القاهرة
ط3 1418هـ 1988م

شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب
خزانة الأدب ت1093 المؤلف محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي نجم الدين
ت686هـ حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما محمد نور الحسن ومحمد
الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية بيروت - لبنان 1395 :
هـ - 1974 م

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد
الجوهرى القاهري الشافعي ت889هـ تحقيق نواف بن جزاء الحارثي الناشر عمادة
البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة ط1 1423هـ 2004م

شرح المعلقات السبع الحسين بن أحمد الزوزني مكتبة المعارف - بيروت ط1
1425هـ 2004م

شرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء،
سوفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبن الصانع ت643هـ دار
الكتب العلمية بيروت - لبنان ط1 1422هـ 2001م

شرح النووي على مسلم يحيى بن شرف أبو زكريا النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها
وأهلها دار الخير سنة النشر: 1416هـ 1996م

الصداح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراءى
ت 393 هـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين - بيروت ط 4 1407 هـ
1987 م

العدول فى صيغ المشتقات فى القرآن دراسة دلالية جلال عبدالله محمد سيف
الحمداءى جامعة عز - اليمن 1428 هـ 2007 م

على طريق التفسير البيانى فاضل صالح السامرائى النشر العلمى جامعة الشارقة
1433 هـ 2002 م

العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى البصرى
ت 170 هـ، تحقيق د. مهدي المخرومي، د. إبراهيم السامرائى دار ومكتبة الهلال

غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى
النيسابورى ت 850 هـ تحقيق الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلمية - بيروت ط 1
1416 هـ

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا
الأنصارى، زين الدين أبو يحيى السنيكى ت 926 هـ تحقيق محمد علي الصابونى دار
القرآن الكريم - بيروت ط 1 1403 هـ 1983 م

الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران
العسكارى ت 395 هـ تحقيق محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع -
القاهرة ط 1

فقه الإمامة وسر العربية عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبى ت 429 هـ
تحقيق، فائز محمد دار الكتاب العربى - بيروت ط 1 1427 هـ 2006 م 253، تفسير
البيضاوى

فى دلائل القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربى ت 1385 هـ دار الشروق -
بيروت - القاهرة ط 17 1412 هـ

الكتاب عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء. أبو بشر، الملقب سيبيويه ت180هـ
تحقيق، عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخانجي - القاهرة ط1408هـ - 1988م

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم محمود بن
عمر الزمخشري الخوارزمي تحقيق عبدالرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي -
بيروت (ب،ت)

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أيوب بن موسى الحسيني القريني
الكفوي، أبو البقاء الحنفي ت1094هـ تحقيق عدنان درويش، محمد المصري مؤسسة
الرسالة - بيروت (ب،ت)

لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر
الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن ت741هـ تحقيق تصحيح محمد علي شاهين
دار الكتب العلمية - بيروت ط1415هـ

اللباب، في علوم الكتاب أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي دار الكتب
العلمية - بيروت ط1419هـ - 1998م

لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري دار صادر- بيروت ط2
(ب،ت)

المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الأركافي والغرناطي د. لبيب
محمد جبران صالح دار الفاروق عمان - الأردن ط1431هـ - 2010م

متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والغرناطي محمود حسن مخلوف كلية اللغة
العربية بأسبوط 1423هـ - 2002م

مجاز القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ت209هـ تحقيق محمد فؤاد
سزكين مكتبة الخانجي - القاهرة ط1381هـ

مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط - العدد السادس والعشرون

مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين 395هـ دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان مؤسسة الرسالة - بيروت ط2 1406هـ 1986م

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ت542هـ تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - بيروت ط1 1422هـ

المزهر في علوم اللغة وأنواعها عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي 111هـ تحقيق فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية - بيروت ط1 1418هـ 1998م

معاني الأبنية في العربية فاضل صالح السامرائي دار عمار ط2 1428هـ 2007م

المعاني الصرفية ومبانيها عبدالمجيد بن محمد بن علي الغيلي 1428هـ 2007م

معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء 207هـ تحقيق أحمد يوسف النجاشي، محمد علي النجار، عبدالفتاح إسماعيل الشلبي دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ط1 (ب،ت)

معاني النحو فاضل صالح السامرائي دار الفكر ط4 1430هـ 2009م

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبدالباقي دار الحديث القاهرة ط2 1408هـ 1988م

معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين ت115هـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون دار الفكر - بيروت 1399هـ 1979م

معنى اللبيب عن كتب الأعاريب عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين ابن هشام ت761هـ تحقيق د.مازن المبارك، محمد علي حمد الله دار الفكر - دمشق ط6 1985

مفاتيح الغيب التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت606هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ط3 1420هـ

مفتاح العلوم يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب ت 626 هـ ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط 2 1407 هـ - 1987 م

المفتاح في الصرف أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت 471 هـ تحقيق علي توفيق الخمد كلية الآداب - جامعة اليرموك - إربد - عمان مؤسسة الرسالة - بيروت ط 1 1407 هـ - 1987 م

المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت 502 هـ تحقيق صفوان عدنان الداودي دار القلم الدار الشامية - دمشق بيروت ط 1 1412 هـ

مفردات القرآن عبد الحميد الفراهي الهندي ت 1349 هـ تحقيق وشرح د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي دار الغرب الإسلامي ط 1 2002 م

المقتضب محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرك، 285 هـ تحقيق محمد عبد الخالق عظمة عالم الكتب - بيروت (ب، ت)

سلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر ت 708 هـ دار الكتب العلمية - بيروت (ب، ت)

من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل محمد سعيد رمضان البوطي مؤسسة الرسالة - بيروت 1420 هـ 1999 م

نظم الدرر في تناسب الآيات والصور برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي تحقيق عبدالرزاق غالب دار الكتب العلمية - بيروت 1415 هـ 1995 م

الهداية إلى بلوغ النهاية في علوم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي 437 هـ تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات

العلماء والبحث العلمي - جامعة الشارقة بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي مجموعة
بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الوجوه والنظائر أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران
العسكري ت395هـ تحقيق محمد عثمان مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ط1 1428هـ
2007م